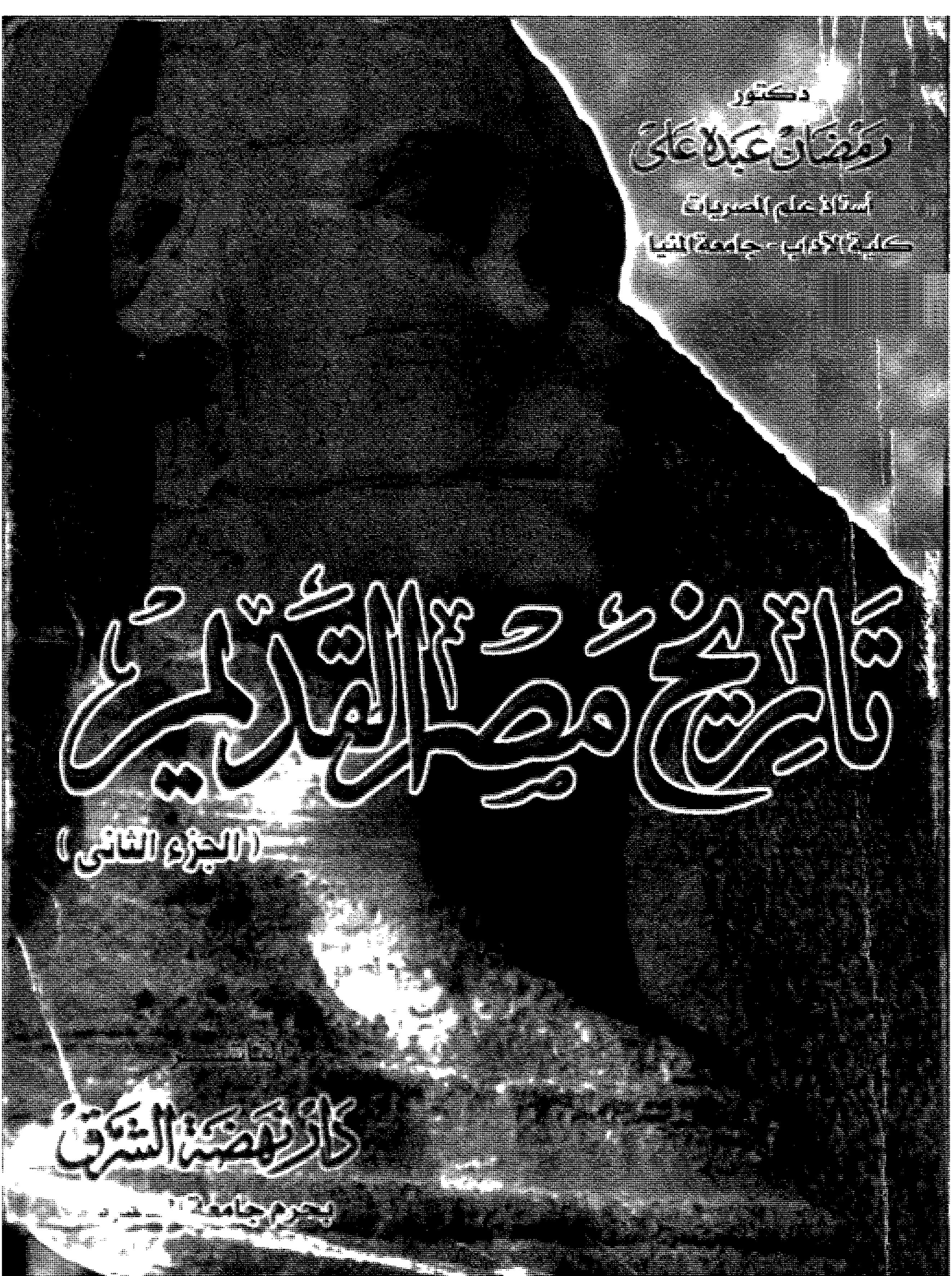


دكتور

رمضان عبده على

أستاذ علم المصريات

كلية الآداب - جامعة المنيا

تاريخ مصر القديم

(الجزء الثاني)

دار نهضة الشرق

بحرم جامعة

دكتور
رمضان عبده على
أستاذ علم المصريات
كلية الآداب - جامعة المنيا

تاريخ مصر القديم

الجزء الثاني

الناشر
دار نهضة الشرق
بحرم جامعة القاهرة

رقم الايداع

٢٠٠١/١٧٨٩٩

الترقيم الدولى

I.S.B.N.

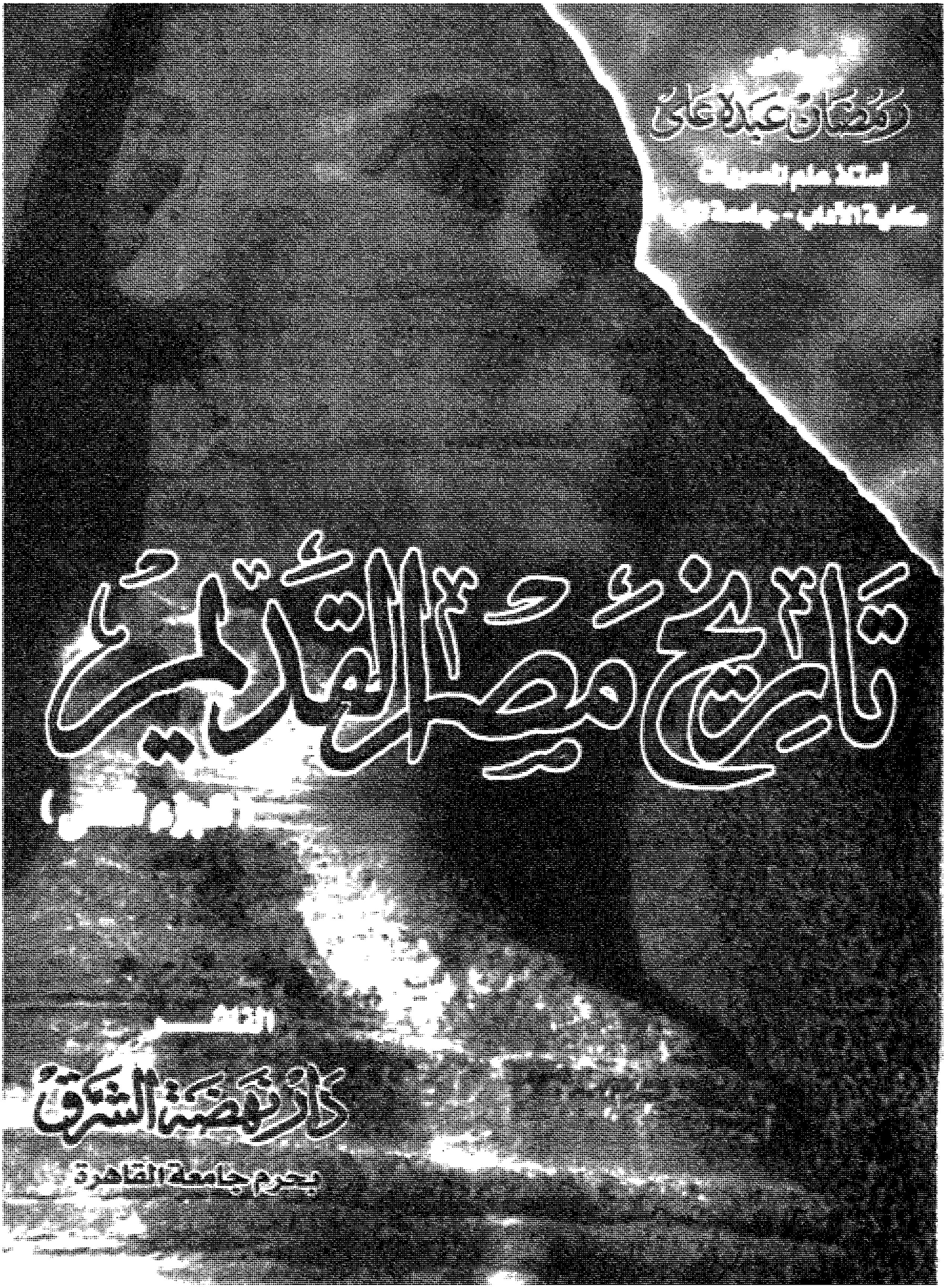
977/245/140/9

تاريخ الطبع

١٠ يناير ٢٠٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

(وما توفيقى إلا بالله)



تاريخ مصر القديم
الناشر
دار نهضة الشرق
بحرم جامعة القاهرة

مقدمة

هذا هو الجزء الثانى من كتابنا " تاريخ مصر القديم " . وكنا قد توقفنا فى الجزء الأول عند نهاية الأسرة الرابعة عشرة (أى حوالى عام ١٦٠٤ قبل الميلاد تقريبا) . وفى هذا الجزء نتناول سرد بقية أحداث الأسرات التى تلت منذ بداية الأسرة الخامسة عشرة حتى نهاية عصور الأسرات الوطنية ودخول الإسكندر مصر عام ٣٣٢ قبل الميلاد . ويتكون هذا الجزء مثل الجزء الأول من عشرة فصول وخاتمة .

ويبدأ الفصل الأول بالحديث عن عصر الهكسوس ، وهو يشمل الأسرات الخامسة عشرة حتى نهاية الأسرة السابعة عشرة وتحدثت فيه عن أصل الهكسوس ، وما هو موقف المصريين القدماء عندما شعروا بقدوم هذا الخطر ، وعن كيفية دخولهم البلاد ، واستقرارهم فيها ، ومدة حكمهم ، وأهم ملوكهم ، وأهم اثارهم التى خلفوها ، كما تحدثت عن قيام الأسرة السابعة عشرة الوطنية وأخيرا عن المقاومة وطردهم وتحرير البلاد منهم .

وفى الفصل الثانى الذى يعتبر من أكبر الفصول تناولت قيام الأسرة الثامنة عشرة ، وهى من أهم الأسرات المصرية ، ومعها تبدأ صفحة جديدة من المجد فى تاريخ مصر القديم ، وهى فترة تختلف فى كثير من النواحى عما سبقها من فترات تحولت فيها مصر من أمة ضعيفة محتلة إلى أمة قوية منتصرة ، وأخذ ملوك هذه الأسرة فى اتباع سياسة تأمين الحدود من الشرق بوجه خاص ومن الغرب ومن الجنوب. ففى هذه الأسرة فكر الملوك فى تطبيق سياسة الدفاع والهجوم باعتبارهما الوسيلتين الوحيدتين لمنع الغزوات الأجنبية التى تعرضت لها البلاد على غرار غزو الهكسوس الذى جاء من الشرق . ومحاولة تكوين مناطق خاضعة للنفوذ المصرى فى بلاد الشام . وحكم فى هذه الأسرة ملوك كبار كان لهم تأثيرهم الفعال فى السياسة

الداخلية والخارجية للبلاد وملكات كانت لهن شهرة كبيرة وأدوار هامة في تاريخ هذه الأسرة .

وفي الفصل الثالث قمت بدراسة عصر الأسرة التاسعة عشرة ، وبينت فيه كيف أن الجيش أخذ يلعب من جديد دورا هاما في الحياة السياسية في مصر ، وتحدثت عما قام به الملوك من حملات لتأمين الحدود والمحافظة على مناطق النفوذ المصري في اسيا . وفي نهاية هذا الفصل تساءلت :

هل هناك صلة بين أحداث حملة مرنبتاح علي فلسطين ووقائع خروج بني إسرائيل من مصر ؟ .

وقمت بإلقاء الضوء على الآثار المختلفة لمرنبتاح وخاصة الفقرة التي وردت في نقوش لوحته التي أقامها في معبده الجنائزي في البر الغربي في طيبة والتي اعتمد أغلب العلماء عليها (عن خطأ في قراءة اسم قبائل يزريل التي وردت على اللوحة) لترجيح أن خروج بني إسرائيل من مصر قد حدث في عهد هذا الملك ، وعرضت لمختلف الآراء التي تناولت هذه المشكلة ، وما هي القراءة الصحيحة لهذه الفقرة وما تشير إليه من أحداث تاريخية محددة .

وفي الفصل الرابع تعرضت لتاريخ الأسرة العشرين ، ففي هذه الفترة وصلت القبائل الهند وأوروبية في مجموعات كبيرة إلى ليبيا وإلى حوض البحر المتوسط وإلى اسيا . وكان على مصر أن تحمي نفسها من ذلك الخطر ، ووقفت ضدهم . وكان ذلك بفضل مجهودات رمسيس الثالث الذي يمثل عهده اخر عهود المجد التي شهدتها مصر ، إذ جاء بعد ذلك مجموعة من الملوك الرعامسة ليسوا في قوة الملوك الأوائل لهذه الأسرة ، وأدى ضعفهم إلى فقدان الملكية لهيبتها وبالتالي لقوتها وتماسكها الداخلي .

ويبدأ بعد ذلك ما نسميه بالعصر الوسيط الثالث من الأسرة الحادية والعشرين وينتهي بالأسرة الخامسة والعشرين .

وفى الفصل الخامس عرضت كيفية تأسيس الأسـرة الحاديـة والعشـرين والثانية والعشرين ، وكانت السلطة مقسمة فى بداية الأسرة الحادية والعشـرين بيـن ملك فى الوجه البحرى واخر فى مصر العليا وبعدها قامت الأسرة الثانية والعشـرين التى تنتمى إلى أصل ليبى وتمثل - إلى حد ما ـ الدكتاتورية العسـكرية . ويمكـن القول بأن هذه الدكتاتورية قد أدت إلى نشوب الاضطرابات فى البلاد فقامت الثـورة ضد ملوكها ، ولا نعرف إلى أى مدى امتدت هذه الثورة وما نتائجها ، وكانت أنظـار ملوك هذه الأسرة تتطلع بصفة دائمة نحو الوجه البحرى الذى اصبح منذ ذلك الوقـت مركزا للثقل السياسى الحقيقى لمصر .

وتحدثت فى الفصل السادس عن أهم أحداث الأسرة الثالثة والعشرين حتـى نهاية الأسرة الرابعة والعشرين ، إذ زادت مظاهر الفوضى والاضطراب إبان حكـم أواخر ملوك هذه الأسرة ، وقامت الأسرة الثالثة والعشرون قبل أن تنتـهى الأسـرة الثانية والعشرين ، لذلك نجد أن الأسرتين كانتا متعاصرتين ، وكانت الأسرة الثالثـة والعشرون من اصل ليبى أيضا ، وأصبحت " بوباست " عاصمة للأسـرة الجديـدة ، وظهرت فى الشمال الغربى من الدلتا أسرات محلية صغيرة ، وعلى الرغم مـن أن كل هؤلاء الملوك الصغار لم يظهروا العداء لبعضهم بعضا لكن هذه التجزئة للسـلطة أدت إلى نتائج خطيرة بالنسبة للوضع السياسى فى البلاد ، حيث وجدت نفسـها فـى حالة من التمزق والانهيار .

أما فى بلاد النوبة العليا التى تمتد من جنوب اسوان أى الجندل الثانى حتـى الجندل السادس شمال الخرطوم والتى كان يطلق عليها اسم " كاش " أى " كوش " فقـد تطورت الأمور السياسية فى نباتا العاصمة .

وتكونت مملكة متحدة قوية واعتنق ملوكها الديانة المصرية . وكان هنـاك ملك كوشى يدعى " بعنخى " هو الذى قام بتأسيس الأسرة الكوشية وبدأ يتدخـل فـى شئون مصر لكى يوسع نفوذه ، ولكى يظهر بمظهر المنقذ لمدينة طيبة التـى كـانت بالنسبة له المدينة المقدسة للمعبود امون رع الذى كان يتعبد إليه فى بـلاده . وبعـد

رحيل بعنخى عن مصر تكونت الأسرة الرابعة والعشرون فى غرب الدلتا فى إقليم سايس وحكم فيها ملكان .

وفى الفصل السابع تحدثت عن الأسرة الخامسة والعشرين التى أسسها بعنخى فى مصر ، وهى أسرة من أصل كوشى أو اثيوبى وقد شعر سكان مصر العليا وخاصة أهل طيبة أنهم قريبون من الجنس الذى يحكم مصر ، ولكن وجهة النظر هذه كانت مختلفة فى منف وفى الدلتا ، وقد تعرضت نهاية هذه الأسرة للغزو الآشورى ثلاث مرات .

وفى الفصل الثامن تناولت قيام الأسرة السادسة والعشرين ومعها تبدأ صفحة أخرى من المجد واستطاعت مصر خلالها أن تحرر نفسها من سيطرة الآشوريين بفضل اعتمادها على المرتزقة اليونانيين ، وعرفت مصر فى هذا العصر فترة من الرخاء والاستقرار الداخلية بفضل مجهودات ملوك هذه الأسرة الأقوياء وكبار رجال الدولة فى عصرهم . ومع بداية هذه الأسرة يبدأ العصر المتأخر الذى استمر حتى نهاية الأسرة الحادية والثلاثين .

وفى الفصل التاسع أشرنا إلى تاريخ الفترة من الأسرة السابعة والعشرين حتى نهاية الأسرة التاسعة والعشرين . ففى الأسرة السابعة والعشرين بدأت سيادة ملوك الفرس ، وتعرضت مصر خلال فترات حكم بعض منهم لاضطهاد كبير ولهذا قامت الثورات ضدهم . وبعد ذلك قامت الأسرة الثامنة والعشرين ولم يكن يحكم فيها سوى ملك واحد وطنى جاء ذكر اسمه فى بعض البرديات الديموطيقية ، ونشأت بعدها الأسرة التاسعة والعشرين ، وكانت أسعد حظا من الأسرة التى سبقتها . وكانت أصلا من مندس ، وتمتعت مصر فى ظل حكمها بنوع من الهدوء والاستقرار الداخلى .

وفى الفصل العاشر تحدثت عن الفترة المتبقية من التاريخ الوطنى لمصر القديمة . وهى الفترة التى تشمل الأسرة الثلاثين حتى عام ٣٣٢ قبل الميلاد ، وهى اخر الأسرات المصرية المستقلة وتكونت فى نهاية هذه الأسرة أسرة فارسية بعد أن غزا الفرس مصر للمرة الثانية ، وأصبحت ولاية فارسية ، وبدأت الثورات تتفجر فى

كل مكان وكانت أقواها وأهمها تلك التي تزعمها أمير وطني من الدلتا الـــذي ظـــهر حوالي عام ٣٣٦ قبل الميلاد هو خباباشا ، وبعد أن هـــــزم الإســـكندر الأكـــبر دارا الثالث - قودمان في معركة إسوس قرب خليج الإسكندرونة في عام ٣٣٣ قبل الميلاد سار نحو مصر في نهاية عام ٣٣٢ قبل الميلاد واستقبلته البلاد كمحرر واستسلم اخـو الولاة الفرس في مصر . وحكمت مصر بعدها أسرة من ملوك البطالمة ارتدت مصر في أثناءها رداءها الإغريقي .

ولكن هذا الثوب الإغريقي لم يخف تاريخا وحضارة عاشـــا الاف الســـنين واثرا في تاريخ وحضارات الشرق الأدنى القديم وغيره من المناطق .

وفي الخاتمة قمت باستعراض أهم أحداث تاريخ مصر القديم في خطوطـــــه العريضة وتتبع مراحله المختلفة منذ عصور ما قبل التاريخ حتى دخـــول الإســـكندر الأكبر مصر عام ٣٣٢ ق. م .

والله اسأل أن يوفقنا جميعا ،،،

المؤلف

الفصل الأول

عصر محنة الهكسوس ومراحل الجهاد الوطني والتحرير

من الأسرة الخامسة عشرة حتى نهاية الأسرة السابعة عشرة

(١٦٧٥ - ١٥٦٧ ق. م) [١]

فى الحقيقة أن بعض عناصر الغزاة كانوا قد استقروا فى شرق الدلتا منذ نهاية الأسرة الثالثة عشرة . وبدأت حركة التوسع تتركز فى نهاية حكم ملوك الأسرة الثالثة عشرة ومع بداية حكم ملوك الأسرة الرابعة عشرة ، ويعتقد أن هذه القبائل الهندو أوروبية غير المنظمة قد أقدمت على الغزو الفعلى لحدود مصر الشرقية فى نهاية حكم الملك ديدى مس الثانى الذى كان يحكم فى مصر العليا . ففى الواقع نجد أن الملك نحسى [٢] قد اعتبر نفسه منفذا فى ذلك الوقت لأوامر الهكسوس مما يعنى أن الغزو كان قد انتشر بسرعة فى شمال شرقى الدلتا على الأقل (ولم ينتشر فى غرب الدلتا) .

---

(١) بالنسبة لهذا التاريخ ، راجع : د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٢٤ ؛ يعطى فون بكرات للأسرات الخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة تاريخ ١٦٦٠ أو ١٦٥٠ حتى ١٥٦٠ أو ١٥٤١ ق. م ، راجع : . LA I, p. 970

(٢) كان يحكم فى الشمال الشرقى من الدلتا ، ويعتقد أنه كان معاصرا للهكسوس وربما كان هذا الملك هو قبل الأخير للأسرة الرابعة عشرة طبقا لبردية تورين ؛ راجع : Von Beckerath, LA IV, p. 392

من هم الهكسوس ؟

كان هؤلاء الأجانب الذين أسماهم مانيتون " هكسوس " لا ينتمون في مجموعهم إلى جنس واحد ، والواقع أن الأصل الجنسى للهكسوس لا زال مشكلة تنتظر الدراسة والبحث ، والرأى المقبول عامة هو أن هجرة الهكسوس إلى مصر كانت ذات صلة بتحركات شعوب بربرية وقبلية وأجنبيّة كبيرة هاجرت تباعا من مناطق فى أواسط آسيا ، تحت ضغط ظروف طبيعية أو بشرية لا نعرفها [١] منذ أوائل الألف الثانية ق. م ، ثم أخذت تتدفق على فترات متقطعة طويلة إلى شرق أوروبا من ناحية ، وإلى الأناضول وأراضى الهلال الخصيب من ناحية أخرى وأراضى فلسطين من ناحية ثالثة .

واختلفت الأسماء التى عبر عنهم بها أهل البلاد التى دخلوها أو قاموا بغزوها . وهكذا عرفهم بعض المؤرخين باسم عام وهو اسم الآريين أو الهندو أربين ، وعرفتهم مصادر بلاد النهرين باسم الكاسيين أو الكاشيين ، الذين استقروا فى بابل ، جنوب العراق ، فى حوالى عام ١٧٤٠ ق. م . وعرفتهم مصادر آسيا الصغرى باسم الخاتيين (ثم الحيثيين) ، وعرفتهم شواطئ الفرات العليا والمناطق السورية الشمالية الشرقية باسم الحوريين أو الخوريين الذين استقروا فى ميتانى [٢] ، وعرفتهم المصادر الإغريقية باسم الآخيين وعرفتهم المصادر المصرية باسم حقاوخاسوت الذى حرف إلى الهكسوس .[٣]

---

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم : مصر والعراق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ١٩٥ .

(٢) Vercoutter, L'Egypte Ancienne, Paris (1963), p. 73; Mayani, les Hyksos et le Monde de la Bible, p. 104 .

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٩٥ .

وأحدثت هذه الهجرات القلاقل فى الإمارات السورية ، وبدأ الأموريون فى الشام يعانون من هذه الهجرات ، وتأثرت مصر فعلا بهذه التحركات فى عهد أسرتها الثالثة عشرة وأخذ كهنتها يستنزلون اللعنات على أصحابها ، ثم أخذت جماعات المهاجرين تقترب من الحدود المصرية الشمالية الشرقية ، وكانوا خليطا من الغالبين والفارين منهم ، وبمعنى آخر كانوا خليطا من جماعات آرية غازية ومن جماعات أمورية هاربة عجزت عن الاحتفاظ بأراضيها فى سهول الشام . وكل هذه العناصر ساعدت على سرعة تحرك الهكسوس نحو الجنوب (١) . ولم يدخل هؤلاء وهؤلاء حدود مصر الشرقية دفعة واحدة ، وإنما بدأوا بالانتشار قرب الحدود ، وبقيت هذه الجماعات وراء الحدود المصرية فترة من الزمن . ولكن من المحتمل أنها أقدمت على اختراق الحدود المصرية كرد فعل لضغط آرى جديد فى أوائل القرن السابع عشر ق. م .(٢)

وتعد الفترة منذ بداية القرن الثامن عشر إلى عام ١٧٣٠ ق. م . الذى أرخت به لوحة الأربعمائة العام الشهيرة التى عثر عليها فى تانيس ، فترة مظلمة فى تاريخ مصر القديم .

ولكن : ألم يلاحظ المصريون قرب هذا الخطر ؟ وما هو موقفهم منه ؟

يمكن القول بأنه عندما رأى المصريون هزيمة جيرانهم فى الشمال الشرقى أمام هجرات الهكسوس ، بدأوا يشعرون بالخطر الفعلى ، وكانوا يشعرون فى الوقت نفسه بضعفهم وعدم قوتهم وعدم كفاءة أسلحتهم ، وتمزق وحدتهم السياسية نتيجة لاشتداد نزاع العائلات المحلية الكبرى فى مصر على السلطة فى أواخر عصر الأسرة الثالثة عشرة ، وما ترتب على ذلك من تمزق لوحدة أمتهم وإضعاف

---

(١) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, Paris (1968), p. 85 – 86 .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٩٦ .

إمكانياتها ومعنوياتها .[١] لقد مضى الوقت الذى كانوا فيه يثقون فى قدرتهم وبأنـهم لا يقهرون ولا يستطيع أى شعب مهاجمتهم والتغلب عليهم.

وكان المصريون على علم بعادات وثقافات شعوب غرب آسيا وكانوا علـى علم بما فيه الكفاية بما يحدث فى سوريا العليا وفينيقيا وفى فلسطين مـن تطـورات للأحداث ، وكان كتبة الإدارات المختصة بالشئون الخارجية فى مصر على معرفـة جيدة أيضا بأسماء المناطق والقبائل والأمراء والرؤساء هناك .

لذلك لجأوا إلى القضاء على هذا الخطر عن طريق الصيـغ السـحرية [٢] وبدأت تظهر فى النصوص صيغ سحرية للقضـاء علـى أعـداء مصـر المتوقـع هجومهم . وكان يكتب اسم رئيس القبيلة أو الأمير الأجنبى وعائلته علـى أوان مـن الفخار أو على تماثيل من الطين تمثل أسرى مقيدى الأيدى ، وطبقا للطقوس السحرية كان يجب تحطيم هذه الأوانى بعد الكتابة عليها فى حفل خاص أملا فـى أن يـؤدى تحطيمها إلى تحطيم عزائم أسماء المذكورين عليها [٣] وكانت تماثيل هؤلاء الأسـرى تدفن فى توابيت صغيرة رمزية . وفى اعتقادهم سوف يجد العدو نفسه محاطا بالفنـاء من كل الجوانب ، وسوف يلقى حتفه فى النهاية .

وكان هناك نوعان من هذه النصوص السحرية قام بنشر أولها العالم زيتـه Sethe [٤] والأخرى بواسطة بوزنر Posener [٥] وهى عبارة عن قوائـم بأسـماء

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ١٩٦ .

(٢) Mayani, les Hyksos et le Monde de la Bible, p. 105 ؛ وأيضا : د. عبد العزيز صالح : المرجع السـابق ، طبعـة ١٩٧٦ ، ص ١٨٦ – ١٨٧ .

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

(٤) المرجـع السـابق ، ص ١٨٥ حاشـية (٨) ؛ Sethe, Die Achtung Feindlicher fursten, Volker und Dinge auf Altagypt. Tongefasscherben des Mitt . Reichs, p. 21 .

(٥) Posener, Syria 18 (1937), p. 183-190; Id., Princes et Payes d'Asie et de Nubie, Bruxelles (1940), p. 63 .

أعداء مصر فيما وراء الحدود الشرقية والجنوبية .

والنصوص التى قام بترجمتها زيته وقام بالتعقيب عليـــها آلـت Alt [١] ، تضع على رأس الغزاة الجدد شعوبا (وليس أمراء أو حكاما) من بيبلوس وصـــور وشعوبا صغيرة من فلسطين مثل " العناكيم – Anaqium " مع أسماء مدنهم هـبرون (الخليل) ودبير وعناب ، ثم يأتى بعدها اسم بلاد كوشو وبعد ذلك اسماء ثلاثة مـــن بلاد شوتو . ويبدو أن بلاد شوتو كانت تمتد إلى الشرق من نهر الأردن .

أما عن الأسماء فهى طبقا لرأى ديسو Dussaud أســماء آموريـــة ولكـــن ترجمتها ليست بالشيء السهل .[٢]

أما عن النصوص التى نشرها بوزنر فهى ترجع إلى نهاية الأسرة الثانيـــة عشرة ، وهى تذكر من جديد بلاد كوشو ولكن فى هذه المرة يوجد على رأسها رئيس قبيلة ، ومن ناحية أخرى نرى فى هذه النصوص جزأيـــن لبـــلاد شـــوتو ، العليـــا والسفلى ، وأيضا المدن الفلسطينية : روساليم (القدس) ، عسقلون ، عشــــتاروت ، أجرون ، بيت شمش ، سيشم ، هاتزور ، يافا ، اكر (أو عكى أى عكا) ، بيبلوس ، ثم بلاد عناكيم ، زبلون ، سيمون ، زبول هاداد ، وابو راهان وأســماء أخــرى[٣] . وكان يكتب اسم الشخص وعائلته وجميع من ينتمون إليه . وفى هذه القائمة وغيرهـــا من القوائم الأخرى تبين أن أغلب الشعوب كانت مـــن أصـــل ســامى ، آســيويين وأموريين .

---

(١) Alt, Die Herkunft der Hyksos in Neur sicht., Berlin (1954), p. 40 .

(٢) Dussaud, Syria 8 (1927), p. 216 .

(٣) Maisler, Palestine at the time of the Middle kingdom (Revue Histoire Juive en Egypt, I) Paris (1947), p. 33-68, 59 ; Dussaud, op. cit., p. 217 .

ومن بين الأسماء التى ذكرت فى هذه النصوص اسم سيمون التى يرى ديسو أنها كانت قبيلة أسيوية استقرت فى صحراء النقب منذ الأسرة الثانية عشرة .

وعلى أرض قبيلة سيمون التى جاء ذكرها فى التوراة وجدت بقايا حصن شاروهن الذى كان مأوى للهكسوس . وفى هذا المكان أيضا كانت تقع مدن أخرى ذات أسماء معروفة مثل " هاتزار سوسا وبيت مركبوت (بيت العربات) وأيضا جوشن " . ويبدو أنه فى منطقة جوشن كان يوجد المركز التقليدى لتجمع الهكسوس فى جنوب اسيا [١] . ومن المحتمل أنه كان يوجد حول شاروهن تجمعات أخرى أصغر عددا حيث حدث نوع من الاختلاط بين السكان الأصليين وهذه العناصر .

وتسمح لنا هذه النصوص بالخروج بنقطتين وهما :

١- أن كلاهما يؤيد فيما يبدو وجود القبائل الرحل فى فلسطين .

٢- كما ذكرنا من قبل أن المصريين كانوا على معرفة جيدة بكل أحوال جيرانهم من الفينيقيين والآموريين والكنعانيين [٢] لذلك أعدوا لهم هذا الحاجز السحرى من التعاويز واللعنات .

----

(١) أطلق هذا اللفظ على الساحل وغربى فلسطين أولا ، ثم شمل الاسم الجغرافى المتعارف عليه الآن فلسطين بالإضافة إلى قسم كبير من سوريا .

(٢) الفينيقيون ساميون استقروا فى شمال فلسطين منذ أواخر الألف الثالثة ق. م. وطوال الألف الثالثة ومعظم الألف الثانية ، توطدت علاقتهم بمصر . الآموريون هم من أول الشعوب السامية التى بحثت عن موطن لها فى بلاد الشام ، وأقاموا فيها قبل الميلاد بنحو ٢٢٥٠ ق. م ، وأسسوا دولة فى منطقة الفرات ، ثم أخذوا يظهرون بالتدريج فى سوريا وفلسطين الكنعانيون ، وهم العنصر الثانى من الجنس الأول الذى سكن بلاد الشام وهم من سكان الجزيرة العربية . الآراميون من العنصر السابق ، جاءوا من إحدى مناطق الصحراء السورية ، وكانوا فى البدء بدوا رحلا ===

ويرى بعض العلماء أن الشعوب التى ذكرت فى نصوص اللعنة لا يمكـــن بأية حال من الأحوال أن تكون النواة لحركة الهكسوس التى جلبت إلى مصر شـــعوبا غير معروفة .

ويرى آلت [1] عكس ذلك فالهكسوس هم الأعداء الذين ذكروا فى النصوص التى نشرها بوزنر وخاصة هؤلاء الأعداء الذين استقروا حديثا فى شـــمال فلســطين وفى سوريا .

ولكن أسماءهم لم تتواجد فى مصر تحت حكم الهكســـوس ، ومـــن ناحيـــة أخرى فإن الكتبة المصريين لم يطلقوا اسم " الهكسوس " أو " رؤساء البلاد الأجنبية " على هؤلاء الأعداء الحاليين ، وهكذا كان الحال بالنسبة للعناكيميين والشوتو ، ولـــم يتغير الموقف بعد تحرير مصر

ولم يذكر المصريون الشوتو أو العناكيميين على أنهم جزء من الهكســـوس الذين طردوا [2] وبالإضافة إلى ذلك فإن هذه النصوص لم تكن خاصـــة بالآســـيويين فقط بل بالنوبيين أيضا .

=== منتظمين . ثم جاء العبرانيون فى الألف الثانية.ق. م ، وهم بدو لهم صلـــة بفلسطين . وفى الألف الأولى جاءت شعوب البلســـت (الفلســطينيون) ، الذين استقروا على الشاطئ وحول المدن الهامة . ثم دخلها اليهود للسكن فى ظل نبى الله يوشع بن نون بعد ذلك بفترة ، راجع : د. فيليب حتى : تـــاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول (ترجمة جورج حداد وعبد الكريـــم رافق) بيروت ، ١٩٥٨ ، ص ٧٣ – ٧٤ ؛ د. أبو المحاســـن عصفـــور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ٢٧٦ – ٢٧٩ ؛ د. عبـــد الحميـــد زايد : الشرق الخالد ، ص ٢٣٦ – ٢٣٩ .

(١) Mayani, op. cit., p. 107 .

(٢) Id., op. cit., p. 108 .

وقد أرخ بوزنر تلك النصوص بعد عام ١٨٥٠ ق. م . وذلك بعد دراسة لتلك الأسماء وطريقة كتابتها . ومن الطبيعي أن العناصر السامية المطرودة حاولت الاستقرار في أقصى الجنوب في أرض كنعان وقد تبعتهم جماعات من الآريين . وفي نهاية المطاف كان لهذه الموجة من الهجرات تأثيرها على الحدود المصرية وهذا ما يفسر إلى حد ما وجود بعض البقايا الأثرية الآسيوية في تلك المناطق من هذه الفترة .

وذكر مانيتون أن هذه الهجرة الاسيوية الكبرى حدثت إلى مصر تحت حكم الملك توتيمايوس ويبدو أن هذه الهجرة كانت سابقة بقليل على استقرار الهكسوس في مصر .

حكم الهكسوس في مصر :

وقع نوع من الفزع الذى ألم بالمصريين وقت حدوث غزو الهكسوس ، هذا الفزع الذى نلمسه في الوصف الذى أعطانا إياه مانيتون ، فيذكر يوسيفوس طبقا لما جاء عند مانيتون :

" تحت حكمه (أي توتيمايوس) عصف بنا غضب المعبود ، ولا أدرى السبب في ذلك ، وفجأة جاء من جهة الشرق رجال من أصل غير معروف ، كانت لديهم الجرأة لغزو بلادنا ، واستولوا عليها بعنف بدون صعوبة وبلا أى قتال . وتغلب هؤلاء الأشخاص على الرؤساء ، وأحرقوا المدن بوحشية ، وهدموا معابد المعبودات من أساسها وعاملوا الأهالي بقسوة بالغة ، فذبحوا بعضا منهم ، واتخذوا الأطفال والنساء عبيدا وأخيرا عينوا أحدهم " سالتيس " ملكا ، فأقام في منف وفرض الضرائب على مصر العليا والوجه البحرى ، تاركا الحاميات في الأماكن الأكثر ملاءمة " .[١]

---

(١) أنظر أيضا النص نفسه في : وولترى إمرى : مصر وبلاد النوبة (ترجمة د. تحفة حندوسة) ١٩٧٠ ، ص ١٧٤؛ د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢٤٤ ؛ د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٨٢ ، ص ١٩٤ .

وقام بوجه خاص بتحصين المنطقة الشرقية لأنه كان يتوقع أن الآشوريين عندما تكتمل قوتهم في يوم ما سوف يطمعون فى مملكته ويهاجمونه ، كما أنه وجد فى إقليم " سترويت " مدينة ذات موقع مناسب وتقع إلى الشرق من الفرع البوباسطى وكانت تسمى طبقا للعرف الدينى القديم " افاريس " ، وقد أعاد بناءها وحصنها بأسوار منيعة ، وأقام بها ، بالإضافة إلى ذلك العديد من الجنود وحامية قوامها ٢٤٠ ألف رجل تقريبا لكى يحموها . وكان يأتى إليها كل صيف لكى يوزع عليهم الحبوب والجراية ، أو ليدربهم بعناية على المناورات وليدخل الرعب على الأجانب وبعد حكم استمر ١٩ سنة توفى ساليتيس ، وتبعه ملك ثان ، يسمى " بنون " حكم لمدة ٤٤ سنة ، وجاء من بعده ابشنان ، الذى حكم ٣٦ سنة وسبعة شهور ، وبعد ذلك أبو فيس الذى حكم لمدة ٦١ سنة واياناس لمدة خمسين عاما وشهر ، وبعد ذلك وأخيرا اسيسى لمدة ٤٩ سنة وشهرين (١) ، وهؤلاء الملوك الستة ، هم حكامهم الأوائل ، وكانوا دائما مولعين بإبادة ممتلكات المصريين . ويطلق مانيتون على هذه الشعوب لفظ " هكسوس " وفى رأيه أن هذا اللفظ يعنى " الملوك الرعاة " لأن كلمة هك Hyk تعنى فى اللغة المصرية المقدسة " ملك " وسوس Sos فى اللغة العامية تعنى " رعاة " واتحاد الكلمتين معا يعطى كلمة " هكسوس " .(٢)

---

(١) Mayani, op. cit., p. 108; Drioton – Vandier, L'Egypte (éd. 1952), p. 289 ؛ وأيضا : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٤٤ حاشية .

(٢) Drioton – Vandier, op. cit., p. 289; Wadell, Manetho, p. 78-83 .

عن أهم المراجع التى تحدثنا عن فترة الهكسوس ، راجع :

Bietak, LA III, p. 93 – 103 .

ولكن هذه التفسيرات التى يعطينا إياها مانيتون عن أصل كلمة الهكسوس خاطئة لأن اسم الهكسوس مشتق على الأرجح من اللقب المصرى القديم " حقا خاسوت " الذى يعنى " حاكم البلاد الأجنبية " أو " حاكم البلاد الجبلية " . وهذا التفسير قائم على أساس أن لقب " حقا خاسوت " كان معروفا منذ الأسرة الثانية عشرة ، وكان يعنى رؤساء القبائل الأسيوية الذين كانوا يحضرون محملين بالهدايا إلى حكام إقليم بنى حسن الأقوياء .[١] ومن ناحية أخرى نجد فى نقوش بعض الجعارين والآثار الأخرى الصغيرة – التى ترجع إلى نهاية الدولة الوسطى – هذا اللقب فى أسماء بعض الملوك الذين عدوا كملوك للهكسوس .

ويقال إن المصريين قبل عهد الهكسوس كانوا قليلى العدد (حوالى مليون نسمة) .

غزا الهكسوس الدلتا ، وتركزوا فى مكان أطلق عليه " حت وعرت "[٢] الذى أسماه الإغريق " أفاريس " ، ومن المحتمل أنها تقع فوق المكان الذى يحتل تل اليهودية حاليا ، بين بوباست (الزقازيق حاليا) وقناة السويس وقد حصنها الهكسوس ليجعلوا منها عاصمة لهم ، مما يجعلهم قريبين من قواعدهم الأسيوية ويسمح لهم ، بالتحكم بسهولة فى أقاليم الدلتا [٣] واندفع الهكسوس بقواتهم حتى منف فى بداية الأمر ثم فيما وراءها بعد ذلك . وهناك نص هام سمح لنا بأن تحدد على وجه التقريب عام ١٧٣٠ ق. م. كبداية لظهور الأجانب فى الدلتا ، وتأسيسهم عاصمتهم فى مدينة افاريس ، وخصصوا المدينة للمعبود " ست " ، الذى كان معروفاً فى تلك المنطقة ،

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٤٥ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٨٩ .
Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, Paris (1965), p. 81 ظهرت حديثاً ترجمة بالعربية لهذا المؤلف تحت عنوان : فرانسوا دوما : حضارة مصر الفرعونية ، ترجمة ماهر جويجاتى ، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ١٩٩٨ ؛ Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, Paris (1968), p. 85 – 86.

(٣) وعن اختيار افاريس كعاصمة للهكسوس ، راجع :
Stadelmann, LA I, p. 552 – 554 .

وكان أصلا من معبودات مصر العليا ، وانتقلت عبادته إلى منطقة " أفاريس " في الشمال الشرقي من الدلتا ، قبل بداية الأسرة الرابعة .(١) والمقصود هنا هي لوحة " أربعمائة العام " التي عثر عليها ماريت في تانيس في عام ١٨٦٣ م ، ثم دفنت مرة أخرى في الرمال ، ولكن ، لحسن الحظ أنه قد تم نقل ما عليها من نصوص . وحاول بترى وبارزانتي العثور عليها مرة أخرى ولكن بدون جدوى . وأخيرا عثر عليها مونتيه Montet .(٢)

وقد أقيمت هذه اللوحة في عصر الملك رمسيس الثاني وهي مؤرخة بالعام الأربعمائة من حكم الملك عابحتي ست نوبتي ولما كانت هذه اللوحة قد أقيمت في حكم الملك رمسيس الثاني فإن عام أربعمائة العام لا يسقط في أثناء حكم هذا الملك فربما كان اسم الملك هو المقصود به المعبود " ست " نفسه فيصبح عامل التاريخ هنا مقبولا .(٣) وهذا التاريخ نقطة بداية توافق تأسيس تانيس ودخول الهكسوس إلى شرق الدلتا . ففي الواقع في هذا العام بالذات جاء أحد أسلاف الملك وهو سيتي الأول إلى تانيس لكي يتعبد للمعبود ست . وقد رجحت الآراء أن هذه الزيارة حدثت عام ١٣٣٠ ق. م. ونتيجة لذلك فإن تأسيس تانيس يرجع إلى عام ١٧٣٠ ق. م.(٤) وهو بدء إعلان تتويج المعبود " ست " معبودا للبلاد كلها ويوافق بدء سيطرة الهكسوس على مصر .(٥)

---

(١) Te Velde, Seth, God of Confusion, leiden (1967), p. 15; Posener, JEA 37 (1951), p. 75 – 80 .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ حاشية (٢) ؛ وكتب عنها بالتفصيل : Stadelmann, LA VI, p. 1039 – 1043

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٤٨ حاشية (٣) .

(٤) Montet, Kemi 4 (1931), p. 191; Sethe, ZAS 65 (1930), p. 85; Drioton – Vandier, op. cit., p. 328 .

(٥) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ حاشية (٤) .

ومن المحتمل أن ملوك الأسرة الثالثة عشرة قد نجحوا فى الحد من تقدم الغزاة فترة طويلة فى شرق الدلتا ولم يستطع الهكسوس إلا فى نهاية هذه الأسـرة أن يبدأوا مرة أخرى تقدمهم نحو منف وإلى الجنوب قليلا . وأحرزوا النصـر بسـهولة وذلك للأسباب الآتية :

١- حارب الهكسـوس خصمـا أضعفتـه السـنون الطويلـة مـن الفوضـى والاضطراب . ومن ناحية أخرى كانت الإدارة المصرية فى حالـة سـيئة تماما من حيث التنظيم .

٢- أن الجيش قد غلب على أمره بواسطة الغزاة الجدد الذين كانوا يمتلكون عدة وعتادا عظيما وقوة حربية تفوق بكثير قوته ، وذلك بفضل معرفتهم استخدام الخيول والعربات الحربية التى أدخلت إلى آسيا بواسطة الآريين منذ قرنيـن أو ثلاثة من قبل ، وتعلم استخدامها عنهم الهكسوس .[١] ولنا أن ندرك مدى فزع المصريين وجزعهم ، عندما كان عليهم أن يواجهوا لأول مـرة هـذه العربات المقاتلة .

٣- نجد أن الهكسوس قد استخدموا أسلحة من البرونز كانت أفضـل وأسـهل استعمالا من تلك التى كانت تستخدم بواسطة الجيش المصرى .[٢]

---

(١) ذكر د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٦٩٣ – ٦٩٤ حوالى ثلاثـة عشر مثالا من أواخر الأسرة الثامنة عشرة تبين استخدام الحصان للركـوب . ولكن من الواضح أن المصريين لم يكثروا من ركوب الحصـان علـى نطاق واسع مثل العربات . وقد استمر استخدام الحصـان للركـوب فـى العصر البطلمى . كما كان يستخدم فى الجيش لمعاونة الكشافة للاستطلاع .

(٢) James, Egypt : from the Expulsion of the Hyksos to Amenophis I, Cambridge Ancient History (1965), p. 164; Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 86; Vercoutter, L'Egypte Ancienne, p. 73 .

٤- ضعف تحصينات الأمير التى شيدها الملك أمنمحات الأول من الأسرة الثانية عشرة عبر خليج السويس ، لهذا أصبحت حدود مصر الشرقية مفتوحة أمام الأعداء .

ولهذه الأسباب كان انتصار الهكسوس سهلا وسريعا فى الوقت نفسه ، واحتفظ المصريون بذكرى سيئة عن هذا الغزو وتلك الأحداث ، وبقيت ذكرى هذه الهزيمة القاسية حية فى نفوسهم ، وقد كانوا يشيرون إليها فى نقوشهم فيما بعد ، فالملكة حتشبسوت تتفاخر فى معبدها المنحوت فى الصخر بمنطقة بنى حسن (اصطبل عنتر) بأنها رممت الآثار التى هدمت " وذلك منذ أن كان الآسيويون يحكمون فى آفاريس فى الدلتا وحيث كان البدو يهدمون كل ما كان قائما من قبل ، وأنهم كانوا يحكمون دون اعتراف بسلطان رع (حرفيا بتجاهل رع) [١] وما من أحد يقوم بتنفيذ الواجبات المقدسة حتى جاء عهد جلالتى " .[٢] ومرنبتاح يقارن بين العهد السئ الذى حلت فيه الكوارث بأرض مصر والعصر المجيد فى أثناء فترة حكمه .[٣]

وتبعا لذلك فقد مرت فترة طويلة إلى حد ما كانت الدلتا تحكم بواسطة المصريين الذين احتفظوا فيها بنوع من السلطة السياسية (خاصة فى الغرب) وبواسطة الهكسوس فى الشرق ، ولكننا لا نعرف ما هى طبيعة العلاقة بين الطرفين . ولنا أن نتخيل أن قبائل الغزاة قد اكتفت بنهب وسلب المدنيين دون اهتمام كبير من جانبهم بالإدارة المحلية ، ومن جانبها كانت الحكومة المحلية المصرية -

---

(١) نرى بعض ملوك الهكسوس جعلوا اسم رع جزءا من اسمائهم مثل : عا اوسررع ، عاقنن رع وفى هذا دليل على عدم صحة ما ادعته حتشبسوت ، راجع : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٤٧ .

(٢) Gardiner, JEA 32 (1946), p. 43 – 56; Fairman – Grdseloff, JEA 33 (1947), p. 12 – 23 .

(٣) Mariette, Karnak, pl. 53; De Rouge, Inscript . Hierogl., pl. 188 – 189 .

تعكس حالة البلاد – من تمزق لوحدتها وضعف إمكانياتها ومعنوياتها ، الأمر الذى لم يتح لها فرصه مقاومة الغزاة أو مجرد الدفاع عن نفسها ، فاضطرت إلى أن تقبل الأمر الواقع . ولكن هذا الوضع لم يستمر طويلا ، ورأينا غزاة يتوافدون دون انقطاع لشد أزر المهاجرين الأوائل . وبدأ الهكسوس فى تنظيم أنفسهم شيئا فشيئا واختاروا لأنفسهم رئيسا موحدا أخذ على عاتقه غزو مصر كلها . وعندما دخل الهكسوس البلاد لابد وأنهم لاقوا مقاومة من جانب المصريين لأنهم سلكوا طريق العنف فأحرقوا المدن ، وهدموا دور العبادة .

وقد قام " ساف سودربرج – Save Soderbergh " بدراسة حكم الهكسوس فى مصر [١] وتتبع أماكن الحصون والحاميات التى شيدوها ابتداء من شمال سوريا حتى جنوب فلسطين ، ونجح فى التعرف على حوالى ٢٥ موقعا ، ولم يصل من دراسته هذه إلى أى نوع من النتائج . وهذه المواقع عبارة عن سلسلة متتابعة تبدأ من مخارج للجبال فى الشمال والشمال الشرقى من سيبار وقرقميش وتمتد إلى رأس الشمرا حتى مجدو وتل تا أناك ثم تدخل فى فلسطين ، وتمتد حتى ساحل البحر المتوسط حتى تل الدوير ثم تمر بعد ذلك حتى تل فرعه وتنتهى فى مصر فى تل اليهودية وهليوبوليس (ايونو) ، ومن الملاحظ أن اثنين من هذه الحصون يقعان على نهر الفرات ، وستة على نهر العاصى ، وستة على الساحل ، وثلاثة على نهر الأردن ، واثنان على نهر النيل ، واثنان آخران فى منطقة السهول ، وهذا يعنى أن واحدا وعشرين حصنا من الخمسة والعشرين تقع على الطرق المعتادة للقبائل الرحل [٢] ومن الطبيعى أن هذه السلسلة لم تتكون إلا فى فترات الضعف وأخذت تقترب شيئا فشيئا من مصر .

---

(١) Save Soderbergh, JEA 37 (1951), p. 53 – 72 Fig. 3; Id., Bi. Or. 6 (1949), p. 83 – 90; Bissing, ZAS 71 (1935), p. 38 – 39.

(٢) Mayani, Les Hyksos et le Monde de la Bible, p. 104.

وقد بقيت بعض أطلال حصون الهكسوس وكذلك بعض الفخار من عصرهم في منطقه تل اليهودية . وللأسف ينقصنا الكثير من الوثائق لكى نستطيع أن نتتبع خطوات غزو الهكسوس واستقرار ملوكهم على بعض أجزاء من أرض مصر .

وترتيب توالى ملوك الهكسوس لا يزال غير مؤكد حتى الآن فيما عدا بعضا منهم أمكن التحقق من شخصياتهم عن طريق الآثار التى خلفوها .

وقد ذكر لنا مانيتون أسماء عشرة من هؤلاء الملوك الأجانب وإذا رجعنا قليلا إلى الوراء ، نقول إنه عندما كان يحكم خع سخم رع – نفرحتب من الأسرة الثالثة عشرة كسيد مطلق فى مصر العليا ، كان يحكم فى الوجه البحرى بعض أفراد الأقاليم غير المعروفين جيدا من الأسرة الرابعة عشرة ممن كانوا موالين لنفرحتب ، ويبدو أن هؤلاء الغزاة الأجانب الهندوآريين قد اختاروا لأنفسهم رئيسا أعلى ، كان يسيطر على شرق الدلتا ، ويبدو أن المصريين فى تلك المنطقة حاولوا أن يحموا أنفسهم من شر هذا الحاكم الأجنبى ، فقبلوه كملك ، وأطلقوا عليه الأسماء والألقاب الملكية المصرية المعروفة من قبل .(١)

ساليتيس :

كان هذا الملك يسمى ساليتى Saliti(ساليتيس Salitis عند مانيتون) وأطلق عليه المصريون اسم ساناتى – Sanati . ومع هذا الملك تبدأ السلالة الملكية للهكسوس التى أصبحت تمثل الأسرة الخامسة عشرة من ١٧٣٠ ق.م تقريبا . وعلى عرش هذه الملكية الصغيرة فى شرق الدلتا تولى من بعد ساليتيس العديد من الملوك من بينهم :

١- ماى ايب رع – شيش .

٢- مراوسر رع – يعقوب هر .

---

(١) Drioton – Vandier, L'Egypte (éd. 1952), p. 293; Weigall, op. cit., p. 86 .

٣- سااوسر ان رع – خيان .

٤- عا اوسر رع – ابوفيس الأول .

٥- عاقنن رع – أبو فيس الثانى .

٦- عاسهر رع – خامودى (؟) .

وقد أعطى مانيتون بعض أسماء ملوك الهكسوس الذين يكونون الأسرة الخامسة عشرة ، وربما حكم هؤلاء الملوك حوالى قرن من الزمان ، فشغلوا بذلك الجزء الثانى من العصر الوسيط الثانى ، وفى أثناء ذلك الوقت تولى على عرش مصر العليا ستة ملوك اخرين من سلالة الأسرة الثالثة عشرة منهم ثلاثة من تسعة يحملون أسم سبك – حتب ، وكانوا يحكمون فى مصر العليا وفى طيبة بوجه خاص ، ثم جاء بعد ذلك عدد من الملوك من أواخرهم مرنفر رع – أى الذى تولى مهام العرش فى الأقاليم الجنوبية ، على حيث توالى على عرش غرب الدلتا الكثير من ملوك الأسرة الرابعة عشرة ، وأخيرا أعتلى العرش فى الوجه البحرى حاكم اسماه مانيتون " توتيمايوس " .

وهذه هى المرة الأولى منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا فى تاريخ مصر القديم ، أى منذ عهد الأسرة الأولى ، نجد أن البلاد قد سقطت تحت السيطرة الأجنبية ومن الواضح أن هذا العامل الأخير لم يغير أى شئ فى أوضاع الحكم والإدارة المصرية ، ولكن الشئون الإدارية أخذت تسير فى مجرى متشابه ، إلى حد ما ، للعصور السابقة .

بقية ملوك الهكسوس :

خيان : لا نعلم أى شئ عن أول ملوك الهكسوس وثانيهم ، ونجد ثالثهم ، خيان (ايناس طبقا لمانيتون) قام بمحو أسماء الملوك الأواخر والوطنيين من الأسرتين الثالثة والرابعة عشرة فى مصر العليا والوجه البحرى ، وبذلك أصبحت الأسرة الخامسة عشرة[١] التى ينتمى إليها – هى البيت الملكى الوحيد فى مصر –

---

(١) يعطى فون بكرات لهذه الأسرة عدد ٨ ملوك ، وللأسرة السادسة عشرة عدد ١٨ ملكا ، راجع : Von Beckerath , LA VI , p . 1447 ; Id ., op . cit . III , p . 548 – 549 .

وهكذا أرغم المصريون على أن يحكموا بواسطة ملك أجنبى .

والظاهر أن خيان حاول أن يتقلد بالعادات والتقاليد المصرية ، وحاول أيضا أن يظهر كمصرى حقيقى ، فى تصرفاته . فنجد أنه حلق اللحية على الطريقة المصرية ، وتلقب بكل الألقاب الملكية السابقة ، وأضاف إليها لقب " أمير الصحراء " وفى بعض المدن كانت توجد الحاميات من قوات العدو ذوى اللحية وذوى الميول العدوانية . وربما نجح الهكسوس إلى حد ما فى السيطرة على اغلب أقاليم شرق الدلتا.

ويبدو أنه كانت تربط خيان بممالك أخرى علاقة صداقة . وكان يشجع التبادل التجارى . وقد عثر له فى بغداد على تمثال أسد من الجرانيت يحمل اسمه (١) .وعثر على بعض الجعارين باسمه فى سوريا وفلسطين (٢) كما عثر على غطاء آنية من المرمر عليها اسمه فى كنوسوس فى كريت .(٣)

وقد عثر على بعض الأحجار المصقولة فى جبلين على بعد ٣٠ كم جنوب الأقصر ، وهى تحمل اسمان خيان وأبو فيس (٤) ، وتدل على أن بعضا منهم قد نصب نفسه حاكما على كل البلاد .(٥)

إلى جانب هذه الآثار عثر له على بقايا تمثال فى بوباست فى شرق الدلتا (٦) . كما عثر له أيضا على لوح خشب بناحية الفيوم ويوجد الآن بمتحف برلين(٧) مما يدل على أن الفن والمهن والحرف المصرية كانت تتمتع بمستوى رفيع

---

(١) Drioton – Vandier , op . cit . , p . 318 (35) .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٥٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٥٠ ؛ Borchardt , ZAS 40 (1902 – 1903) p . 95 وأيضا : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٩٠ .

(٤) Daressy , RT 14 (1892) , p . 26 .

(٥) Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p . 82

(٦) Naville , Bubastis , pl . 12 , 35 (A) .

(٧) Schafer . AIB , I , p . 264 .

خلال المائة والعشرين عاما الأخيرة منذ سقوط الأسرة الثانية عشرة .(١)

ونعلم أنه فى العام الحادى عشر من حكمه قد تم تغيير التقويم ، ففى هــذه الفترة تبين أن التقويم المدنى الذى بدأ العمل به فى بداية الأسرة الأولى قد أتم الدورة كاملة للسنة الفعلية ، ولهذا جاءت متأخرة شهرا كاملا عن الفصول ، ولهذا أمـر " خيان " بأن يضاف إليها شهر تكميلى وأن الشهر الثانى من السنة يصبح الشهر الأول ولم يرض المصريون فيما يبدو بهذا التغيير وعدوا هذا الأمر نوعا من الخروج على التقاليد المتبعة . وقد سجل كاتب فى إحدى البرديات – هذا التغيير – وسـجل ذلك بنوع من الغضب ، وذكر أيضا أن المعبودات كانت غير راضية ومنفعلة لذلك كـان الرعد ينطلق فى أثناء الاحتفال بأحد الأعياد التى تأخر الاحتفال بها شهرا كاملا .

ولم يتوصل رجال الفلك فى عهد الملك خيان إلى معرفـة أن الخطـأ فـى التقويم قد حدث نتيجة " لغياب " السنة الكبيسة " . ولم يتم التصحيح إلا بإعادة تنظيـم الشهور بصفة مؤقتة فى دورة تتابع فيها الفصول . وسوف يتجدد هـذا التـأخير أو الاختلاف فيما بعد .(٢)

أبو فيس الأول وماع ايب رع :

توفى خيان بعد أن حكم حوالى خمسين عاما . وجاء من بعده الملك " أبـو فيس " الأول ، الذى يبدو أنه قد تم فى عهده غزو مصر بالمعنى المفهوم (٣) ، وقـد استقر هذا الملك فى منف وأعلن نفسه سيدا على البلاد كلها ، وكان مواليا له مـن الملوك المصريين الملك مرنفر رع – آى من الأسرة الثالثة عشرة فـى الجنـوب ، وديدى – مس من الأسرة الرابعة عشرة فى الجنوب أيضا ، وقد خلف لنا أبو فيـس العديد من الآثار فى مختلف أنحاء البلاد ، وهى تدل على بعض أحـداث عصـره ،

---

(١) Weigall , op . cit . , p . 88 – 89 .

(٢) Weigall , op . cit . , p . 89 .

(٣) Von Beckerath , LAI , p . 352 .

فمثلا عثر على نسخة من بردية " رند " الموجودة بالمتحف البريطانى58 – 10057 وهى بردية هامة للحساب والرياضة مؤرخة بالعام الثلاثين من حكمه .[١]

وتذكر بعض المصادر اسم ملك آخر جاء بعد خيان ، وتولى العرش من بعده هو ماع ايب رع ربما كان ابنه ، وفى السنة الأولى من حكمه أعلن المصريون فى الجنوب استقلالهم وتوجوا أحد أمرائهم ملكا عليهم تحت اسم جد حتب رع ، وكان أحد حكام الأقاليم ، وأصبح أول ملوك الأسرة السابعة عشرة الوطنية (١٦٨٠ – ١٥٨٠ ق.م) وبينما كان الملوك يتوالون بالتتابع فى هذه الأسرة الوطنية ويحكمون فى الجنوب ، إذ نجد فى الشمال أن وفاة ماع ايب رع قد أدت إلى القضاء على سلالته ، وبعد ذلك جاءت مجموعة من ملوك الهكسوس الذين كونوا الأسرة السادسة عشرة .

أبو فيس الثانى :

عثر على بعض الآثار فى بوباست تحمل اسم " أبوفيس " الثانى ويوجد الآن بالمتحف البريطانى خنجر باسمه عثر عليه فى سقارة .[٢]

---

(١) Chace , The Rhind Mathematical Papyrus , 2 vol . , Chicago (1927 – 1930) , p . 5 ; Reincke , LA III , p . 1237 . 1243 ; LAIV , p . 730 .

(٢) Dawson , JEA 11 (1925) , p . 216 – 217 ; Daressy , ASAE 6 (1906) ,p . 115 - 120 .

قام د. بدوى بحصر بعض آثار ثلاثة ملوك الهكسوس ويبلغ عددها تسعة .كما يذكر أنه عثر على بعض الآثار لهؤلاء الملوك فى تل اليهودية كما كشف عن أنقاض حصن فى هذه المنطقة ، كما عثر فى جبانة إيونو على جعارين تحمل أسماء بعض ملوك الهكسوس ، راجع : د. أحمد بدوى : أيام الهكسوس،فى المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الأول (١٩٤٨) ، ص ٤١ - ٨٦ ، أعيد نشره فى حياة وأعمال أحمد بدوى ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ٥٨ - ٦٢ .

كان ملوك الأسرة السادسة عشرة الأجانب أقل قوة من أسلافهم فى الأسرة الخامسة عشرة . وعلى الرغم من ذلك فقد نجحوا فى الاحتفاظ بنوع من السيطرة فى الشمال وفى الجنوب ، ويبدو من ناحية أخرى أن سيطرة الهكسوس على كل البلاد لم تكن إلا لفترة قصيرة ، وسرعان ما فقدوا السيطرة على مصر العليا (واصبح سلطانهم لا يمتد إلا على الدلتا وحدها) ، وكان هذا من العوامل التى سهلت على المصريين مقاومتهم وطردهم بعد ذلك .

ومن ناحية أخرى كان النوبيون قد استغلوا فرصة انهيار الملكية المصرية وبعد ملك الهكسوس عنهم وتمركزه فى الدلتا أو فى منف ، لكى يؤسسوا لأنفسهم مملكة مستقلة فى جنوب الجندل الأول ، وإلى هذه الفترة يرجع فيما يبدو فى تاريخ تأسيس أول مملكة متحدة لدولة كوش .(١)

ويبدو أن الهكسوس فى أثناء احتلالهم للبلاد قد اكتفوا فى أغلب الأحوال بفرض الجزية ، تاركين الإدارة المحلية المصرية كما كانت عليه . ومن المعروف أنه كانت هناك بعض الحاميات فى تل اليهودية (٢) . وفى الواقع أصبحت مصر مقسمة إلى ثلاثة أقسام :

- الدلتا ومصر الوسطى تحت حكم الهكسوس بطريقة مباشرة .
- ومصر العليا كانت موالية للغزاة الأجانب المستقرين فى افاريس ، وكانت تتمتع باستقلال تام .

أما فى بلاد النوبة العليا (كوش) فقد حررت نفسها ، وأصبحت محكومة بواسطة ملك كوشى .

وفى البداية كانت مصر العليا مقسمة فيما يبدو إلأى ثلاثة ممالك صغيرة تخضع إلى حد ما لسيطرة أمير طيبة .وهكذا سوف نرى أمراء طيبة يؤدون مرة

---

(١) د. محمد بكر : تاريخ السودان القديم ، ١٩٧١ ، ص ٥٢ – ٥٣ .

(٢) Mayani , op . cit . , p . 115 .

أخرى دور الموحدين للبلاد . وأوائل هؤلاء الأمراء الطيبيين كانوا معاصرين للهكسوس .

ويقص علينا " مانيتون " أن الأسرة السابعة عشرة الأجنبية كانت تتكون من "كهنة أخوة " جاءوا من فينيقيا ومن ملوك أجانب ، وفى الواقع أن لفظ " أخ " كان يستخدم غالبا فى خطابات تل العمارنة بمعنى حليف ، وتذكر بردية تورين أسماء ستة ملوك من الهكسوس حكموا حوالى ١٠٨ عاما .(١)

حاول الملوك أو الأمراء الوطنيون فى الأسرة السابعة عشرة من جانبهم أن يمدوا نفوذهم ببطء نحو الجنوب متخذين من طيبة عاصمة لهم ، وجمعوا حولهم تدريجيا أقاليم الجنوب ، وقد ترك هؤلاء الملوك بقايا أثرية تدل على أعمالهم وأحداثهم فى الجنوب ، وقد عثر فى جبانة طيبة على بقايا بعض الأهرام الصغيرة الخاصة بهم مشيدة بالطوب اللبن .

وقد اندهش بترى لعدم العثور على مقابر للهكسوس فى مصر ، ولكن باهور لبيب عثر فى انشاص على سبعين مقبرة للهكسوس من الطوب اللبن تحتوى على تابوت ذى غطاء مقوس (٢) وعثر على مقبرة تحتوى على عظام حمار كما عثر على بقايا فخار أسود وعدة جعارين . وكانت رأس المتوفى توضع على قالب من الطوب ، وهناك بعض المقابر التى عثر عليها فى تل اليهودية وأبو صير الملق وقاو وسدمنت ودشاشة من عصر الهكسوس ولم يعثر على أى حصان مدفون فى أية مقبرة من عصر الهكسوس فى مصر (٣) وعثر على هيكل حصان يرجع إلى عام

---

(١) Winlock , the Rise and Fall of Middle Kingdom in Thebes , New – York (1947) , p 17 ; Mayani, op . cit . , p . 110 – 111 .

(٢) P . labib , Die Herrschaft der Hyksos in Aegypten , Gluckstadt (1935) , p . 25 ; Mayani , op . cit . , p . 112 .

(٣) Mayani , op . cit . , p . 112 . يذكر د. بدوى أنه عثر على مدافن للهكسوس فى تل اليهودية على مقربة من إيونو ، ثم فى أبو صير الملق وسدمنت إلى الجنوب من منف ، راجع :حياة وأعمال أحمد بدوى : المرجع السابق ، ص ٦٧ .

١٥٠٠ ق.م فى الدير البحرى عام ١٩٢٦ بواسطة لانسينج وهيس Lansing and Hayes . وهو يرجع إلى عصر ما بعد الهكسوس ، وأنه حفظ فى زمن يرجع إلى ٦٠ عاما أو ٧٠ عاما بعد حكم الهكسوس ، ويرى ونلوك Wimlock أن هذا الحصان يرجع إلى عصر الهكسوس وأنه دفن طبقا للطقوس الدينية لدى الهكسوس (١) . ومن المعروف أنه كانت هناك بعض الحاميات للهكسوس فى تل اليهودية .

وفيما يختص بالأشخاص الذين كانوا يعملون فى خدمة الهكسوس فقد عثر على خنجر من البرونز فى مقبرة شخص يدعى " عبد " فى سقارة وعليه نص من عصر الملك " أبوفيس الأول " إلى الخادم " نهمن " (٢) وكان هناك مستشار للهكسوس يسمى " حور – Hor" (٣) .

ودخل الهكسوس فى علاقات مع بابل وكريت حيث عثر على آثار منقوشة باسمهم ، واغرقوا المدن الفلسطنينة الجنوبية بجعارين مميزة خاصة بعصرهم (٤) وكان الهكسوس يكتبون أسماءهم على الجعارين فإذا كانوا رؤساء قبائل فإنهم كانوا يحيطون الاسم بخانة ملكية يسبقها لقب " ابن رع " . وإلى هؤلاء الرؤساء الصغار ترجع فيما يبدو ملكية مجموعة الجعارين التى لا تعد ، والتى عثر عليها فى مصر وهى مزينة طبقا للطريقة الآسيوية بأشكال هندسية وحلزونية . وكان الاسم يكتب

---

(١) عرف المصريون الحصان عند غزو الهكسوس لمصر بالعربات التى تجرها الخيل . وكان المصريون القدماء يعنون بتربية الخيل ويستخدمونها فى الأعمال الزراعية والنقل والحرب ، وقد انشأوا لها اصطبلات منظمة وضعوا لها الخدم للعناية بها وبخدمتها ، راجع : وليم نظير : الثروة الحيوانية عند قدماء المصريين ١٩٦٥ ، ص ٦٠ .

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢٤٩ .

(٣) Mayani , op . cit . , p . 114 .

(٤) Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique ,p. 82 .

بالخط الهيروغليفى الذى يمكن التعرف عليه وقراءته بصعوبة .[١]

ويلاحظ فى أول الأمر ، أن الهكسوس الغزاة قد اندمجوا مع المصريين وتقيدوا بالطابع المصرى ، وأطلقوا على أنفسهم أسماء مصرية ، ونجد أن ثلاثة من ملوك الهكسوس يضعون أسماءهم داخل خانات ملكية ، واتخذوا لقب "حقا خاسوت" أى " حاكم البلاد الأجنبية " وهم " سمقمن ، عنات هر ، وخيان . وكانوا ينتمون فى الأصل إلى قبائل جبلية تفتقد الأصالة الحضارية ، وبالتالى فقد عجزوا عن إضافة أى شئ جديد إلى الحضارة المصرية ، كما عجزوا عن تغير معتقداتها الدينية ومفاهيمها اللغوية وأوضاعها الفنية وتقاليدها الأدبية ، بل على العكس من ذلك ، فقد تأثروا وتطبعوا هم بتلك المظاهر الحضارية ، ويبدوا أنه لم يكن لديهم ثقافة متقدمة ، وكان تأثرهم بالحضارة المصرية العريقة واضحا واقتبسوا منها الشىء الكثير .

وكانت هناك بعض الشعوب التى كانت تصطحبهم فى الطريق مثل صانعى البرونز والزراع من منطقة الكاسبية فى شمال العراق . وأن بعضا منهم جاءوا من السهول فاهتموا بتربية الحيوان .[٢]

وقد تعلم المصريون منهم كيفية استخدام الخيل فى جر العربات الحربية وكذا صناعة الخناجر البرونزية والسيوف .[٣]

الأسرة السابعة عشرة الوطنية (١٦٨٠ (؟) – ١٥٨٠ ق.م) :

تتكون هذه الأسرة الوطنية من خمسة عشر ملكا [٤] وذلك بدون إعداد الملك أحمس ضمن هذه الأسرة . وقد جاء ذكر بعض هؤلاء الملوك على بردية تورين بعد أن

---

(١) Drioton – Vandier , L'Egypte (éd . 1952) , p . 29 .

(٢) Mayani , op. cit . , p . 117 .

(٣) Save – Soderbergh , Kush 4 (1956) , p . 56 – 58 ;

وأيضا : د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٤٦٠ .

(٤) Drioton – Vandier , op . cit . , p 297 .

رممها العالم إيشر - Ibsher . وقام بعمل قائمة لـهؤلاء الملوك العالم شتوك Stock[١] عند قيامه بدراسة عن العصر الوسيط الثانى ونذكر هنا الستة الملوك الأواخر من هذه القائمة نظرا لأهميتهم : [٢]

١- نبو خبر رع – انيوتف (الخامس) .

٢- سخم وب ماعت -- انيوتف (السادس) .

٣- سخم رع هروحر ماعت – انيوتف (السابع) .

٤- سنخت إن رع – تاعا الأول (أو سقن إن رع تاعا الأول) .

٥- سقن إن رع – تاعا الثانى .

٦- واج خبر رع- كامس .

وإذا نظرنا إلى هذه القائمة نجدها غير وافية بما فيه الكفاية لذلك يجب علينا أن نتقبلها بشيء من الحرص . ففى الواقع أننا لا نلمك أية آثار عن هؤلاء الملوك سوى ما تخص الأسماء التى جاءت فى اخر القائمة . ومن المحتمل جدا أن الموك الآنافة لم يحكموا إلا فى نهاية الأسرة وليس فى بدايتها .

أما عن بقية الملوك فلم يتركوا لنا أى أثر ذى أهمية تاريخية سوى أنهم ذكروا على لوحة قانونية أقيمت تحت حكم الملك سواج إن رع – نب – ايروت خامس ملك فى قائمة شتوك .

وقد ترك لنا الملك نبو خبر رع – انيوتف (الخامس) مرسوما فى فقط يحرم فيه تيتى بن مين حتب من وظيفته.ربما لأنه دبر مؤامرة أو تحالفا مع الهكسوس مما

---

(١) فإذا كان شتوك يعطينا قائمة بأسماء خمسة عشرة ملكا لهذه الأسرة (راجع : Mayani , op . cit ., p . 107) فأن فون بكرات يعطينا نفس العدد ولكن هناك اختلاف فى قراءة بعض الأسماء وترتيبهم ، (راجع : Von Beckerath , LAVI , p . 1447) .

(٢) وسوف نتبنى قراءة فون بكرات لبعض الأسماء ، راجع أيضا : Von Beckerath , LAIII , p . 549 .

دعى الملك بأن يصدر هذا المرسوم والأمر بحرمانه من وظيفته وكذلك أولاده وكل ورثته .(١)

وعثر لهذا الملك على نقوش فى معبد " مين " ومعبد المعبود أوزير فى ابيدوس ونقوش أخرى فى الكرنك وإدفو والكاب . وذكر هذا الملك فى قائمة الكرنك وبردية "ابوت " ويبدو أن دور هؤلاء الملوك كان محددا فى تنظيم ممالكهم الصغيرة وبث الروح الوطنية عند اتباعهم لكى يولد عندهم الرغبة فى طرد العدو من ارض مصر .(١)

وطبقا لهيس كان هناك ملكان يحملان الاسم نفسه : سقنن رع وكان الأول يلقب بلقب " تاعا العظيم " والثانى " بتاعا الشجاع " . وقد جاء ذكرهما على بردية تورين . ولكن طبقا لما ذكره فون بكرات فأن أحدهما يدعى سنخت أن رع والثانى سقن أن رع (٣) وهذا هو الرأى الأرجح . وتذكر بردية أبوت عن سرقة المقابر أن المفتشين قاموا بفحص مقبرتين فى البر الغربى أيام الملك رمسيس التاسع باسم ملكين يدعيان تاعا ؟ ولا نعلم أى شئ عن سقن إن رع غير أنه تزوج من الملكة تيتى شرى التى عاشت حتى بداية الأسرة الثامنة عشرة .(٤)

المقاومة وطرد الهكسوس :

كانت العلاقة بين ملوك طيبة وملوك الهكسوس تمتاز بنوع من الحذر

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٤٩٧ ؛ PM V , p 125 .

(٢) Hayes , Egypt : From the Death of Ammenemes III to Seqenenre II , Cambridge Ancient History (1962) , p .26.

(٣) راجع : Von Beckerath , LAVI , p . 1447 (13 – 14) .

(٤) Hayes , op . cit . , p . 31-34 ; James , Egypt : from the Expulsion of the Hyksos to Amenophis I , Cambridge Ancient History (1965) , p . 3 ; Gauthier , LR II , p . 156 – 158 et p . 161 .

والهدوء النسبي ، وكان ملوك طيبة يتمتعون بنوع من الاستقلال بالنسبة للملك الأجنبي . فبعد مرور خمسين عاما أو أكثر من الغزو عد حكام طيبة أنفسهم شبه مستقلين عن ملوك آفاريس واتخذوا الألقاب الملكية واصبحوا مناهضين للهكسوس واصبحوا مستقلين بما فيه الكفاية لكي يعطوا الأوامر إلى من حولهم وخاصة إلى أمراء إقليم فقط .(١)

ومن المحتمل أن الصراع قد بدأ تحت حكم ملك الهكسوس عاقنن رع - ابوفيس الثاني ، الذى عده بعض المؤرخين من الأسرة السادسة عشرة حيث كان يحكم في منف في الشمال ، على حين كان يحكم الملك المصري سقنن رع - تاعا الثاني من الأسرة السابعة عشرة في طيبة في الجنوب ، وبمرور الوقت يبدو أن ملك الهكسوس قرر أن يتعرض لمنافسة حاكم الجنوب وربما فكر أيضا في القضاء عليه .

وتقص علينا بردية قديمة هي بردية سالبية رقم ١ قصة هذا الصراع ، وهي بردية كتبها طالب مصري يدعى بنتا ورة خلال القرن الثالث عشر ق.م (٢) . وبالطبع إذا تأملنا القصة التي لا تخلو من بعض الخيال ، فيجب أن نكون على جانب من الحرص ، وهذا لا يعني أننا ننكر أنها تقوم على أسس تاريخية ، وهي للأسف غير كاملة ، وتقص الآتي (٣) :

" حدث أن حكم البلاد المصرية بواسطة العاموندس (تسمية مختلفة بعض الشيء لملوك الهكسوس الأجانب) وفي هذه الفترة ، لم يكن أحد ملكا أو سيدا على

---

(١) Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p . 83 .

(٢) هناك أربع برديات تحمل اسم برديات ساليبه وهي محفوظة بالمتحف البريطاني ساليبه رقم ١ (Brit . Mus. 10185) رقم ٢ (10182) رقم ٣ (10181) رقم ٤ (10184) ، راجع : James , An Introduction to Ancient Egypt , p . 96 . 98 , 106 . 109 , 112; Simpson , LAIV , p . 730 – 731 ; Brunner , LAI , p . 353 – 354 .
راجع أيضا : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٩١ .

(٣) د. أحمد فخري : مصر الفرعونية ، ص ٢٥١ – ٢٥٢ .

البلاد كلها .وحتى هذا الوقت أيضا كان يحكم ملك يسمى سقنن رع ، ولكنه لم يكن ملكا للمناطق الجنوبية وكان العاموندس يحتلون مدن الشمال ، وكان أبوفيس حاكما عليها ، وكانت كل البلاد خاضعة له بكل منتجاتها وكل الأشياء الطيبة التى تخرجها أرض مصر [١] . وفى ذلك الوقت ، كان الملك أبوفيس يفكر جيدا فى الرسالة التى يعتزم إرسالها إلى الملك سقنن رع ، سيد بلاد الجنوب ، وذلك لاختلاق ذريعة للنزاع . وبعد عدة أيام عرض الملك أبوفيس الأمر على معاونيه وقواده وكبار موظفيه ، ولكنهم لم يستطيعوا إبداء الرأى فيما يجب أن يقوله أبوفيس للملك سقنن رع . لذلك لجأ الملك أبوفيس إلى الاستعانة بحكمائه وأهل فكره ، واقترح عليه هؤلاء ما يأتى :

" ملكنا ، سيدنا ، لعل ذلك يلفى تأييدك " وأعطوا للملك أبوفيس الحجة لخلق النزاع الذى يريده ، واقترحوا عليه أن يبعث برسول إلى ملك الجنوب لكى يقول له :

" أن الملك (أبو فيس) يطلب منك أن تتوقف عن صيد أفراس النهر التى توجد فى البحيرات وأنهار وترع المناطق التى تقع إلى الشرق من مدينة طيبة ، لكى يستطيع أن ينام فى هدوء ، لأن صياحهم يمنع عنه النوم ، ويملأ أذنه فى النهار والليل " [٢]

وكان الغرض من هذه الرسالة هو وضع ملك الجنوب فى موقف حرج لأن ملوك الهكسوس كانوا يظهرون دائما احترامهم وولاءهم الشديد للمعبود " ست " ولم يعبدوا أى معبود آخر ، وهو أحد المعبودات المصرية ، وكانوا يشبهونه بمعبودهم

---

(١) Lefebvre . Romans et Contes Egyptiens . Paris (19143) . p . 131 – 136 ; Maspero . les Contes Papulaires de l'Egypte . p . 288 289 ; Weill . la fin du Moyen Empire Egyptien . Paris (1918) , p . 37 ; Gunn – Gardiner . JEA 5 (1918) , p . 36 .

(٢) Carnarvon – Carter . Five years's Explorations at Thebes . (Record of Work done 1907 - 1911) . p . 17 .
وأيضا : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٩١ .

الخاص بهم سوتخ ، وكان فرس النهر هو أحد الحيوانات المقدسة المخصصة لـــهذا المعبود [١] لم يصبح هذا المعبود منذ وقت طويل محل احترام مصـــرى الجنــوب ، الذين كانوا يقومون بصيد فرس النهر دون أى عائق . وقد طلب أبوفيس من حكمائـه أن يلجأوا إلى سبب دينى ، لمحاولة إثارة ملك الجنوب .

وانتابت الحيرة سقنن رع [٢] عندما وصلته هذه الرسالة وتقص البردية :٠

" كان ملك الجنوب مضطربا ، ولا يعرف كيف يجيب ، وأخيرا قال الملـــك سقنن رع للرسول [٣] :

" أن الموضوع الذى من اجله أرسلك سيدك ... (يوجد هنا للأسف فـــراغ فى البردية) عندئذ رحل رسول الملك " أبوفيس" ووصل إلى المكان الذى يوجد فيـــه سيده ، ولكن حاكم بلاد الجنوب نادى كبار مساعديه وقص عليهم كل الأمر ، وسادهم الصمت جميعا والاضطراب الشديد ، ولم يستطيعوا كيف يجيبون "

وفقدت نهاية البردية ، ويبدو أن الأمر قد اختلط على ملك الهكسوس وكـــل ما نعرفه هو أن الحرب قد اندلعت ، وأن سقنن رع قد هلك بسبب حادث عنيف وأنه

---

(١) عن فرس النهر كرمز للمعبود ست ، راجع : Te Velde , Seth , God of Confusion , leiden (1967) , p . 111 .
وكان فرس النهر يوجد بكثرة فى النيل منذ أقدم العصور وخاصة فى إقليم سايس (صا الحجر) وذلك لوجود المناقع التى تكثر فيها النباتـــات البرية . ويذكر ديودور الصقلى أن فرس النهر كان حيوانا غـــير محبـــوب ويرمز للكائنات الشريرة ، وقد عثر على مومياوات له فى طيبة إحداها فـــى المتحف البريطانى ، راجع . وليم نظير : المرجع السابق ، ص ٧٨ – ٧٩.

(٢) كان سقنن رع يقدس آمون رع ملك المعبودات .

(٣) Gardiner , late Egyptian Stories , p . 85 ; Mayani , les Hyksos et le Monde de la Bible , p . 118 - 119 ;
وأيضا :د . عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديـــم ، الجـــزء الأول : مصر والعراق ، ص ١٩٢ .

قتل أثناءها .[١]

فقد عثر على مومياته فى خبيئة الدير البحرى عام ١٨٨٠ وهى محفوظة الآن بالمتحف المصرى [٢] ، وتحمل اثار جروح تغطى الجمجمة والوجه .ويبدو أنه أصيب فى أعلى جبهته وفى قمة رأسه من الجهة اليمنى ، وعدم الدقة فى تحنيط الجثة يدل على أنها كانت مشوهة بدرجة كبيرة ، ويبدو أنه أثناء المعركة أو بعد انتهائها نقله أعوانه إلى العاصمة فى الجنوب ، وأدوا إليه المراسيم الجنائزية السريعة . وكان الملك يبلغ فيما يبدو عند وفاته حوالى خمسة وثلاثين عاما تقريبا . وكان ينتمى فى الواقع إلى جنس أهل الجنوب وكان يبلغ فى الطول حوالى ستة أقدام ، عريض الأكتاف ذار رأس كبير تنم عن ذكاء حاد .

وعلى الرغم من مقتل القائد فقد ظل الجيش المصرى سيدا للموقف ، ولو أن بعض العلماء يرى أن الملك ربما قتل أثناء مؤامرة أو حرب أهلية ، واحتفظ أعوانه بالسلطة . وحمل راية الجهاد من بعده ابنه :

كامس :[٣]

ترك سقن رع من ورائه ولدا صغيرا يبلغ من العمر ستة أعوام يسمى أحمس أصبح فيما بعد ملكا ، ولكن اعتلى العرش الأمير كامس الذى كان ابنا اخر لسقنن رع ويكبر " أحمس " ، وعلى أية حال نشبت الحرب مرة أخرى بدون شك تحت حكمه . وعثر اللورد كارنافون على لوحة فى طيبة قام بنشرها عام ١٩١٢

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٩٢ .

(٢) Daressy , Cercueils des Cachettes Royales , CGC no 51001 , Maspero , Momies Royales , p 527 Feucht , LAI , p . 892 – 893 .

وأيضا د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٢٥٢ .

(٣) عن هذا الملك ، راجع : . Vandersleyen , LAIII , p 306-308

وعليها نص كتب بالخط الهيراطيقى يقص علينا تطورات الصراع [١] . وحتى فترة قريبة كان العلماء يعتقد أن نص هذه اللوحة ما هو إلا عبارة عن قصة خيالية مثل القصة التى جاءت على بردية ساليه رقم ١ أو أنها كانت عبارة عن نسخة أخرى من لوحة نصر تذكارية .

وعثر " شعرييه - Chevrier " فى الكرنك أمام الصرح الثانى فى عام ١٩٣٥ على جزء من لوحة تحمل اسم كامس وهى الجزء المكمل لجزء آخر عثر عليه من قبل[٢] وتعطينا الأجزاء المجمعة النص نفسه الذى على لوحة كارنارفون ؟ وهذا النص مؤرخ بالسنة الثالثة من حكمه ويتحدث فيه الملك قائلا : [٣]

---

(١) Gardiner , JEA 3 (1916) , p . 95 – 110 ; Gunn – Gardiner , JEA 5 (1918) , p . 36 – 56 ; Winlock , JEA 10 (1924) , p . 217 – 277 : Carnarvon – Carter , Five years's Explorations at Thebes , pl . 27 – 28 .

(٢) Chevrier , ASAE 35 (1935) , p . 111 ; lacau , ASAE 39 (1939) , p . 215 – 217 . وأيضا : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٥٣ حاشية (٣) . وفى عام ١٩٥٤ عثر على لوحة كاملة تحمل نص حرب التحرير أيام كامس ، راجع : Habachi , ASAE 53 (1956) , p . 195 ; Hammad , CdE 30 (1955) , p . 198 . وكل ذلك يدل على أن لوحة كارنارفون ما هى إلا نسخة لنص تاريخى أقيم فى معبد الكرنك منذ أيام كامس ، راجع : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٥٤ – ٢٥٥ حاشية (١) ; James , Egypt : From the expulsion of the Hyksos , p . 3 – 10 . وأيضا د. سيد توفيق : تاريخ العمارة فى مصر القديمة : الأقصر ، دار النهضة العربية ١٩٩٠ ، ص ١٤٦ .

(٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٥٣ ٢٥٤ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٩٢ ؛ د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٤٨٦ – ٤٨٧ .

" فى السنة الثالثة للملك القوى فى طيبة كامس والذى عينه رع كملك حقيقى ومنحه القوة ، تحدث جلالته فى قصره لمجلس الأشراف والذين كانوا فى معيته قائلا : بماذا تفيد سلطتى فهناك حاكم فى آفاريس وآخر فى كوش ؟ وأنا هنا مقيد بين أسيوى من ناحية وكوشى من ناحية أخرى ، وكل منهم يسيطر على جزء من مصر هذه [١] ، وأنا لا أريد أن أتنازل على الإطلاق للملك أبوفيس الذى يحكم معى هذه البلاد من مجرى النهر فيما بعد منف فى اتجاه الجنوب ، وعلى الرغم من أنه يسيطر على الأشمونين فأنه لا يوجد شخص فى تلك المنطقة إلا وتراه من خدمة الآسيويين ، وسوف أقاومه وسوف أمزقه من أعلى إلى أسفل (أى ابقر بطنه) لأن رغبتى هى أن أحرر مصر وأقضى على هؤلاء الأسيويين " .

كانت النزعة الوطنية هى العامل الرئيسى الذى دفع بكامل إلى الشروع فى مهاجمة الهكسوس . ويبدو أن الملك الجنوبى قد استولى بالتدريج أو دخل تحت سلطته اغلب الأراضى التى فقدت عند غزو الهكسوس وتقدم بحدوده الشمالية بضعة كيلو مترات شمال أسيوط ، وقال نبلاء المجلس :

---

(١) كان أمير كوش يلقب بلقب " حقا إن كاش أى حاكم كوش " وهو يحكم الأرض التى تمتد من الفنتين وجنوبا حتى منطقة الجندل الثانى ، وطبقا للمعلومات المأخوذة من لوحة ها – منخ – إف الذى خدم أمير كوش يبدو من المحتمل أن سيطرته كانت تمتد إلى أبعد من ذلك فى الجنوب حتى كرما . ويظن أن مملكة كوش قد نشأت كمملكة مستقلة خلال العصر الوسيط الثانى فى الوقت الذى يسود فيه عدم الاستقرار السياسى فى داخل مصر ، وانسحبت قوات ملك طيبة من الجنوب وهناك انتقلت المراقبة إلى أيدى حاكم وطنى أو موظف كبير كان يعمل فى إدارة النوبة السفلى وقد أستخدم اسم كوش فى ألقابه مما يؤيد أصله من النوبة السفلى ، وربما كان أمير كوش نوبى الأصل أيضا ، انظر : د. محمد بكر : تاريخ السودان القديم ، ص ٥٢ – ٥٥ ؛ James , op . cit . , p . 10 .

" فى الحقيقة أن هؤلاء الآسيويين قد تقدموا حتى القوصية [١] (على بعد ٥٠ كم شمال أسيوط) ثم تحدونا ، وفى هذه الأثناء نحن نستطيع أن نحتفظ بسهولة الجزء من البلاد والذى نسيطر عليه ، فالفنتين (عند الجندل الأول) هى مدينة محصنة ؟ ومصر الوسطى موالية لنا حتى القوصية فالبلاد (تبعا لذلك) ، فى رخاء ولكن نتيجة الحرب غير مضمونة "

وكانت هذه الكلمات ذات وقع سيئ على قلب جلالته لأنها تعنى الاستسلام بالأمر الواقع ، ولم يرض بهذه الإجابة ، وصمم على عزمه فى طرد الأجانب وكانت أجابته :

" لا إنى أريد أن أحارب الآسيويين فالنصر حليفنا " .

ويوجد فراغ هنا فى النص ولكن إذا تتبعنا بقية القصة ، فنجد أن الملك يصف الأحداث كالآتى :

" عندئذ نزلت النهر بقوة لكى أبعد الآسيويين تحت إمرة المعبود آمون ، وأصاب خطط جيشى النجاح ، لأن كل جندى أصبح أمامى وكأنه شعلة من النار وكانت قوات المجاو (محاربون زنوج تلقوا تدريبهم على أيدى المصريين) قد خرجت من خطوطنا لكى تتبع الآسيويين وتقضى على مواقعهم . وأحرزنا النصر فى الشرق وفى الغرب ، وكان الجيش سعيدا بتلك الانتصارات المتتالية " . وتقدم الملك بجيشه حتى " نفروسى " المدينة التى تقع فى شمال الأشمونين ببضعة كيلومتر والتى كانت تمثل أقصى حدود الهكسوس تجاه الجنوب . وشن الملك حربا شعواء وأصاب العدو بهزيمة قاسية ، وكانت تعسكر فى نفروسى قوة موالية للهكسوس تحت إمرة " تيتى " الذى كان فيما يبدو مصريا ومواليا للهكسوس وليس آسيويا ، وكان يحارب فى صفوف الهكسوس ، وقد كتب الملك عنه قائلا :

" وقد أرسلت فرقة هامة من المجاو على حين قضيت يومى فى محاولة

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٩٢ - ١٩٣ .

فرض الحصار على تيتى بن بيبى فى منطقة نفروسى لأننى لم أكن أرغب فـــى أن أتركه يفر . لقد تحديت الأسيويين ، وبهذه المناسبة قضيت الليلة فوق سطح ســـفينتى وقلبى يملؤه الفرح . وفى الصباح انقضضت عليه مثل الصقر ، وقضيت عليه فـــى اللحظة التى كان ينظف فيها (أى عند قيامه من النوم) وهدمت جدرانـــه وقضيـت على أفراد قواته وأرغمت زوجته على أن تقذف بنفسها من أعلى شاطئ النهر وكـان جنودى مثل الذئاب التى تنقض على الفريسة ...»[١]

وهنا تنقص بعض الكلمات فى النص من جديد ، ولكن ما بقى بـــه الكفايـة لكى نعلم أن كامس قد نجح فى إبعاد العدو نحو الشمال (ربما حتى منـــف) . مـــن الواضح أن قوات كامس لم تشتبك فى عمليات عسكرية أكثر جدية قبل ذلك ، وكـــان هذا الهجوم من جانب كامس غير متوقع لأن العلاقات بين الجنوب والشـــمال كـــان يسودها سلام نسبى . ويبدو أن الهجوم قد نفذ بواسطة قوة من المجاو ، الذين كـــانوا من أصل نوبى ، وقد استخدموا بواسطة الملوك المصريين كقوات مساعدة منذ عصر الدولة القديمة [٢] . وهناك شبه غموض فى قصة هجوم كامس على نفروسى وبيـــن الأحداث التى سجلت على اللوحة الثانية ، ومعظم النص على الأثر الأخير يتكون من عبارات تفاخر قيلت على لسان كامس . وأن كان هناك غموض فى النص يلتبس معه الأمر إذا ما كان يشير إلى أحداث معاصرة . أو أنه يعكس نوايا الملك . هناك وصف قد أعطى لهجوم قوات كامس فى الشمال على معقل الهكسوس فى آفـــاريس الـــذى دمرت خلاله جدران هذه المدينة .

ومهما يكن من أمر فيبدو أن كل ما حققه كامس هو نوع من التدخل الجزئى فى قلب الأماكن التى كانت موالية للهكسوس . وعدم ذكـــر منـــف وبعـــض المـــدن الأخرى الهامة على طريق الشمال تجاه آفاريس يؤيد هذا الرأى .[٣]

---

(١) Gardiner , Onom. II , p. 83 .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٥٦ حاشية (١) .

(٣) James , op. cit. , p. 5-6 .

ويوجد على لوحة كارنارفون أول ذكر في النصوص المصرية لكلمة العربات الحربية ، والمقصود بها هنا هى التى كان يمتلكها الهكسوس الذين هربوا فى اضطراب عند الهجوم المصرى .

وإلى جانب مقدرته الحربية فأن كامس كان ذكيا ، فقد نجح فى تحرير جزء من الدلتا ، وقد لجأ إلى الاستيلاء على المؤن المصرية المرسلة إلى ملك آفاريس . فقد كان هناك تلثمائة مركب محملة بالخيرات والمنتجات الغذائية والأخشاب . وقد عمل كامس على إعداد أسطول حربى ضخم وضم إليه حاملات للعربات الحربية ، والتى كانت موجودة من قبل ، ولكنه أدخل عليها نوعا من التحسينات أوانه هو أول من قام باختراعها . وأخيرا عندما شعر بقوته لجأ إلى تحطيم الروح المعنوية للعدو على الرغم من حماية أسواره . وقد حاول العدو أن يخفف من هذا العبء أو يدافع عن نفسه بطريقة أخرى ، فلجأ إلى التحالف مع ملك كوش .

ويتحدث نص اللوحة عن القبض على رسول بواسطة قوات كامس كان فى طريقه إلى أمير كوش ، وهو يحمل خطابا طالبا فيه العون [١] . ومنه عرفنا أن الذى أرسله هو الملك " أبوفيس عا أو سرع " ومنه أيضا تبرز حقيقة هى أن كامس حاول التحرش بأمير كوش ، وقد تم القبض على هذا الرسول أثناء قيام كامس بحملة بجوار سكو (القوصية) فقد توقع كامس هذا التقارب بين ملك الهكسوس وأمير كوش ، وبخطة ذكية أرسل حامية لكى تحتل الواحات البحرية ومن هناك أصبح التحكم فى الطريق الصحراوى للعمليات الحربية فى الجنوب أكثر سهولة واختصارا بسبب قرب موسم الفيضان .[٢]

وقام كامس بسحب قواته إلى أسيوط . ولم يتحقق هذا الانسحاب دون وقوع بعض الخسائر فى مؤخرة الجيش ، وبعد أن قبض على الرسول واستولى على الرسالة التى كانت فى حوزته أرسله مرة أخرى إلى افاريس لكى يخبر سيده بما

---

(١) د. احمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٥٥ – ٢٥٦ .

(٢) د. محمد بكر : المرجع السابق ، ص ٥٣ .

حدث .

كانت هناك علاقة صداقة بين أمير كوش وحاكم الهكسوس فى آفـــاريس . ولكن لا يوجد أى دليل يؤكد وجهة النظر بأن هذه العلاقة كانت علاقة جزية وطبقـــا للجعارين الخاصة بالهكسوس . والتى عثر عليها فى مقابر بلاد النوبة السفلى ، فأنــها تؤكد بعض الاتصالات بين كوش وآفاريس ، وربما كانت هذه الصلات ذات طــــابع تعاون ودفاع مشترك أكثر منها ذات صفة تجارية . وهو ما يتضح من الخطاب الذى وقع فى أيدى قوات كامس ، وكان أبوفيس يحيى أمير كوش بأنه " ولده " ويعتب عليه أنه لم يخبره عن ارتقائه عرش مملكته ويخبره عن هجوم كامس ، ويذكــره ببعــض الهجمات الأولية للطيبيين على كوش ويحثه على مهاجمة حدود مصر الجنوبية عندما يكون كامس فى الشمال .(١)

ويقول له " أصبحت حاكما دون أن تبلغنى ؟ آلم تر مــــا صنعتــه مصــر ضدى ، أن حاكمها كامس القوى أخرجنى من أرضى ولم اســتطع أن اصــل إليــه بعد "(٢) . ويتضح من هذا الخطاب عدة نقاط تاريخية هامة منها :

- فهو يشير أولا إلى تنصيب جديد لأمير كوش مما يدل على أن الأمراء الأصليين لكوش كانوا جيلين على الأقل .
- الأمر الثانى الذى يتضح من هذا الخطاب هو أنه كان يوجد فى ذلــك الوقت عرف ذو طابع دبلوماسى يحتم على الحكام الذين فـــى سـبيلهم للصعود على العرش أن يخبروا حلفاءهم بذلك .

---

(١) James , op . cit . , p 11 – 12 .

(٢) " وبعد كل ما فعله دك فقد اختار أن يدمر الأرضين ، أرضـــى وأرضــك وتخريبهما ؟ ابحر حالا إلى الشمال ولا تكن خائفا . انظر أنه هنا معـــى .. لن أدعه يرحل قبل أن تصل . حينئذ سنقسم مدنه هـــذه بيننــا " ، راجــع لترجمة هذا الجزء من النص : وولتر إمرى : مصر وبلاد النوبة (ترجمــة تحفة حندوسة) الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠، ص ١٧٨ .

- ثالثا ، يذكر أن كامس قام ببعض الهجمات ونجد إشارة إلى هذه الهجمات فى النقوش الصخرية التى شوهدت بالقرب من توشكا والتى تحوى اسم كامس واسم أخيه أحمس ، ويعتقد بوجه عام أن كلا الاسمين كانا قد نقشا أثناء حملة قام بها أحمس إلى بلاد النوبة فى تاريخ لاحق . وأن أحمس ذكر اسم كامس معه ، وذلك تخليدا لذكرى الأعمال الحربية المجيدة التى قام بها أول محرر لمصر .

والعثور على جعارين فى فرس تحمل اسم كامس لا يدل على أن الطيبيين قد غزو النوبة فى عهده ، ولم يتعد الأمر سوى بعض الاضطرابات على الحدود خلال عصر كامس [١] ، وهذا الأمر هو الذى جعل النوبيين يفكرون جيدا قبل التعاون مع الهكسوس [٢] . وقام الملك بالتهديد بعقاب كل من يتعاون معه الآسيويين من المصريين .

ويذكر لنا نص اللوحة أنه بعد عودة كامس إلى طيبة آمر أحد رجاله بأن ينقشوا كل ذلك على لوحة أقيمت بالكرنك [٣] وينتهى النص بوصف حالة السرور التى قوبل بها هذا الانتصار على الهكسوس .

وقد تم نجاح كامس فى مهمته ، ولم يتم هذا النجاح إلا بعد أن أجتاز بعض الصعوبات ، وقد تحقق بفضل عنصر المفاجأة بالهجوم وأيضا بفضل تفوق قوات طيبة . ولم يتضمن حكم الهكسوس أى نوع من السيطرة المسلحة على رعايا المناطق والأراضى التى احتلوها . ولكن هذه السيطرة قد فرضت بواسطة الحكام المحليين أمثال تيتى من نفروسى . وتبعا لذلك فأن أى هجوم محكم سوف يحقق نجاحا كبيرا ، وقد فسرها بعض العلماء بأن كامس قد استأنف عملياته الحربية فى الشمال بعد

---

(١) James , op . cit . , p . 12 - 13 .

(٢) Daumas,la Civilisation de L'Egypte Pharaonique ,p . 84.

(٣) Montet , la Stèle du roi Kamose , dans C.R. Acad . Inscr . Belles , lettres (1965) , p . 112-120 ; Save-Soderborg , Kush 4 (1956) , p . 51-61 .

نهاية موسم الفيضان الذى كان سببا فى إنهاء أول حملة على وجه السـرعة ، وفـى الواقع أن هذا الهجوم يمثل أول محاولة تاريخية لطرد الهكسوس من الدلتـا ، والتـى حدثت فى السنة الثالثة من حكم كامس .

اختلفت الآراء حول مدة حكمه ، فيوجد أكثر من رأى يرجح وجود العديـد ممن تسموا باسم كامس [١] . وقد عثر على ثلاثة أسماء حورية مختلفة على الآثـار التى تحمل الاسم الملكى لكامس ، وقد رأى بعض العلماء أن هناك اثنيـن أو ثلاثـة ملوك حملوا هذا الاسم . ولكن الرأى السائد الآن هو أنه كان يوجد ملك واحد يدعـى " كامس " والذى غير اسمه الحورى لأول مرة بعد هزيمة " أبو فيس " ومرة أخـرى بعد عدة أحداث هامة فى عهده . فالمشكلة لا يمكن أن تحل بدون دليل مادى مدعـم ولا يوجد دليل أثرى على وجود اثنين أو ثلاثة ملوك يحملون هذا الاسم .

توفى كامس عام ١٠٧٦ ق.م ودفن فى مقبرته فى الـبر الغربـى ، ونقـل التابوت إلى جبانة دراع " أبو النجا " وكشف عنه ماريت عام ١٨٥٧ . وعـثر فيـه على خنجره وطوله ٢١ سم ، وهو محفوظ الآن فى متحف بروكسل وتبيـن طبيعـة دفنه أنه مات فجأة بدون أن تعدله المراسيم الجنائزية المناسبة . وفى التقريـر الـذى احتوته بردية أبوت عن سرقة المقابر ، ظهر اسم مقبرته من بين المقابر التى كـانت لا تزال سليمة خلال حكم الملك رمسيس الحادى عشر .ويبدو من ذلك أنه فى تـاريخ متأخر نقل التابوت من المقبرة ودفن فى مقبرة مجاورة خوفا مـن الاعتـداء علـى الجثة .

وعندما عثر على هذا التابوت وجد فى حالة جيـدة ، وهـو مـن الطـراز الريشى الذى كان سائدا فى عصر الأسرة السابعة عشرة ،ولم يكن مطمعا بـالذهب ، ويفتقر إلى الكثير من الزخرفة . وعثر على بعض المجوهـرات وبعـض الأمتعـة

---

(١) James , op . cit . , p . 6 .

الملكية الأخرى . وكانت إحدى قطع الحلى تحمل اسم الملك أحمس ، الذى ربما كان مسئولا عن الدفن بصفته خليفة لكامس .

وعلى أية حال كان كامس هو البادئ لحركة تحرير مصر ضد الهكسوس . ولعل فى البساطة التى كان عليها متاعه الجنائزى ، ما يدعو إلى الدهشة ، ولكن ربما كان ذلك دليلا على الصفات المتواضعة للأسرة الطيبية فى نهاية العصر الوسيط الثانى .(١)

أحمس :(٢)

والفصل الثالث والأخير من قصة الكفاح ضد الهكسوس حدث فى عهد الملك أحمس ، على الرغم من أن مانيتون يعد هذا الملك مؤسسا للأسرة الثامنة عشرة ، وليس من المنطقى أن نضع قصة الاستيلاء على آفاريس بواسطة أحمس فى عصر الأسرة الثامنة عشرة .فهذه الفترة الجديدة أى الدولة الحديثة لم تبدأ حقيقة إلا بعد طرد الهكسوس .

كان أحمس يبلغ من العمر ستة عشر عاما، وهو سن النضوج فى مصر القديمة وقد اعتله الجيش رئيسا عليه لكى يكمل رسالة أخيه .

بعثت انتصارات كامس فى مصر كلها روح القتال للتخلص من الهكسوس الأجانب ، واتجهت الأنظار كلها إلى أحمس الشاب ، أمله أن تجد فيه المحرر الكبير ، وكان الجيش مستعدا لأن يسير من ورائه وكانت القوات تسودها الثقة بسبب وجود العناصر القوية الصلبة من المجاو ، والتى أصبحت تحت إمرة القيادة المصرية تمثل أفضل العناصر المحاربة وأشدها صلابة فى القوات المقاتلة .

---

(١) James , Egypt : From the Expulsion of the Hyksos to Amenophis I , Cambridge Ancient History (1965) , p . 7 .

(٢) عن هذا الملك ، راجع : Vandersleyen , LAI , p . 99 – 101 .

وفى الواقع أن اليقظة المصرية بدأت تظهر فى عهد كامس و أخذت تسير فى طريقها الطبيعى تحت حكم أحمس وذلك عن طريق القيام بعدة حملات حربية ضد الهكسوس ، ولسوف نرى أحمس هو الذى يقود المعركة النهائية محررا جميع أراضى الدلتا ونغلغل فى أسيا ، وأكثر من هذا نجده هو نفسه الذى أعاد الحدود المصرية فى الجنوب إلى ما كانت عليه تحت حكم الملك سنوسرت الأول ، هذا بالإضافة إلى أنه قضى على المنازعات الداخلية التى ربما قد نشأت فى فترة الضعف السابقة على حركة التحرير ، وبدأ يظهر عند بعض الحكام بعض الطموح والميل إلى الاستقلال بالسلطة ، فجعل من مصر أمة واحدة لها هدف قومى واحد .(١)

وللأسف تنقصنا الوثائق المعاصرة التى تقص علينا بقية الأحداث وتفاصيل وقائع الحرب ، فلس هناك نوع من التتابع لحملات كامس فى النقوش التى وصلت إلينا . ويبدو أن وفاة كامس كانت غير متوقعة ، ومن جهة أخرى لم يبحث الهكسوس من جانبهم على معاودة الهجوم فى مصر الوسطى نظرا لوفاة " أبو فيس " بعد حكم دام أربعين عاما أو أكثر .

ولكن النتائج التى تحققت فى الهجوم الأول هى التى شجعت الطيبيين على مواصلة القتال . ويبدو أنه فى حوالى هذه الفترة لعبت الملكة اعح حتب زوجة سقنن رع وام كامس وأحمس دورا هاما فى إعادة استقرار الأمور فى طيبة بعد اضطرابات هامة ، أشير إليها أخيرا فى اللوحة التى أقامها أحمس فى الكرنك .(٢)

وعندما أستأنف أحمس الحرب ضد الهكسوس كان قد توج أميرا على طيبة منذ فترة . وهناك بعض الإشارات عن استئناف القتال نجدها فى النصوص التى تتحدث عن تاريخ حياة أحد ضباط البحرية من الكاب والذى كان يسمى أيضا

---

(١) Vandersleyen , les Guerres d'Amosis , Bruxelles (1971),p. 12-13 .

(٢) James , op . cit . , p . 7 .

أحمس بن ابانا [١] فقد كان و الده الذى يسمى بابا يعمل فى خدمة سقنن ر ع ، ولم يكن هناك أى ذكر لاشتراك و الده فى حملات كامس ، ونستنتج من هــذا أن والــده قــد توفى ، و أنه اعتزل الخدمة قبل العام الثالث لحكم كامس ، ويقص علينا هذا الضــابط فى نقوش مقبرته فى مدينة الكاب – نخب (المو اجهة لنخن العاصمة القديمة) كيفيــة سقوط أفاريس وطرد الهكسوس من شرق البلاد [٢] . ويقص أحداث طرد الهكســوس فى خمسة وثلاثين عمودا فى نقش غائر على الجدران الصخرية لمقبرته [٣] . وفـــى تلك النصوص يقص علينا أيضا أحداث تاريخ حياته العسكرية . وكذلك حكم أحمــس الذى استمر حوالى خمسة وعشرين عاما تقريبا .

ولقد خدم أحمس بن ابانا تحت قيادة أحمس على حين كـــان صغــيرا ولــم يتزوج . وبعد مضى وقت قصير ، تزوج ، وكان ناضجا فى السن بما فيه الكفايــة ، لكى يذهب إلى الشمال مع أحمس ، ويشترك معه فى سلسلة هجمات على آفــاريس ، وفى معارك أخرى بالقرب من آفاريس .[٤]

وفى إحدى المراحل كان قد رقى لكى يخدم فى سفينته يطلق عليـــها اســم "الشروق فى منف " ومن هذا الاسم نرجح أن عاصمة الوجه البحرى القديمة كانت قد احتلت بواسطة أحمس ، ونتيجة لذلك يبدو أنه كان هناك أكثر من معركة حربية قبــل أن يلتحق أحمس بن ابانا بالجيش المنتصر .

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٥٦ ؛ د. عبد العزيــز صــالح : المرجع السابق ، ص ١٩٤ ؛ وأيضا : Helck , LAI, p . 110 – 111.

(٢) S. Smith - A.Smith , Kamose Texts , in ZAS 103 (1176) , p . 72 ; Drioton - Vandier , L'Egypte (éd . 1952) , p . 300 – 301 .

(٣) Loret , L'Inscription d'Ahmes , Fils d'Abana , le Caire (1910) , p . 13 ; Urk . IV , p . 1 ; Breasted , AR II (1016 , 38 – 39 , 78 – 82) ; Gunn – Gardiner , JEA 5 (1918) , p . 48 .

(٤) Vandersleyen , op . cit . , p . 31 – 40 .

وبذكر فى نقوشه العلمبات الحربية الناجحة النى اشترك فيها (١) ، ويذكر على الأحمس تصرفاته التى نتم عن شجاعته ، ويعدد المكافآت والترقيات التى حصل عليها ، وهو يقول :

" لقد قضيت شبابى وكان أبى ضابطا للملك المتوفى سقنن رع وكان يسمى بابا ، وعند وفاته أخذت مكانه كضابط على السفينة الحربية " الثور البرى " . وفى هذه الفترة كان أحمس ، شابا صغيرا وعزبا وفيما بعد عندما أسست منزلا (أى تزوج) نقلت إلى أسطول الشمال لكى أستطيع أن أساهم فى القتال ، وتتبعت الملك مشيا على قدمى ، عندما ذهب لكى يحارب على عربته الحربية "(٢) . " وعندما قام جلالته بحصار أفاريس(٣) كنت أحارب مترجلا أمام جلالته ، ثم عينت بعد ذلك على السفينة الحربية " الشروق فى منف " ثم حارب الملك أيضا على مياه قناة آفاريس . وتصارعت فى قتال صعب مع أحد الأعداء ، الذى قطعت له ذراعا ... وعندما روى الحدث إلى نائب الملك ، قدم الملك لى ذهبا كمكافأة على شجاعتى " .

" وبعد هذا تجدد القتال فى المكان نفسه وخضت من جديد صراعا فريدا ونجحت فى قطع عدوى ولهذا السبب كافأنى الملك بالذهب للمرة الثانية .(٤)

وعقب سقوط آفاريس ، وهى اللحظة الحاسمة التى حقق فيها الملك الطيبى طموحه ونجده يقول :

---

(١) R. el Sayed , Quelques hommes Célèbres : فى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢٦ ، ١٩٧٩ ، ص ١٨-١٩ .

(٢) عندئذ كان المصريون قد تعلموا من أعدائهم استخدام العربات الحربية والخيول .

(٣) كانت هناك قلعة محصنة فى شرق الدلتا وهى مركز القيادة العسكرية للهكسوس والتى كانت تستخدم أيضا كمقر لهم فى آخر المطاف .

(٤) James , op. cit., p. 7 – 8 .

" أنهم نهبوا آفاريس ، وأحضرت غنيمة من هناك : رجل واحـــد وثــلاث نسوة ، ومجموعهم أربعة رءوس وقد أعطاهم جلالته لي لكي يصبحوا عبيدا " .

وهذه الفقرة الأخيرة هي كل ما بقي عـــن الهزيمـــة الأخـيرة للهكســوس وطردهم من أرض مصر ، وليس من شك في أن هذه المهمة قد استغرقت من أحمس عدة سنوات وقد رأى بعض منهم ، أن أحمس لم تتحقق له السيطرة الكاملـــة علـــى افاريس وإبعاد الهكسوس عن معاقلهم إلا في العام العاشر . ولم يعطنا أحمس بن ابانا أية إشارات في نقوشه عن ملوك الهكســوس خلفــاء " أبوفيــس الأول " أو فــترات حكمهم .

ويقص علينا أحمس بن ابانا في النص التالي حصار شاروهن وهي مدينـــة تقع في جنوب غرب فلسطين [1] . والتي سقطت بعد ثلاث سنوات .وقد وصفت على أنها كانت معقلا للهكسوس . ويبدو أن هذه المدينة قد احتلت بواسطة عناصر ينتمـون إلى جنس الهكسوس الذين كانوا يحكمون في آفاريس ، وبعد سقوط آفاريس ، كـــان العمل التالي لأحمس هو تأمين حدود مصر الشرقية من التهديدات الثأرية وغـــزوات الآسيويين .

وباستيلائه على شاروهن حقق أحمس الغاية التي حددها لنفسه . وفي الوقت نفسه اظهر للآسيويين بأن مصر قد حكمت مرة أخرى بواسطة ملك قوى ونشـــيط . ويقص علينا أحمس بن ابانا كل هذه الأحداث بأسلوب ملك قوى ونشـــيط . ويقـــص علينا أحمس بن ابانا كل هذه الأحداث بأسلوب دقيق ولا يفوته أن يذكر لأنـــه اظـــهر شجاعة بالغة ، وأن الملك علم بذلك وأنه كافأه على بسالته . وكانت المكافآت التـــي تمنح أما الذهب وحلى على شكل الذبابة رمز الشجاعة والإصرار على القتال والكـــر والفر . وأما الترقية العسكرية ، وإما إهداء العبيد وهبات من الأراضي .

---

(١) مكانها الآن هو تل فرعه وهي المنطقة التي أطلق عليها بترى اسم " بيـــت بلث " في تقارير حفائره ، راجع : د. أحمد فخرى : المرجع الســابق ، ص ٢٥٧ حاشية (١) .

ويبدو أن أحمس بن ابانا كان سعيدا لتلك الأحداث التاريخية التى ساهم فيها لذلك سطرها على جدران مقبرته . ويتحدث فى بقية النص عن حملات الملك إلى بلاد النوبة (١) وسجلت النقوش ثلاث حملات قام بها الملك هناك . ومهما يكن من أمر ، فلا يمكن تحديد ما إذا كان حصار شاروهن قد تلا الاستيلاء على آفاريس ، أو أن ذلك تحقق نتيجة لحملة سريعة من الهجوم أولا ، ومن المحتمل أن أعمال الملك أحمس فى الشمال الشرقى قد تحققت فيما بين السنة السادسة والعاشرة من حكمه ، وكان ابان قادرا على أن يكرس جهوده لإعادة غزو بلاد النوبة ، غير أنه لم يعاود نشاطه فى آسيا حتى وقت متأخر من حكمه .

ولا يقص علينا أحمس بن ابانا أى غزو آخر فى آسيا خلال حكم أحمس . وبالإضافة إلى نقوش أحمس بن ابانا ، هناك أيضا نصوص مشابهة لها منها سطر ورد فى نقوش شخص يدعى أحمس بن نخبت (٢) ، الذى توجد مقبرته فى الكاب ، وبعض الإشارات توجد على اللوحات التى نقشت فى العام الثانى والعشرين بواسطة نفربرت فى محاجر المعصرة ، وكذلك ثلاثة سطور وردت فى نقوش لوحة للملك عثر عليها فى الكرنك فى جنوب الصرح الثامن والتى يدعو فيها أحمس مصر كلها إلى تكريم أمة اعح حتب التى لعبت دورا هاما أثناء حكمه .(٣)

ويقص علينا أحمس بن نخبت كيف أنه أمضى الوقت فى خيمة مع أحمس فى منطقة جاهى (٤) . واعتمادا على هذا النص رأى بعض المؤرخين أن أحمس اتبع استيلاءه على شاروهن بتغلغل فى عمق فلسطين .

وقد عاش أحمس بن نخبت حتى حكم الملوك الأوائل للدولة الحديثة وتوفى

---

(١) Goedicke, JARCE II (1974), p . 30 ; James , op . cit . , p .8

(٢) Helck , LAI , p . 110 .

(٣) Vandersleyen , op . cit . , p . 31 .

(٤) وهو تعبير جغرافى استخدم فى الدولة الحديثة لكى يشير إلى سوريا وفلسطين .

فى عهد حتشبسوت ، ولابد أنه كان صغير السن فى نهاية حكم أحمس ، ونادرا ما نراه يساهم فى الحملات فى النصف الأول من هذا الحكم .

فضلا عن ذلك ، هناك دليل على وجود حملة أخيرة إلى اسيا إشير إليها فى نص من العام الثانى والعشرين من حكم أحمس ، ويذكر أنه استخدم فى محاجر المعصرة نوعا من الثيران كانت عبارة عن جزء من جزية من الآسيويين .(١)

ويقص علينا " مانيتون " نهاية هذه الحرب بصفة عامة ، ويقول : " بعد أن هزم الأعداء لجأوا إلى الاحتماء داخل افاريس " ويقص أنهم استسلموا أخيرا بشروط وسمح لهم بترك مصر وكان هناك حوالى ٢٤٠ ألف جندى من الهكسوس قد تركوا مصر ، وعبروا الحدود الشرقية إلى البلاد التى قد جاءوا منها والمجاورة لفلسطين ، وتركزوا فى مدينة شاروهن ، ولكن لأنهم كانوا لا يزالون يمثلون - حتى ذلك الوقت - خطرا كبيرا يهدد مصر ، لذلك هاجمهم الملك وأستولى على شاروهن بعد حصار دام نحو ثلاثة أعوام ، ويبدو أن الهكسوس كانوا قد ضعفوا من الناحية العسكرية على الرغم من وجود عناصر أسيوية وغيرها بين صفوفهم ، ولم يتعود المصريون على فن حصار الحصون لذلك كان لابد لهم من وقت طويل حتى تحقق لهم النصر النهائى .(٢)

ونهاية سيطرو الهكسوس لم تسجل إلا فى قليل من النصوص الباقية ، ومن الصعب القول بأنها تحققت دون أن يكون هناك عدة حملات وبعض التضحيات . وإن كانت نصوص أحمس بن أبانا قد أظهرت أنه كان لابد من إعداد عدة هجمات قبل سقوط افاريس ، فأنها لا تخبرنا بأى شئ عن تطهير بقية أراضى الدلتا ، وعلى اية حال فان الاستيلاء على افاريس وطرد الهكسوس منها كان من شأنه أن يبعد التهديد الذى كانت تعانى منه الأسرات المحلية فى الدلتا .

---

(١) James , op . cit . , p . 9 .

(٢) Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p . 84

وهكذا نجح أحمس فى تحقيق طرد الهكسوس وتأمين حدود مصر الشـمالية الشرقية وسجلت نقوش أحمس بن أبانا ثلاث حملات قام بـها إلـى بـلاد النوبـة . واقتصرت الأولى على غارات لإظهار قوته ، وفى الثانية والثالثة استطاعت مصـر أن تستعيد نفوذها هناك ويعد هذا عاملا سياسيا هاما . وأصبح ملكا على مصر كلها ، ويبدو أنه لهذا السبب وضعه مانيتون على رأس أسرة جديدة وقـام الملـك بنشـاط معمارى كبير فى الداخل نراه فى تلك اللوحات التى خصصـها فـى العـام الثـانى والعشرين لذكرى إعادة افتتاح محاجر المعصرة والبقايا المعماريـة الأخـرى التـى تركها فى ابيدوس حتى الجندل الثانى .

ولاشك فى أن حكم الملك أحمس عد من الفترات الهامة فى تـاريخ مصـر القديم ، وذلك لأن المصريين شعروا هم أنفسهم بأهمية هذه الفترة لذلك يبـدأون بـه أسرة جديدة وعصرا جديدا ، ويعد من أمجد عصورهـم التاريخيـة نظـرا للـدور الشخصى الذى أداه أحمس مما ربط بين الأسرتين السابعة عشرة والثامنة عشرة .

وبهذا الانتصار ينتهى العصر الوسيط الثانى وتبدأ الدولة الحديثة أو الأسـرة الطيبية الثانية (١) . وقد رأينا أيضا كيف أن تاريخ العصر الوسيط الثانى لايزال غير معروف جيدا لكى يسمح لنا بأن نقدر النتائج التى أثرت على الفترة التى جاءت بعـد ذلك ، ولكن يبدو أن الضعف والانهيار فى نهاية الدول الوسطى قد هز البلاد بعنف ، وأصبحت القبائل الأسيوية تمثل خطرا كبيرا على مصر ، ولم يصبحوا مجرد جيران مشاغبين ، بل غزاة يطمعون فى أكثر من ذلك ، ولم تمنع تحصينات " الأمير " التـى شيدها ملوك الأسرة الثانية عشرة عبر خليج السويس ، تلـك القبـائل البدويـة مـن المجىء" لكى تسمح لقطعانها بأن تنهل من مياه النيل " .

وغزو الهكسوس فى حد ذاته قد أوضح مدى ضعف هـذه التحصينـات ، وأصبحت حدود مصر مهددة وهذا هو العامل الأساسى الذى سـوف يحـدد معـالم السياسة الخارجية لمصر فى الفترة التالية الهامة المليئـة بـالأحداث فـى الداخـل والخارج.

---

(١) بعد قيام الأسرة الحادية عشرة بحكم الاناتفة والمنتاحة فى طيبة .

عصر الدولة الحديثة

من الأسرة الثامنة عشرة حتى نهاية الأسرة العشرين

(١٥٨٠ - ١٠٨٥ ق.م)

عصر الازدهار والقوة العسكرية والتوسع الخارجى وتكوين مناطق نفوذ فى الخارج

الفصل الثانى

الأسرة الثامنة عشرة

(١٥٨٠ - ١٣٢٠ ق.م)[١]

عصر الانطلاق فى السياسة الداخلية والخارجية

مع بداية الأسرة الثامنة عشرة . وتبدأ صفحة جديدة فى المجد فى تاريخ مصر القديم فعندما تنتهى هذه الفترة فلن تصل مصر على الإطلاق إلى ذلك الازدهار والقوة التى وصلت إليها فى عصر الدولة الحديثة ، ولن يصبح تاريخها بعد ذلك إلا فترة ضعف طويلة تتخللها فترات يقظة ونهضة ولكنها لم تستمر طويلا ، ولكن قبل فترة الاحتضار الطويلة هذه ، التى يمكن أن نطلق عليها العصر الوسيط الثالث عرفت مصر فترة قوة ومجد إلا وهى الأسرة الثامنة عشرة ، وهى فترة تختلف كثيرا فى عدة نواحى عن الفترات التى سبقتها .

ويبدو أن إقليم طيبة هو الذى جنى أولا وقبل كل شئ كل ثمار تلك الفترة الطويلة من المجد ، فقد أصبح ذلك الإقليم المركز الإدارى لمصر ، بعد أن كانت العاصمة مركزة فى منف وأحيانا فى مصر الوسطى حتى العصر الوسيط الثانى .

---

(١) يعطى فون بكرات كتاريخ لهذه الأسرة ١٥٦٠ أو ١٥٥١ إلى ١٣٢٠ – ١٣٠٦ ق.م ، راجع : LAI , p. 970 .

وهذا التغير أو نقل المركز الإدارى لم ينبع من أية ضرورة جغرافية أو اقتصاديـة أو سياسية ، ونجد أن ملوك طيبة دانوا بالولاء لمدينتهم ومعبودها المحلـي امـون[١] ، وأرادوا أن يجعلوها فى مركز الصدارة ، وهكذا أصبحت طيبة عاصمة لمصر كلها ، لأنها موطن الأسرة الحاكمة الجديدة والآتون الذى انبعثت منه شرارة التحرير ، ولن تستمر فى هذا الدور إلا بفضل تلك القوة التى سوف يتمتع بها كهنة معبودها المحلـي امون فى داخل الحكومة المركزية منذ بداية الأسرة . وإلى جانب طيبة ظهرت أهمية مدن أخرى مثل منف للظروف السياسية الجديـدة والعلاقـات الخارجيـة . وكـان لمعبودها بتاح نفوذ كبير فى طيبة أيضا [٢] كما ظهرت أهمية أبيدوس [٣] وايونو [٤].

وإذا كانت الدولة الحديثة تختلف عن الفترات الأخرى للوحدة السياسية نظـرا لتغير العاصمة ، إلا أنها تمتاز أيضا باختلاف سياستها الخارجية . فقـد رأى ملـوك الدولة الحديثة أنه من الأفضل الاتجاه نحو اسيا على حساب الاتجاه نحو الجنـوب ، وذلك على عكس ملوك الدولة القديمة وأيضا ملوك الدولة الوسطى ، فقد أعتقد ملـوك طيبة أن سياسة تأمين الحدود الجنوبية قد حققت أهدافها وذلك بعـد الوصـول إلـى الجندل الرابع بالقرب من نباتا . فبينما كان الطابع العام للسياسة الخارجية فى عصـر الدولتين القديمة والوسطى ، هو الدفاع [٥] إذ بدأت الدولة الحديثة سياسة الـهجوم ، ، ويمكن أن نقول عنها أيضا سياسة دفاع وتأمين الحدود فى الوقت نفسه .[٦]

---

(١) عن هذا المعبود ، راجع : Otto , LAI , p. 237 – 248 .

(٢) Lalouette , L'Empire des Ramses , Paris (1985) , p . 146.

(٣) عن أهمية ابيدوس ، راجع : Von Beckerath , LAI , p . 29 – 42 .

(٤) راجع : Kakosy , LAII , p . 1111-1113 .

(٥) وهذا لا ينفى الغارات التى كان يقوم بها الجيش المصـرى فـى مواجهـة العدو .

(٦) وأود أن أشير هنا إلى أنه لم يكن هدف المصريين القدماء فى التوسع هـ إنشاء إمبراطورية كما تصور غالبية المؤرخين المحدثين فـى مؤلفاتـهم فنحن لا ننكر أن المصريين قاتلوا وحاربوا ودمروا كثيرا من

هذا الاتجاه كان جديدا فى مصر . فقد لاحظنا سابقا أن السياسة التقليدية لملوك مصر تجاه أسيا هو الحذر والدفاع . ولكن سياسة هذه باءت بالفشل بسبب طبيعة الأحداث نفسها ، وحدث الغزو الأجنبى لمصر ، ولأول فى تاريخها وعلى مدى أكثر من قرن ، قاست مصر من نير الاحتلال الأجنبى ، فأخذت تبحث عن طريقة تتجنب بها عودة مثل هذه الكوارث مرة أخرى ، وأعتقد ملوك هذا العصر أن التحرك والهجوم هما الوسيلتان الفضليان لمنع الغزوات المهينة التى تعرضت لها البلاد على غرار غزو الهكسوس فتركز اهتمامهم على الجيش وتنمية قدراته الدفاعية والهجومية ، وقد أثبتت الأحداث نفسها – صحة هذا الاعتقاد – وكانت هذه السياسة تتطلب اتصالات دائمة مع اسيا ، وكان لها رد فعل عميق على البلاد نفسها من الداخل ، وانعكس ذلك على نفوس المصريين فأصبحوا أمة منتصرة قوية بعد أن كانوا أمة منهزمة ضعيفة ، فأخذوا فى التقدم أكثر وبقدر الإمكان نحو الشرق لمواجهة القبائل الآسيوية المشاغبة الطامعة ، التى أخذت تتحد إلى حد ما مع الميتانيين ، وتدفع بواسطتهم لآثاره القلاقل على الحدود الشرقية لمصر . وهؤلاء الميتانيون ، هم الغزاة الآريون الذين استقروا بين نهر العاصى وأعالى نهر الفرات .

وتعرض الجيش فى ذلك الوقت لتغيرات أساسية بسبب اتصاله بآسيا

== المدن فى بقاع اسيا واسروا الكثير من أمرائها وأهلها وغنموا غنائم متنوعة ، ولم يكن هدفهم الرئيسى هو إنشاء إمبراطورية كما يحدث فى عصرنا الحديث أو إذلال شعوب تلك المناطق واستغلالهم ، إنما كان هدف المصريين هو تأمين حدودهم بعد المحنة التى أصابتهم من جراء غزو الهكسوس ثم هم أرادوا بعد ذلك تكوين جبهة قوية أو اتحاد بينهم وبين تلك الإمارات ضد أى عدوان على أقطار الشرق القريب من جراء تحركات بعض الشعوب فى وسط آسيا ، كما حدث من قبل غزوة جحافل الهكسوس التى كان اثرها السيئ واضحا على مصر كلها وعلى أمم الشرق القديم كله ؛ راجع : د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٥٥٧ – ٥٥٨ .

وبالجيوش والقوات الأجنبية فى بلاد الشرق القديم .

وسوف نرى أن هذه السياسة الجديدة تؤثر بعمق فـــى مظـــاهر الحضـــارة المصرية ، فحتى ذلك العصر وعلى الرغم مـــن الغـــزوات والتســـربات الأجنبيـــة السابقة ، إلا أن مصر عاشت على ثرواتها الطبيعية ولكن عندما بدأت تتدخل فى بلاد الشرق ، كان طبيعيا أن تتجاوب وتدخل فى اتصالات مباشرة مع الحضارات الكبرى فى آسيا ، ولم يغب عن أذهان الملوك ، الرواج الاقتصادى الناتج عن فتـــح أســـواق جديدة وتبادل للتجارة ، وجنى المصريون ثمار انتفاضتهم القوية عندما ابعدوا خطـــر الغزو الأجنبى ، وتغير المناخ السياسى فى البلاد الذى كان وليدا لمجهوداتهم الحربية أساسا ، وكان ينهمر على مصر فى كل عام سيل من الجزية المختلفة من ثروات تلك البلاد ، وكان المستفيد منها هو والملك والكهنة ، (وخاصة كهنة آمون رع)، وأيضا الضباط والجنود والموظفون الذين كان لهم نصيب فى موارد الدولة .

حافظت مصر بقدر الإمكان على أصالتها ويمكن القول " مصريتها " وسوف تخرج من كل هذه الاتصالات بنوع من التغير الشكلى ، فمصر التى كـــانت تحتفـــظ بذوق يمتاز بالوضوح والدقة ، واعتنقت نوعا من الثراء ذا طـــابع شـــرقى كليـــة . وأصاب الشعب نوع من الثراء خلال النصف الثانى من الدولة الحديثة ، وظهرا هـــذا التغير فى جميع المجالات فى الديانة ، فى العادات فى الأدب ، فى الملابس والزينـــة وفى حب الترف الذى ولد فى هذه الفترة والذى تطور بسرعة ، وفى الفن ، وليس لنا أن ناسف كثيرا على ذلك ، فالفن فى ذلك العصر ، وأن فقد القليل من قواعده وتقاليده إلا أنه اكتسب الكثير من الرقة والذوق وهنا تتجلى وتتضح عبقرية الفنان المصـــرى القديم .

وكان نجاح السياسة الخارجية، والاستقرار والتقدم فـــى الداخـــل ، يرتبـــط باتجاه ونوعية شخصية الملك الجالس على العرش . فمن المعروف أن أغلب ملـــوك هذه الفترة كانوا يتمتعون بقوة الشخصية . وكان لهم تأثير لا يمكـــن إنكـــاره علـــى مجريات التاريخ المصرى فى هذا العصر ، وكان الاتجاه السياسى متأثرا بصفاتـــهم وحسن تفكيرهم واستعادت الملكية بفضلهم هيبتها التقليدية القديمة، ولـــم يكـــن لـــهذا

الاتجاه تأثيرا حسن فى بعض الأحيان وعرفت مصر بسبب أخطـاء بعـض هـؤلاء الملوك أو ضعف بعضهم فترات انهيار أثرت على تلك الفترات الطويلة من المجد .

ويجب أن نذكر هنا أهمية آثار هذه الفترة وتتمثل فـى معـابد الطقـوس اليومية للمعبودات الكبرى أو مقاصير القوارب المقدسة لثالوث طيبـة مثـل معـابد الكرنك والأقصر ومعابد ومقاصير البر الغربى ومعابد جنائزية منتشرة على الضفـة الغربية وشيدت لتكريم ذكرى الملوك بعد وفاتهم . وتتمثل أيضا فى مقـابر الملـوك والملكات والأمراء والأشراف والعمال المنتشرة فى البر الغربى فـى طيبـة والتـى تعكس لنا الكثير من جوانب المظاهر الحضارية فى هذه الفترة الغنية .وقد تم اكتشاف ودراسة أربع وستين مقبرة ملكية حتى الآن فى وادى الملوك .[١] وهى تخص ملـوك وأمراء الأسرات الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين . ولكـن لا يصلـح منـها للزيارة سوى تسع عشرة مقبرة ملكية . ولا يزال هذا الوادى يحتفـظ بـالكثير مـن أسراره وأن فى باطنه مقابر لم تمسها يد الحفار بعد [٢] كما تم اكتشاف سبعون مقبرة للملكات فى وادى الملكات .وأعطيت لمقابر الملـوك والملكـات والأمـراء أرقـام مسلسلة [٣] . وهناك أكثر من ثلثمائة وسبع وخمسين مقبرة للنبلاء وكبار رجال الدولة

---

(١) د. صبحى بكرى :دليل آثار الأقصر ، ص ٦٠ ؛ د. سيد توفيق : المرجـع السابق ، ص ٢٦٣ (يذكر أن العدد يصل إلى ٦٢ مقبرة ملكيـة) .وكـان يطلق على وادى الملوك اسم " انت " أو " تا انت " اى وادى أو الـوادى ، راجع : د.سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٢٦٢ .

(٢) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٢٦٦ . وأطلق على وادى الملكـات اسم " تا – ست – نفرو " بمعنى مكان الجمـال أو المحاسـن ، راجـع : المرجع السابق ن ص ٣٢٠ ؛ وخاصـة : - Leblanc , Ta – Set – Neferou, Une necropole de Thebes Ouest et son histoire I., le Caire 1989, p. 14 – 16.

(٣) كان ويلكينسون هو أول من أعطـى أرقامـا مسلسـلة لمقـابر الملـوك والملكات ، راجع : د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٢٦٦ .

من وزراء وكبار كهنة وقواد للجيش وأطباء ومشرفين ورؤساء للخزانة وللشئون ومشرفين على المهن والحرف المختلفة فى القصر الملكى والإدارات والمعابد . وهذه المقابر موزعة على سبع جبانات هى : دراع أبو النجا ، الحوزة ، العساسيف ، الخوخة ، شيخ عبد القرنة ، قرنة مرعى ، الدير البحرى ، ويرجع أغلبها إلى عصر الدولة الحديثة حتى منتصف الأسرة السادسة والعشرين [1] . كما تم الكشف عن حوالى أربعمائة مقبرة للعمال تم حصر ودراسة حوالى أربع وخمسين مقبرة منها فى منطقة دير المدينة . وهى تخص رؤساء العمال والعمال والحرفيين (الخادم فى مكان العدالة) . وهم الذين أشرفوا على حفر ونحت وتلوين ونقش المقابر الملكية ومقابر الملكات والنبلاء ومعابد البر الشرقى والغربى . وهى ترجع إلى عصر الأسرة التاسعة عشرة حتى نهاية الأسرة العشرين . وقد تم إعطاء أرقام مسلسلة لمقابر النبلاء والعمال معا تبدأ برقم ١ إلى رقم ٤١١ .[2]

وقام مالك بحصر عدد الجبانات من عصر الدولة الحديثة حتى العصر الوسيط الثالث ولكن حصر حوالى ٥٩ جبانة موزعة بين وادى الكوبانية والواحات البحرية .[3]

الملوك الكبار للأسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠ – ١٣٠٨ (؟) ق.م) :

كما رأينا أنه لايوجد فاصل واضح بين الأسرة السابعة عشرة والثامنة عشرة فآخر ملوك الأسرة السابعة عشرة أحمس هو فى الوقت نفسه أول ملوك أسرة

---

(١) عن المناطق الأثرية فى شيخ عبد القرفة ، راجع : K . Weeks , LAV , p . 551 – 555 .

(٢) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٤٦ – ٣٥٩ ، ٣٦٠ – ٣٩٠ . وهناك ثلاث مقابر مؤرخة ما بين الأسرة السابعة حتى العاشرة ، وهى أرقام ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٤٠٥ ، راجع : د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٧٣ – ٣٧٤ ، ٣٩٠ . وبذكر فانديه مقبرة واحدة هى رقم ١٨٦ .

(٣) =Vandier , Manuel d'archéologie II , p. 318 .

الثامنة عشرة . فتغيير الأسرة يمكن تفسيره بسقوط آفاريس الذى يعنى نهاية الاحتلال الأجنبى وإعادة وحدة البلاد السياسية من جديد .وقد استمرت الأسرة الثامنة عشرة أكثر من قرنين ونصف قرن على عرش مصر ، وهى تعد فترة طويلة إلى حد ما ، تعاقب على عرشها اثنا عشر ملكا من ملوكها ، وكان أولهم بطبيعة الحال:

=وخمس عشرة مقبرة مؤرخة من عصر الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة ، وهى أرقام : ٦٠ ، ١٠٣ ، ٢٤٠ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٣٠٨ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٩ ، ٣٦٦ ، ٣٨٦ ، راجع : د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٣٧٧ ، ٣٨٠ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ .

وثمان وعشرين مقبرة من عصر الأسرتين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين ، وهى أرقام : ٢٧ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٦٠ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٩ ، ٢٢٣ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٧٩ ، ٣١٢ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٤٠٤ ، ٤٠٧ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، راجع : د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٦٢ ، ٣٧٠ ، ٣٧٤ – ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ٣٨٣ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ .

ومقبرة واحدة من العصر البطلمى هى رقم ٣٨٠ ، راجع : المرجع السابق ، ص ٣٨٨ .

وعن عمارة أشهر مقابر الملوك والملكات وبعض الأمراء فى عصر الدولة الحديثة ، راجع : Vandier , Manuel d'Archéologic 11 , p . 223 – 247 Fig 157 – 174 .

وأيضا د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٣٣ – ٤٣٨ أشكال ١٦٤ – ١٩٨ ؛ وبتفضيل أكثر راجع د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٢٦١ – ٣٢٩ أشكال ٤٨ – ٧٣ ، وبطريقة مختصرة جدا تحدث فيها د. بكرى عن المقابر المسموح بزيارتها راجع د. صبحى بكرى : دليل اثار الأقصر ، ص ٦٠ – ٦٩ ، ٩٤ – ٩٥ . وعن المناظر=

نب بحتى رع – أحمس (١٥٧٦ – ١٥٥١ ق . م) :[١]

وهو أول ملوك الأسرة الكبار ، وقد أطلق عليه مانيتون اسم " أموزيس – Amosis " (= إعح – مسو) الذى يعنى " المولود من القمر أو القمر ولده " وقد أرتقى العرش فى حوالى ١٥٧٦ ق.م . وكان يبلغ سن السادسة عشرة . وكان ابنا

=المرسومة أو المنقوشة على جدران أشهر المقابر الملكية فى البر الغربى مثل المناظر التى تمثل الملك مع معبودات عالم الآخرة أو مناظر تمثل نصوص ومناظر بعض الكتب المقدسة مثل كتاب ما يوجد فى عالم الآخرة (إمى دوات) ، وكتاب البوابات ، وكتاب الكهوف وكتاب الرض (أكر) ، فصول من كتاب الموتى خاصة الفصول ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٤٥ ، ومناظر تمثل مراحل طقوس فتح الفم ، ونصوص أسطورة هلاك البشر ، ونصوص أناشيد رع وأشكال ميلاد رع اليومى والمتجدد .

راجع د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٢٩ – ٣٤٣ أشكال ٧٤ – ٧٦ . وعن عمارة أشهر مقابر الأشراف والنبلاء سواء تلك التى أتبعت الطراز والأسلوب المعمارى السائد فى عصر الدولة الحديثة أو التى شذت عن هذا الأسلوب وهذا الطراز ، راجع د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٤٦ – ٤٢١ أشكال ٧٧ أ – ٩٦ ، د. صبحى البكرى : المرجع السابق ، ص ٨٤ – ٩٣ Vandier , op . cit . , II , p . 358 – 368 Fig . 247 – 256 .

وعن عمارة أشهر مقابر العمال سواء بالنسبة للمقابر المشيدة على أرض مسطحة أو بالنسبة للمقابر المنحوتة فى الصخر راجع د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٤٢١ – ٤٣٦ أشكال ٩٧ – ١٠٢ ب ، د. صبحى البكرى : المرجع السابق(٦) ، ص ٩٣ – ٩٤ . Malek,LAIV, p.427-439.

(١) عن هذا الملك ، راجع : Vandersleyen , LAI , p . 99-101 .

لسقنن رع تاعا الشجاع وزوجته إعح – حتب ، وعندما تولى مقاليد الحكم ، تزوج من التى كانت تحمل لقب [١] . والتى كانت تسمى مثل أحمس وأضافت إلى هذا الاسم

------

(١) فى الواقع أن لفظ أخت هنا لا يعنى أختا بالمعنى المفهوم . ففى النصوص التى تعبر عن أشعار الحب والغزل . نجد أن الفتى ينادى محبوبته بلفظ " يا أختى Snt.i " وتناديه هى بلفظ " يا أخى – Sn . i " وبعد الزواج يستمر الرجل فى مناداة زوجته بكلمة سونت بمعنى اخت بجانب استخدام لفظ حمت " زوجة " ولفظتى سن " أخ " وهاى " زوج " للزوج ، ويبدو أن المؤرخين الإغريق هم أول من أساءوا فهم كلمة أخت بالنسبة للزوجة وتبعهم كثيرون من المؤرخين الحديثين ، واعتقدوا ان الزواج بين الأخوة كان شائعا فى مصر القديمة . ولكن نعلم أنه عندما سأل قمبيز القضاة الملكيين المصريين إذا كان القانون المصرى يسمح لمن يشاء بالزواج من أخته ، فأجابوه بأنه لا يوجد قانون يسمح بذلك ، ولكن يوجد قانون آخر يعطى الملك الحق فى أن يفعل ما يشاء . وحتى الآن لا نجد فى النصوص المصرية فردا مصريا واحدا من طبقة النبلاء أو من عامة الشعب قد تزوج من أخته ، راجع :

بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ١٩٦٥ ، ص ٢٦٥ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٢٥ – ٤٢٨ ؛ وأيضا : , Drioton - Vandier L'Egypte (éd . 1952) , p . 338 n . (1) ; Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p . 108 ; Lalouette, L'Empire des Ramsès , Paris (19085) , p . 466 – 467 n . 25 et p . 468 .

ويبدو أن المعنى المقصود به هنا لكلمة سنت " المشاركة له أو الرفيقة له أو المرتبطة به " وكلمتى سن وسنت التى تعنيان أخ وأخت قد تعنيان فى بعض الأحيان " أعضاء جماعة " وفعل سنسن يعنى "يتحد أو يرتبط بـ " راجع : بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٤٦٤ حاشية (١٥) . ومما يؤكد هذا المعنى أن المرأة الثكلى تودع زوجها بهذه الألفاظ :" يا أخى ... يا ==

لقب " نفرتارى " التى يعنى " الرفيقة الجميلة " ومن هذا الزواج انجب ولده " امنحتب الذى سوف يخلفه على العرش .

ويلاحظ أن أسماء أفراد العائلة : إعح حتب ، أحمس وزوجتـــه أحمـــس – نفرتارى وغيرهم تتصل بالقمر الذى عبد فى الأشمونين وربما كان أصل هذه الأسرة من الأشمونين وقد استقرت فيما بعد فى طيبة .

ولا نعرف على وجه التحديد ما هى أبعاد السياسة الداخلية التى قـــام بـــها الملك أحمس ، وكان عليه تكوين دولة جديدة فى ظروف جديدة ولدت بحكم الأحـداث نفسها ، ونعلم أنه لم يستقر فى منطقة الفيوم كما فعل من قبل الملك أمنمحات الأول ، واحتفظ بطيبة كعاصمة لملكه .

وعن أعماله الداخلية فأننا لا نعرف أى شئ سوى أنه اهتم بترميم العديد من المعابد وقام بتشييد المقاصير للمعبودات الأخرى ، وكأنما كان يريد أن يثبت بذلك كل عرفانه بالجميل تجاه المعبودات التى ساعدته فى تحقيق هذا النصر ، وابتداء من هـذا العصر أصبحت الديانة تتداخل أكثر فأكثر فى السياسة وأصبح الاعتقاد الســائد فــى مصر ، هو أن المعبودات وخاصة المعبود " آمون " هو الذى ســاعد الملــك علــى تحقيق النصر على أعدائه ، وليس الملك وحده هو الذى هزم الأعداء ، وسوف نرى

== زوجى ... يا حبيبى ... أبق " ، راجع : المرجع السابق ، ص ٤٣٧ .وقـد استخدم لفظ سنت " أخت " فى أكثر من مجال بهذا المعنى ، ففـــى بردية اليأس من الحياة ، نجد أن الرجل يخاطب روحه بالنظر" أيتـــها الأخـت " وتجيبه هى بقولها " رفيقى وأخى " ، راجع : د. عبـــد العزيــز صـــالح : الشرق الأدنى القديم ، الجـــزء الأول : مصـــر والعـــراق ، ١٩٧٩ ، ص ٣٤٥ – ٣٤٧ ؛ واستخدم فى مراسلات تل العمارنة بمعنى "حليف"راجـع : Mayani , les Hyksos et le Monde de la Bible , p . 110 . وفى الرسالة التى أرسلتها الملكة نفرتارى إلى ملكة الحيثيين بعـــد توقيـع معاهدة السلام بين مصر وحيثا ، تقول لها فيها " يـــا أختـــى " ، راجـــع : د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٧٣٠ .

فيما بعد مدى تأثير هذا الاعتقاد على الملكية نفسها ، وسوف نرى أيضا أن الملكيـة المصرية بدأت تتجه أكثر فأكثر نحو ملكية مقدسة حقيقية حتى اللحظة التـى سـوف ينجح فيها كبار كهنة امون فى أن يصبحوا الأسياد الحقيقيين للبلاد .

وقد ساعدت عامة الشعب الملك فى تحقيق الاستقرار والهدوء فى الداخل فقد بعث فيهم الانتصار الحمية والإيمان بمستقبل البلاد . وفى مثل هذه الحالـة لنـا أن نتخيل أن الملك حاول أعاده تنظيم البلاد من الداخـل التـى أضعفتـها الحـروب ، واستطاع بذكائه ونشاطه أن يحقق لمصر نوعا من الرخاء ، ويكمل علينـا الضـابط نفسه أحمس بن ابانا نفسه قائلا فيما يخص الملك أحمس :

" بعد أن قضى جلالته على الأسيويين ، صعد مجرى النيل حتى خنت – إن – نفر (بعد الجندل الثانى) لكى يقضى على القبائل الصحراوية فى بـلاد النوبـة ، ونجح فى القضاء على أغلبهم ، وبعد ذلك نزل جلالته مجرى النهر ، سعيدا بنصـره العظيم لأنه هزم من هم فى الشمال ومن هم فى الجنوب أيضا "(١) .

وهكذا أكمل أحمس سياسته كموحد ، وذلك بربط بلاد النوبة بمصر ، التـى كانت قد انفصلت عنها أثناء العصر الوسيط إلى حد أنـها انضمـت إلـى صفـوف الهكسوس ، ويبدوا أنه أثناء فترة حكمه أخذ الثوار يتوالون على بلاد كوش وأضطـر لمواجهة هذا الأمر بالقيام بثلاث حملات ، وهى ثورات أشعلها فى الأصل المتعاونون مع الهكسوس ، ويبدو أنه وصل إلى جزيرة ساى التى تقع بيـن الجندليـن الثـانى والثالث .وبعد عدة سنوات ؛ ومن المحتمل فى حوالى العام العشـرين مـن حكمـه أضطر الملك إلى الذهاب مرة أخيرة إلى سوريا ، وذلك لكى يقضى على العنـاصر الباقية من قوات الهكسوس ، ووصل حتى جاهى فى شمال فلسطين وفينيقيا . ولانعلم أى شئ بالتفصيل عن هذه الحملة ، إلا أنه عاد منها بعدد من الأسرى الذين عملوا فى محاجر الأحجار الجيرية فى طره فى مواجهة منف ، وتقص النقوش :

" إن الخوف الذى يثيره كان يملأ بلاد سوريا " والقبائل التى كانت تقترب

---

(١) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p . 94 .

منه كانت " تقترب بخطى يملؤها الخوف وتسرع إحداها وراء الأخرى في صالة الاجتماعات "(١) .

وهكذا امتازت تلك الفترة التي عاشتها مصر بما يسمى الدفاع الوطني إذ اشترك المصريون جميعا في الزود عن الوطن ، وتأججت في نفوسهم الرغبة في الانتقام والاعتزاز بتحرير أرض مصر ، وتمثل ذلك في خروجهم في تلك الحملات إلى الشرق لكي ينتقموا لأنفسهم كلما واتتهم الفرصة .

أقام الملك " أحمس " لوحة كبيرة في الكرنك (٢) ذكر عليها الكثير من أوجه نشاطه وما قامت به أمه اعح حتب ، وإسرافه في الاهتمام بدور العبادة وغيرها من المنشآت ، وذكر نفربرت " حامل خاتم الملك " نشاطه في محاجر طره على لوحتين(٣) ، جاء ذكر اسم زوجته أحمس – نفرتاري – على إحداهما ، وعثر على لوحة ثالثة في العرابة المدفونة عليها نقوش تبين حب الملك أحمس لجدته تيتي شيري .(٤)

أما عن مقبرة الملك أحمس فلم يعثر عليها أو يتعرف أحد عليها حتى الآن(٥) ، وإن كان يغلب على الظن أنها لابد أن تكون قريبة من مقابر ملوك الأسرة السابعة عشرة ، ولكن عثر على مومياته ضمن المومياوات التي عثر عليها في خبيئة الدير البحري عام ١٨٧١ ، ومن فحصها تبين أنه بلغ سن السبعين أو أقل من ذلك عند وفاته ، وقد توفي عام ١٥٥١ ق.م أي بعد أن حكم حوالي خمسة وعشرين عاما

---

(١) Id . , op . cit . , p . 95 .

(٢) Meyer , Geschichte des Altertums II , p . 54 – 55 .

(٣) Breasted , AR II (27) .

(٤) Aryton , Currelly and Weigall , Abydos III ,pl .52 .

(٥) وأن كان يغلب على الظن أنها لابد أن تكون في منطقة قريبة من مقابر ملوك الأسرة السابعة عشرة في دراع أبو النجا، راجع : د. أنور شكري : العمارة في مصر القديمة ، ص ٣٩٧ .

طبقا لمانيتون ، وكان ملكا قوى البنية عريض الكتفين متوسط الطول .

وقد أصبح أحمس وولده امنحتب الأول محل تقدير وتقديس من أهل طيبة ورأوا فى شخصيتهما ما دعاهم إلى التبرك بتصويرهما داخل مقابرهم بعد وفاتهما بعدة قرون .

كان لأحمس أولاد وبنات : مريت امون ، سات امون ، اعح حتب ، وسات كامس أما الأبناء فهم سابا إيرى أحمس ، سا أمون وأمنحتب .ومن بين كبار الموظفين الذى عاشوا فى عهده نائب الملك لبلاد كوش المدعو "سنى " الذى عاش حتى عصر الملك تحوتمس الثانى ، وأيضا تيتى كى الذى كان رئيسا للمدينة الجنوبية أى طيبة وفى مقبرته رقم ١٥ فى جبانة دراع " أبو النجا " مناظر تمثل الحياة اليومية والاجتماعية . ولاننسى أيضا كبار قواده العسكريين أحمس بن ابانا الذى كان رئيسا للبحارة وعاش حتى حكم أمنحتب الأول ، وأحمس بن نخبت الذى عمر حتى عهد تحوتمس الثالث وكان يحمل لقب مربى الأميرة نفرورع ابنة حتشبسوت [١] ، وقد عثر على مقبرتيهما فى الكاب .

دور الملكات الثلاث فى الحياة السياسية :

من النصوص القليلة الباقية من بداية الأسرة الثامنة عشرة ، يتضح أن دورا كبيرا قد لعب فى تاريخ الدولة الموحدة الجديدة بواسطة ثلاث ملكات هن : تيتى شرى جدة أحمس ، إعح حتب أمه ، وأحمس – نفرتارى زوجته [٢] ويبدو أن دورهن كان له تأثير بعد ذلك بالنسبة للنساء اللاتى كان لهن دور فى قيادة البلاد بعد أمثال

---

(١) James , Egypt : From the Explusion of Hyksos , Cambridge Ancient History (1965) , p . 19 – 22 ;

وأيضا : د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ١٩٦٦ ، ص ٥١٣ .

(٢) James , op . cit ., p. 20 .

حتشبسوت .

تيتي شري: [١]

ولدت من والدين لا يجرى فى عروقهما الدم الملكى ، ومن المحتمل أنها كانت زوجة لسقنن رع تاعا الأول وأم سقنن رع تاعا الشجاع الثانى . وقد عاشت خلال الأوقات العصيبة فى نهاية الأسرة السابعة عشرة . وكما عاشت بعد زوجها وابنها وحفيدها كامس ، وتوفيت خلال حكم الأخير . وكانت محل تكريم بوجه خاص خلال النصف الأول من حكم ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، ومن المحتمل أنها عدت المؤسسة للسلالة الملكية الفاتحة . وكان أحمس نشطا فى نشر ذكراها ؛ ففى السنوات الأولى من حكمه ، كانت لا تزال جدته على قيد الحياة ، وعندما توفيت دفنت فى طيبة فى مقبرة خاصة بها ، ونقلت المومياء من تلك المقبرة فيما بعد بعدة قرون لكى توضع فى مكان اخر آمن ، وهى الآن بالمتحف المصرى .

وقد ظهرت مشتركة مع أحمس على أكثر من اثر منها ما هو موجود الآن فى المتحف البريطانى واثار أخرى من العصر المتأخر كانت مخصصة فى الأصل لاعح حتب وأحمس نفرتارى . وقد شيد لها الملك مقبرة رمزية فى جنوب الجبانة القديمة لملوك ثينى فى أبيدوس . وقبيل نهاية حكمه قرر الملك أن يوسع من هذه المقبرة بإضافة هرم وقدس أقداس عثر على بقاياهما . وعثر على لوحة فى العرابة المدفونة ظهر بر أحمس بجدته تيتى شرى وكان يتحدث مع زوجته أحمس نفرتارى عن فضل جدتهما وتخليد ذكراها [٢] . وتقص علينا نقوش هذه اللوحة الأعمال التى قام بها وتعطينا صورة واضحة عن ذلك العصر وتحدثنا بلغة أدبية استخدمت فى

---

(١) وعن هذه الملكة ، راجع : Vandersleyen , LA VI , p . 458-459.

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢٦٢ . توجد هذه اللوحة الآن بالمتحف المصرى تحت رقم CG 34002 راجع : - Saleh Sourouzian , Official Catalogue . The Egyptian Museum Cairo No . 118 .

بعض النصوص الملكية لهذه الفترة ؛ كيف أن أحمس رغب فى تكريمها إلى أقصى حد ، وبالإضافة إلى مقبرتها ومقصورتها خصص لها هرما ومقصورة أخرى فى ابيدوس زودت ببحيرة وحدائق وأراضى وقف وأشخاص وكهنة وكل ما يلزم ، وأسست مقاطعة باسمها فى منطقة منف حيث يقول :

" يحدث فى بعض الأحيان عندما يكون جلالة الملك أحمس جالسا فى صالة الاجتماعات فى القصر مع جلالة الملكة أحمس نفرتارى ، وأن يتحدث الملك إليها عن فضائل من هم هناك (أى الموتى) وعن القرابين والأنواع التى يجب أن تقدم على موائد قرابينهم ، عندئذ تقول له زوجته " لما تتذكر هذه الأشياء ؟ لما تردد هذه الكلمات ؟ ما الذى يجول فى تفكيرك ؟ وعندئذ ذلك يقول لها الملك " لقد فكرت فى جدتنا الملكة تيتى شرى ، على الرغم من أن مقبرتها الفعلية فى طيبة والرمزية فى ابيدوس ، أقول لك هذه الأشياء لأننى أرغب فى أن أقيم لها هرما وقدس أقداس أيضا هبة لذكرها ، وتحفر حوله بحيرة مقدسة محاطة بالأشجار وسوف يأتى الناس ليقدموا القرابين إليها ، وسوف يزود المعبد بالكهنة والأراضى والقطعان ، وسوف يخصص له كهنة جنائزيون وكهنة للطقوس يعرف كل منهم (وجبه) " . ولم يكد يذكر هذه المنشات إلا وقد تم الإسراع بتشييدها وقد قام جلالته بذلك لأنه كان يحب جدته أكثر من أى شخص آخر . ثم جاء جلالته ليبسط ذراعيه ، ويحنى رأسه لكى يحييها ، ولكى يتلو الدعوات الجنائزية الخاصة بالملوك ولكى يقدم القرابين للمعبودات .(١)

ويمكننا أن نشعر من خلال تلك الوثائق أنها كانت امرأة لها شخصيتها القوية المؤثرة .(٢)

---

(١) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p . 95 .

(٢) وإن كان ذلك يتعارض مع مظهرها الرقيق وهى صغيرة ، فنحت لها تمثال صغير موجود الآن بالمتحف البريطانى .

إعح حتب :[١]

احتلت هذه الملكة فى الجزء المبكر من حكم الملك أحمس – ربما بعد وفاة تيتى شرى ومن المحتمل قبل أن تصبح أحمس نفرتارى زوجته – منزلة خاصة كسيدة للبلاد كلها ، وتقص علينا لوحة الكرنك التى تتشابه فى الاسم مع لوحة كامس من الكرنك أيضا ، والمؤرخة من بداية حكم أحمس أبعاد الدور الذى أدته ، ففى فقرة تجذب الانتباه ، وصفت بأنها : " اعتنت بمصر ، وبحثت عن جنودها وحافظت عليها ، وأرجعت هاربيها وجمعت شارديها ، وأمنت مصر العليا وطردت عاصيها "[٢]

وتبين هذه الكلمات أن إعح حتب فى – فترة عصيبة – أمسكت بزمام الأمور ، وأعادت النظام والاستقرار فى مصر عندما سادها القلق والاضطراب ، ومن المحتمل أن ذلك حدث بعد وفاة سقنن رع أو كامس . وهذه التعبيرات المحددة بطريقة غير عادية تعنى أن تصرفها كان ضروريا لتدعيم الملكة الموحدة فى فترة طرد الهكسوس . وربما أدت الشريط فى الحكم مع أحمس فى بداية حكمه ، وهذا ما يفسر ارتباط اسمها باسمه على بوابة عثر عليها فى بوهن فى الجنوب .

ويبدو أنه كانت لها السيطرة العليا فى مصر ، وكانت تلقب بلقب "سيدة الحاونبوت [٣] " وكان اسمها رفيع القدر فى كل البلاد الأجنبية ، وهذا الازدواج فى

---

(١) عن هذه الملكة ، راجع : Seipel , LAI , p. 98 – 99 .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٦٢ حاشية (٣) ، ٢٦٣ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٩٤ – ١٩٥ .

(٣) أمكن حديثا تحقيق هذا الاسم بالسكان الذين كانوا يقيمون قديما فيما وراء الحدود الشمالية، راجع : Meeks ; Alex .I (1977) . p . 234 . ، بينما يرى د. زايد (فى مصر الخالدة ، ص ٣٨٠ حاشية ٦٨) أنهم سكان السواحل الآسيوية .

السيطرة يرجع إلى أن حروب أحمس أدت به إلى الخروج عبر الحدود ، فقد حاصر افاريس وشاروهن ، وتوغل بعمق فى اسيا ، وكل هذه الحملات جعلته يغيب عن مصر لمدة عدة سنوات متتالية .(١)

وفى هذه الأثناء كان على الملكة أن تدير شئون البلاد والمناطق التى حررت بواسطة أبنها وهذه السلطة لم تكن اسمية ولكن مارستها بالفعل فهى كانت " تباشر أعمال الشعب العادية" فى كل المناطق التى خضعت لإمرتها .(٢)

وعندما توفيت زود متاعها بأشياء ثمينة ، يحمل الكثير منها اسم أحمس واسم موظفا يدعى " كارس " الذى وصف نفسه كرئيس أعمال إعح حتب ، وهناك نص من العام العاشر من حكم أمنحتب الأول ، عرض فيه مظاهر التكريم المختلفة التى منحتها له الملكة . وقد استخدم هذا النص لكى يثبت أن الملكة إعح حتب عاشت حتى السنة العاشرة من حكم خليفة أحمس . وهناك رأى يعتبر إعح حتب التى خدمها كارس زوجة لأمنحتب الأول وليست أما لأحمس .

ومن عصر الملك أمنحتب الأول نعرف اسم المشرف على شئون الزوجة المقدسة والأم الملكية إعح حتب " حرى " صاحب المقبرة رقم ١٢ فى دراع أبو النجا .(٣)

وهناك نص مؤرخ من العام العاشر من حكم أمنحتب الأول يقص علينا أن الملكة المسنة إعح حتب التى كانت تبلغ فى ذلك الوقت خمسة وسبعين عاما ، قد قدمت هبة إلى رئيس ديوانها الأمير كارس الذى تحدثنا عنه سابقا ، بأن أمرت بأن تعدله مقبرة فى ابيدوس ، اعترافا بكل الخدمات التى أداها للملكة (٤) . ونظرا للطابع

---

(١) Vandersleyen , Les Guerres d'Amosis , p . 175 .

(٢) Vandersleyen , op . cit . , p . 176 .

(٣) عن أرقام هذه المقابر ، راجع : د. سيد توفيق : تاريخ العمارة فى مصر القديمة : الأقصر ، دار النهضة العربية ١٩٩٠ ، ص ٣٦٠ – ٣٩٠ .

(٤) Weigall , op . cit . , p . 98 = Urk IV , p . 45 – 49 .

الإنسانى الذى يحمله هذا النص فمن واجبنا أن نذكره هنا :

" أمر من الملكة الأم إعح حتب إلى الأمير كارس ، أن الملكة الأم تأمر بأن تحفر لك مقبرة فى ابيدوس ، اعترافا بكل خدماتك وبكل افضالك ...وقد فعلت الملكة الأم هذا من أجلك ، باعتبارك الشخص الذى فضلته ، لأنك الصديق الحقيقى للملكة ، الذى أفضت إليه بأسرارها ، والذى كان على علم بعاداتها ، والذى يرتب أعمالها فى القصر ، والذى يحل كل الصعاب ، والذى يجعل الأمور المؤلمة ملائمة ومبهجة ، وهو أحد الذين تعتمد عليهم الملكة لاتخاذ قراراها ، الذى يبحث عن العدالة ، الذى يفهم مسائل القلب ... حسن الكلمة ، متحفظ النفس ، الذى يدير القصر وهو ممسك اللسان مما يسمعه فيه ، لا يمنح لنفسه أية تسلية بالليل أو النهار . وأنه الرجل الذى يحب الحقيقة ، أمين للغاية ، حكيم فى قراراته الذى يحمى الضعيف ، الذى يدافع عمن لا حامى له ، ذو الكلمة التى ترضى المتخاصمين وتؤدى إلى الصلح بينهما ، وهو أيضا عادل كالميزان "[١] .

أحمس نفرتارى :[٢]

كانت زوجة لأحمس ومن دم ملكى ، وكانت ممن يحملن لقب الأخت ، وقد ظهرت مع زوجها على كثير من الآثار ، ففى النص المؤرخ من العام الثانى والعشرين فى المعصرة نجدها مشتركة بكثرة مع أحمس وذكرت فى أكثر من نص ، وفى نقش ابيدوس الذى سجل فيه أحمس رغبته فى تكريم ذكرى جدته تيتى شرى نجد أن أحمس نفرتارى تشترك فى تخطيط المقصورة والهرم . وقد عثر على اسمهما فى شبه الجزيرة سيناء ، وكذلك فى أقصى الجنوب فى جزيرة ساى بالنوبة .

وقد عثر على لوحة غريبة فى الكرنك تصور أحمس تصاحبه زوجته وابنها أحمس – عنخ ، وهم يقدمون القرابين إلى المعبود آمون رع . ويوجد خلف صورة

---

(١) Weigall , op . cit . , p . 98 = Urk IV , p . 46 .

(٢) عن هذه الملكة ، راجع : Gitton , LA I , p . 102 – 109 .

المعبود نص يتحدث عن التنازل أو بيع وظيفة الكاهن الثانى لآمون رع نظير راتب عينى فى شكل بضائع قدرت قيمتها بالذهب . ولسوء الحظ فقد الجزء الذى يصف طبيعة التدرج فى هذه الوظيفة . والمعنى غير واضح هل كانت هذه الوظيفة تمنح أو تباع للملكة أو لشخص آخر ؟

وفى المنظر الذى فى أعلى النص نرى الملكة فى حجم الملك نفسه وصورة المعبود آمون [١] . وفى موضع آخر فى النص نجد إشارة للمكانة الخاصة لوضع الملكة ، ويفهم من ذلك أن تأثيرها خلال حكم زوجها أحمس لم يكن أقل من تأثير تيتى شرى وإعح حتب ، وربما كان ذلك سببا فى أن شهرتها قد تعدت شهرة سابقيها .

وقد عاشت خلال حكم ابنها أمنحتب الأول ، وظلت السيدة الأكثر مكانة فى مصر ، وشيدت لنفسها مقبرة ومعبدا جنائزيا وكان يحمل اسم Mn - swt [٢] .

وأصبحت فى العصر المتأخر محل تقديس مع ابنها أمنحتب الأول [٣] . نالت تقديرا خاصا فى جبانة طيبة فى حى الفنانين فى دير المدينة .

ويبدو أن الطابع السرى للبيت المالك فى تلك الأسرة كان ذا أهمية كبيرة من ذلك الوقت ، كما يبدو أن المصريين حتى هذه الفترة بدأوا يلجأون إلى إحياء عاداتهم القديمة كرد فعل ضد ما خلفه عهد الاحتلال الأجنبى من إهمال للشعائر الدينية ، وأصروا بوجه عام على إظهار دور المرأة وخاصة الأم كربة فعلية للأسرة . وهكذا نرى تيتى شرى وابنتها إعح حتب تحظيان بالتكريم غير العادى ، وأحيطت الملكة الحالية أحمس نفرتارى باحترام عظيم وأصبحت محل تقدير فيما بعد كسلف مقدس وكأم للأسرة أيضا . ولقد ولدن من دم ملكى ، وربما كن يمتلكن السلطة الملكية مثل

---

(١) Allam , Everyday life in Ancient Egypt , Cairo (1985) .p . 103 .

(٢) Helck , LA V , p . 7 .

(٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٦٤ .

أزواجهن وأصبحت هؤلاء الملكات نماذج للسلطة النسائية والملكية المصرية المؤنثة التى اثرت بفاعلية فى تاريخ مصر القديم فى القرون التالية ، فبالإضافة إلى حقهن الوراثى ، فقد اكتسبن قوة دينية بارتباطهن الوثيق بآمون رع معبود الدولة الرسمى والأسرة الجديدة ، واصبحن يلقبن بلقب " الحرم المقدس لآمون رع " وذلك فى بداية الأسرة الثامنة عشرة ، وكانت الملكتان : إعح حتب وأحمس نفرتارى أول اثنتين حملتا هذا اللقب . وفى العصر المتأخر كانت تحمل هذا اللقب بعض الأميرات وليست الملكات . وأصبح هذا اللقب أيضا له دوره السياسى الهام.(١)

خلفاء الملك أحمس وبقية ملوك الأسرة :

نعود إلى الحديث عن خلفاء الملك أحمس وبقية ملوك الأسرة الكبار ، وهم :

جسر كارع – أمنحتب الاول حقا واست (١٥٥١ – ١٥٣٠ ق.م) :(٢)

ابن أحمس ، وكان يبلغ من العمر حوالى عشرين عاما عندما خلفه على العرش عام ١٥٥١ ق.م ، وطبقا لرأى آخر على حساب فلكى لتاريخ التقويم من بردية إيرس الطيبة . أمكن تحديد السنة التاسعة من حكم أمنحتب الأول بعام ١٥٣٧ أى أن السنة الأولى من حكمه هى عام ١٥٤٦ ق.م . وقد أعلن أحد موظفى طيبة ويدعى امنمحات فى نقوش مقبرته أنه خدم فى الوظيفة نفسها لمدة واحد وعشرين عاما تحت حكم أمنحتب الأول . والتواريخ التى أعطيت بواسطة مانيتون تؤكد مدة الواحد والعشرين عاما هذه أو اكثر بقليل ، وهى أيضا الفترة التى تقع بين ١٥٥١ – ١٥٣٠ ق.م .(٣)

---

(١) يرجع أصل هذا اللقب إلى الأسرة السابعة عشرة والأسرة الثامنة عشرة ، راجع : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٦٠٨ .

(٢) عن هذا الملك ، راجع : Hornung , LA I , p . 201 – 203

(٣) James , Egypt : From the Expulsion of the Hyksos to Amenophis I , Cambridge Ancient History (1965) , p . 22

وتوفى ابن أحمس الأول الأكبر سابا ايرى أحمس قبل أن يصل إلى العرش ، فجاء من بعده أخوه أمنحتب الأول الذى تزوج من التى كانت تحمل لقب أخت والتى كانت تسمى أيضا إعح حتب .(١)

وكانت أمه أحمس نفرتارى وجدته إعح حتب محل تقدير وتكريم كبيرين فى عهده .

ليس لدينا وثائق عديدة عن أحداث عهد أمنحتب الهامة ، وليس هناك من شك فى أن أمنحتب الأول لجأ إلى تدعيم مكاسب حكم أحمس الأول بقوة .

وفيما يخص السياسة الخارجية نجد أنه قام بحملتين أو ثلاث فى بلاد النوبة وما وراءها ، فيقص علينا أحمس بن ابانا وأحمس بن نخبت ، أن الأول قد ذهب فى حملة مع أمنحتب ضد الاونيتيو (النوبيين) الذين ربما سكنوا الصحراء إلى الشرق أو الغرب من وادى النيل واعتادوا أن يغيروا على السكان المستوطنين فى النوبة المصرية . وقد ذهب إلى هناك لكى يوسع حدود مصر . ويذكر الثانى حملة واحدة ضد كوش نجح أثناءها فى القبض على أسير(٢) . وقد كان أحمس بن نخبت مساعدا للملك أمنحتب الأول ، وكان قائدا لحملة على بوهن تحت قيادة أحمس الأول (٣) . وقد عثر على اسمه فى النقوش التى وجدت فى سمنة والمؤرخة من العام السابع لأمنحتب ، وعثر على اسمه أيضا فى أماكن أخرى فى بلاد النوبة تدل على وجوده ونشاطه منها نقش فى جزيرة أورباتارى مؤرخ من العام الثامن . وكل هذه التواريخ تشير إلى السنوات التى كان يخدم فيها تحت إمرة أمنحتب الأول . وأحيانا تنقص التواريخ هذه النقوش فيصبح من الصعب تحديد إذا كان هذا حدث فى عهد أمنحتب أو تحوتمس الأول الذى خدم فى عهده أيضا .

---

(١) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p . 98 .

(٢) James , op . cit . , p . 23 .

(٣) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول :مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٢٠٥ .

وعثر فى جزيرة ساى على بقايا معبد شيده أمنحتب الأول ، وعثر فى هـذه البقايا على أسماء أحمس الأول وزوجته أحمس نفرتارى . وتعد جزيرة سـاى هـى الحد الأقصى للتقدم المصرى فى بلاد النوبة السفلى خلال هذا الحكم .

وفى نقش على لوحة أقامها خليفته تحوتمس الأول فى العام الثانى من حكمه فى تومبوس فى منطقة الجندل الثالث ، يذكر أن حدوده الجنوبية كانت تبعد عن هـذه الأرض وحدوده الشمالية حتى نهر الفرات .

ولا يمكن تصديق أن تحوتمس الأول قد وصل إلى هذه الحدود فـى نهايـة حكمه أى فى العام الثانى وربما انه ضم مساحات كبيرة من الأراضى التى كان قـد فتحها الأول من قبل .

وأما عن نشاطه فى الغرب ، فقد أشار أحمس بن نخبت فى جملة واحدة من نقوش مقبرته ، إلى أنه ذهب مع الملك فى حملة ضد الليبيين ، وأنه اسـتولى علـى ثلاث أيد فى شمال ايامون فى بلاد كهك (أو اياموكهك) وربما وقعت هذه الأمـاكن فى الصحراء الليبية لأنها غير معروفة حتى الآن [١] . وقد ظـل المصريـون فـى علاقات سلام بسيطة مع الليبيين خلال الجزء الأكبر من الأسرة الثامنة عشرة ، وهذه السياسة السلمية إلى حد ما التى اتبعها ملوك الأسرة الأوائل تجاه جيرانهم الأجانب قد منعت الليبيين من محاولة اتباع طريقتهم القديمة فى التسرب إلى غرب الدلتا .ومـن الصعب الاعتقاد بأن علاقة السلام هذه بين مصر وليبيا كانت سـهلة التحقـق دون بعض استعراضات للقوة من جانب أحمس أو أمنحتـب . وكـانت الواحـات فـى الصحراء الليبية تدخل ضمن السيطرة الإدارية لمصر منذ عصر الدولـة القديمـة ، وربما كانت قد احتلت بواسطة عناصر موالية للهكسوس خـلال العصـر الوسـيط الثانى . ولهذا فقد وجد كامس أنه من الضرورى إرسال قوة إلى شمال الواحات خلال حملته ضد عاواسرع أبو فيس .

---

(١) James , op . cit . , p . 24 .

ومن المحتمل أن نوعا من الرقابة الإدارية قد فرض من جديد على كل الواحات فى بداية الأسرة الثامنة عشرة ، وأثناء حكم أمنحتب الأول كان يوجد موظف كبير وصف بأنه " عمدة الواحات " .(١)

وفى الشرق كان أمنحتب نشيطا أيضا ، فقد عثر على لوحة فى سيناء مخصصة لقرابين فى معبد سرابية الخادم تدل على وجود معاونيه فى شبه جزيرة سيناء ، وأقام هو أيضا بناء جديدا فى المعبد هناك ، وقام ببعض الترميمات فى مبنى من عصر الدولة الوسطى .

أما عن نشاطه الحربى فى آسيا فهو ضئيل ولدينا إشارتان أولاهما عن بلاد قدمى (وهى جزء من فلسطين أو شرق الأردن) فى مقبرة أمنمحات ، والثانية عن ميتانى فى نقوش المقبرة السابقة . وهذان النصان هما الإشارتان الوحيدتان إلى نشاط القول بأن الإشارة إلى ميتانى ربما كانت ترجع إلى عصر أو حكم ليس هو حكم أمنحتب الأول ولكن حكم أحد خلفائه .

ومن ناحية أخرى فإنه فى الفترة المبكرة من الأسرة الثامنة عشرة ، وبعد الانتصار المصرى على الهكسوس ، أصبحت آسيا وبالمثل الفرات مجالا للنفوذ المصرى .

فقد ذكر تحوتمس الأول فى نص له ، أن مملكة مصر تمتد حتى نهر الفرات ، ومن المؤكد أن أحمس لم يمتد بنفوذه إلى تلك المناطق ، فلابد أن ذلك حدث فى عصر أمنحتب الأول ، الذى مهد الطريق لخليفته بعد ذلك ، ولا يمكن الاعتقاد بان أمنحتب قد عبر نهر الفرات فى حملة ، على الرغم من أنه صور على لوحة محفوظة بمتحف اللوفر وهو يضرب أمراء البلاد الأجنبية .(٢)

ويبدو أن حكمه قد انقضى فى سلام تام ، وازدهرت البلاد فى عهده ، وقد سمح هذا الازدهار لخلفائه بأن يحققوا الكثير ، ويرجع كل ذلك إلى سياسة التسامح

---

(١) Id ., op . cit . , p . 25 .

(٢) Rosellini . Mon . Storici . vol . III . pl . 108 .

والتساهل التى بدأها أحمس واستمر فيها أمنحتب الأول . وتبين الآثار العديدة الباقية أنه كان نشيطا فى مجال العمران ولكن نظرا لأن معظم أبنية قد هدمت بواسطة خلفائه ، فلم يبق منها إلا القليل .

فقد أكمل سياسة أبيه فى العمران الداخلى ، وكان ملكا على جانب كبير من التقوى ، فأسرف فى الاهتمام بتشييد الكثير من المعابد وإصلاح ما تهدم منها أثناء فترات الفوضى والاضطراب عقب سقوط الأسرة الثانية عشرة . وشيد لنفسه معبدا ضخما لتقديس روحه بعد وفاته ، ويقع فى داخل الصحراء فى الطرف الجنوبى لجبانة طيبة ، وهو جزء من المجموعة المسماة عادة باسم معبد مدينة هابو ، ولكن كان المعبد قائما بمفردة فى هذه الفترة وسط حديقة جميلة .(١)

وشيد مقبرته أيضا طبقا لخطة جديدة ، فبدلا من اتباع الطريقة القديمة وهى دفن الحلى والأشياء الثمينة مع مومياء الملك ، قرر الملك أن يخص مكان مقبرته بعناية كبيرة وتخلى عن فكرة أقامة هرم أو أى آثار أخرى تجذب الانتباه . ففى أوقات الفوضى التى عاشتها البلاد كانت أغلبية المقابر عرضة للسلب والنهب . فقام بحفر مقبرته فى قمة التلال التى تشرف على دراع أبو النجا فى غربى طيبة ، وهى تعد أقدم مقبرة ملكية فى هذه المنطقة وتحمل الآن رقم ٣٩ ، وأختار لها مكانا ضيقا فى وسط الصخور ونصل إليها عن طريق بئر وسلم منحدر يؤدى إلى ممر متسع بعض الشىء ، ويؤدى هذا الممر أولا إلى حجرة صغيرة ثم إلى قاعة جنائزية أكبر حجما تشبه القبو وحفرت فى الصخر .(٢)

وأغلق المدخل بعد عملية الدفن بواسطة الأحجار وللإمعان فى عملية التمويه غطى السطح الخارجى بالصخور لإعطائه الشكل الطبيعى للصحراء المحيطة به ، وبعد عدة قرون نقلت مومياء الملك من المقبرة وأعيد دفنها فى ومكان آخر خفى ، وهى

---

(١) Vandier , Manuel d'Archeologie II , p . 745 .

(٢) د.أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٣٩٧ - ٣٩٨ شكل ١٦٩ ؛ د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٢٦٠ حاشية(١) (٢) .

الآن في المتحف المصرى .

وعثر على مقبرة أخرى في الطرف الشمالي لجبانة طيبة في نجع الدير ، وقد اعتقد بعض منهم في أول الأمر أنها تخص هذا الملك ولكن من المحتمل إنه كانت كقبرة للملكة الأم أحمس نفرتارى التي توفيت في نهاية حكمه ، وتعد هذه المقبرة أولى المقابر التي أعدت في وادى الملوك بالنسبة لكل ملوك الدولة الحديثة .

ويحدثنا المهندس أنيني في نقوش مقبرته في البر الغربي في طيبة عن نشاط الملك المعمارى [١] ، فإلى جانب تشييده لمعبده الجنائزى الذى كان يحمل اسم Ḫnmt – Mn [٢] والمقبرة ، قام ببعض النشاط في أبيدوس ، فهو لم يشيد أثارا جنائزية منفصلة مثل أبيه أحمس ، بل أضاف مقصورة إلى معبد اوزير تكريما لوالده أحمس الأول ، ومن داخل الصرح الثالث في معبد الكرنك استخرجت أحجار مقصورة من المرمر[٣] ، وربما كانت هذه المقصورة هي البناية التي ذكرت بكثرة بواسطة " إنيني " الذى أصبح فيما بعد عمدة لطيبة ، وعلى الشاطئ الغربي شيد أيضا مقصورة من الطوب اللبن للمعبودة حتحور في الدير البحرى [٤] ولكنها أزيلت فيما بعد لإعداد معبد حتشبسوت الكبير ، وبطول الطريق الصاعد أقام التماثيل من

---

(١) راجع : Helck , LA III , p . 155 .

(٢) راجع : Helck , LA V , p . 7.

(٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٦٥ ؛ د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٨٥ ؛ د. محمد عبد القادر : آثار الأقصر ، شكل ٢٩ .
وقد أعيد بناؤها بجوار مقصورة سنوسرت الأول. وقد خصصت لاستراحة القارب المقدس لأمون ، في الاحتفالات الدينية . وأضاف إلى نقوشها تحوتمس الأول ، راجع :د. سيد توفيق : تاريخ العمارة في مصر القديمة : الأقصر ، ص ٤ – ٥ ، ١٥٣ .

(٤) عن تطور عبادة حتحور ، راجع:. Daumas . LA II, p .1024-1033

الحجر الرملي لشخصه .(١)

في أماكن أخرى في مصر العليا ، عثر على الكثير من بقايا معابده ومقاصير فقد عثر على بعض الكتل في كوم امبو وفي الفنتين ، وفي معبد المعبودة نخبت في الكاب ، نفذت أعمال معمارية ضخمة ، وكانت منطقة الكاب من المناطق الموالية لبيت طيبة الملكي بوجه خاص ، ولم يعثر على أي أثر لأعماله في الوجه البحري .

كان أمنحتب الأول هو أول من فكر في تكوين طائفة خاصة من العمال والنحاتين والفنانين المهرة . وكان هؤلاء العمال يقومون بالعمل في المعابد ومقابر ملوك.وملكات ونبلاء الدولة الحديثة في البر الغربي بطيبة . ولقد استطعنا معرفة الكثير عن هذه الجماعة من البردي واللخاف الذي كشف عنه في تلك المنطقة وفي القرية التي كانوا يقيمون فيها . وقد قسمت طبقة العمال إلى قسمين " الأيمن " و"الأيسر" . وكان يشرف على كل قسم رئيس عمال يحمل لقب "كبير الفرقة أو المجموعة " كان لكل رئيس وكيل يعاونه في أداء مهمته . وقد اختلف عدد العمال في كل قسم . وكانوا عادة حوالي ٦٠ عاملا . ويشرف رئيسا العمال والكاتب على سير العمل . وكانت طبقة العمال العاديين تختلف وفقا لمهارة كل منها . ويستمر العمل طوال أيام السنة ، ويمنح العمال في كل شهر ثلاثة أيام عطلة ،كانت تقع في اليوم العاشر والعشرين والثلاثين من كل شهر . وبالإضافة إلى ذلك ، يمنح العمال إجازات في المناسبات الخاصة بالأعياد الكبرى للمعبودات ويقوم الكاتب بتسجيل حضور العمال على كميات من الأوستراكا . ويبين كل يوم أسماء العمال الذين تخلفوا ، وأسباب تخلفهم منها المرض الذي نقله عامل آخر الذي كان مريضا ،أو تعرض للدغة عقرب ، أو بسبب الذهاب لتقديم القرابين للمعبودات ، أو أنه كان يقوم ببعض الأعباء المنزلية مثل أعداد تخمير الجعة . وكان يقوم بتسجيل أي حدث هام يتصل بالعمل . ويرفع بانتظام تقارير عن كل هذه الأمور إلى مكتب الوزير . ويقوم الوزير أو مندوب الملك بزيارة المقبرة ليرى مقدار تقدم العمل ،أو النظر في شكاوى

---

(١) Legrain , ASAE 4 (1903) , 15 ; James , op . cit . , p . 26.

العمال.(١)

ويستخدم العمال أدوات من نحاس كانت توزع عليهم وتسترد حينما تصبح غير حادة فيقوم صانعها بسبكها من جديد . وكان هناك عدد قليل من العمال يقوم بقطع الصخر ، بينما ينظف آخرون الحجارة والرديم فى سلال ، ويلقونها خارج مدخل المقبرة . وحينما يتقدم العمل فى الحفر ويصعب الاستمرار فى نقر الصخر فى ضوء النهار إذ لا يكون الضوء كافيا ، كان يستخدم العمال المصابيح التى كانت تصنع من الطين المحروق وقد ملئت زيت نباتى تخرج منه فتيلة وكان يؤتى بالفتيل من مخزن يقع بالقرب من المقبرة . ولابد أن المصريين القدماء قد توصلوا إلى وسيلة لمنع الصناج من التصاعد من هذه المصابيح حتى لا يترك آثرا على جدران المقابر ، وذلك بأنهم كانوا يضيفون إلى الزيت بعض مواد لتخفف من تصاعد الصناج ، وقد افترض بعض العلماء أنهم كانوا يضيفون إلى الزيت الملك العادى أو أنهم كانوا يستخدمون زيت الخروع الذى لايتصاعد منه صناج بكثرة .

وكان العامل يقوم بالعمل عادة ثمان ساعات يوميا . وبعد أن يتم نقر المقبرة فى الصخر الجيرى تغطى الجدران بالجبس ثم يقوم الرسامون بعمل الزخارف والمناظر والنصوص الخاصة بالمقبرة أولا باللون الأحمر ، وبعد مراجعتها ينفذ الرسم باللون الأسود ، ثم يأتى بعد ذلك الحفارون بالأزاميل الدقيقة يحولون هذه الرسوم المخططة إلى نقوش غائرة (٢) . وكان مدخل المقبرة يحاط بجدران عندما

---

(١) قام شرنى بدراسة حياة طبقة العمال ورؤساء العمال وحراس المقابر والخفراء والخدم والكتبة والقواد وإدارى المقابر ورجال شرطة الجبانة فى البر الغربى ، راجع : Černy , A communtiy of Workmen at Thebes in the Ramesside Period (BdE 50) (1973) , p . 99 - 261 . كما قامت فالبل بإعداد رسالة للدكتوراه عن الموضوع نفسه تحت عنوان : Valbelle , les Ouvriers de la Tombe , Deir el Medineh à L'Epoque Ramesside (BdE 96) (1985) , p . 62 – 155 .

(٢) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٨١٦ – ٨١٨ .

كان العمل جاريا . وقد كان الأجر يدفع عينا : حبوب من قمح أو حنطة ، وشعير . وكان يصرف الجزء الأكبر من هذه التعينات من الصوامع الملكية ، وذلك فى اليوم الثامن والعشرين من الشهر وكان يحدث إضراب عام عند تأخير تسليم التعيين المخصص . وكان العمال يستلمون بانتظام إلى جانب الحبوب ، الخضروات والسمك والخشب الخاص بالوقود . ولكل عامل كمية من الماء . ويقوم بتأدية كل هذه الطلبات جماعة من اخدم تجند من بين الفلاحين الذين كانوا يقيمون بين جبانة طيبة والنيل ويوزع منْ وقت لآخر على العمال الشحوم والزيوت وكذلك الملابس ، كما كانوا يمنحون فى مناسبات مختلفة من الملك مكافآت ، كانت تشمل : النبيذ ، والملح ، ونطرون (كان يستخدم بدلا من الصابون) ، وجعة مستوردة ، ولحوم ، وتقع قرية العمال فى واد عند مكان يطلق عليه حاليا دير المدينة [1] . وكانت محاطة بسور سميك من اللبن . وقد مهر اغلب الطوب اللبن باسم تحوتمس الأول كما يدل على أنها كانت مؤرخة من هذه الفترة . ويرجع تنظيمك جماعة العمال إلى أيام أمنحتب الأول . وبقرية دير المدينة ما يقرب من سبعين منزلا ، وقد قسمت إلى قسمين متساويين إلى حد ما يفصلها شارع يمتد من الشمال إلى الجنوب وكانت محاطة بسور سميك يلاحظ أن المنازل كانت متجاورة بحيث لم يترك مسافات بين كل منزل والآخر . وكان يفصل فى الخلافات التى تقوم بين أهالى القرية محكمة (قنبت) جميع أعضاؤها من القرية ، ربما من قدامى العمال ورئيس العمال والكاتب [2] . كما

---

(١) المرجع السابق ، ص ٨١٩ – ٨٢٠ ؛ د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢١٥ ؛ وأيضا : ; Černy , BIFAO 27 (1927) , p . 161 . lalouette , L'Empire des Ramsès , p . 252 – 253 . ذكرت فالبل فى دراستها أجور العمال والتموين الذى كانوا يحصلون عليه من ملابس ومواد وغذاء من الإدارات الملكية ، راجع : Valbelle , op . cit . , p . 148 – 153 .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٨٢٠ – ٨٢١ ؛ Allam , Everday life in Ancient Egypt , p . 57 – 77 ; Valbelle, op . cit . , p . 127 – 128 ; Id . in : LAI , p . 1028 – 1034 .

كان هناك طبيب لمعالجة العمال والعناية بهم .

وكانت جبانة العمال تقع بالقرب من القرية وكان على الأقل أربع وخمسين مقبرة . وقد تطورت هذه المقابر أيام الأسرة العشرين حتى أصبحت مقابر عائلية يدفن فيها أفراد العائلة الواحدة . وبنى خارج القرية ، إلى الغرب والشمال مقاصير صغيرة لمعبودات كان لها شعبيتها بين العمال وخاصة حتحور . وقد قام العمال أنفسهم بدور الكهنة فى هذه المقاصير . فكان الكهنة المطهرون يقومون بحمل تمثال المعبود فى مقصورته على قارب فى الأعياد ويوجه أليه الأسئلة ويستشار برأيه فى كثير من المسائل . ومن هذا نرى أن هؤلاء العمال كانوا يتمتعون بعدالة فى الحكم ونظام إدارى دقيق وينالون جزاء ما يؤدون لذلك قدموا كل مواهبهم لأنهم كانوا يؤمنون بما يفعلون فعاشت نقوشهم وزخارفهم ورسومهم [١] . وقد عثر فى قرية العمال فى دير المدينة على آلاف الاوستراكا التى كتبت بالخط الهيراطيقى .وقام بدراسة هذه الاوستراكا كلا من العالمين شرنى وبوزنرمنها ما هو أدبى ومنها ما هو غير أدبى وتعكس لنا جانبا من الحياة اليومية لهؤلاء العمال .[٢]

وكل ذلك يفسر التكريم الخاص الذى تمتعت به ذكرى هذا الملك فى العصور المتتالية بين هذه الطبقة . وأصبح أمنحتب محل تقدير فى دير المدينة . وكانت له مقاصير أخرى فى جبانة طيبة وفى أماكن أخرى من مصر . وقد ارتبطت معه فى هذا التكريم والدته أحمس نفرتارى[٣] . وقد نسبت إليه المعجزات فى جبانة

---

(١) المرجع السابق ، ص ٨٢٢ .

(٢) Allam , op . cit . , p . 59 – 46 .

(٣) فى الواقع أن تقديس الملوك والأشخاص لم يكن بالأمر الشائع كثيرا فى مصر القديمة ، وقد قال هيرودوت " أن الأبطال لم يكونوا موضع عبادة " وبكن يوجد بعض الأمثلة ، فنجد أولا أن بعض الملوك كانوا موضع تكريم فإلى جانب الطقوس الجنائزية التى تؤدى إليهم فى معابدهم من الأجيال اللاحقة ، نجد مثلا إن سنفرو كرم فى سيناء وسنوسرت الثالث فى بلاد النوبة ، وأمنمحات الثالث فى الفيوم وأمنحتب الأول وأحمس نفرتارى فى=

طيبة فى عصر الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين .[١]

ومن أحد الشخصيات التى عاشت فى عهده المهندس إنينى الذى عاصر هذا الملك وتحوتمس الأول والثانى والثالث وحتشبسوت ، وكان يشغل عدة وظائف هامة منها " رئيس كل الأعمال فى الكرنك " و " رئيس شـون المعبـود آمـون رع " و " مسئول الخزانة " . وتحمل مقبرته رقم ٨١ بشيخ عبد القرنة .[٢] ومن كبار موظفيه أيضا حورمنى ، ورنى بن سبك حتب وكان مشرفا على كهنة نخـب (الكـاب) ، وعثر على مقبرته فى الكاب ، وبه مناظر فريدة ، منها عربة تجرها الخيـل تنتظـر رنى بن سبك حتب .[٣] .

عاخبر كارع - تحوتمس الأول (١٥٣٠ - ١٥٢٠ ق.م) :[٤]

توفى أمنحتب الأول عام ١٥٣٠ ق.م دون أن يترك وريثا له مـن الذكـور حيث إنه لم ينجب من زوجته الشرعية غير إناث[٥] وفيما يبدو كـان للإنـاث حـق الجلوس على عرش أبيهن ، بشرط إلا يحكمن بمفردهن لذلك فقد آل العرش إلى ابن

-- دير المدينة ، وكان سبب التكريم يرجع إلى ما قاموا به من أعمال دفاعية أو اقتصادية أو مهنية ، راجع : د. عبد العزيز صالح : المرجع السـابق ، ص ١٩٨ ؛ وأيضـا : Posener , Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne , p . 89 – 90 .

(١) ظهرت حديثا ترجمة بالعربية لهذا المؤلف تحت عنوان : جورج بوزنـر : معجم الحضارة المصرية القديمة ترجمة أمين سلامة ، الهيئـة المصرية العامـة للكتـاب ، القـاهرة ١٩٩٦ Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p . 577 .

(٢) R . el Sayed , Quelques Personnages Célèbres : مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العـدد ٢٥ ، ١٩٧٨ ، ص ٤٦ . وعن طراز ومناظر هذه المقبرة ، راجع : د. سيد توفيـق : تـاريخ العمارة فى مصر القديمة : الأقصر ، ص ٤١٦ شكل ٩١ .

(٣) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٥١٥ .

(٤) عن هذا الملك ، راجع : Chr . Meyer , LAVI , p 536 – 539 .

(٥) Vercoutter , L'Egypte Ancienne , p . 79 .

غير شرعي ، من زوجة ثانوية ، هو الذى ارتقى العرش تحت اسم تحوتمس الأول . ورأى بعض العلماء أنه ولد لأمنحتب الأول من إحدى جواريه المدعــوة سنسـنب ، وبعضهم يرى أنه أغتصب العرش .[١]

كان تحوتمس رجلا يبلغ من العمر خمسة وأربعين عامــا . ولكــى يدعـم مركزه ويكتسب الحقوق الشرعية للجلوس على العرش ، يقال أنه تزوج مــن التــى كانت تحمل لقب الأخت والتى كانت تدعى أحمس –حتب تمحو .

وقد ارتبط اسم تحوتمس باسم المعبود تحوتى معبود المعرفــة والحكمــة ، حيث أن تحوتمس يعنى " المولد من تحوتى " وكان الملك المرتقب كمــا يبــدو مــن فحص مومياته ، رجلا قصير القامة ، ويبدو أن صفاته الرئيسية كانت تتمثل فى حبه للقتال وروحه الحربية وسوف تؤدى هذه الروح إلى تغيير مجرى تاريخ مصر القديم فى هذه الفترة .

فقد ذهب الملك أحمس إلى آسيا متتبعا الهكسوس ونجح فى طردهـم ، والآن بعد حكم أمنحتب الأول الهادئ نجد أن الملك الجديد كان راغبا فى أن يقــود جيشــه المعد أعدادا جيدا من المصريين وقبائل المجاو إلى خارج الحدود المصرية إلى آسيا.

وهذا الاتجاه للتدخل فى آسيا والاتصال ببلاد الشرق القديم [٢] ، وكان يرجع إلى الرغبة فى الانتقام ومحو الآثار المعنوية للغزو الذى تعرضت لــه البــلاد عــن طريق شعوب وقبائل جاءت أصلا من الشرق ، هذا الشعور جعل الملوك يخرجــون من بلادهم ، ويندفعون فى سياسة خارجية أكثر توسعا فى آسيا . وابتداء مــن هــذه الفترة أصبحت مصر إحدى القوى العسكرية الكبرى فى الشرق القديــم ، وتمتعــت بفترة مجيدة نتيجة للانتصارات التى أحرزتها ، وتتميز الأسرة الثامنة عشرة بالنجــاح فى السياسة الخارجية وتحقيق سياسة التوسع وتكوين تحالفات خارجية ومناطق نفــوذ جديدة .

---

(١) Weigall, History II, p. 264.

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٠٦ – ٢٠٧ .

يعد تحوتمس الأول هو – أول من وضع اللبنة الأولى فـــى أســاس هــذه السياسة الجديدة [١] . وربما أيضا كان سببا فى نجاحها واستمرارها لفترة ما .

وقد بدأ تحوتمس الأول سياسته العسكرية بحملة ضد الجنوب . وبفضلها مـد حدود مصر الجنوبية حتى تومبوس التى تبعد قليلا عن الجندل الثالث . وعثر له على نقش هناك يمجد الملك بهذه الكلمات ويتحدث عن إنجازاته :

" لقد أخضع رئيس النوبيين ، وقبض بيده على الزنوج الخاسئين ، وربـــط حدوده على ضفتى نهر النيل ، حتى أنه لم يكن يوجد رجل واحد بين الشـعوب ذوات الشعور القصيرة قادر على مهاجمته لأنه لم ينج أحد من كل هؤلاء الذيـــن حــاولوا مهاجمته من قبل . وسقط كل البدو النوبيين بفعل السلاح وتناثرت جثثهم علـــى كـل أراضيهم وأصاب جثثهم العفن وانتشرت رائحة كريهة فى كل وديانهم وعلى سهولهم ، وهم يشبهون الفيضان ، وكانت جثثهم الكثيرة غذاء للصقور حيث تحمل فريســتها إلى أى مكان آخر " .

ولم تجرؤ أية قبيلة معادية على التقدم أمام قلعة الحدود لأن مجد جلالته قـد ابهرهم مثل الفهد الصغير فى وسط قطيع متفرق . لقد مد جلالته سيطرته على حدود الأرض وحكم جلالته كل القطرين ، وكان سلاحه قويا فى يده ، يدعو إلى القتـــال ، ولم يجد أنسانا قادرا على أن يكون ندا له [٢] . وهكذا نجح فى إعادة الهدوء وضم كل بلاد النوبة جنوبا حتى " أبو حمد " الحالية فى جرجوس . وجعل المنطقة ابتداء مـــن الكاب شمالى إدفو حتى آخر حدوده فى النوبة السفلى وحدة واحدة يحكمـــها موظـف أطلق عليه " الابن الملكى (حاكم) كوش "[٣] . وحفر هناك نقشا على الحدود واقـام أسوارا طولها ٧٠٠ مترا .[٤]

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٦٦ .

(٢) Weigall,Histoire de L'Egypte Ancienne,Paris(1968).p.101.

(٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٧٠ .

(٤) Daumas ,la Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p . 85 .

وقد قص علينا أحمس بن نخبت كيف أنه صاحب أسطول الملك فى النيل ثائرا كالفهد ، وقد طعن رئيس الأعداء .[١] وليس لدينا أية تفاصيل تاريخية عن حملته فى اسيا والتى أعقبت حملته فى الجنوب ، وما وصلنا مجرد بعض الإشارات المتفرقة عنها . ومن المحتمل جدا أن الجيش المصرى قد خرج من شرق الدلتا وعبر الصحراء ، ووصل إلى جنوب فلسطين ، ثم أتجه شمالا بامتداد الشاطئ حتى حلب [٢] وقام بصيد الفيال فى منطقة المستنقعات بناحية " نى " بالقرب من أعالى سوريا [٣] . ووصل أخيرا إلى نهر الفرات بالقرب من قرقميش[٤] أى بالقرب من الحدود الحالية التى تفصل سوريا عن الكردستان ، وتبعد هذه المنطقة عن أطراف الدلتا بحوالى ألف كم . وهناك هزم ملك الميتانيين ، وعلى شاطئ نهر الفرات أقام لوحة حدود أشار فيها إلى النقطة التى وصل إليها فى الشمال ويقول :

" أن هذه المياه تشق الطريق وتنزل من أسفل إلى أعلى أى المياه المنعكسة [٥] " . وقد أشار أحمس بن ابانا وأحمس بن نخبت إلى حدوث معركة كبرى ، وكوفئ كل منهما بمكافأة قيمة[٦] ويبدو أنه أطلق عدة حملات ضد الميتانيين.

وفى خلال القرون التالية سوف نرى مصر تبسط نفوذها على كل أراضى سوريا بين الفرات والبحر المتوسط . ويبدو أن الغزو كان سهلا ، لأن الشعوب

---

(١) Breasted , AR II (80) .

(٢) د.أحمد فخرى : المرجع السابق . ص ٢٧٠ ؛ Weigall , op . cit . , p . 102 .

(٣) Gardiner , Onom . I , p . 158 .

(٤) جاء فى وثائق أخرى أنه وصل إلى المنحنى العظيم لنهر الفرات بالقرب من قرقميش وأقام فى هذا المكان لوحا سجل عليه انتصاراته .

(٥) Daumas , op . cit . , p . 85 ; Posener , Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne , p . 287 .

(٦) Breasted , AR II (80) .

الأسيوية لم تكن متحدة ، وكانت غير قادرة على أن تقف أو تـــؤدى دور المقاومـــة المنظمة أمام جيش أعد إعدادا جيدا ، فتعرضت للهزيمة . وقد بقى بعض الموظفيــن والقوات فى البلاد التى تم فحصها لكى يحافظوا على هذه الممتلكات ويديرونها ، ومن الآن فصاعدا ، سوف نرى مصر قوة عسكرية تملؤها الثقة فى قواتها لكى تســيطر على هذا الجزء من العالم القديم .وكانت هذه الممتلكات الواسعة نتيجة لإدارة الملــك القوية . وأرسل إليه ملوك آسيا الصغار وملك ميتانى القوى الجزيـــة والـــهدايا (١) ، كذلك سكان بلاد النوبة .

عقب توليه العرش كان تحوتمس قد أرسل نسخة من مرسوم تتويجـــه إلـــى نائب الملك فى كوش الذى يدعى تورى .

وقد أنجب الملك من زوجته أحمس حتب تمحو ، ولدين هما آمـــون مســن وواج مسن ، وأنجب أيضا ابنة هى الأمير حتشبسوت .وتزوج الملك من امرأة أخرى هى موت نفرت وأنجبت منها ابنه تحوتمس الثانى .(٢)

وأثناء الفترة الباقية من حكمه التى دامت أقل من ثلاثة عشر عاما ، نجد أن الملك خصص وقته لكى يجعل من مصر بلدا آمنا مستقرا مزدهرا لذلك لجـــأ إلــى تحقيق الكثير من المشروعات المعمارية – وبخاصة – عمل على ترميـــم وزخرفـــة معبد آمون رع بالكرنك ، فقد شيد الصرحين الرابع والخامس (٣) وبينهما قاعة واسعة وتعرضت هذه القاعة التى كانت تحمل اسم Ḥnmt – cnḫ (٤) أو هذا البهو لتغييرات

---

(١) Daumas , op . cit . , . 85 .

(٢) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ١٥٨ .

(٣) وتعرض كلاهما للهدم ، راجع : د. سيد توفيق : المرجـــع الســـابق ، ص ١٥٤ – ١٥٦ ؛ د. محمد عبد القادر : آثار الأقصر ، الجزء الأول ، معـــابد آمون، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ١٩٨٢ ، ص ٧٦ – ١٠٢ .

(٤) Helck , LAV , p . 7 .

مختلفة فى عهدى كل من حتشبسوت وتحوتمس الثالث .[١] وأقام مسلتين أمام الصرح الرابع [٢] وقد جاء ذكرهما فى نقوش انينى . ومازالت إحدى هاتين المسلتين قائمة والأخرى ملقاة على الأرض [٣] . وكانت من حجر الجرانيت الأحمر الذى يستخرج من صخور الجندل الأول ، وكانت قممها مغطاة بالنحاس اللامع ، ويتحدث الملك عن أعماله هذه فيقول :

" لقد زينت مقاصير المعبودات ، وقمت بحماية معابدهم ، ورممت ما كان قد تهدم منها ، وأضفت إلى ما كان قائما من قبل ، وقد أردت الكهنة إلى واجباتهم ، وعلمت غير المثقفين منهم ما لم يعلمونه . وقد فاقت أعمالى كل أعمال الملوك الذين سبقونى . لقد سعدت المعبودات طوال مدة حكمى ، وكانت معابدهم فى عيد . ودفعت بحدود مصر حتى الدائرة التى تجرى فيها الشمس. وقد أعدت الشجاعة لهؤلاء الذين تملكهم الخوف ، لأننى أبعدت عنهم الخطر ، ورفعت من شأن مصر لتسمو على البلاد الأخرى " .[٤]

---

(١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢١١ .

(٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢١٢ حاشية (١) ؛ د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٧٠ .

(٣) د. محمد عبد القادر : اثار الأقصر ، شكل ٣٠ ; Urk IV , 92 ؛ د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢١٢ – ٢١٨ . قام د. عبد القادر بحصر عدد المسلات التى أقيمت فى معبد الكرنك من عصر الأسرة الثامنة عشرة والعشرين وهى حوالى أربع وعشرين مسلة ، راجع المؤلف السابق، ص ٧٨ .

(٤) Weigall , op . cit . , p . 103 .

وكشف له عن معبد آخر حديث جدا خارج سور معبد الكرنك[١] . كما كشف له في قصر ابريم بالنوبة عن محراب صغير نحت في الصخر كما قام بعدة إصلاحات في معبد أوزير في أبيدوس وسجل ذلك على لوحة هناك .[٢]

ويبدو أنه في السنوات الأولى من حكمه ، توفيت الملكة المسنة . إعح حتب، أم الملك أحمس ، وكانت تبلغ بدون شك – سن التسعين عاما – ويمكننا أن نرى اليوم بالمتحف المصري الحلي والرموز الملكية التي عثر عليها في تابوتها الكبير . ومن بينها أساور جميلة من الذهب ، ومقمعة قتال وخنجر أبنها أحمس .

وقد أصاب مجد تحوتمس الأول بعض الأفول بسبب وفاة ولديه ، وكرس بقية حياته لأبنته التي كانت تلقب باسم كان معروفا في الأسرة الثامنة عشرة ، حتشبسوت ، وتجاهل تبعا لذلك ابنه الأصغر تحوتمس الثاني .

وأختار الملك لحفر مقبرتة منطقة على بعد أمتار إلى القرب من مقبرة أمنحتب الأول ، وهي تحمل رقم ٣٨ ، وتصل حتى داخل الجدار الصخري إلى ممر

---

(١) Sauneron , BIFAO 76 (1976) , p . 394 .
كانت أرض معابد الكرنك تشمل إلى جانب معبد آمون رع معابد مقاصير معبودات أخرى مثل موت وخونسو ومونتو وابت وبتاح وغيرها . وقد أحيطت كل هذه المعابد والمقاصير بسور كبير من اللبن يصل طوله إلى ٥٥٠ مترا وعرضه إلى ٤٨٠ مترا وارتفاعه إلى ٣٠ مترا وسمكه إلى ١٢ مترا . ويضم مساحة تزيد على ستين فدانا . وكان به ثمانية مداخل : مدخل في الشمال ومدخلان في الجنوب ومدخلان في الشرق وثلاثة في الغرب . ويرى البعض أن هذا السور يرجع إلى الفترة ما بين الأسرة السادسة والعشرين والأسرة الثلاثين ، بينما يرى البعض الآخر أنه يرجع إلى عصر الملك نختنبو الأول ، راجع : د. سيد توفيق : المرجع السابق، ص ١٣٢ ؛ Les Guides Bleus : Egypte , p . 348 .

(٢) Urk IV , p . 94 .

منحوت بطريقة خاصة ، بارتفاع طول الإنسان ، الذى يؤدى إلى سلم ، حيث نجد فى نهايته حجرة مربعة منحوتة فى الصخر أيضا ، ومن هنا نجد سلما اخر يـؤدى إلـى حجرة الدفن وقد غطيت جدرانها بطبقة من الجص ، وعثر فى هذه الحجـرة علـى تابوت من حجر البللور ، وقد حفرت هذه المقبرة أيضا تحت إمرة المـهندس الكبـير إنينى الذى يقص علينا فى نقوش مقبرته (١) قصة تاريخ حياته وظروف نحت مقـبرة الملك ويقول :

" وحيدا ، قام بقيادة هؤلاء الذين حفروا مقبرة جلالته دون ان يراهم أحـد أو يسمعهم أحد "(٢) .

وكان تحوتمس الأول أول من أختار لمقبرته مكانا فى واد منعـزل خلـف الجبل المطل على النيل فى غربى طيبة ، وهو وادى الملوك ، الذى سوف يسـتخدمه بعد ذلك أغلب ملوك الدولة الحديثة . ومن أهم كبار موظفيه إلى جانب انينـى الـذى كلف بالأشراف على العمل فى مقبرته – " باحرى " – الذى كان أصلا مـن الكـاب وحاكما عليها وكذلك على دندرة ، وكان له مقبرة فى الكاب (٣) . ومن أهـم أعمـال باحرى أنه كان مشرفا على الأراضى الزراعية فى الجنوب ، وكان يقـوم بمراقبـة وتدوين بعض المحاصيل والماشية وتعبر مناظر مقبرته عما كان يجرى فـى الحيـاة اليومية . وقد صاحب هذه المناظر نقوشا تفسرها ، ولم يفت الفنان تسجيل كثير مـن الفكاهات أو الملاحظات البسيطة ، فنجد سايس عربة باحرى يوبخ أحد خيولها قائلا : " قف ولا ترحل، ولا تكن غاضبا أيها الجواد الممتاز " ثم من المناظر الغير مألوفة

---

(١) د. أنور شكرى : المرجـع السـابق ، ص ٤٢٢ شـكل ١٩٣ ؛ د. أحمـد فخرى : المرجع السابق ، ٢٧٠ – ٢٧١ .

(٢) د.أنور شكرى ، المرجع السـابق ، ص ٣٩٨ ، ص ٢٩٨ ،شـكل ١٧٠ ؛ بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة ، ترجمة عزيـز مرقس ، ١٩٧٥ ، ص ٥٠٦ حاشية (٢٤) .

(٣) Taylor , The Tomb of Pahari at EL -Kab , p . 5 ;Vandersleyen , LAIV , p . 641 .

محراث يجره أربعة رجال . والملاحظ من الأحاديث التى ذارت بين باحرى وعمال مزارعة أنها تدل كلها على الحث على العمل ، كما تدل عن إخلاص هؤلاء العمال ، فكثير منهم يغنى وهو يخاطب الماشية " ادرس لنفسك أيتها الثيران .. إن التبن لعلفك والغلة لأسيادك " . وقد اشترك باحرى فى مراقبة وتدوين بعض أعمال الزراعة وإحصاء قطعان الماشية التى تمر أمامه من ثيران وأبقار وعجول وحمير وماعز وخنازير . وشوهد أيضا باحرى يسير على شاطئ النهر يراقب شحن المراكب بالقمح والشعير . وفى منظر آخر وهو يتقبل الذهب من رؤساء البلاد الأجنبية .[١]

ومن المحتمل أن وفاة الملك قد حدثت فى عام ١٥٢٠ ق.م . وإن مراسيم جنازته قد تمت أيضا فى سرية بالغة وكل من أشترك فيها اقسم إلا يكشف عن مكانها التى خبئ مدخلها عن طريق كتل حجرية ، ويبدو أن الطقوس الجنائزية للملك المتوفى قد تمت فى المعبد الذى كان قد شيد بواسطة سلفه ، والذى تعرض للإضافة والزخرفة من جديد فى عهد الملك تحوتمس الأول .[٢]

ومن أهم رجال عصره اوسر الكاتب ورئيس الخدم (المقبرة رقم ٢١) ورعى المشرف على المخازن الملكية (رقم ١٢٤) وأمنحتب الابن الملكى لتحوتمس الأول (رقم ٣٤٥) .[٣]

عاخبر إن رع – تحوتمس الثانى " نفرخعو " (١٥٢٠ – ١٥٠٥ ق.م) :[٤]

تجددت مرة أخرى وفى الظروف نفسها والأحوال مشكلة الوراثة وتولى العرش بعد وفاة تحوتمس الأول ، وكما حدث فى أعقاب وفاة أمنحتب الأول ، فلم يترك تحوتمس الأول إلا نسلا إناثا ، كوريثات للعرش ، وفى هذه المرة أيضا ، نرى

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥١٩ .

(٢) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p . 104 .

(٣) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٦١ ، ٣٦٩ ، ٣٨٥ .

(٤) عن هذا الملك ، راجع : Chr . Meyer , LAVI , p . 539 – 540 .

أبنا غير شرعى يعتلى العرش وهو تحوتمس الثانى [١] ، وكان أبنا لإحدى زوجاته غير الشرعيات وهى جنب نفرت ، لكى يعطى الملك الجديد لجلوسه على العرش الصفة الشرعية والقانونية – فقد تزوج من التى كانت تحمل لقب الأخت (؟) حتشبسوت ، التى كانت تبلغ من العمر فى ذلك الوقت أحد عشر عاما تقريبا .

وقد أعلنت مرارا أن أباها أراد أن تكون هى الملكة ، ولكن على الرغم من أنها اضطرت إلى الزواج من تحوتمس الثانى ، وهو أول زواج لحتشبسوت [٢] ، ويبدو أنها اكتفت بهيبة الملكة المشاركة لزوجها فى الحكم .

وكان الملك يبلغ من العمر واحدا وعشرين عاما ، وكان ضعيف الشخصية رقيقا ، وكان ملكا شبه رمزى ، فلم يكن بينه وبين زوجته أى نوع من العاطفة ، فهى شديدة البأس متصلبة الرأى ، وقد نجحت فيما بعد ، فى أن تؤكد شخصيتها فى عهده وعلى حساب سلطته وأن تمهد لخلالفته . وعلى الرغم من ذلك فبعد عام أو اثنين ، نجد أنهما رزقا بابنة كانت تسمى نفرورع وعلى الرغم من ذلك فقد ظل كل منهما غريبا عن الآخر لعدة سنوات :

وبدأ تحوتمس الثانى حكمه بالقضاء على ثورة فى الجنوب بالقرب من الجندل الثالث فى بلاد كوش ، ولم يقم بحملة تأديبية لأنه اكتفى بالقضاء على الثورة بواسطة القوات التى كانت تقطن فى المنطقة وذلك قبل وصول قوات الملك ولكنه وصل حتى الجندل الأول ، واستعرض الأسرى الذين جئ بهم من الجنوب . وقد جاء ذكر هذه الثورة فى بلاد كوش على لوحة أقيمت على الطريق بين أسوان وفيلة ، وتذكر نقوشها أنه لم علم جلالته بذلك ثار كالفهد ، واقسم أنه لن يدع أى رجل من هؤلاء حيا .وبالفعل قضى على هؤلاء الثوار .[٣]

---

(١) Vercoutter , L'Egypte Ancienne , p . 79 .

(٢) Posener , Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne , p . 287

(٣) Breasted , ARII (119 – 122) .

وبالإضافة إلى هذه الحملة المحددة قام بحملة أخرى ضد قبائل البـدو فـى الصحراء الشرقية ، ويذكر أحمس بن نخبت أنه رافق الملك إلى فلسطين .[١]

وفى الواقع أن تكرار مثل هذه الأحداث يبين لنا مدى ضعف سياسة الغـزو التى قام بها الجيش المصرى، فهذا الجيش كان يقوم بالغارات ، ويعود إلـى ثكناتـه عندما ينتهى كل شئ ولم يكن هناك احتلال واقعى بالمعنى المفهوم ، وفـى بعـض الأحيان كانت ترابط بعض القوات فى الحصون لكى تراقـب الأراضـى التـى تـم غزوها ، وكانت هذه الحصون مخصصة بالذات لحراسة الطـرق التجاريـة لحكـم السكان الأصليين للبلاد المفتوحة .

وبعد هاتين الحملتين تمتع الملك بنوع من الهدوء خلال السنوات التاليـة . وعن أعماله المعمارية نجده أقام الصرح الثامن بالكرنك [٢] وأقام تمثالين أمام هـذه البوابة وأقام بعض المقاصير فى معبد مدينة هابو وإسنا .

وشيئا فشيئا نجد أن الملك قد أزيح عن مسرح الأحـداث بواسـطة حـزب النبلاء الذى يؤيد بقوة مطالب حتشبسوت الدائمة ، والتى أعلنت أنها اختيرت بواسطة أبيها لكى تخلفه على العرش . وبين السنة الخامسة عشرة والسادسة عشرة من حكمه لم يكن هناك إلا الشيء القليل حتى تتجه حتشبسوت فى أحداث انقلاب يؤدى بها إلـى أن تصبح سيدة البلاد الوحيدة وتقصى تحوتمس الثانى عن العرش [٣] ، وكانت الملكة تريد أن تحتفل فى العام السابع عشر من حكمها بعيد السد لها (أى العيد الثلاثينـى)، وفى الواقع كان يحتفى بهذا العيد كل ثلاثين عاما أو بعد مدة أقل ،ويحتفى به بـالذات

---

(١) Breasted , ARII (124) .

(٢) فى رأينا ان تحوتمس الثانى هو الذى شيد الصرح الثامن ، وقام بترميمـه بعد ذلك حتشبسوت وتحوتمس الثالث وسيتى والأول ورمسيس الثالث ، عن وصف نقوشه ، راجع : د. سيد توفيق : المرجـع السـابق ، ص ١٦١ ـ ١٦٢ .

(٣) Weigall , op . cit . , p . 104 – 105 .

في السنة الثلاثين من الحكم ابتداء من اللحظة التي أعلن فيها الملك الحاكم وريثا للعرش . وأرادت حتشبسوت بذلك أن تبين انه منذ ميلادها وقد وعدها أبوها لكي تخلفه على العرش ، وكانت السنة السابعة عشرة من الحكم توافق بالفعل سنها الثلاثيني ، وهكذا فهي باحتفالها بالعيد الثلاثيني تؤكد للناس أنها هي- وليس شريكها في الحكم – التي كانت تحكم بالفعل وأنها الملكة الشرعية .

وبمناسبة هذه الأعياد أمرت بأن تشيد لها مسلتان كبيرتان عند الجندل الأول . وذلك لأقامتها في معبد الكرنك وكان مشروعها لم ينجح ، وكان عليها أن تغض النظر عن فكرة الاحتفال بالعيد الثلاثيني هذا وقد تركت المسلتان غير كاملتين على الأرض في معبد الكرنك لفترة ما . وقد تصالح الزوجان وكان من نتيجة هذا الوفاق أن ولد وريث للعرش وكان جاء المولود أنثى أيضا وسميت باسم . حتشبسوت ـ مريت رع .(١)

وعاد عدم الوفاق مرة أخرى بين الزوجين . وقد تزوج تحوتمس من زوجات أخرى ومن إحداهن تدعى ايزيس (اوايزه) ولد ابنه تحوتمس الثالث .

وقد صور تحوتمس الثاني على لوحة مع الملكة " أحمس " أرملة تحوتمس الأول وابنتها زوجة الملك العظيم ؛ حتشبسوت مما يدل على أن هذه الأخير قد تزوجت من تحوتمس الثاني . (٢)

واظهر تحوتمس الثاني الكثير من العطف نحو ابنه من زوجته غير الشرعية تحوتمس ؛ وفي الفترة التي ولدت فيها الأميرة حتشبسوت – مريت رع ؛ أصبح تحوتمس هذا شابا يبلغ من العمر حوالي ستة عشر عاما ؛ وكان يعمل كاهنا في معبد المعبود آمون رع بالكرنك .

وحفر تحوتمس الثاني مقبرة له بالقرب من من مقبرة أبيه تحوتمس الأول في وادي الملوك وهي تحمل رقم ٤٢ ؛ وقد دفن فيها بسرية تامة ؛ وظلت المقبرة

---

(١) عن هذه الأميرة ، راجع : Helck , LA11 ,p . 1052 .

(٢) Winlock , JEA 15 (1929) , p . 60 n . (4) .

غير كاملة نظرا لموته المفاجئ ، وتتم مومياؤه على أنه كان رجلا سمحا ولكن في جوهرة كان ضعيفا .

ماعت كارع – حتشبسوت خنمت آمون (١٥٠٥ – ١٤٨٣ ق.م) :[١]

حدث في أعقاب وفاة تحوتمس الثاني مثلما حدث في عهده جده وأبيه – فلم يترك أولادا شرعيين غلا إناثا ؟ وولدا واحدا من زوجة ثانوية ؟ وكنا ننتظر أن يأخذ هذا الأخير السلطة كما حدث سابقا في حالة تحوتمس الأول والثاني ، ويبدو أن هذا هو ما حدث بالفعل في بداية الأمر ، مع قرب نهاية حكم تحوتمس الثاني ، رأى رجال البلاط الذين يؤيدون الملك ووقفوا ضد طموح حتشبسوت ، أنه من الفضل أن يعلنوا هذا الأمير وريثا شرعيا ، وقد ساعدهم في ذلك كهنة آمون واعدوا له مراسيم المعجزة التالية :[٢]

"حدث أثناء أحد الاحتفالات الدينية في بهو الأعمدة الكبرى في الكرنك حيث كان الأمير يؤدى دوره ككاهن ، أن غير تمثال المعبود ، الذى كان محمولا في موكب على أكتاف الكهنة ، اتجاهه ، فتردد الكهنة الذين يحملونه ويبدو أنهم قد اندفعوا في اتجاه غير منتظر ، كما لو كانوا قد ارشدوا بواسطة المعبود نفسه ، وبدا لهم أن المعبود امون رع يبحث عن أحد ، وأخيرا توقف الموكب أمام الأمير الصغير تحوتمس ، ومال تمثال المعبود إلى الأمام كما لو كان ينحنى أمام الشاب الصغير لكى يختاره . وانبطح الأمير في الحال على الأرض لكي يحيى المعبود ، ثم قام واتجه نحو أبيه ، وكان الأمير يبدو مندهشا جدا ، واعلن كبير الكهنة عندئذ أنه من الواضح جدا أن المعبود قد اختار الشاب الصغير لكى يصبح وريثا للعرش وعندئذ حيا المشتركون الملك المنتظر " .

ويبدو أن الملكة حتشبسوت قد شعرت بنوع من الغضب الشديد عندما علمت

---

(١) عن هذه الملكة ، راجع : Scipel , LA II , p . 1045 – 1052 .

(٢) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne , p . 106 ; Breasted , ARII (341) ; Urk VI , p 155 – 176 .

بامر هذه المعجزة ربما حدث . وأدرك النبلاء الذين يحيطون بها ويساندونها أن المخرج الوحيد من هذا المأزق هو إعلان الملكة السيدة الوحيدة للبلاد قبل أن ينجح الأمير الصغير فى تعضيد مركزه كوريث للعرش ، وهنا تدخل القدر فى صالحهم فقد توفى الملك تحوتمس الثانى فجأة وهو فى سن الأربعين تقريبا .

ويرى بعض العلماء أن كل الأمور تشير إلى إنه توفى مقتولا . وعلى الرغم من هذا لم يكن حزب حتشبسوت بالقوة اللازمة لكى يستطيع إعلان الملكة الوريثة الوحيدة للملك ، ونجد أن الأمير الشاب تحوتمس يعتلى العرش تحت اسم منخبر رع – تحوتمس الثالث ، ولكنه كان صغيرا جدا ولذلك نجد أن الملكة حتشبسوت فرضت عليه نوعا من الوصاية لأنها كانت أول زوجة لأبيه تحوتمس الثانى ، وكانت تسمى نفسها دائما الملكة المشتركة فى الحكم فى أكثر من مرة ، وفى النقوش التى تقص علينا حياة المهندس انينى والتى ذكرناها سابقا ، نجد تفسيرا واضحا للموقف (١) :

" لما صعد (تحوتمس الثانى) إلى السماء بنجاح ، واتحدت (روحه) مع المعبودات ، أخذ ولده مكانه كملك للأرضين وأصبح حاكما على العرش الذى خلفه ، وكانت أخته (٢) ، الزوجة المقدسة حتشبسوت تدير شئون البلاد طبقا لإرادتها "(٣) .

وأخذت هذه الوصاية تتحول شيئا فشيئا إلى حكم حقيقى ، واضطرت حتشبسوت إلى أبعاد ابن أخيها – إلى مكان غير معروف – وحكمت بمفردها مدة

---

(١) Weigall , op . cit . , p . 106 – 107 ; Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p . 86 ; Drioton – Vandier , L'Egypte (éd . 1952) , p . 338 .

(٢) فى الواقع أن حتشبسوت لم تكن أختا له بل عمته ، عن النزاع بين حتشبسوت وتحوتمس الثالث ، راجع : د. أحمد فخرى ، مصر الفرعونية ، ص ٢٧٢ – ٢٧٤ .

(٣) Breasted , ARII (341) ; Urk IV , p . 59 – 60 .

اثنين وعشرين عاما .[١]

وفى لحظة ما نرى أن موقف كهنة امون أثناء هذه الفترة بدأ يتغير ، وهم الذين ساعدوا تحوتمس الثالث فى البداية .ونرى كبير كهنة آمون يتحول إلى أحد المخلصين والموالين للملكة حتشبسوت ، ولكى تدعم حقها وسلطانها خرجت على الناس بقصة ساعدها فيها كهنة آمون ، مغزاها أنها ابنة المعبود آمون من صلبه . وسطرت لنا هذه القصة بتفاصيل ميلادها المقدس على جدران معبدها فى الدير البحرى .

ومن هنا نرى دور كهنة هذا المعبود ومدى تأثيرهم على مجريات الأمور ، سواء أكانت حتشبسوت قد نجحت فى إقناعهم واستمالتهم إلى جانبها ، أم أنهم لعبوا هذا الدور من تلقاء أنفسهم أو عن اقتناع شخصى لغرض لا نعرفه .

تلقبت حتشبسوت أثناء حياة تحوتمس الثانى بالألقاب الآتية :

" الأخت الملكية والزوجة الملكية " .

وفى معبد الدير البحرى يلى منظر الميلاد المقدس مناظر أخرى ، تبين تتويج الملكة ، فنرى تقديم حتشبسوت إلى المعبودات آمون أولا ثم حور آختى الذى يقوم بنثر الماء المقدس عليها ، ثم بعد ذلك نرى آمون يأخذ على ركبتيه طفلا صغيرا ، وهو يواجه المعبودات ، وهؤلاء يعترفون بحتشبسوت أبنة لآمون ويعبرون عن رضاهم على هذا الاختيار [٢] . وإلى جانب هذا المنظر ، نرى الملكة تجوب البلاد مع أبيها وتزور المعابد وأثناء هذه الرحلة ، كانت هناك معبودات أخرى تعترف بها وتنتهى الرحلة بزيارة المعبود آتوم [٣] فى هليوبوليس وبعد ذلك أحضرت

---

(١) Yoyotte , Kemi 18 (1968) , p . 85- 91 .

(٢) Yoyotte , op . cit . , p . 89 ; Urk IV , p . 216 – 234 ; Breasted , ARII , (187 – 212) ; Naville , Deir el Bahari II , p . 46 – 55 . وأيضا : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٧٥ .

(٣) عن آتوم ، راجع : Kakosy , LAI , p . 550 – 552 .

التيجان وعليها أسماء حتشبسوت . وبعد ذلك صورت الملكة متوجة ومرتدية الزى الملكى أمام آمون . ونرى حتشبسوت أمام عرش آمون . ويستقبلها الكاهن الذى يحمل لقب " ايون موت إف " الذى يقول لها :

" أنت تتربعين على عرش حورس ، أنت ترشدين كل الأحياء ، أنت مليئة بالسرور ، تعيشين مع روحك إلى الأبد مثل رع " .

ونرى صور أرواح السالفين ترحب بالملكة على حين تقوم المعبودة شسات والمعبود تحوتى بتسجيل ذلك الحدث ، وبعد هذا نرى منظر التتويج نفسه فنرى حتشبسوت أمام تحوتمس الأول وهو جالس على العرش ، ويضع الملك يده على كتفى الملكة ويقدمها إلى نبلاء القصر والأصدقاء ورجال البلاط ورؤساء الشعب . وبعد ذلك يأتى مراحل التتويج فنرى مناظر التطهير ونرى الملكة تصطحب إلى مقصورة مصر العليا والوجه البحرى وتوضع التيجان على رأسها بواسطة حورس وست .(١)

منذ البداية كان على الملك الجديد الشاب تحوتمس الثالث ، أن يؤدى دورا ثانويا ، لأن السلطة الفعلية كانت فى يد الملكة حتشبسوت . وقد اعترف تحوتمس الذى كان شابا صغيرا بسلطة حتشبسوت .(٢)

وكان من الواجب طبقا للتقاليد المصرية أن يتزوج من التى كانت تحمل لقب الأخت نفرو رع – ابنة تحوتمس الثانى وحتشبسوت الكبرى – التى كانت تبلغ من العمر تسعة عشر عاما ، وهذا الزواج كان من نتيجته هو تقوية حقوق الملك الجديد فى العرش ، وقد اعترضت الملكة حتشبسوت على هذا الزواج فى بداية الأمر

---

(١) Frankfort , la Royauté et les dieux , p . 157 ; Naville , op . cit . , II , p l . 56 – 61 .

(٢) Edgerton , The Thutmosid Succession (Studies in Ancient Oriental Civilisation) (1933) , p . 17 ; Breasted , AR II (116 – 118) ; Frankfort , op . cit . , p . 153 . n . (3) .

ولكن بعد مرور سنتين قبلت أن تزوجه ابنتها نفرورع.[١] وربما اضطـرت الملكـة حتشبسوت للتنحى إلى الصفوف الخلفية مع اللقب البسيط كأرملة المتوفى . ونذكر هنا أن أم حتشبسوت ، أحمس حنت تمحو ابنة الملك أحمس وزوجة تحوتمس الأول كانت لا تزال على قيد الحياة ، وربما كان لها بعض التأثير فى البلاط الملكى وكانت تبلـغ من العمر ستين عاما ، وكانت تحتفظ بجمالها ، على الرغم من كبر سنها . ويبدو أنه كان لها تأثير على ابنتها ، وذلك مما يتضح من التغير الكبير الذى نتج فـى موقـف حتشبسوت بعد وفاة الملكة الأم مباشرة ، وهنا قبلت حتشبسوت أن يتزوج تحوتمـس من ابنتها [٢] ، ولم تعد تخشى على الإطلاق تحوتمس الثالث ، ولم تـرزق بـأولاد ذكور لكى يخلفوها . ولهذا عندما وافقت على زواج ابنتها كانت تأمل إن يصبح لـها حفيد صغير . ومنذ بضع سنوات حاول تحوتمس أن يؤكد موقفه وقد نجح على الأقل فى ذكر اسمه فى كل النصوص الرسمية إلى جانب حتشبسوت .

وفى البداية كانت الملكة تمثل خلف صورتها صورة الملك الشاب تحوتمـس الثالث ، ولكن فجأة فى الأيام الأولى من العام التاسع من الحكم أى عـام ١٤٩٤ ق.م نجد أن النبلاء الذين كانوا يحيطون بالملكة أخذوا بزمام الأمور وأعلنوا الملكة ملكـا تحت اسم ماعت كارع - حتشبسوت ، وابتداء من هذه اللحظة بدأت تشترك فى الحكم بصفة رسمية وعملية من ابن أخيها وزوج ابنتها ، تحوتمس الذى لم يشـترك علـى الإطلاق فى السلطة ولا أسميا بعد هذا التاريخ وغلب على أمره بواسطة حتشبسـوت وأعوانها . وأصبحت تحمل من الآن مثل تحوتمس ألقاب الملوك :

" الاسم الحورى ، النبتى ، النسوبيتى ، حورس الذهبى ، وابـن رع ، وكانت فى ذلك الوقت فى حوالى الخامسة والأربعين من عمرها ، وكـان تحوتمـس يبلغ ستة وعشرين عاما .

---

(١) Drioton – Vandier , L'Egypte (éd . 1952) , p . 338 .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٧٤ (٢) .

وعلى الرغم من أن هذا الأخير قد اظهر فيما بعد أنه كان أكثر قوة ونشاطا من جميع ملوك مصر ، إلا أنه امضى حوالى الثلاثة عشر عاما التالية فى ركن منعزل – انعزالا تاما – وكان الموقف صعبا بالنسبة له ، وله وقعة السيئ على نفسه .

وحاولت حتشبسوت أن تظهر بحماس شديد أن الاختيار كان اختيار أبيها تحوتمس الأول ، الذى أراد أن يجعل منها ملكة دون تحوتمس الثالث ، وكان يتردد فيما يبدو فى البلاط الملكى العبارات الآتية :

" لقد عينتها لكى تخلفنى على عرشى ، فهى بالتأكيد التى سوف تجلس على عرشى المجيد ، وهى التى سوف تدير شئون البلاد فى كل إقليم من أقاليم الدولة ، وهى التى سوف تقودكم "(١)

وكانت ثالث ملكة تضع التاج المزدوج على رأسها فقد سبقتها نيت اقرت من الدولة القديمة ، وسبك نفرو من أواخر الدولة الوسطى (٢) ، وبصفتها " الملك " نجدها تمثل فى النقوش وهى ترتدى ملابس الملوك الذكور ، والسؤال : هل كانت تحمل هذه الملابس فى الواقع ؟

فقد حاولت بالتأكيد أتبين على الأقل من ناحية المظهر العام فى النقوش أنها " ملكا " وأنها لا تقل عن الرجال فى شئ .(٣)

وكانت تصر على أن تسمى " ملك " وليست " ملكة " ، وأن يستخدم لها الضمائر المذكرة " هو " بدلا من " هى " و " منه " بدلا من " منها " .

وعلى الرغم من كل هذا فهى إحدى الملكات غير العاديات اللاتى تركن

---

(١) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p . 109 .

(٢) Suzanne-Ratie ,la Reine –Pharaon, Paris (1972) , p . 20-22.

(٣) ظهرت فى نقش واحد وهى ترتدى زى السيدات وذلك على كتلة من الحجر عثر عليها فى الكرنك ، راجع: , Chevrier, ASAE 34 (1934) p . 110 (1) et p . 172 pl . 4 .

سجلا حافلا فی تاریخ مصر القدیم .(١)

ويبدو أن الذى روج لكل هذه الادعاءات فى النصوص الرسمية هم مجموعة النبلاء الذين كانوا يحيطون بها ، والذين يعتمد مصيرهم ومستقبلهم عليها وعلى سلطتها ، وكان رئيس هذه المجموعة – التى تعمل فى الحقيقة من وراء الستار – رجلا يدعى سنموت الذى وصف على أنه " اكبر الكبار فى كل البلاد ، وأعلن الأعلون ، رئيس الرؤساء لكل الأقاليم " وكان أيضا " هو الذى يسمع ما لا يسمع إلا فى مجلس الأسرار ، الصديق الحقيقى للملكة ، الذى يستقبل فى القصر بحب ويخرج بتكريم ، الذى يمتع قلب ملكته كل يوم " .

وهو فى الواقع الذى أدار شئون البلاد وحافظ على سلطة حتشبسوت ، ويبدو انه كان مكروها من تحوتمس الثالث ، الذى قضى على كل المجهودات التى حاول القيام بها هذا الملك لإثبات شخصيته .

ويبدو أن سنموت كان يقود بعض الحملات فى الخارج . ولكن حكم الملكة امتاز بسلام دائم . وكان سنموت يتولى وظائف هامة وكان يوضع تحت تصرفه ثروة بعد الكرنك ، وكان له شرف تربية الأميرة نفرورع ابنة حتشبسوت ، ونجد أنه مثل تلك الأميرة وهى طفلة ويحملها بذراعية على عدة تماثيل من تماثيله (٢) وكان مشرفا على كل المنشآت الملكية بطيبة (٣) وخاصة معبد الملكة فى الدير البحرى .(٤)

وعثر لسنموت على مقبرتين واحدة فى شيخ عبد القرنة وهى تحمل رقم ٧١ والأخرى بالدير البحرى وتحمل رقم ٣٥٣ . ومن كبار الشخصيات أيضا :

---

(١) Suzanne – Ratie , op . cit . , p . 267 .

(٢) Allen , AJSL 44 (1928) , p . p. 45-55 ; R. el Sayed , Quelques personanges Célebres : مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢٥ ، ١٩٧٨ ، ص ٤٨ – ٤٩ .

(٣) Breasted , AR II (351) .

(٤) عن سنموت ، راجع : Simpson , LAV , p . 849 – 851 .

حابوسنب الكاهن الأول [١] لآمون (رقم ٦٧) . وكذلك تحوتى الذى عاش حتى عهد الملك تحوتمس الثالث .[٢] وكان يشغل وظيفة مفتش واشترك فى الإشراف على أعمال عديدة بالكرنك . ويذكر لنا فى مقبرته (رقم ١١) بدراع ابو النجا أن الملك كافأه بكاس من الذهب [٣] وهناك أيضا دوا نحح المسئول عن الشعارات والمبعوث الأول وممتلكات آمون (رقم ١٢٥) وانتف الرسول الكبير الذى عاش حتى عصر تحوتمس الثالث (رقم ١٥٥) ونب أمون كاتب الحسابات رقم واغتصبها إمى سبا) وسن من رئيس الاستقبال ومربى الزوجة المقدسة (رقم ٢٥٢) وأمنحتب المشرف على أعمال المسلتين فى معبد آمون (رقم ٧٣) وتحوتى اخر ساقى الملك (رقم ١١٠) ونب أمون آخر وكان محاسبا للغلال فى شون امون (رقم ١٧٩) .

وأمتاز حكم حتشبسوت بعدم الاهتمام بالناحية العسكرية [٤] ، ربما لعدم تأكدها من ولاء قادة الجيش ، أو أنها كانت غير قادرة على قيادته بنفسها ، وقد حلت البعثات التجارية محل البعثات العسكرية وخاصة إلى بلاد بونت . وانتشرت سيرة حتشبسوت كامرأة ملك فى المناطق البعيدة ، وعلى جدران مقبرة سنموت نرى عدة مناظر تمثل وصول وفود السفراء الذين جاءوا من كريت لكى يقدموا إلى الملكة الهدايا الثمينة.

وشيدت الأبنية الضخمة فى هذا العصر والتى تشهد بعظمة هذا الحكم . وقد تركت لنا الملكة آثارا كثيرة . وكما ذكرنا سابقا أن حتشبسوت كانت ترغب فى الاحتفال بعيدها الثلاثينى لذلك أمرت بتشييد مسلتين وضعتا فى معبد الكرنك بين الصرحين الرابع والخامس وعندما صرفت النظر عن الاحتفال بهذه الأعياد ، تركت المسلتان فى مكانهما بدون نقش ، والآن وبعد أن أصبحت ملكا فقد أمرت بأن تقام المسلتان أخيرا ، وقامت بنقش إحداهما ، وأعلنت فى هذه النقوش أنها أعدت هاتين

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٦ – ٤٨ ؛ R. el Sayed , op . cit . ,

(٢) Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p . 85

(٣) المرجع السابق ، ص ٥١ . R . el Sayed , op . cit . ,

(٤) Vercoutter , L'Egypte Ancienne , p . 80 .

المسلتين منذ وقت طويل فيما مضى [١] . وفى الفترة التى كان يجب أن تحتفل فيها شرعيا بعيدها الثلاثينى (السنة السابعة عشرة من حكمها المشترك مع تحوتمس الثانى) وباحتفالها بعيدها هذا ، فهى تؤكد هكذا أنها منذ البداية قد اختيرت بواسطة أبيها لكى تخلفه ، وهذا النص ، يحتوى ، على قسم صيغته كالآتى :

"انتم ، الذين سوف ترون هذه الآثار ، بعد سنوات طويلة ، وسوف تتحدثون عما فعلت ، إياكم والقول : " إننا لا نعرف ولا نفهم لماذا أقيم كل هذا ؟ فكأنما أن هناك شيئا ما (غير) عاديا سيحدث ، لأننى أقسم بحب رع معبود الشمس لى ، وبالكرامات التى أظهرها لى ابو امون ، وبحق أن خيا شيمى تمتلئ بنسيم الحياة السعيدة ، وبحق أننى أحمل التاج الأبيض لمصر العليا واظهر بالتاج الأحمر للوجه البحرى ... وبحق أن السماء باقية خالدة وما حققه رع لا يهلك أبدا ، وبحق أن الأبدية هى من نصيبى مثل تلك النجوم الخالدة ... اقسم أن هاتين المسلتين ، قطعت كل واحدة منهما من قطعة واحدة من الجرانيت الصلب ، وقد شيدتا تحت آمرتى ، وأن هذا العمل قد استمر من اليوم الأول من الشهر السادس للسنة الخامسة عشرة حتى اليوم الأخير من الشهر الثانى عشر من السنة السادسة عشرة أى أن نحتهما فى المحاجر قد استغرق سبعة أشهر [٢] " .

وهى تقسم أن هاتين المسلتين كانتا جاهزتين فى الوقت المناسب للسنة السابعة عشرة ، وعلى الرغم من انهما لم تقاما حتى السنة التاسعة من حكمها المنفرد ، فكأن من حقها أن تقيمها فى هذا التاريخ الثانى ، طالما أنها كانت طوال الوقت الملكة الحقيقية . وقد أقيمت هاتان المسلتان بين الصرحين الرابع والخامس فى

---

(١) Chevrier , RdE 72 (1970) , p . 33 – 35 .

وتعد هذه المسلة من أبرز ملامح معينة الكرنك وأهمها . أما المسلة الثانية فقد هوت على الأرض وتهشمت ولا يزال جزء كبير من أعلاها يرى بجانب البحيرة المقدسة ، راجع : د.أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢١٢ حاشية (٢) .

(٢) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p . 110 – 111 .

الكرنك ، ومازالت إحداهما باقية حتى الآن ويبلغ ارتفاعها أكثر من ٣٠ مترا وتقع في بهو أعمدة تحوتمس الأول .[١]

وفى بداية السنة التاسعة أيضا ، بدأت في بناء معبد الدير البحري وهو من أجمل المعابد المصرية وكان يحمل اسم [٢] D̲ sr – d̲srw ، فهو مقام على مسطحات في جبال طيبة الغربية في المكان الذى اقام فيه الملك منتوحتب الثانى من الأسرة الحادية عشرة [٣] مقبرته التى يعلوها هرم ، وقد بنى المعبد الجديد على هيئة شرفات من الحجر الجيرى الأبيض الناصع في وسطها طريق صاعد يؤدى إلى قدس الأقداس [٤] ، وأمام شرفتين من هذه الشرفات ، يوجد بهو أعمدة مسقوف وكان يحيط بالشرفات نفسها أفنية محاطة بالأعمدة ، ويمثل الجبل خلف المعبد حاجز طبيعيا ضخما . وإلى الشمال من الفناء الأوسط نرى بهو أعمدة شيد من الحجر الجيرى أيضا وفي الرواق السفلى منظر يمثل سفنا تحضر مسلتين ضخمتين من الجرانيت من أسوان إلى الكرنك .[٥]

ومن الواضح أنهما يمثلان المسلتين اللتين أوكلت حتشبسوت إلى سنموت أقامتهما خارج سور المعبد ولم يبق منهما إلا بعض الأجزاء [٦] .

ولا يصح أن نخلط بينهما وبين الأخريين اللتين ذكرتا ووضعتا في بهو

---

(١) د.أنور شكرى : المرجع السابق ،ص ٢١٢ – ٢١٨ .

(٢) Helck , LAV , p . 7 .

(٣) Vandier , Manuel d'Archéologie II , p . 158 – 165 , 669 – 680 وأيضا د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ١٩٦٧٣ ، ص ٢٩٦ – ٢٩٩ ؛ د.انور شكرى : المرجع السابق ، ص ٣٧٦ – ٣٧٨ .
Arnold , LAI , p . 1011 – 1017 .

(٤) د.أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٠٧ – ٤١٦ . Arnold , LAI , p . 1006 – 1011 .

(٥) Naville , Deir el Bahari VI , pl . 154 .

(٦) Habachi , JNES 16 (1957) , p . 88 – 104 .

أعمدة تحوتمس الأول .

أما فى الرواق القائم فى الثلث التالى ، فنرى مناظر رحلة بلاد بونت [١]

---

(١) أختلف العلماء فى تحديد موقع بونت هل هى فى المنطقة الممتدة من سواكن إلى مصوع ، أو فى منطقة خليج زولا على ساحل ارتيريا ، أو فى منطقة خليج تاجورة فى الصومال ، أو فى شمال الصومال أو فى شماله الشرقى ، راجع : Herzog , Punt , Abh . DAIK . Bd 6(1968) p . 20 – 30
ويرى د. عبد المنعم عبد الحليم فى دراسة قام بها تحت عنوان : " محاولة لتحديد موقع بونت " نشرت فى دراسات أثرية وتاريخية ، جمعية الآثار بالإسكندرية ، العدد الخامس ١٩٧٤ ، ص ٥ – ٤٠ ، وأعيد نشرها فى كتاب للمؤلف نفسه الذى يحمل عنوان : " البحر الأحمر وظهيرة " . فى العصور القديمة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٣ ، ص ٣٩ – ٧١ . " أن منطقة بونت تقع فى شمال شرق الصومال وتطل على خليج جل – وين (نهر الفيل) ،كما عرض د. عبد الحليم فى هذا المؤلف ملخصا لرسالته للماجستير ، غير المنشورة عن " دراسة لعلاقات مصر القديمة ببلاد بونت " ونشاطها فى البحر الأحمر (راجع المؤلف السابق ، ص ١٥ – ٢٢) كما نشر فى ذلك المؤلف بحثا آخر بعنوان " البخور عصب تجارة البحر الأحمر فى العصور القديمة " تعرض فيه لبلاد بونت (راجع ص ٥٦٤ – ٥٩٥) . ويرى د. صالح أن بلاد بونت هى منطقة الصومال وارتيريا معا وربما ضموا إليها ما يقابلها من الجنوب الغربى لبلاد اليمن فى بعض العصور ، راجع : د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ١٢٧ .
ويرى د. عاطف عبد السلام فى دراسة حديثة تحمل عنوان " موقع بلاد بونت " وتجارة اللبان فى ظفار . نشرت فى مطبوعات دراسات فى علم الآثار والتراث التى تصدرها الجمعية السعودية للدراسات الأثرية ١٩٩٤ ، ص ١– ١٤ ، أن بلاد بونت هى : ==

التى أمرت بها الملكة فى السنة التاسعة بعد الانتهاء من بناء معبدها [1] . ونرى

== بلاد ظفار الواقعة فى جنوب عمان وأن الاسم الذى أطلقه المصريون القدماء عليها هو نفس الاسم الذى كان يطلقه عليها أهل اليمن وهو " بنت "؟ وفى رأينا أننا نجد :

إشارة هامة وردت عن بلاد بونت فى نص على لوحة الملك أمنحتب الثالث بالمتحف المصرى رقم ٣٤٠٢٥ ، تلك اللوحة التى أغتصبها مرنبتاح بعد ذلك ، ويتحدث المعبود آمون رع فى هذا النص عن المعجزات التى حققها لأبنه الملك أمنحتب الثالث ويذكر انه اتجه يوجهه نحو الجهات الأصلية الأربع : الجنوب والشمال والغرب والشرق (الأسطر من ٢٧ إلى ٣١) وأنه كان السبب الرئيسى فى مجيء سكان هذه الجهات محملين بكل عطاياهم ومنتجاتهم فوق ظهورهم هدية للملك أمنحتب الثالث ، وأنه كان السبب الرئيسى أيضا فى الحد من اعتداء التحنو على الحدود الغربية ولن ينجحوا فى المستقبل فى هدم الحصن المشيد لحماية هذه الحدود . كما يلاحظ فى السطرين ٢٧ – ٢٨ أن المعبود آمون أتجه بوجهه نحو الجنوب وتحققت المعجزة فيقول :

- واتجهت بوجهى نحو الجنوب (فكانت) معجزتى لك (إلا وهى) أننى سببت أن يأتى إليك (سكان) المناطق الجبلية من أطراف آسيا محملين بكل عطاياهم فوق ظهورهم يقدمونها إليك بأنفسهم مع أبنائهم متضرعين لعلك تهبهم نسيم الحياة .
- واتجهت بوجهى نحو الغرب (فكانت) معجزتى لك (إلا وهى) أننى جعلتك تقبض على التحنو ولن يستطيعوا أن يدمروا بناء هذا الحصن بسبب اسم جلالتى ، والمحاط بسور عال ، على وشك أن يخترق السماء وعمر بأبناء عظماء رجال الأقواس من النوبة . ==

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ – ٢٠٨ ، وأيضا :
Daumas . la Civilisation de L'Egypte Pharaonique ,p.176,Fig.54.

مناظر تمثل سكانا يعيشون وسط النخيل فى أكواخ مستديرة الشكل يصل إليها الساكن

== واتجهت بوجهى نحو الشروق (فكانت)معجزتى لك (إلا وهى) أننى سببت أن يأتى إليك (سكان) المناطق الجبلية لبونت محملين بكل النباتات ذات الروائح (البخور) الخاصة بمناطقهم الجبلية لكى يطلبوا السلام مصحوبا باستنشاق النسيم من عطائك " . لهذا النص راجع : Breasted AR 111 , p . 256 = PM 11 , p . 49 (7) ; Kitchen , RI 1V , p . 12 – 19 . راجع لنفس هذه صيغة :

نقوش تحوتمس الثالث وسيتى الأول ورمسيس الثالث ، راجع : Grimal , les Termes de la Propogande Royale Egyptienne , p . 450 – 463 . ويفهم من هذا النص الهام بأن بلاد بونت تقع فى اتجاه الشرق وخاصة وأنه فى السطرين ٢٧ – ٢٨ تحدث المعبود عن بلاد كوش فى الجنوب ولم يحدثنا عن بونت على أنها فى الجنوب فى منطقة كوش أو مجاورة لها ، بل وضعها فى الشرق وأن بيئتها بها مناطق جبلية وأن أشجار البخور تأتى من مدرجات هذه المناطق أضف إلى ذلك أن مخصص كلمة بونت فى هذا النص هو مخصص " سلسلة الجبال " مما يدعونا إلى افتراض وجود بلاد بونت فى منطقة ما جنوب اليمن ، كما أننا نعلم أنه كان يوجد باليمن مدرجات الكندر التى تنبت خير أنواعه ، راجع : د. عبد العزيز صالح :الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول :مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٢٠٧ . كما يذكر أيضا رأى له أهميته بأن أمير أو زعيم بونت قبل استقباله لبعثة الملكة حتشبسوت قام هو ورجاله باستيراد عدد ٣١ من شجيرات الكندر من مدرجات الكندر فى اليمن حتى يقوموا بدور الوسطاء التجاريين النشيطين وحتى يجنبوا رجال بعثة الملكة مشقة الذهاب إلى اليمن ، (راجع : ص ٢٠٧) . ويرى د. صالح أنه صحب الرحلة إلى بونت فنان مصرى كبير تولى بعد عودته الإشراف على تنفيذ النقوش والمناظر التى تمثل مراحل هذه الرحلة بكل تفاصيلها وبكل دقة على جدران الشرفة الأولى لمعبدها (راجع : ص ٢٠٧ – ٢٠٨) . وهناك نص ==

عن طريق سلم وقد مثل وصول المبعوث المصرى القديم وتقديم الهدايا إلى هـؤلاء

من عصر رمسيس الثالث يحدثنا عن إرسال هذا الملك لبعثة رسمية إلى بلاد بونت لإحضار البخور والصمغ ، راجع فيما بعد ص ٣١٣ حاشية (١) .

وهناك نص من عصر أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين ربما كان الملك بسماتيك الأول أو الثالث (؟) نقش على لوحة محطمة عثر عليها بترى فى دفنه ويحدثنا عن " مصر السماء فى الشهر الرابع (؟) من فصل الشتاء اليوم ١٣ ... بدرجة كبيرة " (السطرين ٨ - ٩) ويعتبر كاتب النص أن سقوط هذه الأمطار بغزارة على جبل بونت بأنها معجزة كبرى فى موسم قلت فيه الأمطار فى المناطق الجنوبية والوجه البحرى كما يشير النص إلى دور المعبودة نيت فى حدوث الفيضان السماوى (hcpy) (أى مطر) لكى تحيا قوات الملك . ويبدو أن أفراد هذه القوات التى كانت فى مهمة فى بلاد بونت قد تعرضت لخطر الموت ظمأ عند اجتيازها لمناطق وعرة يندر فيها سقوط الأمطار فى أواخر فصل الشتاء ، ولكنهم نجوا بفضل هطول الأمطار بغزارة وبفضل معبودة سايس نيت معبودة الأسرة الملكية (وهذا يذكرنا بما ورد عند هيرودوت بأن أمطار معجزة هطلت بغزارة على مدينة طيبة فى عهد الملك بسماتيك الثالث وهذا لم يحدث من قبل ، راجع : Barguet , Herodote – Thucydide , Paris , 1964 , p. 222 (10 , 111)ونقرأ فى الأسطر ١٢ - ١٢ ما يلى :

(١٢) ... معجزة كبرى حدثت فى وقت جلالتك .

(١٣) ... (لم) ير هذا ولم يسمع هذا فقد أمطرت السماء (Hypt) على جبل بونت (فى وقت) يقل (Cndw) فيه المطر فى المناطق الجنوبية .

(١٤) ... خلال هذا الشهر الذى أمطرت فيه لم يكن موسمها بالتأكيد على مدن أرض الشمال (الوجه البحرى) .

السكان ونشاهد زعيمهم ومعه زوجته ، ومن الواضح أن البعثـــة عـــادت بمنتجـــات احضرتها عن طريق المقايضة . وبعد ذلك وصفت لنا أخبار هذه البعثة فـــى نقــوش محفورة على جدران المعبد وأعلنت فيها أنها قامت لهذا العمل بناء على طلب أمون :

== (١٥)... أمك نيت سايس أحضرت لك الفيضان لكى تحيا قواتك "

عن هذا النص ، راجع : Petric , Nebsheh and Deffenneh (Tanis ·11) (1888) . p . 107 – 8 (103) , p1 . 42 ; R . el Sayed , La Deesse Neith de Sais , BdE 86 /2 (1982) , p . 408 (doc . 457) ; Vikentiev , la Haute Crue du Nil (1930) , p . 51 n (5) , p . 52 ; Z . Topozada ,Les activités des Rois de la XXVI eme dyn . en Egypte , p . 270 – 271 (doc . 341)

رسالة دكتوراة ، غير منشورة ، كليـــة الآداب – جامعـــة المنيـــا ١٩٨٣

Gauthier , LRIV , p . 77 n (1) ; PM IV , p . 7 .

د. عبد المنعم عبد الحليم : البحر الأحمر وظـــهيره ، ص ٤٠٣ حاشـــية (٨) . فهل يفهم من هذا النص أن بلاد بونت تقع فـــى المنـــاطق الجنوبيـــة لمصر .أما نص أمنحتب الثالث السابق ذكره من عصــــر الأســـرة الثامنـــة عشرة فيضعها ناحية الشرق . معنى ذلك أن بـــلاد بونـــت كـــانت تشـــمل المنطقتين فى الشرق وجنوب الحدود المصرية ممـــا يرجـــح معـــه رأى د. صالح بأنها كانت تشمل منطقة الصومال وارتيريا وربما ضموا إليـــها مـــا يقابلها من الجنوب الغربى لبلاد اليمن فى بعض العصور (راجع . د. عبـــد العزيز صالح : المرجع السابق ،ص ١٢٧) ونظرا لأهمية هذا الموضـــوع آثرنا أن نقوم بإعداد دراسة تفصيلية عنه ، وقمنا بتجميع حوالى ١٦٥ وثيقة أو نصا عن بلاد بونت وتا – نثر منذ عصر الدولة القديمة حتـــى العصـــر البطلمى الرومانى وتحدثت عن آثر منتجاتها فى الحياة اليومية فـــى مصـــر القديمة ، وهى دراسة نشرت فى مجلة التاريخ والمستقبل التىيصدرهاقسم التاريخ بكلية الآداب – جامعة المنيا ، العدد الثانى يوليـــو ١٩٩٩ ، ص ١- ١٠٣ .

" أمرنى آمون أن أقيم من أجله (أنموذجا) لبلاد بونت هنا – على هذه الأرض – وأن أزرع أشجار هذا القطر المقدس إلى جانب المعبد وفى حدائقه " . وقد عادت هذه البعثة فى نهاية العام التاسع ، حاملة معها – بالإضافة إلى أشجار البخور التى زرعها أمام المعبد – كل أنواع المنتجات الأخرى مثل جلود الفهود ، ريش النعام ، العاج ، الأبنوس ، الأخشاب الثمينة ، الكحل ، الذهب الفضة ، الأحجار نصف الكريمة ، والعديد من أنواع الحيوانات الحية مثل الزراف ، الفهود ، والقردة وخاصة أنواع منها ، وأيضا كميات كبيرة من مواد البخور .

وقد وهبت كل هذه الأشياء لآمون – معبود معبدها الرئيسى – وذلك أثناء احتفال دينى كبير ، وبيدها كانت تعطر كل جسدها بأحسن العطور حتى أن العطر الذى يفوح منها كان مثل أنفاس المعبود ، وتختلط رائحتها مع رائحة بلاد بونت وكان جسدها مزينا بالذهب الأبيض " الذى يلمع مثل النجوم فى قبة السموات على مرآى من كل البلاد " .

وعندئذ يقول المعبود " مرحبا بك ، ابنتى ، عزيزتى ، أنت التى أقمت آثارى الجميلة وجعلت من عرشى أكبر تجمع للمعبودات ، وذلك بتطهير مكان إقامتى ، ودلالة للحب أعطيك الحياة والسلام مكافأة ، وكل الاستقرار وكل الصحة ، وكل السعادة التى تأتى من عندى ، وأعطيك كل البلاد لكى يسعد قلبك ، لأننى أمنحها لك لوقت طويل ، ومع التمتع بالنظر إليها حتى تنقضى آلاف آلاف السنين التى خلقتها وسوف تخلد أعمالك " .(١)

وقد صورت الملكة وخلفها قرينها على هيئة إنسانية . وكانت روح الملك تصور معه على الآثار فهى تولد مع الملك كقرينة ، وهى حامية للملك وتحتفظ بصفات القوة والحيوية وتكرر تحركات الملك .(٢)

وفى الشمال من الرواق نفسه أو الشرفة صورت مناظر الميلاد المقدس

---

(١) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p . 113 .

(٢) Frankfort , la Royauté et les dieux , p . 110 .

للملكة .[١] ونرى الملكة أحمس أمام آمون والطفل الملكى والكا (أو الروح) وقد قام المعبود خنوم بصنعها على عجلة الفخار ، الأم وهى حامل فى مكان الـولادة وبعـد ذلك تتابع المراحل حتى الميلاد المقدس وتتويج الملكة .[٢]

وقد صور سنموت فى مقصورة الدير البحرى ، وسمحت له الملكة بذلـك ، وقد صور وهو يتعبد لجلالتها [٣] . وعثر على معبد صغير لحتشبسوت فـى مدينـة هابو [٤] ، وفى بوهن أقامت حتشبسوت معبدا يتألف من ردهة تليها ثلاث قاعات .[٥]

وفى أقصى الطرف الجنوبى من وادى الملوك حيث توجد مقبرتا تحوتمـس الأول والثانى اللتان وجدتا سليمتين إلى حد ما ، حفرت حتشبسوت لنفسها أيضا مقبرة جديدة ، يؤدى إليها ممر طويل ينتهى بحجرة جنائزية فى قلب الصخر ، خلف قـدس أقداس معبدها ، وقد نحتت لها مقبرة أولى فى الصخر أيضا فى واد بعيد ، منعـزل أنها كانت تعرف مدى قوة أعدائها وكانت ترغب فى أن تدفن فى ككان بعيد حيـث لا يستطيع أحد أن ينهب مقبرها ، وتختلف هذه المقبرة عن المقابر الأخرى ، فقد حفرت فى الصخر ، ويؤدى إليها مدخل على بعد ستين مترا فى الجبل المطل على الوادى ، ويؤدى المدخل إلى الممر الذى ينتهى بدوره بحجرة جنائزية وضع فيها تابوت وهـذه المقبرة لم تستخدم على الإطلاق .[٦]

وبالقرب من بنى حسن شيد هيكل (أصطبل عنتر) للمعبودة باخت من عهد الملكة حتشبسوت وتحوتمس الثالث [٧] ، والتى سجلت فيه ما قامت به من إصلاحات

---

(١) Naville , Deir el Bahari III , pl 69 – 71 .

(٢) Brunner , Die Geburt des Gottonigs (Ag . Abh.10) .

(٣) Hayes , MDIAK 15 (1957) , p . 80 – 90 .

(٤) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ١٨٥ شكل ٦٧ .

(٥) د.أنور شكرى : المرجع السابق ، ١٨٦ شكل ٦٨ .

(٦) Vandier , Manuel d'Archéologie II , p . 231 – 232 .

(٧) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .

بالنسبة لما خرب من اثار فى عصر الهكسوس .(١)

وأخرجت مومياء والدها تحوتمس الأول من مقبرته ووضعتها فى مقبرتـــها الجديدة لكى تظل بجانبها طوال السنوات القادمة ، وقد كشف كارتر عن هذه المقـــبرة عام ١٩٢٣(٢) وأضافت إلى معبدها الجنائزى قدس أقداس نحت خصيصـــا لـــه (٣) ، والنقوش التى تغطى جدران المعبد ، تمثل صور أبيها أكثر من مـــرة وفـــى بعـــض الحالات وضع اسم أبيها بدلا من اسمها وأعطت صورتها صورة الأب – وكان مـــن السهل عمل ذلك لأنها كانت تمثل على هيئة ملك وليست ملكة ، وفى بعض الأمـــاكن فقط أظهرت اسم تحوتمس الثالث ، الشريك معها فى العـــرش الـــذى قضـــى عليـــه بالصمت ، ومن النادر أن تذكر اسم زوجها المتوفى تحوتمس الثانى ، وذلك لكى تبين أنها لم تهتم به ولم تساهم فى أسباب موته المفاجئ .

وعلى الرغم من ذلك فإن نقوش المعبد فى مجموعها تبين بوضـــوح مـــدى سلطان الملكة كملك حاكم ، مع الاهتمام الكبير بأبيها تحوتمس الأول الـــذى رشـــحها كخليفة له . وقد دلت عمليات الحفر فى الدير البحرى على أنها قامت بزرع بعـــض أشجار البخور التى أحضرتها من بونت أمام المعبد . وقامت الملكـــة أيضـــا ببنـــاء المقصورة الحمراء التى يحفظ فيها قارب أمون المقدس وكانت قائمة فى مكـــان مـــا بالكرنك (٤) . وشيدت مقصورة أخرى فى اصطبل عنتر ذكرت فيها أنها قامت بترميم مقاصير مصر الوسطى .(٥)

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونيـــة ، ١٩٨١ ، ص ٢٧٥ ، – Drioton Vandier , L'Egypte (éd . 1946) , p . 284 , 309 (111) ; Urk IV , p . 390 .

(٢) PM , Theban Necropolis I , p . 28 n 20 .

(٣) Vandier , Manuel d'Archéologie II , p . 679 .

(٤) Gitton , Negroni et Yoyotte , Kemi 19(1969) , p . 295-318 .

(٥) Habachi , JNES 16(1957), p. 99; Gardiner, JEA 32(1946), p. 43 .

وعلى يمين الداخل خلف الصرح الأول لمعبد القصر شيدت الملكة حتشبسوت وتحوتمس الثالث ثلاث مقاصير للقوارب المقدسة لثالوث طيبة ويتقدم هذه المقاصير أربعة أساطين على شكل حزمة سيقان البردى من الجرانيت الأحمر . وهى تعد من أجمل الأساطين . وسجل رمسيس الثانى اسمه عليها .(١)

وشيئا فشيئا بدأ شريكها فى الحكم يثبت مكانته وشعبيته تتزايد بالتدريج خاصة بين ضباط الجيش ، الذين كانوا قلقين تحت حكم الحكومة السلمية لحتشبسوت وأصبحوا يطمعون فى الخروج إلى اسيا ، حيث بدأت علامات بعض الثوار تظهر فى الأفق ، وأخيرا فى خريف عام ١٤٨٢ ق.م أى فى السنة الحادية والعشرين من الحكم نجد أن الملكة قد اضطرت إلى السماح لتحوتمس الثالث بقيادة القوات التى تم إعدادها على الحدود الشرقية من الدلتا ، وذلك فى حالة حدوث أية اضطرابات فى آسيا . وعندما فعلت ذلك أحست بالخطر ونهاية سيطرتها .

وكان تحوتمس يبلغ فى ذلك الوقت سن السابعة والثلاثين من عمره تقريبا ، ووجد أن سلطته بدأت فى التزايد ، أما حتشبسوت فعلى العكس ، فقد قاربت سن الستين وبدأت شعبيتها تقل ، وفجأة توفيت الملكة الكبيرة ، ولا نعرف هل وفاتها طبيعية أو أنها دبرت لها مؤامرة ؟ ويرى بعض منهم أن حكمها قد انتهى بثورة فى القصر (٢) ولم يعثر على موميائها فى مقبرتيها فى البر الغربى فى طيبة ، ولا فى خبيئة الدير البحرى .(٣)

وهكذا توفيت حتشبسوت بعد حكم دام اثنين وعشرين عاما .(٤)

---

(١) د. سيد توفيق : تاريخ العمارة فى مصر القديمة : الأقصر ، ص ١١٦ – ١١٨ ؛ Les Guides Bleus : Egypte , p . 329 .

(٢) Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p . 86

(٣) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢٧٦ .

(٤) Drioton-Vandier , L'Egypte (éd. 1952), p.388; Vercoutter, L'Egypte Ancienne , p . 80 .

ومن هذا الوقت بدأت الفترة التى أسماها تحتمس فيما بعد " فترة اضطرابات والتى كان فيها كل جار يحارب ضد جاره " .

وعاد تحتمس بعد فترة إلى العاصمة ، فقد كان على رأس قواته المرابطة على الحدود الشرقية ، ويبدو أن عندما علم أصدقاء الملكة المتوفاة بمقربة وصوله لاذو بالفرار ، وفى اليوم التالى لوصوله ، توج من جيد كملك وحيد ، وأظهر فى أول الأمر نوعا من الاحترام لذكرى حتشبسوت ودفنها فى مقبرتها التى أعدتها بنفسها وهى تحمل الآن رقم ٢٠ . ولم يرحم أعوانها ، فنجد آن رئيس الحزب المؤيد للملكة والذى يضم سنموت قد تعرض اسمه للمحو والقشط من كل الآثار ، وأزال كل صور سنموت وخاصة تلك التى رسمها فى كتف باب معبد الدير البحرى .وحطم كل تماثيله ، ومقبرتيه .

وكان سنموت قد بنى لنفسه مقبرة فى شيخ عبد القرنه ثم قبرًا أخر على مقربة من الدير البحرى .(١)

وبعد عدة سنوات فيما بعد نجد أنه قد بدأ الانتقام من حتشبسوت نفسها ، ومحا أسمها من على كل أثر وحل محله اسمه واسم أبيه أو جدة ، وأخيرا حطم تماثيلها . وكان العمال يوقدون النار حول تلك التماثيل ويصبون عليها الماء فتتناثر أجزاؤها ، ثم رموها كلها فى محجر قديم بالقرب من الدير البحرى .(٢) وهدم المقصورة الحمراء للقارب المقدس لأمون ، والتى كانت فى حالة جيدة ، وأقام مكانها واحدة أخرى باسمه ، تمتاز بأنها كانت أكثر فخامة ، وهدم الكثير من المبانى التى أقامتها الملكة .

---

(١) د.أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

من خبرو رع – تحوتمس الثالث – نفر خبرو [١] (١٥٠٤–١٤٥٠ ق.م) :[٢]

بعد وفاة حتشبسوت ووصول تحوتمس الثالث إلى العرش مرة أخرى ، ترك العنان لغضبه وحب الانتقام منها ، وصمم على تعذيبها بقسوة من الناحية المعنوية أى في ذكراها وخلود أسمها ، ولتنفيذ ذلك لجأ إلى محو أسمها من على كل الآثار ، ولمدة تقرب من العام ، استقر تحوتمس الثالث فى طيبة لكى يقوى مركزه السياسى .

لقد سلمه أبوه تحوتمس الثانى إلى الكهنة ليثقفوه وليغرسوا فى قلبه حب المعبود أمون ، وعندما اعتلى العرش مرة أخرى وبلغ عامه الثانى والأربعين من حكمه سجل كيف أنه وصل إلى العرش .

ويرجع الفضل فى شهرة ومجد تحوتمس الثالث الكبيرة ، إلى مجهوده الحربى وكان بالتأكيد أكثر الملوك المحاربين ذكاء فهو الذى دفع بسيطرة بلاده إلى أبعد الحدود ، وطبقا لدراسة موميائه وتماثيله العديدة ، يبدو أنه كان رجلا قويا واعيا وموهوبا إلى أقصى درجة ويمتاز بالنشاط الكبير وتميز بالذكاء فى الحملات الحربية التى قادها ، والتكتيك الحربى الذى قام بتنفيذه ، مما جعله أعظم رجال الحرب فى عصره، ذلك الرجل الذى نجحت حتشبسوت فى تنحيته جانبا لعدة سنوات.

فنجد أولا أن سياسة المهادنة التى اتبعها أسلافه تجاه بلاد النوبة قد مهدت له الهدوء على الحدود الجنوبية ، لذلك اتجه إلى ناحية الشرق ، حيث كان يأتى الخطر الحقيقى لملوك مصر .

فقد قرر أن يعضد مراكز نفوذه فى الشرق والتى بدأت تتفكك بسرعة ومن سجلات حملاته والتى نقش بعضها على جدران معبد الكرنك ، فهو يقص ما حققه

---

(١) تسمى تحوتمس الثالث بأكثر من أسم : من خبر كارع – تحوتمس نفر خبرو ، من خبر رع – تحوتمس حقا واست ، راجع : Gauthier, LRII , p . 252 – 270 .

(٢) وعن أعمال هذا الملك ، راجع : Redford , LAVI , p . 540-548 .

للمصريين بفضل مساعدة والده أمون رع .(١)

ففى أسيا ربما استغل الميتانيون فرصة الهدوء الذى ساد عصر حتشبسوت فى السياسة العسكرية ، فلجأوا إلى تكوين تحالف معاد ضد مصر .وكان يرأس هذا التحالف ملك قادش ، الذى حرض أكثر من مرة شعوب آسيا ضد المصريين وأضطر تحوتمس إلى القيام بنحو سبع عشرة حملة حربية لكى يقضى نهائيا على تلك التحالفات ، وقد نجح فى فرض سيطرة مصر مرة أخرى على منطقة الهلال الخصيب ، وفى الواقع أن هذه الحملات لم تكن على درجة واحدة من الأهمية والغرض ، فبعضها لم يكن سوى تفتيش حربى ، وبعضها الآخر كان عبارة عن غارات بسيطة لتأديب دون نتائج هامة .(٢)

والسؤال الآن هل اتبع تحوتمس فى كل هذه الحملات خطة حربية مدروسة ؟ والجواب ، دون أن ننساق وراء رأى خاطئ ، ونظرا لعدم وجود وثائق تجعلنا نحدد فى الواقع حقيقة الأمر ، نقول إن الغزو كان يتم فيما يبدوا طبقا لخطة موضوعة ومدروسة وإلا ما تحقق كل هذا النجاح لتحوتمس ، ففى الواقع لم يلجأ تحوتمس إلى مهاجمة ميتانى فى الحال – وهى التى كانت تمثل العدو الحقيقى لمصر . والتى كانت تقوم بتحريض كل الثورات ضدها ، بل بدأ فى إعداد مواقع هامة كانت تستخدم كقواعد قوية استطاع الانطلاق منها ، حتى تمكن من توجيه ضربته الأخيرة فى نهاية الأمر .

قام بحملته الأولى فى السنة الثالثة والعشرين من حكمه وهى السنة الثانية من حكمه المستقل ، حيث ترأس جيشه ، وسار نحو آسيا ، لكى يقضى على ثورة عارمة اندلعت فى المنطقة عقب انتشار نبأ وفاة حتشبسوت ، وكان عدوه الرئيسى فى هذه الحملة ملك قادش ، تلك المدينة التى تقع على نهر العاصى على بعد ١٢٠ كم

---

(١) Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique , . 86 .

(٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٢٠٨ – ٢١٣ .

شمال دمشق (تل نبى مند الحالية) و هى مدينة ذات موقع حربى ممتاز ، إذ وقعت فى الطرف الشمالى من سهل البقاع . ووضع أمير قادش نفسه على رأس تحالف من الملوك الصغار والأمراء السوريين ؛ الذين ثاروا ضد السيطرة المصرية التى فرضها عليهم تحوتمس الأول . تقدم أمير قادش حتى مدينة مجدو إلى الغرب من سهل اسدرالون على بعد ٢٥ كم من نازرت الحالية، ودعا هناك إلى تجمع كل قادة الثوار الآخرين (١) وبعد سير مجهد على طول الشاطئ ، وصل الملك إلى نقطة يستطيع منها مهاجمة مجدو وفجأة بعد أن عبر جبال الكرمل عن طريق هضبة ضيقة ووعرة ، ولم يتوقع خصوم تحوتمس أنه سيجازف بهجوم مباغت منها ، فقد اختار تحوتمس الطريق المباشر الصعب الذى ينفذ به رأسا إلى مجدو وظن أعداؤه أنه سوف يسلك أحد الطريقين الآخرين ، فكلاهما رحب متسع ، وبدأ بهجوم خاطف ، وتمكن من دخول المدينة المحصنة ، التى أجتمع فيها أغلب الأمراء الثائرين مع جيش أمير قادش الذى كان قد تقدم نحو الجنوب لكى يغلق عليه منافذ الطريق الذى يمر فيه عادة ، ونجح فى القضاء على العدو الذى هرب تاركا فى الميدان خيوله وعرباته ، بينما كان أغلب الأعداء يهرولون نحو السهول دون أن يظهر لهم أثر بعد ذلك ، إذ كان أمير قادش وبعض أعوانه يعبرون خلف جدران المدينة من الداخل عن طريق رفعهم بالحبال ، وحوصرت المدينة لمدة قصيرة هرب أثناءها أمير قادش فى جنح الليل عائدا إلى بلاده ، وعندما استسلمت المدينة ، لم يكن الأمير من بين البضع المئات من الأمراء الثائرين الذى استسلموا ، وقام بأسر عدد من نسائه واصطحبوهن فيما بعد إلى مصر ، ولم يأخذ أعداءه بالشدة والعنف ، ولكنه عامل هؤلاء الأمراء بعطف كبير ، فقد عفا عنهم جميعا ، وثبتهم فى ممالكهم وإماراتهم بشرط أن يرسل كل واحد منهم أبنه ووريثه إلى مصر لكى ينشأ ويتعلم على التقاليد المصرية فى البلاط الملكى . وكان نظام الحكم فى هذه الممالك قائما على أن الحكومات المحلية تبقى فى أماكنها طبقا لمدى طاعتها .ويدفعون الجزية سنويا ويرسلون الأمراء

---

(١) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p . 115 – 116 .

وأيضا : د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ،ص ٢٧٨ – ٢٨٠

الصغار إلى مصر لتعلموا مظاهر حضارتها وثقافتها ، ويصحبوا بعد ذلـــك مواليــن أوفياء . وكانت هناك بعض الحاميات المصرية، وعين على كل منطقــه موظفيــن . وكانت هناك بعض الحاميات المصرية ، وعين على كل منطقة موظفيــن مصرييــن يقومون بدور التفتيش ، ويقيمون فى كبريات المدن ، واصبحوا لعدم وجـــود اتحــاد يربط بين هذه المدن لا يمكنهم مواجهة الملك الذى أكتفى بان يحلف له أمـــراء هـذه البلاد اليمين بالولاء والإخلاص والطاعة ، وكانت مـــدن الشــاطئ مثــل بيبلــوس واوجاريت تتلقى المساعدات عن طريق البحر عن طريق أساطيل عديدة .(١)

وكانت التقارير عن سير العلميات الحربية تكتب على صفحات من الجلد ثــم تنقش بعد ذلك على جدران بعض قاعات معبد آمون بالكرنك ، وهى لون من ألـــوان الدعاية له . وهى عبارة عن تقارير يومية عن سير المعارك ، ويبدو أن الملك كـــان يصطحب معه بالإضافـــة إلـــى الكتبـــة العســكريين بعــض الفنــانين والرســامين والمتخصصين فى معرفة أنواع النبات والحيوانات والطيور .(٢)

وهكذا أثبت المصريون بدرجة كبيرة أنهم شعب إنسان ومـــن بيـــن غنــائم الحرب التى حصلوا عليها بعد المعركة أكثر من ألفى حصان ، وأكثر من ألف عربــة حربية ، ومئات ملابس الفرسان ، وأيضا رداء من الــبرونز لملــك قــادش وأمـــير مجدو ، وأيضا الخيمة الفخمة التى كانت تخص ملك قادش مع مقاعدها وموائدها مـــن الأبنوس والعاج والذهب ، وأخيرا كميات كبيرة من الأوانى الثمينة والحلى .

وتعد معركة مجدو من أكبر المعارك فى التاريخ القديم ، وقد نجح تحوتمــس فى الحد من تقدم منافسيه ، وأضطر إلى تأجيل العلميات العسكرية إلى السنوات التــى تلت . وذكر فى حوليات الملك تفاصيل معركة مجدو (٣) وجاء وصف هذه الحملة

---

(١) Daumas , La Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p . 86 .

(٢) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٥٥٩ .

(٣) Breasted, AR II (433) .

على لوحة وضعها الملك على جبل برقل بالقرب من الجندل الرابع [١] . وأرسل الملك تحوتمس الثالث خطابا إلى حاكم كوش يخبره فيه بهذا النصر وقد أعدت قائمة بالآسيويين الذين تحالفوا ضد تحوتمس وكانوا حوالى ٣٥٠ أسم أمير ورئيس قبيلة .[٢]

وكانت عودة الملك منتصرا إلى طيبة مجلا لعدة احتفالات ، لأنها المرة الأولى فى تاريخ البلاد ، أن أحرز ملك مصرى على رأس جيشه مثل هذه الانتصارات ، وكان ندا فى معركة حقيقية لجيش آسيوى منظم ، ويحارب على أرض أجنبية بعيدة ، وهو أيضا أول اختبار عالمى لقوة المصريين الذين أثبتوا فى كل المجالات أنهم يفوقون عدوهم . وبمناسبة الاحتفالات بهذا النصر ، شيدت المقاصير الجديدة فى معابد الكرنك وفى أماكن أخرى ، وأعدت المواكب والمراسيم الدينية الكبرى ، وقد حمل تمثال أمون فى موكب كبير من الكرنك إلى الأقصر ذهابا وإيابا ، وقدمت القرابين المختلفة من حيوانات وطيور وهدايا وكانت سحب البخور تتصاعد من على بعض موائد القرابين المتعددة .

وفى هذه الفترة توفيت زوجة الملك نفرورع ، ابنة تحوتمس الثانى وحتشبسوت . وتزوج الملك من أختها الصغرى حتشبسوت – مريت رع والتى كانت تحمل أيضا لقب الأخت .[٣]

وبعد ذلك قام الملك بست عشرة حملة بيانها كالآتى :

الحملة الثانية :

فى السنة الرابعة والعشرين ، لتفقد الأوضاع ، والقيام ببعض المناورات لإظهار القوة ، ولم يكن هناك قتال فعلى .

---

(١) Urk IV , 664 .

(٢) Urk IV , 779 – 794 .

(٣) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p . 117 .

الحملة الثالثة :

فى السنة الخامسة والعشرين ، أحضر أثناء عودته بعض الأشجار والأزهار والنباتات وبعض الطيور والحيوانات النادرة [١] ، وقام بغرس بعض هذه الأشجار فى معبد الكرنك أو فى حديقة قصره الملكى ، وبقى من هذه النباتات حوالى ١٧٥ نباتا أو بعض أجزاء من نبات وعرف منها الرمان ، وصورت كل هذه النباتات والطيور فى قاعة ملحقة ببهو الأعياد الخاصة بالملك فى الكرنك .

الحملة الرابعة :

لا نعلم عنها شئ نظرا لتشوه النص وتحطمه [٢] .وبعد هذه الحملات كرس تحوتمس جهوده لتنظيم البلاد ، وأبدى اهتماما ملحوظا بالنهضة العمرانية ، بمعاونة الوزير الأول " آمن – اوسر " وهو أحد للنبلاء . وقد وصف لنا هذا الشخص كما لو كان الرجل " الذى يفعل ما تحبه كل الطبقات من أعلى وأيضا من أسفل ، الذى يهتم بالأغنياء وأيضا بالفقراء ، الذى يحمى الأرامل دون عائل ، الذى يساعد الشيوخ والعاجزين ، الذى يعين الأبناء فى الوظائف التى كان يشغلها آباؤهم ، ويوفر السعادة لكل إنسان [٣] " .وحفر لنفسه مقبرة في البر الغربى تحمل رقم ١٣١ .

وكان رئيس الأعمال – الذى يعين بواسطة الوزير الأول – رجلا يسمى أمنمحات ، وقد ذكر فى نقوش مقبرته رقم ٨٢ فى البر الغربى ، المؤرخة بالعام ١٤٦٠ ق.م أى العام الثامن والعشرين من هذا الحكم ، كلمات كانت موجهه فى الواقع إلى روحه ، وهى تعطينا صور حية عن تخيل المصريين القدماء عن مصير

---

(١) د. أحمد فخرى :مصر الفرعونية ، ص ٢٨٣ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة، ص ٥٤٨ .

(٣) Weigall , op . cit. , p .117.

الروح فى عالم الآخرة .(١)

" يا أمنمحات لعل ذكراك تبقى خالدة فى منزلك وفى تماثيلك ، وفى مقاصيرك ، وتبقى روحك حية وجسدك فى امان فى مقبرته ، لعل أسمك يعيش إلى الأبد على لسان أطفالك ، يا أمنمحات أن الصحراء (= مكان الموتى) تبسط ذراعيا نحوك ، وبلاد الغرب تستمع بجمالك ، وتنحنى لك وتؤدى فروض الترحيب بعد كل هذه السنوات من التبجيل والإجلال يا أمنمحات لعلك تدخل فى الجبال الغربية وتخرج منها بإرادتك ، لعلك تعبر أبواب العالم السفلى لكى تبعد الشمس عندما تخرج من الشرق ، وتنحنى لها عندما تتوارى فى الأفق ... لعلك تتجول وفق رغباتك فوق شواطئ البحيرة وفى حديقتك ، لعل قلبك يسعد عند رؤية حدائق الأزهار لعلك تنتعش بظل أشجارك ولعل ماء أبارك تروى ظمأك إلى الأبد ، لعلك تخرج من جبال الجبانة لكى تذهب لزيارة منزلك فى أرض الأحياء وتسمع صوت الغناء والموسيقى فى صالتك على الأرض وأخيرا لعلك تبقى دائما الروح الحارسة لأولادك " .(٢)

الحملة الخامسة :

فى السنة التاسعة والعشرين ، بدأ الملك يهتم بتأمين سبل مواصلاته ، واستولى على بعض مدن الشاطئ الفينيقى ، وتغلغل حوالى ٢٥٠ كم إلى الشمال أكثر مما فعل من قبل واستولى على بعض المدن التى ثارت ضده ، وعن إحداها يقول :

" كانت الحدائق – فيها – مليئة بالفواكه ، والنبيذ يملأ المعاصر وينساب كالماء ، على حين كان القمح على الشواطئ أوفر من رمال الشواطئ ، حتى ان القوات كادت تختنق من كثرة الطعام وما قرر لهم ... وكان الجنود مستريحى البال وكانوا يدهنون أجسادهم بالزيت كل يوم كان يحدث فى مصر أثناء الأعياد "(٣) .

---

(١) Urk IV , 1062 , 16 ; 1063 , 4 ; 16- 17 ; Weigall , op . cit ., p . 118 .
(٢) Weigall , op . cit ., p . 118 .
(٣) Weigall , op . cit ., p . 118 .

وبعد استيلائه على أحد موانى فينيقيا ، أصبح متاحا له الآن تجنب الطريق البرى الصحراوى الطويل .

الحملة السادسة :

فى العام الثلاثين ، وذلك بسبب اندلاع ثورة فى فينيقيا ، ويبدو أنه تزعمها أمير قادش عدوه القديم ، فخرج تحوتمس للقضاء على هذه الثورة عن طريق البحر ، واتجه نحو قادش على نهر العاصى واستولى عليها كما استولى على مدينة " تونيب " .(١)

الحملة السابعة :

فى السنة الحادية والثلاثين ، وقد خصصها للاستيلاء على بعد العديد من الموانئ الواقعة فى فينيقيا .

الحملة الثامنة :

فى السنة الثانية والثلاثين ، وهى من أقوى غزواته الحربية ، فبعد الحملة السابعة شعر بأنه قوى بالقدر الذى يتيح له القيام بهجوم واسع النطاق ، ورحل عن طريق البحر ، ونزل فى فينيقيا وعبر سوريا ، ووصل إلى نهر الفرات ، الذى عبره بواسطة مراكب شيدت طبقا لأوامره فى بيبلوس ، وقطعت أخشابها من هناك ، وبعد ذلك نقلها عبر الصحراء . وتقابل مع الميتانيين وانتصر عليهم ، وتتبعهم وسط الجبال ، واستولى على الأراضى التى تقع شرق الفرات ، وأقام على الشاطئ الأيمن لنهر الفرات لوحة حدود فى مواجهة لوحة الحدود التى أقامها تحوتمس الأول .

وكان لهذا الانتصار رد فعل كبير ــ ليس على الميتانيين فحسب ، بل على

---

(١) مدينة سورية محصنة تقع بالقرب من نهر العاصى .

جيرانهم أيا الذين لم يدخلوا الحرب بعد ضد مصر مثل : الآشوريين ، البابليين والحثيين والذين رأوا أنه من الأفضل كنوع من الحرص إرسال الجزية إلى الملك المنتصر وهناك استقبل سفراء ملك بابل وحيثا ، الذين كانوا يحملون هداياهم من فضة وأحجار كريمة وأخشاب نادرة ، ولكن هذا لا يمنع فى أنهم يفكرون فى هدم القوة التى تقلقهم ، وكان على الملك أن يظهر من وقت إلى آخر قوته العسكرية ويقضى على الثورات التى يشغلها الجيران الأقوياء فى مهدها .

وبفضل الانتصار على ميتانى ، أصبح جزء كبير من فينيقيا خاضعا لنفوذ مصر .

الحملة التاسعة :

فى السنة الرابعة والثلاثين واستولى فيها على جاهى على الساحل الفينيقى .

الحملة العاشرة :

فى السنة الخامسة والثلاثين : انتصر فيها على بلاد النهرين التى قامت بثورة ضده .

الحملة الحادية عشرة :

فى السنة السادسة والثلاثين : النص مشوه ومحطم .

الحملة الثانية عشرة :

فى السنة السابعة والثلاثين : النص مشوه أيضا .

الحملة الثالثة عشرة :

في السنة الثامنة والثلاثين توجه فيها إلى شمال سوريا واخضع ثورة قامت هناك .

الحملة الرابعة عشرة :

في السنة التاسعة والثلاثين حارب فيها البدو الذين يستقرون في شمال شرق مصر .

الحملة الخامسة عشرة :

في السنة الأربعين وكانت لجمع الجزية .

الحملة السادسة عشرة :

في السنة الثانية والأربعين وحاصر فيها قادش التي اتحدت من جديد واستولى عليها .(١)

وكان من نتيجة هذه الحملات المتكررة – تقريبا كل عام – أن ارتفعت هيبة مصر في سوريا وفي كل بلاد الشام . ومن الواضح أن البلاد التي هزمت في الواقع لم تكن محتلة كلية ، واكتفى الملك باصطحاب الأمراء والرؤساء المهزومين إلى مصر حتى يلمسوا أمجاد وعظمة الحضارة المصرية التي بهرت العالم القديم آنذاك ،

---

(١) Drioton – Vandier , L'Egypte (éd . 1952) , p . 444 .

وأيضا : د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٥٤٨ ؛ د. أحمد فخري : مصر الفرعونية ، ٢٨٠ – ٢٨٢ .

ويتشبعوا بها ويكونوا أوفياء لها إذا تولوا الحكم فيما بعد ، ولكي يكونوا مواليين لمصر ولحضاراتها هناك ، ويدينوا بالولاء لحكامها ، وسوف نرى فيما بعد أن هذه السياسة كانت غير كافية وعلى الرغم من قوة مصر إلا أن وجودها في آسيا وبقاءها كان يحتاج دائما إلى تعضيد بواسطة حملات حربية متكررة .

وامتداد هذا النفوذ الخارجي يفسر الرخاء الذي توالى على طيبة والعناصر المتعددة من الأجانب الذين مروا بها وأصبحت عاصمة الجنوب عاصمة عالمية كبرى ، حيث أصبحت ملتقى المنتجات التي تأتي من جميع الأطراف ومتبادلا للأفكار دون توقف ، ولكي يحافظوا على هذا النفوذ في آسيا أضطر المصريون إلى معرفة لغات هذه البلاد وخاصة الاكدية التي كانت لغة دبلوماسية عالمية ، وقد اتصلوا بدون شك – بأفكار هذه الشعوب وآدابهم ، وقد عادت هذه العلاقات بثراء فكري وديني بالنسبة للمصريين .(١)

والتزمت أسيا بالهدوء منذ هذا الوقت على الأقل وحتى وفاة الملك .وفي نهاية حكمة ، قام بحملته السابعة عشر فقد استغل تحوتمس الثالث قيام ثورة محلية في الجنوب ، فذهب إلى هناك وقضى عليها ولا نعرف تماما الحدود الجنوبية التي وصل إليها ، ربما وصل إلى الجندل الرابع حيث عثر هناك على لوحة في جبل برقل تخلد ذكرى هذا الانتصار ، قام أيضا بتطهير القناة عند الجندل الأول ، ورمم معبد سنوسرت الثالث عند سمنة قرب الجندل الثاني وأمر بتقديس هذا الملك إلى جانب معبودات المنطقة خنوم وددون.(٢)

وقد خلد ذكرى انتصاراته في النوبة على الصرحين السادس والسابع بالكرنك وذكر أسماء العديد من البلاد الجنوبية التي استولى عليها .(٣)

وهكذا في عام ١٤٥٠ ق.م كانت حدود مصر تمتد من نباتا – جنوبي

---

(١) Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p . 86 .

(٢) Urk IV , 801 – 806 .

(٣) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ٥٤٨ .

النيل – حتى نهر الفرات فى الشمال ، فقد وصلت مصر إلى أوج مجدها ، مما لم تصل إليه بعد ذلك ، بل على العكس أخذت فى الانكماش شيئا فشيئا ، وكان ما حققه تحوتمس الثالث سوف يساعدها على ان تحتفظ بذلك المجد أكثر من قرن من الزمان .

وليس من الغريب أن تصف بعض النصوص تحوتمس كما لو كان " الثور الصغير الهائج ، الذى يهدد بقرونه ، ولا يقف أمامه أى شئ " و " التمساح سيد الرعب فى المياه والذى لا يمكن اقترابه " ، " السيد المجنح الذى ينقض على الفريسة التى يراها " وأيضا " سيد الضوء ، الذى يبهر وجوه أعدائه" أو " اللهب السريع الذى يلقى بناره ، ويحرق ما حوله بالنار " .[١]

وطوال مدة حكمه المديد ، الذى دام حوالى ثلاثة وخمسين عاما ، اتجه الملك إلى الاهتمام بمناطق نفوذه وبناء المعابد الضخمة والأبنية الكبرى ، وفيما بين الصرحين السابع والثامن بالقرب من البحيرة المقدسة فى الكرنك أقام تحوتمس الثالث بمناسبة يوبيلة الأول جوسقا صغيرا فوق قاعدة من حجر الرملى [٢] ، وشيد كذلك مسلات عديدة [٣] ، ومن أعماله أيضا فى الكرنك إقامته لمسلتين أمام مسلتى تحوتمس الأول ، ومسلتان أمام الصرح السابع ومسلة فى شرق المعبد ، وقد نقلت منها مسلة إلى القسطنطينية وأخرى إلى روما . وأقام تحوتمس الثالث المسلات فى معبد إيونو وقد نقلت مسلتان منها إلى الإسكندرية وأهدى محمد على أحديهما إلى إنجلترا ، نقلت إلى لندن عام ١٨٧٧ حيث أقيمت على ضفاف نهر التيمز ويطلق عليها "مسلة كيلوبترا " وأهديت المسلة الثانية إلى الولايات المتحدة ، وقد نقلت إليها عام ١٨٨٠

---

(١) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p . 119 .
د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ١٨٦ – ١٨٧ شكل ٦٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٦ – ١٨٧ شكل ٦٩ .

(٣) عن المبانى التى أقامها تحوتمس الثالث بالكرنك ، راجع : د. محمد عبد القادر : آثار الأقصر ، ص ١٢٠ – ١٣٤ .

وهى الآن فى حديقة سنترال بارك فى نيويورك [١] وكلتاهما كانت مشيدتين فى معبد رع فى إيونو . ولتحوتمس الثالث فى الكرنك عمودان من طراز خاص ، كل منهما من حجر واحد من الجرانيت الوردى . ويغلب الظن أنه كان يعتمد عليهما سقف ردهة كانت أمام الزورق المقدس [٢] . وقام بتشييد بهو الأعياد فى معبد الكرنك .[٣] والصرحين السادس والسابع [٤] ، وشيد لنفسه معبدا جنائزيا فى البر الغربى فى طيبة فى الشمال من الرمسيوم كان يحمل اسم Hnkt – cnḫ [٥] . ومن الهياكل الجميلة مقصورة صغيرة أقامها تحوتمس الثالث للمعبودة حتحور فى البر الغربى جنوبى معبد الدير البحرى . وقد أقام فيها ابنه أمنحتب الثانى تمثالا للمعبودة يمثلها فى شكل بقرة بحجة طبيعى ، ويعد هذا التمثال من أروع ما أخرجه المثال المصرى من تماثيل الحيوان . [٦]

وشيدت هياكل أبريم فى عهد تحوتمس الثالث وأمنحتب الثانى [٧] وفى نهاية حياته سمح لنفسه بالانتقام الأخير من حتشبسوت وذلك بمحو اسمها من النقوش ، واضطرت زوجته حتشبسوت – مريت رع إلى ترك الجزء الأول من اسمها . وفى معبد الدير البحرى نجد اسمى تحوتمس الثالث وأبيه قد نقشا فى أماكن عديدة بدلا من

---

(١) د. محمد عبد القادر : المرجع السابق ، ص ٢١٢ حاشية (٣) .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٠ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٢١٨ – ٢٢١ .
(٤) شيد الصرح السادس من الحجر الجيرى وهو مهدم إلى حد كبير الآن ، وسجل تحوتمس الثالث على وجهى الصرح السابع مناظر قمع الأعداء من الآسيويين والنوبيين ، راجع : د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ١٥٦ – ١٦١ ؛ د. محمد عبد القادر : آثار الأقصر ، ص ١٠٢ – ١١٦.
(٥) Helck , LAV , p. 7 .
(٦) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٩١ .
(٧) المرجع السابق ، ص ٢٣٤ – ٢٣٥ .

اسم حتشبسوت [١] وأحاط المسلات التى أقامتها الملكة بالكرنك بأبنية حتى لا يظهر منها سوى القمة فقط .

يرى البعض أن البحيرة المقدسة ترجع إلى عصر تحوتمس الثالث . وتبلغ مساحتها ٨٠ × ٤٠ مترا . وكانت تستمد مياهها نمن مياه الرشح . وأعتقد المصرى القديم أن ماءها ينبع من المحيط الأزلى (نون) [٢] . وكانت هذه البحيرة تساعد على تربية الاوز الخاص بالبيضة المقدسة لأمون. وكان يوجّد حظيرة لهذه الطيور جنوبى البحيرة . يصل بينها وبين البحيرة طريق مسقوف فيه الطيور لتسبح فى البحيرة .

وعلى الرغم من أن هذه الأعمال توضح لنا مدى ما كان يحمله من الكره العميق الذى كان يحمله لهذه الملكة ، التى كانت السبب فى تعاسته وإهماله فى السنوات الأولى من حياته ، فأنه كان ذو طابع لطيف ورقيق فكن يحب نحت التماثيل وجمع الأزهار النادرة . ونقرأ أيضا أنه من الهدايا الثمينة التى أمر تحوتمس الثالث بصنعها لأهداها إلى معبد آمون رع فى الكرنك أوان رسم تصميمها بنفسه [٣] وقال عنه أحد وزرائه :

" كان جلالته يعلم كل ما يحدث ولا يخفى عليه (آى) شئ ، كان مثل تحوت معبد الحكمة فى كل شئ ولا يبدأ عملا إلا وأنجزه ".[٤]

---

(١) Lipinska , Deir el Bahari ,Temple of Tuthmasis III (1976) , p . 13 – 63 .

(٢) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ١٦١ ؛ د. محمد عبد القادر : آثار الأقصر ، ص ١٣٥ – ١٣٦ .

(٣) جاء ذكر ذلك فى مقبرة من خبر رع سنب ، راجع : د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم . الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ١٦٨ ؛ د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٥٩ .

(٤) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p . 120 .
وأيضا : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٩٩ .

وأبرز مثل لحكمه الصائب لوزيره رخمى رع حينما عينه وزيرا ومنها تصوير واضح لسياسة الحكم وما يجب مراعاته لحكم الشعب وعلاقة الحاكم بالمحكوم [١] فهو يقول :

" يجب عليك من الآن أن تسهر على جلسة (أى اهتمامات) الوزير ، راقب كل ما يحدث فيها ، لأنها عماد البلاد كلها ، أن تكون وزيرا ليس بالشيء الحلو والمقبول ، ربما يكون هذا أحيانا مرا كالعسل ، الوزير هو النحاس الذى يحمى ذهب منزل سيده فهو لا يخفى وجهه أمام كبار الموظفين والقضاة ولا يكون زبائنه ممن ليس لهم أهمية . فإذا بقى رجل فى صداقة سيده فعليه أن يبذل تجاهه احسن ما عنده ، ولا يفعل نفس الشيء لآخر . وأصحاب الشكوى من الجنوب والشمال من البلاد كلها سوف يأتون ... أنت ، أحرص على أن كل الأمور تؤدى طبقا للقانون وطبقا للعدالة مع تطبيق العدالة لكل إنسان . فالقاضى يجب أن يعيش بوجه مكشوف لأن الماء والرياح يحملان كل ما يعمله ولا أحد يجهل أفعاله . وإذا حدث خطا فيما فعله قاض آخر وأن هذا لم يعلن على لسان المشرف على التعليمات ، فأن ذلك سيعرف بواسطة كلمات هذا الذى حوكم ، وأن هذا ، فى الواقع ، الذى يقف بجانب هذا المشرف ، سوف يقول : " ليس هناك ما يعضد صوتى " (لكى أنصف)" .

" انظر أن الملاذ الأكيد للقاضى هو أن يحكم طبقا للقانون وعندما يجيب عما يسأله عنه الشاكى ، فهكذا فإن من حوكم لا يستطيع القول : " أنت لم تنصفنى " وخذ فى الاعتبار هذه الجملة التى فى كتاب منف والتى تقول " إلى الملك المبجل والوزير الذى يحترم القوانين " وأحترس أيضا مما قيل عن الوزير خيتى أنه كان يضر أقربائه على حساب الآخرين ... وإذا قام رجل من بين هؤلاء الأقرباء لخيتى وطالب بعقد محاكمة وتمنى أن يشكلها الوزير لصالحه وإذا أصر هذا الأخير على رفضه ، فإن ذلك يعد تجاوزا للعدالة ... لأن المعبود يكره التحيز ، وهذه تعليمات لك

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢٨٤ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٠٠ – ٢٠٣ ؛ وعن هذه الشخصية ، راجع : Schoske , LAV , p . 180 – 181.

وعليك بأتباعها .

يجب عليك تقدير من هو معروف لديك مثل من لا تعرفه ومن هو قريب منك بصلة القرابة مثل من هو بعيدا عن منزلك والقاضى الذى سوف يعمل كهذا سوف يزدهر فى وظيفته . لا تطرد أى شاكى دون أن تعطى اهتماما لكلماته . وإذا جاءك أحد منهم شاكيا لك ، لا ترفض ما يقول ، كما لو أنه شئ قيل من قبل (أى تكرر) . أنت تستطيع أبعاده ولكن بعد أن تفهمه لماذا هو أستبعد . فمن المعتاد القول : " أن الشاكى يجب أن يستقبل بترحاب خطابه أكثر من أن يرى شكواه تتحقق . لا تنفعل بغير حق ضد أى إنسان ، ولكن أبق فقط غاضبا ضد ما يستحقه . أوحى الخوف ، حتى تهاب ، أنه قاض حقيقى من يهاب . أنظر أنك سوف تدرك النجاح فى تطبيق (أعباء) الوظيفة بتطبيق العدالة ، لأن ما هو مطلوب على الأخص أن تتحقق العدالة فى خطوات الوزير ، انه هو الذى يحرص بدقة على القوانين منذ وقت المعبود (أى منذ الخليقة).

أنظر أيضا أن الإنسان يظل فى وظيفته طالما هو يعمل طبقا لما أشير به إليه . وكل الأمور سوف تتحسن بالنسبة له إذا نفذ ما قيل له . لا تتوان فى أى لحظة عن تطبيق العدالة لأن قوانينها معروفة ، لا تنضم إلى الرجل المتعجرف ، لأن صاحب الجلالة يفضل الرهبة على الغرور ، أعمل إذا طبقا للتعليمات التى أعطيت لك ، انظر إن هذا وضع أمامك لكى تنفذه" .[١]

ونرى فى مقبرة رخمى رع مراسيم اعتماد الوزير [٢] ، فنراه جالسا على

---

(١) هذه ترجمة ما جاء فى كتاب :
Lalouette, Thebes ou la Naissance d'un Empire, Paris (1985), p. 327 – 328 .
وهناك ترجمة لـ Weigall, op . cit . , p . 120 .
وأنظر أيضا : د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٢٠١ .

(٢) lalouette , op . cit . ,. P . 324 .

مقعد وثير وأمامه يفرد بساط على الأرض ، ويرتدى زى الوظيفة ، وتوضع وسادة خلف ظهره وأخرى تحت قدميه ، ويمسك بيديه صولجان القوة ، ونرى أربعين لفافة من الجلد (تحمل نص القوانين ، تنشر أمامه ويقف العشرة الكبار للصعيد على جانبيه ، والمشرف على القصر يقف على يمينه ، ومراقب مداخل القصر على يساره ، وأمامه مجموعة الكتبة تحت أمرته .(١)

ويحدثنا رخمى رع فى نصوص مقبرته أنه كان أهلا لهذه الوظيفة قائلا : " هاأنذا أتحدث بنفسى وأعلنها حتى يسمعها أولو الألباب لقد سموت بالعدالة حتى عنان السماء ، وجعلت بهاءها يعم الأرض بأتساعها ، فاستقرت فى خياشيم الناس كنسمة الشمال التى تطرد عكوسات البدن ... ، وأبيت المنكر ولم أفعله ، وجعلت النمام يلقى على أم رأسه ... ولم أضح بحق من أجل مكافأة ، ولم أصم أذنى عن صغر اليدين ، ولم أقبل رشوة إنسان ... وعلمت الجاهل ما ينبغى عليه أن يفعله ..." ، " وكنت ربانا لا اغفل ليلا أو نهارا ، وسواء وقفت أم جلست وجهت بصيرتى إلى مقدمة سفينتى ومؤخرتها " .(٢)

وكان رخمى رع يشغل وظيفة أيضا وزير المدينة الجنوبية ونرى فى مقبرته رقم ١٠٠ مناظر تمثل الأجانب ، ومنها مناظر تمثل حاملى الجزية السوريين (٣) وكذلك بعض الصناع والكتبة وبعض الموظفين الذين حضروا إلى مكتب الوزير لإنجاز بعض الأعمال .(٤)

---

(١) كما تحدثنا لألويت عن واجبات الوزير وما يقوم به ؛ Lalouette , op . cit ., p . 329 – 333 .

(٢) ترجمة د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

(٣) Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p . 176 Fig . 55 .

(٤) R. el Sayed , Quelques Personnages célèbres : فى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢٥ ، ١٩٧٨ ، ص ٥٠ .
وعن مقبرة رخمى رع وما بها من مناظر منها منظر يمثل قاعة الوزير==

ومن كبار الشخصيات فى عهد تحوتمس الثالث أيضا منخبرع سنب الكاهن الأول لآمون والذى كان عليه جمع الثروات المختلفة من الضرائب التى فرضت على البلاد التى تم غزوها وإحضارها إلى معبد الكرنك ، والذى زينت مقبرته رقم ٨٦ بمناظر الحيثيين والسوريين وأهل كوش والصحراء الشرقية الذين جاءوا إلى مصر ومعهم هداياهم وجزيتهم وعثر له على مقبرة أخرى تحمل الآن رقم ١١٢ .[١]

ولم تمنع طبيعة تحوتمس الثالث العسكرية من أن يصفه رخمى رع بأنه : " كان أبا وأما للناس أجمعين "وأن يشهد منخبرع سنب برقة إحساسه وذوقه وأنه كان يقضى بعض ساعات النهار فى ابتكار رسوم الأوانى التى سوف يهديها إلى معبد آمون .[٢]

ويبلغ عدد كبار الشخصيات الذين عاشوا فى تلك الفترة والذين تركوا لنا مخلفات أو ذكرت أسماؤهم على الآثار ما يقرب من مائة ، والكثير منهم نحتت له مقابر فى شيخ عبد القرنة .وقد ملئت جدران هذه المقابر بنشاطهم فى جميع الميادين . وتشهد هذه المقابر ونصوصها بالسلطة التى كان يتمتع بها تحوتمس الثالث . ويبلغ عدد مقابر معاصريه حوالى اثنتى وخمسين مقبرة .[٣] وهى أعلى

= والمترددين عليها من الكتبة وغيرهم ، وآخر يمثل رخمى رع واقفا يستقبل وفود البلاد الأجنبية ، ومنظر ثالث يمثل أصحاب الصناعات والحرف المختلفة ، ومنظر رابع يمثل حفلة لمجموعة من النساء ، راجع : د. سيد توفيق : تاريخ العمارة فى مصر القديمة : الأقصر ، ص ٣٩١ – ٤٠٠ أشكال ٧٩ – ٨٣ .

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢٨٥ حاشية (١) .

(٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ١٩٨ .

(٣) وهى أرقام : ١٨ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٥٣ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٤٠، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦٤ ، ١٧٢ ، ١٨٢ ، ٢٠٠ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٤١ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٤٢ ، ٣٦٥ ، ٤٠١ ، راجع : د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٦١ – ٣٨٩ .

نسبة يمتاز بها عصر هذا الملك يليه نسبة المقابر للمعاصرين لرمسيس الثانى التى تبلغ أربع وثلاثين مقبرة .[١]

ومنهم باكى رئيس وزانى ذهب أمون (رقم ١٨) [٢] ومنتوحر خبشف عمدة مدينة افر وديتوبوليس (رقم ٢٠) وبويمرع الكاهن الثانى لأمون (رقم ٣٩) وأمن مس قائد القوات ورئيس الرماة (رقم ٤٢)[٣] .وأمنمحات كاهن آمون (رقم ٥٣) وأمن نجح الرسول الأول الملكى (رقم ٨٤) [٤] والذى كان من بنى حكام الأقاليم .

وكانت دندرة تدخل ضمن اختصاصاته الإدارية ، وكان من كبار رجال القضاء ، وامن ام حب قائد القوات (رقم ٨٥)[٥] ، ومين نخت المشرف على شئون

---

(١) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٦٠ – ٣٩٠ .

(٢) عن طراز هذه المقابر راجع :د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٣٣ – ٤٣٨ . أشكال ١٦٤ – ١٩٨ ؛ د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٤١١ – ٤٣٦ .

(٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٨٦ حاشية (٤) .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٨٦ حاشية (٢) . ومن نقوش تمثاله نعلم أنه قام بالعمل فى العديد من المعابد فى الوجه القبلى والوجه البحرى ، راجع : د.أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٦١ .

(٥) الذى دون على جدران مقبرته فى طيبة كيف كان الملك يكافئه فى كل مرة يظهر فيها الشجاعة مثل اليوم الذى أنقذ فيه حياة الملك عندما هاجمه أحد الفيلة أثناء صيدها فى سهول الفرات ، يوم أسعفه ذكاؤه فهجم على الفرس التى أطلقها زعيم قادش أثناء الحملة السادسة عشرة لتحدث اضطراب بين الصفوف فى العربات التى كان يجرها الذكور من الخيل ، ولكن آمون أم حب هجم على الفرس ، وقتلها ، راجع :د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٨٣ – ٢٨٤ ، ص ٢٨٦ حاشية (٣) ، ص ٢٨٧ ، كما تحدث القائد امن ام حب فى نقوش مقبرته عن وفاة الملك تحوتمس الثالث وتولى أمنحتب الثانى .

الوجه القبلي (رقم ٨٧) وأمنمحات الذي كان مديرا لبيت الوزير اوسر وكان مديرا لكل أعماله (رقم ٨٢)[١] وبح سوخر (شنونو) ضابط الملك وحامل المروحة على يمين الملك (رقم ٨٨) . وكا ام حرايب سن الكاهن الثالث لأمون (رقم ٩٨) ومين حاكم إقليم ثيني والذى كان مشرفا على تربية أمنحتب الثانى (رقم ١٠٩)[٢] ومــاى رئيس ميناء المدينة الجنوبية (طيبة) (رقم ١٣٠) .[٣] وإنتف الذى كان يشغل وظيفة حاجب الملك وكان حاكما لإقليم ابيدوس والواحات (المقبرة رقم ١٥٥) . ويذكر على لوحة له فى متحف اللوفر رقم ٢٦ بأنه " الحكيم ، ذو المعرفة المؤتمن حقا " [٤] ولا ننسى أيضا تحوتى الذى كان يعمل كمشرف على البلدان الشمالية وعاش منذ عهد حتشبسوت ، وكذلك الوزير أوسر.

وفى السنة الأخيرة من حكمه وعندما بلغ سن السبعين – اتبع تحوتمس العادة المصرية القديمة وهى إشراك ابنه على العرش بجانبه ، وكان هذا الشاب يسمى أمنحتب ويبلغ أربعة وعشرين عاما ، وكان ابنا للملكة حتشبسوت – مريت رع . وعلى الرغم من صلة القرابة داخل الأسرة ، فانه كان قويا من الناحية الجسمانية .

وقد توفى تحوتمس الثالث عام ١٤٥٠ ق.م بعد أن تجاوز السبعين بقليل. وجلس على العرش حوالى أربعة وخمسين عاما ، ودفن فى مقبرته السرية التى حفرها فى الطرف الجنوبى لوادى الملوك بالقرب من مقبرة أبيه تحوتمس الثانى ، وهى تحمل رقم ٣٤ وهى تشبه مقبرة أمنحتب الثانى فى طرازها المعمارى وقد

---

(١) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٦٧ .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٨٩ حاشية (١) .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٨٦ حاشية (١) ؛ د.سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٧٠ .

(٤) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

نقشت حجرة الدفن بنقوش تشبه نقوش أمنحتب الثانى أيضا .[١] وتبدو حجـرة الدفـن كأنها بردية ضخمة مفتوحة مليئة بنصوص ومناظر كتاب " ما هو موجود فى العـالم السفلى (إمى دوات) وتعطينا هذه الرسوم أول نسخة كاملة لهذا الكتـاب بفصولـه الاثنى عشر . وتوجد مناظر هذا الكتاب فى مقبرة حور محب أيضا .[٢]

عاخبرو رع – أمنحتب الثانى " نـثر حقـا إيـون أو واسـت "(١٤٥٠ – ١٤٢٥ ق.م) :[٣]

من الأدلة التى أثبتت أن أمنحتب الثانى قد أشترك مع أبيه فى الحكم ، أنه قد عثر على اسميهما جنبا إلى جنب فى معبد عمدا ببلاد النوبة . وهكذا تولى أمنحتـب الثانى العرش خلفا لأبيه دون أية صعوبة . ويبدوا أنه تقاسم السلطة مع أبيـه لمـدة ثمانية عشر تقريبا [٤] . وقد بدأ الملك الجديد الحكم بمفرده ابتداء مـن العـام ١٤٤٠ ق.م وكان شابا قويا أكثر قوة من أبيه ، ذا قوة مدهشة ومما يقال أنه كان يستطيع أن يشد قوسا لم يكن يستطيع أن يشده أو يصوبه بمثل مهارته ، وكان على دراية بجميـع أنواع الأسلحة .

وفاق جميع ملوك مصر فى ممارسته لجميع أنواع الرياضة ، فكان يمـارس قيادة المركبات بنفسه وإصابة الأهداف والتجديف والصيد كلون من ألوان الرياضـة . ويرجع الفضل فى ذلك إلى والده العظيم تحوتمس الثالث ، ومن أجل أعـداده أعـداد سليما وقويا عهد به والده إلى أحد القواد المهرة وهو المدعوين ، وكان يشغل وظيفـة حاكم مدينة ثينى ، وفى مقبرته التى تحمل رقم ١٠٩ فى البر الغربى فى طيبة نرى

---

(١) د. صبحى بكرى : دليل آثـار الأقصـر ، ص ٦٦ ؛ د. أنـور شـكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٣٣٩ شكل ١٧١ .

(٢) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٢٧٣ .

(٣) عن هذا الملك ، راجع : Hornung , LAI , 203 – 206 .

(٤) Weigall , op . cit . , p . 120 .

بعض المناظر الخاصة بطفولة أمنحتب [١] . ولما أشتد عوده أخذ يدربه في قصـــره في ثيني [٢] وأحب أمنحتب قوسه حتى أنهل ما توفي أحب أن يوضع معه إلى جـواره في المقبرة .[٣]

ويبدو أن أمنحتب قد ولد في منف ، وسجل ذلك أحد جعارينه [٤] . إما أمـــه فكانت حتشبسوت – مريت رع ابنة "الملكة حتشبسوت " ، وكان يشغل فـــي شـبابه وظيفة المسئول عن توزيع الأخشاب الخاصة بصناعة السفن التي كانت قائمة بـالقرب من منف ، وظل في منف حتى توفي والده ، وقد جاء في نقوش وزير أبيه رخمـــي رع أنه لما توفي تحوتمس كان ولي العهد يقيم في ضواحي منف ، برو نفر ، فغـادر رخمي رع طيبة على إحدى السفن ليكون في استقبال الملك الجديد .[٥]

وقد جاء على لوحة كبيرة بالقرب من أبي الهول أنه لما بلغ ســـن الثامنـة عشرة تولى عرش مصر ، وكان ماهرا في معرفة طبائع الخيل ، ومولعا بجيـــاده ، وكان يقوم بالتدريب على ركوب العجلات الحربية في صحراء الجيزة .[٦]

ويحدثنا أمنحتب على هذه اللوحة بأنه قبل أن يقوم بإصابة الهدف كان يقــوم باختيار أحسن الأقواس . ويذكر أيضا أنه كان قوى الذراع لا يكل إذا قبــض علــى مجداف ، وأنه أخذ يجدف ذات مرة في مؤخرة قاربه الملكي المسمى "بالصقر " وكان مزودا بمائتين من البحارة وظل جلالته يجدف حتى رست الســفينة بعــد أن قطعــت

---

(١) Van de Walle , CdE 13 (1938) , p . 234 – 258 .
وأيضا :د. أحمد فخري : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢٩٠ .

(٢) Urk IV , 976 .

(٣) Daressy , Fouilles de la Vallée des Rois , p . 88 , p . 19 ;
وأيضا :د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة، ص ٥٦٦ .

(٤) Keimer , ASAE 39 (1939) , p . 106 – 120 .

(٥) Davies , The Tomb of Rekh-mi Re , pl . 58 – 59 .

(٦) Chr . Zivie , Giza Au Deuxième Millenaire (BdE 70) (1976) ,p. 64-88 ; Breasted , AR II (809) .

أميالا كثيرة ضد التيار .

وفى بداية هذا القرن عثر لجران Legrain فى داخل الصرح الرابع بالكرنك على كتلة من الحجر الرملى عليها منظر يمثل أمنحتب الثانى فى عربته الحربية وفي داخل العربة أسيران آسيويان وقد وثق ذراعهما [١] . وعثر فى معبد الكرنك سنة ١٨٢٧ على كتلة كبيرة من الجرانيت فى داخل الصرح الثالث ، وهى تمثل أمنحتب الثانى وهو على عربة يشدها جوادان ، قابضا بيسراه على قوس كبير ، وقدشد بيمينه القوس ووضع أمامه هدفا اخترقته خمسة أسهم . وكان هذا الهدف من النحاس (هذه اللوحة موجودة الآن فى متحف الأقصر الإقليمى) .

وقد أهتم أيضا بالصيد وقد جاء ذكر ذلك على لوحة عثر عليها فى ميت رهينة .[٢]

وعلى خاتم يوجد الآن فى متحف اللوفر نرى منظرا يمثل أمنحتب الثانى واقفا يمسك بيده اليسرى ذيل أسد وقد رفعة من على الأرض على حين يهوى بيده الأخرى على الحيوان بسلاح فى يمينه .[٣]

أما عن الأعمال الحربية فقد سجلت على ثلاث لوحات : لوحة ميت رهينة ، لوحة الكرنك ، ولوحة عمدا .[٤]

وتمتع بحكم مستقر من الداخل ، أما فى الخارج فقد بدأ بعض السوريين والإمارات الأسيوية فى الميل إلى الثورة ، مستغلين فرصة وفاة تحوتمس الثالث ،

---

(١) Legrain , ASAE 5 (1909) , p . 24.

(٢) Badawi , ASAE 42 (1943) , p . 1-23 pl . I .

(٣) Drioton – Vandier , L'Egypte (éd . 1952), p . 407 .

(٤) Kuentz , Deux Stèles d'Amenophis II (BdE10) (1925) p . 17 ; Gauthier , le Temple d'Amada , p . 19 – 24 et pl . 10-11 ; Edel , Die Stelen Amenophis II aus Karnak und Memphis (1953) , p . 98 – 176 ;
وأيضا : د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٢٩١ حاشية (١) .

ولذلك أضطر أمنحتب للذهاب بعد قليل من حكمه إلى آسيا ، على رأس جيشه للقضاء على هذه الثورات ، وبعد أن عبر نهر العاصى وبرز بتكتيكه الفريد فى المعارك ؛ قام بقتل ضابط وهو يقول فى النص الذى يذكر هذه الحملة : [١]

" لقد عبر جلالته المناطق الضحلة لنهر العاصى ، ورفع يده فوق عينيه لكى يراقب الأفق ، وعند ما اكتشف جلالته بعض الآسيويين يندفعون بخيولهم ويصلون بسرعة ، وحمل جلالته أسلحته الحربية وعندما أتجه بنظره إلى إحدى العربات ، لجأت الأخرى إلى الهرب ثم أسقط الملك بنفسه سيوفهم وقضى عليهم بسهمه ، وقد حمل جسد الضابط وأستولى على زوج الخيل وعلى عربته ... وقوسين وجراب مملوء بالسهام ، ودرع واق " .ونقرأ أيضا أنه خلال هذه الحملة :

" عندما كان أمنحتب موجود فى تلك المنطقة ، قام بإعداد سبعة أمراء وحمل جثثهم إلى طيبة ، وعرضها لكى تستخدم كعبرة لكل هؤلاء الذين يميلون إلى التمرد والثورة " .

وتذكر لوحة ميت رهينة أنه قام بحملتين الأولى فى السنة السابعة والثانية فى السنة التاسعة وفيها وصل إلى نهر العاصى وقضى على الآسيويين .[٢]

ويلاحظ وجود بعض الاختلاف في لوحة الكرنك ولوحة منف ، ولما سمع أمير نهرينا وأمير جات وأمير سنجر بهذا النصر الذى أحرزه جلالته تسابقوا

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢١٤ .

(٢) أمر الملك بكتابة انتصاراته على هاتين اللوحتين فى أكبر معابد مصر وهما معبد بتاح فى منف ومعبد آمون رع فى طيبة ، ونرى الملك أمنحتب فى أعلا اللوحة وهو يقوم بتقديم أوانى النبيذ إلى آمون رع فى الجهة اليمنى ، ويرفع يده محييا المعبود بتاح فى الجهة اليسرى ، ويلى هذا المنظر نص يتكون من ٣٤ سطرا ، راجع :

د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٩١ ، حاشية (٢) ، وأيضا:

Badawi , ASAE 42 (1943) , p . 4-18 .

لإحضار هداياهم . ولأول مرة ترسل ميتانى مندوبين بالهدايا لكى تمنح نسيم الحياة .

وفيما بعد بدأ الوضع فى آسيا يميل بوجه عام إلى التطور والتغير فدولة ميتانى التى كانت حتى هذه اللحظة القوة العظمى ، بدأت تخشى تطور قوة الحيثيين (الذين استقروا فى الأناضول) وهذا الخوف هو الذى دفعهم إلى التقرب إلى مصر . فقد سمعا ملك الحيثيين تودها ليجاس الثالث Tud Halijas إلى عدة فتوحات لتكوين إمبراطورية حيثية جديدة ، والتهديد الذى قام به أمنحتب بدأ يؤثر على ميتانى .

ولا نملك إلا تفاصيل قليلة عن بقية أحداث هذا الحكم ، ويبدو أنه قام بعدة أعمال معمارية فى الكرنك ، فأقام أمنحتب الثانى بين صرحى الكرنك التاسع والعاشر بمناسبة يوبيلة حوسقا كان يؤدى إليه درجان متقابلان .[١] كما اهتم بمعبودات إقليم طيبة كما هو واضح من أحد الألواح الصخرية بناحية طرة والمؤرخة بالسنة الرابعة من حكمة .

وقد أتم بناء معبد عمدا الذى بدأه والدة تحوتمس الثالث والذى كان مخصصا لعبادة آمون رع ورع حور آختى [٢] وقد نقل هذا المعبد حاليا إلى أسوان وأعيد بناؤه . وقام ببعض الأعمال المعمارية فى منف وعثر على تمثال باسمه على مقربة من شندى شمالى الخرطوم .

ويبلغ عدد مقابر معاصريه والمنحوتة فى البر الغربى حوالى تسع عشرة مقبرة .[٣] ومنها مقبرة قن آمون الذى كان أخا لأمنحتب الثانى فى الرضاعة (وهى

---

(١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ١٨٨ ، شكل ٧٠ .

(٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ – ٢٠٤ .

(٣) وهى أرقام : ١٧ ، ٢٩ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٥٦ ، ٧٢ ، ٨٠ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٩٦ ، ١٧٦ ، ٢٥٦ ، ٣٦٧ ، راجع : د . سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٦٠ – ٣٨٧ .

تحمل رقم ٩٣)[١] ، وفيها نرى تمثال أمنحتب الثانى وتمثال وتمثال تحوتمس الأول والملكة حتشبسوت – مريت رع . ورسمت على جدرانها مناظر الهدايا التى قدمت للملك فى عيد العام الجديد . ومقبرة أوسر حات الكاتب الملكى وربيب الحضانة الملكية (رقم ٥٦)[٢] وآمون أم اوبت حاكم طيبة وهو الذى حل محل الوزير رخمى رع فى وظائفه (رقم ٢٩) ونب أمون طبيب الملك وصاحب الشهرة الكبيرة (رقم ١٧) ورع الكاهن الأول لآمون (رقم ٧٢) ومرى كبير كهنة آمون والمشرف على خزائن امون (رقم ٨٤ و ٩٥)[٣] ، ورع مس المبعوث الملكى الأول الملكى وحامل المروحة (رقم ٩٤) . وتحوتى نفر المشرف على الخزانة والكاتب الملكى (رقم ٨٠) ونفر رنبت المشرف على مطابخ الملك (رقم ٤٣) وسن نفر قائد حامية المدينة الجنوبية (رقم ٩٦) وسو ام نيوت ساقى الملك (رقم ٩٢) ونانورى ساقى الملك أيضا (رقم ١٠١) وتحوتى نفر الكاتب الملكى (رقم ١٠٤) وسنا رئيس صياغ امون (رقم ١٦٩) ونب إن كمت حامل الكرسى الملكى (رقم ٢٥٦) . ولا يجب أن ننسى أمنحمات كبير كهنة آمون (رقم ٩٧) والذى يتحدث فى نقوش مقبرته عن مدى احترامه لوالده وطاعته له واحترام كلماته ومشورته ونصائحه .[٤]

---

(١) Davies, The Tomb of Ken Amun (1930) , p . 15 .
وعن هذه الشخصية ، راجع : Helck , LA111 , p . 386 .

(٢) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٥٧٧ .

(٣) وهى المقبرة الخاصة فى الأصل بأمون نجدح وقد سلبها لنفسه ، راجع :
R. el Sayed , Quelques Personnages célèbres :
مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢٥ ، ١٩٧٨ ، ص ٥١ – ٥٢ .

(٤) Lefebvre , Histoire des Grands Prêtres , p . 95 ; Gardiner , ZAS 47 ,p . 92 , pl . 1,1. 3-4 .

وأيضا تحوتى رئيس الاستقبال والكاهن الأول لآمون (رقـــم ٤٥) وأمـــن اوسر حات الخادم طاهر اليدين (رقم ١٧٦) وباسر رئيس الرماة ومرافـــق الملـــك (رقم ٣٦٧).

وعندما توفى الملك عام ١٤١٥ ق.م دفن فى مقبرة سرية كان قـــد أعدهـــا بسرعة فى وادى الملوك [١] ، وتحمل الآن رقم ٣٥ ، وكان هذا لوادى يحتوى فـــى ذلك الوقت على مقابر تحوتمس الأول والثانى والثالث وحتشبسوت . وكان كل مدخل من هذه المقابر مخفيا تماما . وبعد عدة قرون أكتشفها اللصوص ونهبت ، أخرجـــت مومياء الملك من تابوته ، ولكن عندما اكتشفت المقبرة من جديد عام ١٨٩٨ بواسـطة لوريه Loret أعيد وضع المومياء فى تابوتها وكان قد عبث بها وعثر على جزء من المتاع الجنائزى ومومياء الملك نفسه وأيضا العديد من مومياوات لبعض الملوك الذين خبئوا فى تلك المقبرة فى عهد الأسرة الحادية والعشرين .[٢]

تعد مقبرته أول المقابر التى تحتوى على نسخ من الكتب الجنائزيـــة سـطرت علـــى جدران حجرة الدفن ، وهى مجموعة من الكتب التى تختص بعالم الســـماء والعـــالم السفلى [٣]، نجدها فى بعض مقابر وادى الملوك ، منها فصول من كتاب الموتى [٤] ، كتاب ما يوجد فى العالم السفلى [٥] ، كتاب البوابات [٦] ، كتاب الكهوف [٧] ، كتـــاب النهار والليل[٨] ، كتاب الخروج من المقبرة نهارا ، كتاب ساعات الليل [٩] ومنها :

---

(١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٣٩٩ شكل ١٧٢ .

(٢) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne ,p . 122 .

(٣) Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p . 577

(٤) Van Voss , LAVI , p . 641 – 643 .

(٥) Jequier , le livre de ce qu'il y a dans l'Hades , p . 21 .

(٦) Piankoff,le livre des Portes,MIFAO 74(1961),90(1962),le Caire .

(٧) Piankoff , le livre des Quererts , BIFAO 43, le Caire 1946.

(٨) Piankoff,le livre du Jour et le livre de la Nuit,BdE (1941),p.5-15

(٩) Faulkner,An Ancient Egyptian Book of Hours, Oxford . 1958 .

" صيغ وشعائر مختلفة تسجل على جدران الممرات التى تؤدى إلى حجـــرة الدفن . وتحتوى هذه الكتب على صيغ وبها تمثيل لشخصيات وأشـــكال وحيوانــات خرافية مأخوذة من معتقدات الأجداد وهى وليدة عصرها تعبر بشكلها الغريـــب عــن رموز وأشكال ميلاد المعبود رع اليومى والمتجدد . وهو المعبود الذى سوف يندمـــج فى أشكاله الملك المتوفى ، أثناء المراحل الخطيرة فى العالم السفلى ، لكى ينجو مـــن المخاطر التى تعرض لها ، وفى ميلاد المعبود اليومى بعث للمتوفى شخصيا .

ومنها كتب للطقوس والأناشيد الدينية والجنائزية مثل طقوس فتـــح الفـــم ، والتحنيط وكانت هناك نسخ من هذه الكتب توضع فى المقبرة لكى تصبـــح الطقـــوس التى تؤدى على المومياء فاعلية إلى الأبد .(١)

وتبين لنا المناظر المرسومة على أوجه الأعمدة الملك المتوفى فى صحبـــة المعبودات التى لها صلة بالعالم الآخرة وكانت تعبد فى البر الغربى فى طيبة .

من خبروع – تحوتمس الرابع " خع خعو " (١٤٢٥ – ١٤٠٨ ق.م): (٢)

عند وفاة الملك أمنحتب الثانى، تجددت بعض الصعاب بسبب الخلاف علـــى العرش ، وكان لأمنحتب أكثر من ابن ، أحدهم يسمى تحوتمس ويبلغ من العمر تسعة عشر عاما ، ولم يكن– بدون شك – الابن الأكبر ، ويرى بعض منهم أنه كانت توجد على اللوحة التى تركها تحوتمس بين قدمى أبى الهول اسم تم حذفه وهو اسم الأمـــير أمن – ام – اوبت أحد أبناء أمنحتب الثانى ، وكان يتراوح عددهـــم بيـــن الخمســة والسبعة ، وأن تحوتمس قد وصل إلى العرش بطريقة غامضة ، وأنه أقصى أخاه من على العرش (٣) وقد تزوج تحوتمس وهو يبلغ من العمر سن السادسة عشرة عامــا ، كما كانت هى العادة فى مصر القديمة ، وكان يعيش فى هدوء فى منف ، ولا نعرف

---

(١) Posener , Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne,p . 283 – 284 .

(٢) عن هذا الملك ، راجع : Gundlach , LA VI ,p.548 – 551 .

(٣) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٥٧٩ .

كيفية وصوله إلى العرش ، ويبدو أن توليته العرش بعد أبيه تمت بدون أى صراع .

ويبدو أن الأمير تحوتمس الرابع كان قد تأثر بكهنة هليوبوليس الذين كانوا يعيشون فى كره دائم مع كهنة آمون فى طيبة ، وقبل وفاة الملك أمنحتب الثانى ، يبدوا أن الكهنة قد أقنعوا الأمير بارتقاء العرش ، رغبة منهم فى استعادة الهيبة القديمة لمعبود الشمس رع فى هليوبوليس والحد من سيطرة كهنة أمون المتزايدة .

وهناك لوحة بين قدمى " أبى الهول " تقص علينا كيفية وصوله إلى العرش وكيف عمل كهنة الشمس على ترويج هذه القصة : (١)

" عندما كان (الأمير) صغيرا جدا ، كان من عادته أن يسرى عن نفسه فوق هضبة منف الصّحراوية ، متتبعا الطرق ، مصوبا الأسهم تجاه هدف من النحاس قابضا ، على الحيوانات المتوحشة أو مستقلا لعربته التى كانت لها خيولا أسرع من الريح ، وذلك فى صحبة أثنين من رجال بلاطه ، وفى خفية عن كل الناس ، عندما حانت الساعة لكى يعطى لرفاقه بعض الراحة ، ذهب إلى منطقة " حرماخيس " ذلك المكان المقدس منذ بداية الزمان (٢) ، فى تجاه هليوبوليس ، وهناك يوجد التمثال الشاهق لمعبود الشمس (حور آختى) وحدث أن وصل الأمير تحوتمس فى ذلك اليوم بعربته فى ساعة الظهيرة لكى يستريح فى ظل هذا المعبود العظيم ، عندئذ كانت الشمس فى كبد السماء ، وهناك رأى حلما أثناء سباته : فقد رأى أن جلالة ذلك المعبود يتحدث إليه بفمه كما لو كان أب يتحدث إلى أبنه :

" تأملنى وأنظر إلى يا بنى تحوتمس ، قال المعبود ، إنى أبوك ، معبود الشمس (حور إم أخت – خبرى رع – اتوم) سوف أعطيك مملكتى التى على الأرض ، وسوف تصبح على رأس الأحياء ، وسوف تتوج بالتاج الأبيض والتاج

---

(١) Chr . Zivic , Giza Au Deuxicme Millcnaire (BdE 70) , p . 135 – 145 .

وأيضا : د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٢٩٣ .

(٢) وهى المنطقة التى تمتد حول أهرام الجيزة .

الأحمر على عرش المعبود جب ، وسوف تخضع لك البلاد فى طولها وعرضها و (كل) ما يضئ عين سيد الجميع، وكل هبات الوجه القبلى والوجه البحرى وأيضا الجزيات الكبرى لكل البلاد ، وكل شئ سوف يصبح ملكا لك ولعدة سنوات طويلة . مساعدتى ورضاى سوف يمنحان لك وعليك أنت – من جانبك – أن تحمينى لأننى كما أنا اليوم ، أجد نفسى كالمريض ، كالمختنق برمال هذه الصحراء التى أعيش عليها ، أعتن بى ونفذ كل رغباتى ، أعلم أنك ولدى وحام لى ، تعال هنا واقترب جدا : أننى معك ، إننى مرشدك " . وعندما سكت الصوت واستيقظ الأمير من سباته ، وفهم كلمات لمعبود ظل الصمت يرين على قلبه "(١) .

وعقب وفاة أبيه ، أعلن الأمير الصغير ملكا على العرش بواسطة ومساعدة كهنة وأهل هليوبوليس . ويبدو أن كهنة آمون قد اضطروا إلى قبول انتصار كهنة معبود الشمس على مضض ، وعقب صعوده على العرش أمر الملك فى الحال بأن ترفع الرمال التى تحيط " بأبى الهول " وأمر بنقش قصة هذا الحلم على لوحة وضعها بين قدمى " أبى الهول " .

وطبقا لدراسة موميائه بالمتحف المصرى الآن ، يبدو أنه كان شابا صغيرا ، ولم يكن قوى البنية ، وتوفى صغيرا ، وكان يرغب فى أن يظهر بأنه جدير بخلافة أبيه وجده الكبير ، وأثناء الفترة القصيرة التى أمضاها فى السلطة ، قاد جيوشه إلى آسيا (٢) ، وكانت هذه الحملة مجرد حملة تفتيشية أكثر منها حملة حربية بالمعنى المفهوم ، وفى هذه اللحظة كان الموقف فى آسيا قد تطور بالفعل ، وبدأ يظهر خطر الحيثيين ، ففى شرق نهر الفرات ، فى الطرف الشمالى الغربى من سوريا وفى كردستان الجنوبية– كانت تمتد مملكة ميتانى–وكانت دولة متحضرة يحكمها أمير يسمى "ارتا تاما".وكان نهر الفرات يفصل هذه المملكة عن ممتلكات الملك المصرى فى آسيا،وقد رأى تحوتمس أنه من الأفضل عقد معاهدة مع

---

(١) Breasted , ARII (810 – 815) ; Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p . 123 – 124 .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢١٥ .

أرتا تاما لكى يتفادى بهذه الطريقة أن تتعرض مناطق نفوذه البعيـــدة لأى هجــوم ، ولهذا الغرض أرسل السفراء إلى بلاط ميتانى طالبا الزواج من إحدى بنات الملك .

ولم يتردد الميتانيون فى البحث عن صداقة الملك نظرا لخطـــر الحيثييــن ، ونتيجة لهذا عقدت معاهدة بين البلدين ، ولتقوية هذه العلاقة تزوج تحوتمس بـــالفعل من أميرة ميتانية هى موت أم ويا [1] . وقد أعطى لها هذا الاسم عند وصولها إلـــى مصر وهى التى سوف تنجب له ونلده أمنحتب الثالث الذى كان يجرى فـــى عروقــه الدم الهندو أوروبى .

والزواج من أجنبية ، كان يعد ابتكارا جديدا فى السياسة الخارجية لمصــر ، فالعرف السائد هو أن الملك المصرى ينتمى إلى أصل مقدس من معبـــود الشـــمس ، وزواجه من أميرة أجنبية كان أمرا لا يمكن أن تتقبله عقلية الشعب فى ذلك الوقــت ، ولكن مصر أصبحت قوة عالمية ، وأدرك المصريون شيئا فشيئا إن هناك بلادا أخرى متحضرة خارج حدود وادى النيل لابد من الاتصال بها وتوطيد العلاقة معها لأسـباب سياسية . وبالنسبة للملك أرتا – تاما كان الأمر جديدا عليه أيضا لذلك رفض فــى أول الأمر ، ولكنه وافق بعد ذلك على رحيل الأميرة ، واضطرت الزوجة الميتانية الشـابة أن تأخذ مكانها بين الزوجات الثانويات للملك .

وفى السنة السابعة من حكمه وقعت ثورة فى النوبة السفلى ، واضطر الملك إلى قيادة جيشه إلى الجنوب ، ويبدو أن هذه الحملة والحملة السابقة على آسيا كـــانت الأعمال الحربية الوحيدة التى قام بها الملك ، وقد وردت إشارات عن نشاطه الحربــى فى عدة نصوص ، منها إشارة فى قوائم القرابين التى قدمها الملك إلى المعبود آمــون على أنه استولى على بلاد النهرين [2] . وفى مقبرة أحد رجاله خع أم حـــات نـــرى

---

(١) الذى يعنى المعبودة " موت فى قاربها المقدس " ؛ وعن هـــذه الشـــخصية ، راجع : Gundlach, LAIV , p . 251-252 .

(٢) Spiegelberg , OLZ 21 (1904), p . 289 – 290 ;
وأيضا : د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٨١ .

صورة لتحوتمس الرابع ومن ورائه أوان من الذهب والفضة جاء بها بعض الآسيويين [١] . وأخيرا عن نشاطه مع النوبيين فقد سجل على عربته الحربية صراعه معه [٢] . وقد استن تحوتمس الرابع سنة جديدة عندما زين مقدمة عربته الحربية بمناظر ساحة القتال ، وقد عثر على هذه العربة فى مقبرته فى وادى الملوك ، وهى محفوظة الآن فى المتحف المصرى .[٣]

وسجل معاركه مع النوبيين على لوحة من كونوسو .[٤]

وقد شيد الملك الكثير من الآثار فى الكرنك ، وقد عثر على بعض الأحجار من معبده داخل اساسات الصرح الثالث [٥] وأقام مسلة كبيرة فى الكرنك كانت قد شيدت أثناء حكم جده تحوتمس الثالث ، ولكنها بقيت غير كاملة على الأرض وهى المقامة حاليا فى روما أمام كنيسة " سان جان دى لاتران [٦] " ويبلغ طولها ١٠٥ قدما . وشيد تحوتمس الرابع معبده الجنائزى إلى الجنوب من الرمسيوم ، وقد تهدم ولم يبق منه غير آثار ضئيلة تدل عليه [٧] . وقد أحدث حكم تحوتمس الرابع تغييرا كبيرا فى التقاليد الفنية ، ويبدو أن تأثيرا هليوبوليس كان واضحا ، وأدى ذلك إلى تغير بعض القواعد الصارمة التى حافظ عليها الطيبيون . فنجد أن الرخاء الكبير الذى جلبته الغزوات على آسيا أوجد نوعا من الترف الذى لم تعرفه أهل وادى النيل من قبل ، كما اتسعت أفاق المصريين المادية والفكرية واستحبوا حياة السلام .وزاد

---

(١) Breasted , ARII (816 – 818) .

(٢) Carter , Newberry and Maspero , The Tomb of Thoutmosis IV , p 24 pl . 9 ; PM , Theban Necropolis (1964) p . 559 – 561 .

(٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٩٤ حاشية (١) .

(٤) LD 111 , p l . 69 (e) .

(٥) د. محمد عبد القادر : آثار الأقصر ، شكل ٢٣ .

(٦) Yoyotte , Kemi 14 (1957), p . 81-91 ; UrK IV, 1548 .

(٧) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤١٦ .

انتشار حضارتهم فى البلاد المجاورة وتطورت علاقات التقارب اللغوى والثقافى والفنى مع جيرانهم ، وأخذت تلك البساطة التى يتميز بها الطابع الفنى ، تفقد تأثيرها نتيجة للأفكار الأجنبية التى جاءت من الشرق . ونلاحظ فى هذه الفترة أن الفن أخذ يتأثر بالطابع الشرقى وظهرت تعبيرات الرقة فى المناظر التى تمثل النساء أو الرجال فى فن النحت والرسم ، وكانت مصر مليئة فى ذلك بالأجانب ، حيث كان يعيش فيها المئات من المراء الأسيويين الصغار كرهائن أو كمتلقين للعلم والثقافة فى المدارس المصرية قبل أن يعودوا إلى بلادهم وقد تأثروا بالحضارة المصرية وأثروا بتفكيرهم وأذواقهم فى المجتمع المصرى . بالإضافة إلى ذلك أصبح مستقبل مصر مرتبطا بآسيا . ولأول مرة نرى أن السياسة المصرية كانت تخضع للظروف الخارجية للبلاد البعيدة عن وادى النيل ، ويمكن اعتبار فترة تحوتمس الرابع ، فترة انتقال ، وسوف ندخل ابتداء من الآن فى فترة جديدة ، فترة نرى فيها مصر مضطرة هذه المرة إلى القتال لكى تدافع عن وجودها ضد الولايات الأسيوية التى كانت فى يوم ما تحت سيطرة الملك أو تحت نفوذه ، وليس للغزو والفتح .

لم يحكم تحوتمس الرابع سوى تسعة أعوام ، وتوفى فجأة عام ١٤٠٦ ق.م . وكان يبلغ من العمر ثمانية وعشرين عاما . وقبل وفاته أحاط كل المعابد برعاية وعناية خاصة ولا سيما تلك التى كانت تخص الملوك القدماء أمثال سنوسرت الثالث من الأسرة الثانية عشرة . وأحمس مؤسس الأسرة الثامنة عشرة ، وكانت رغبته الكبرى هى أن يصبح فاتحا كبيرا ، وبكن الظروف الدولية بدأت تتغير وكشف كارتر عن مقبرته فى البر الغربى وهى تحمل رقم ٤٣ وعثر على تابوته الكبير وجزء من أثاثه الجنائزى .(١)

وحسب رأى انجلباك فى مقالة طويلة خصصها لفترة تل العمارنة ، الذى يرى أن تحوتمس الرابع لم يتزوج فقط موت أم ويا ولكن أيضا من أميرة من دم ملكى تدعى" إيريت " التى ذكر اسمها وألقابها فى نقوش سيناء ، وأنجب تحوتمس من

---

(١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٠٠ شكل ١٧٣ .

هذه الملكة ، أبنه هى سات آمون ، التى تزوجت فيما بعد من أمنحتب الثالث .[١]

ويبلغ عدد مقابر معاصريه المنحوتة فى الصخر فى البر الغربى ست وعشرين مقبرة .[٢]

وعاش فى عصر تحوتمس الرابع كاتب المخازن " نخت "[٣] صاحب المقبرة رقم ٥٢ ، وفيها نرى نحت وهو يشرف على أعماله الزراعية ثم نرى بابا وهميا بجانبه منظر نخت وزوجته وأمامها مائدة قرابين . وهى من المقابر الجميلة التى تمتاز بألوانها الحية [٤] . وهناك أيضا مننا الذى كان كاتبا للضياع الملكية فى الشمال والجنوب وهو صاحب المقبرة رقم ٦٩ . ونرى على اليسار من المدخل مناظر تمثل الحرث والبذر وتمشيط الكتان والحصاد وكيل القمح .[٥] وجسر كارع سنب الكاتب (رقم ٣٨)[٦] وحقا إرننح مربى الابن الملكى (رقم ٦٤) وحبو الوزير

---

(١) Englbach , ASAE 40 (1940) , p . 133 – 165 ; Drioton – Vandier , L'Egypte (éd . 1952), p . 385; Weill, Inscriptions du Sinai , p . 205 (101) .

(٢) وهى أرقام : ٣٨ ، ٥٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٠٨ ، ١١٦ ، ١٤٧ ، ١٥١ ، ١٦٥ ، ١٧٥ ، ٢٠١ ، ٢٣٩ ، ٢٤٩ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٧٦ ، ٢٩٥ ، ٤٠٢ ، راجع : د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٦٣ – ٣٨٩ .

(٣) عن طراز ومناظر هذه المقبرة ، راجع : د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٤٠٤ – ٤٠٧ (٣) شكل ٨٥ .

(٤) د. صبحى بكرى : دليل آثار الأقصر ، ص ٨٥ .

(٥) د. صبحى بكرى : المرجع السابق ، ص ٨٦ ؛ وعن مناظرها راجع : د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٤٠١ – ٤٠٤ (٢) شكل ٨٤ .

(٦) R. el Sayed , Quelques Personnages Célebres : مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢٥ ، ١٩٧٨ ، ص ٥٣ – ٥٤ .

(رقم ٦٦) وأمنحتب سا ايزه الكاهن الثانى لآمون (رقم ٧٥) وثن ونا حامل المروحة على يمين الملك (رقم ٧٦) وبتاح ام حات المشرف على أعمال أمون فى الكرنك (رقم ٧٧) ونب أمون حامل علم مركب أمون (رقم ٩٠) ونب سنى كاهن المعبود انوريس (رقم ١٠٨) وحاتى رئيس استقبال الزوجة المقدسة لآمون (رقم ١٥١) ونحم عاوى صائغ ومثال (رقم ١٦٥) ورع الرسول الملكى الأول (رقم ٢٠١) وبن حوت حاكم المناطق الشمالية (رقم ٢٣٩) ونفر رنبت متعهد توريد التمر (رقم ٢٤٩) وأمن ام ابت القاضى وحامل الختم الملكى (رقم ٢٧٦) وتحوتمس حامل الختم الملكى والمختص بالتحنيط (رقم ٢٩٥) وثاننى الكاتب الملكى وقائد الجند (رقم ٧٤) ونرى فى مقبرته عرض للقوات .ونفر حتب الكاتب ومحاسب غلال آمون (رقم ٢٥٧) ومنخبر ربيب الحضانة الملكية والكاتب الملكى (رقم ٢٥٨) .(١)

نب ماعت رع – أمنحتب الثالث " حقا واست " (١٤٠٨ – ١٣٧٢ ق.م) :(٢)

ساد القلق البلاط الملكى بعد وفاة تحوتمس الرابع ، لأن ولده الذى أنجبه من زواجه الشرعى ، لم يتعد على الإطلاق الإثنى عشر عاما ، وصعود شاب صغير جدا على العرش سوف يؤدى إلى خلق الكثير من المتاعب والصعاب ، وتوفيت الأخت الوحيدة لأمنحتب منذ فترة قصيرة ولم يكن هناك أميرة ملكية وريثة للعرش ، يمكن أن يتزوج الأمير الصغير منها لكى يؤكد حقه فى الصعود على العرش طبقا للعرف المصرى ، وكان لابد من قبول الأوضاع كما هى ، وتوج الأمير تحت اسم نب ماعت رع – أمنحتب الثالث ، وقد قدم سن الزواج بسببه تحت تأثير الأوضاع فى الشرق ونظرا للظروف الخارجية .

وبعد اعتلائه العرش مباشرة تزوج الملك الصغير الذى كان يبلغ من العمر أثنى عشر عاما أو ثلاثة عشر عاما من فتاة تسمى " تى " وقد اختيرت فى مثل هذه

---

(١) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٧٩ .

(٢) عن هذا الملك ، راجع : Hornung , LAI, p . 206 – 210 .

الظروف غير العادية لأنها كانت تحمل بدون شك الكثير من الألقاب من بين الورثة في العائلة الملكية .

كان أبوها من النبلاء ومن الطبقة العليا ويسمى "يويا" وأمها "تويا"[١] والتي كان يجري في عروقها الدم الملكي بلا شك حيث كان يشار إليها فيما بعد ، وكان يطلق عليها لقب "الأم الملكية لزوجة الملك" . ولم تتعد الملكة الصغيرة عند زواجها أحد عشر عاما ، وكانت تتمتع بمكانة خاصة جدا ، فكان يطلق عليها "سيدة الأرضين" وليس أدل على ذلك من أحقيتها الكاملة أكثر من غيرها ، في أن تكون وريثة شرعية طبقا للتقاليد المصرية . وظهرت أكثر من مرة في التماثيل بحجم كبير مع زوجها وكان مخالفا للقواعد الفنية القديمة مما يدل على أنها كانت ذات تأثير قوى عليه .[٢]

وتزوج في السنة الثانية من توليه العرش ، وسجل احتفالات الزواج على جعارين كبيرة الحجم [٣] وقد تمتع والدا "تي" بتكريم الملك وما زالت آثارهما التي كشف عنها في جبانة طيبة تدل على مقدار ثرائهما وما تمتعا به من عطف الملك .[٤]

وفي العام الثاني من الحكم ، كان الملك الصغير قد بلغ من العمر ثلاثة عشر عاما أو أربعة عشر عاما ، وسمح له بالخروج في أول رحلة للصيد ، وكان فخورا بهذا الحدث ، ولذلك نقرأ على أحد الجعارين النقش الآتي :

" وقع حدث عجيب لجلالته – يقول النقش – جاء رجل بالقرب من جلالته وقال : " هناك قطيع من الحيوانات المتوحشة في الصحراء المرتفعة بالقرب من منطقة " شتا " فنزل جلالته إلى النهر في قارب ملكي بادئا الرحلة السعيدة وفي المساء وصل سالما معافى ، وفي الصباح التالي أقبل جلالته على ظهر الحصان

---

(١) Helck , LA 111 , p . 274 – 275 .

(٢) Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique ,p.89.

(٣) Fraser . PSBA 21 (1899) , p . 155 – 156 .

(٤) Quibell , The Tomb of Yuaa and Thuiu (1908) , pl.1.

(أى على عربته) فى منطقى شتا مع كل مرافقيه من خلفه على حين صدر الأمر إلى الضباط العسكريين وأيضا المدنيين وأطفالهم بمراقبة الحيوانات المتوحشة ، وعندئذ أمر جلالته بأن تدفع هذه الحيوانات المتوحشة داخل حاجز ، وأمر أيضا بأن تجمع وكانت تبلغ مائة وسبعين رأسا وقد تم صيد هذه الحيوانات عن طريق القوس وبأسهم طويلة " .

وبدون شك ساهمت كل مجموعة من الصيادين فى عملية الصيد بدور كبير ، وقد ترك النصيب الأكبر للملك الصغير تكريما له ويستمر النص قائلا :

" بعد ذلك استراح جلالته أربعة أيام لكى تستعيد خيوله نشاطها وحيويتها ، ثم أقبل مرة أخرى على حصانه وكان عدد الرءوس التى قتلت فى هذه الرحلة عشرين رأسا ، مما كان يمثل فى النهاية ستا وسبعين رأسا ، ذلك غير الأخرى التى ولت هاربة "[١] .

وقد ترك لنا ذكرى صيد الحيوانات المتوحشة بالقرب من قنا على مجموعة من الجعارين أيضا .[٢]

بالغ الملك فى تكريم الملكة تى فأمر بأن تحفر لها بحيرة فى المنطقة المنخفضة فى بركة مدينة هابو التى تقع إلى الجنوب من المعبد الكبير المسمى بهذا الاسم ، وإلى الشرق قليلا شيد الملك قصره [٣] وكان مبنيا من الطوب اللبن والخشب ، وفى السنة الحادية عشرة من حكمه (١٣٩٦ ق.م) فى فترة فيضان النيل أرادت الملكة تى أن تحفر لها بحيرة بالقرب من القصر الملكى وتغذيها مياه الفيضان .

وقد أشترك فى حفر هذه البحيرة آلاف العمال ، وبعد ستة عشر يوما من

---

(١) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p . 127 .

(٢) نجد ذكر لصيد الثيران البرية والأسود فى : Drioton , ASAE 45 (1947) , p . 87 – 92 ; Breasted , ARII (865) .

(٣) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٠٩ – ١١٠ شكل ٢٦ .

العمل المتواصل تدفقت المياة إلى البحيرة ، وقام الملك والملكة بعمـــل جولـــة فـــى البحيرة بالقارب الملكى ، وعمقت هذه البحيرة فيما بعد ، وزرعـــت الأشـــجار مـــن حولها [١]. وتقع هذه البحيرة فى المنطقة المنخفضة فى بركة مدينة هابو التى تقع إلـى الجنوب من المعبد الكبير المسمى بهذا الاسم . وجاء ذكر حفر هذه البحيرة لملكة تـى على مجموعة من الجعارين [٢] . وهناك مجموعة أخرى من الجعارين تمثل حـــدود مصر ، واحتفاله بعيده الثلاثينى .

أنجبت الملكة تى العديد من البنات ، وفى السنة الرابعة والعشرين من الحكم أنجبت ابنا أطلق عليه أيضا اسم أمنحتب . وفى الوقت نفسه أرسل العديد من الملــوك والأمراء الأجانب بناتهم إلى مصر لكى يصبحن زوجات ثانويات للملك ، وتذكر على سبيل المثال الأمير الميتانية " جيلو هيبا " ابنة شوتارنا [٣] التى وصلـــت ومعـــها ثلاثمائة وسبع عشرة من حريم الشرف .[٤] وتزوجت من الملك ، ولكنها نحيت إلـــى الصف الثانى بواسطة الملكة تى فيما بعد [٥] وهناك رأى قـــائل بـــأن زواجـــه مـــن جيلوهيبا لم يتم لكبر سنه . وبعد وفاة شوتارنا تولى الملك بعده أبنه توشراتا فأرســـل إلى ملك مصر أميرة صغيرة السن وهى تادو هيبا فى الوقت الـــذى كـــان أمنحتـــب الثالث مريضا متهدما .[٦]

ويقال أنه طلب من أحد أمراء سوريا ومن أمير أورشليم أن يرســـلوا إليـــه بعض الفتيات ليصبحن زوجات ثانويات له .[٧]

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٨٩ ؛ Hayes , JNES 10 (1951), p . 35 0 38 .

(٢) د.أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١١١ .

(٣) Helck , LAV1 , p . 112 .

(٤) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٩٩ حاشية (١) .

(٥) Weigall , op . cit . , p . 131 .

(٦) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٠٠ .

(٧) Mercer , El Amarna Tablets , vol . 2 no 288 , no 301 ; Koudtzon , Die El Amarna Taflen , no 29 .

وكتب ملك بابل كادا شمان انليل الأول [١] إلى أمنحتب الثالث ، يعتذر لـــه بأنه ليس له أخت يرسلها عروسا إليه ويرجوه فى القوت نفسه بأن يزوجه من إحـــدى بناته ، فاعتذر أمنحتب بحجة أنه لم يسبق أن أرسلت أميرة مصرية إلى أى حاكم فعاد الملك البابلى وألح عليه بأن يتخير له فتاة مصرية من قصره .[٢]

ومن عصر هذا الملك لوحة المتحف المصرى رقم . JE . 34025 CGC 31418 التى اغتصبها مرنبتاح بعد ذلك ووضعها فى معبـــده الجنـــازى فـــى الـــبر الغربى فى طيبة حتى عثر عليها هناك عام ١٨٩٦ . وسجل أمنحتب الثـــالث علـــى وجه اللوحة الأمامى نصا من ٣١ سطرا يتحدث عن نشاطه المعمارى والحربـى [٣] . وسجل مرنبتاح على ظهر اللوحة نصا آخر يتحدث فيه عن أعماله الحربية .

وإذا نظرنا إلى ما جاء على هذه اللوحة من مناظر ونصوص ، فنرى علـــى وجه اللوحة الأمامى منظرا مزدوجا يمثل الملك أمنحتب الثالث وهو يقوم بتقديم مـــاء التطهير والنبيذ فى الآنية " نو " إلى آمون رع ، ويلى ذلك النص الذى يتحـــدث فيـــه الملك عن أعماله وتعرض هذا النص للتشويه لمحو اسم آمون وذلك فى عهد أمنحتـب الرابع ثم رمم من جديد وأعيدت كتابته فى عهد سيتى الأول [٤] ، وفى الواقع لم يبق

---

(١) Helck , LA 111 , p . 288 – 289 .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

(٣) وهى لوحة ضخمة من الجرانيت ارتفاعها ٣,١٨ متر ، وهـــى معروضـــة الآن فى الدور الأرضى بالمتحف قاعة رقـم 13ES . R بالنســبة لنـــص أمنحتب الثالث راجع :

Lacau , Stèles du Nouvel Empire CGC , P . 47-52 pl.15-16 ; Urk IV , 1646 – 1657 (562) , 1722; Breasted , ARII (878-892) , 899 – 908 , p . 353 n . (a) ; Gardiner , Egypt of the Pharaohs , p . 210 n . 304 , 273 n . 3 ; PM , Theban Temples II (1929) , p . 159 (xiv) ; PM , Theban Temples II (1972) , p . 447 – 448 .

(٤) lacau , op . cit . , p . 47 – 48 ; PM , op . cit . 11(1972)p.447.

من النص الأصلى سوى الأسطر الأربعة الأخيرة ، وستة قبل ذلك أما باقى النص فقد أعيد كتابته [١] ، ومن هنا جاءت صعوبة ترجمة هذا النص لأن الأعمال التى قام بها الملك متداخلة ، وأحيانا من الصعب فهم ترتيب هذه الأعمال ، فهل هى جميعا فى معبده الجنائزى فى البر الغربى أو أن بعضها فى معبدى الأقصر والكرنك .[٢]

ونظرا لأهمية هذا النص فإننا نعطى ترجمة للأسطر التى تتحدث عن الأعمال المعمارية التى قام بها الملك فى معبده الجنائزى فى البر الغربى فى طيبة وفى معبدى الأقصر والكرنك .[٣]

فنقرأ فى السطرين ٢- ٣ :

" ... ومما شيده كآثاره لأبيه آمون سيد عروش الأرضين ، أن شيد له معبدا فخما على الضفة الغربية لطيبة ، (وجعل منه) حصنا لكل الأبدية والدوام ، من أجود (أنواع) الحجر الجيرى من كتل ذات حجم كبير ، وزين جميع أجزائه بالذهب ، وأصبحت أرضيته نقية بفضل الفضة (أى حلى أرضيته بالفضة) "

وفى السطرين ٨ – ٩ نقرأ :

" بحثا عن الأعمال الصائبة لأبيه آمون رع ملك المعبودات فشيد له صرحا مرتفعا جدا (فى الكرنك) يطلق عليه " الذى يوجد أمام آمون " أعد جلالته مقصورة

---

(١) lacau , op . cit . , p . 47 .

(٢) يذكر جاردنر إن هذه الأعمال المعمارية التى قام بها أمنحتب الثالث هى أعمال قام بها فى معبد البر الغربى ومعبدى الأقصر والكرنك ، راجع :
Gardiner , Egypt of the Pharaohs, p . 210 n . 3 .
أما عن أعمال الملك فى معبد الكرنك ، راجع :
Barguet , le Temple d'Amon –Rê `a Kannak , p . 4 (a) , g (a) , 17 , 48 , 57 78 , 79 – 80 , 306 .

(٣) Gardiner , Egypt of the Pharaohs, p . 21 n . 3 .
ويرى د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤١٧ حاشية (١) بأن النص يتحدث هنا عن معبد الملك الجنائزى فى البر الغربى . عن معبدى الأقصر والكرنك ، راجع : Barguet, LA 111, p. 341 – 351, 1103 – 1107 .

لآمون تحمل تمثاله . إنه مكان الراحة لسيد المعبودات فى عيده للوادى ، وأثناء رحلة امون للغرب لرؤية معبودات الغرب ... "[١]

وفى السطرين ١٠ – ١١ نقرأ أيضا :

" ... وكان راضيا عن المنشآت من أجل أبيه آمون رع ، سيد عروش الأرضين فى الحرم الجنوبى (الأقصر) من الحجر الرملى والتى وسعت وكبرت بدرجة كبيرة وازدادت (جمالا) على جمالها . وكانت جدرانها (مغطاة) بصفائح من الذهب الخالص ، وأرضيتها من الفضة وكل أبوابها أعدت بأعمال الترصيع الخاصة بها ... " .

وفى السطر ١٦ نقرأ كذلك :

" ... وجددت الآثار لمن وهبنى الحياة آمون رع ، سيد عروش الرضين القائم على عرشه ، وضعت له قاربا كبيرا فى المرسى (اسمها) : " آمون رع ام وسرحات " من (خشب) شجر الأرز ... "

---

(١) كان المعبود آمون رع يخرج فى موكبه من الكرنك ثم يعبر النيل ليذهب إلى معبده (الذى أقامته حتشبسوت بالدير البحرى) حيث يقيم ليلة هناك . وتعد هذه الزيارة عيدا كبيرا يقام فى كل عام تحت إشراف الملك الحاكم . وكان يسمى عيد الوادى الجميل (ḥb int) . ويخرج القارب المقدس الموضوع على قاعدته داخل قدس الأقداس فى معبد الكرنك . وكان بداخله تمثال المعبود .ويحمل القارب على أكتاف الكهنة . وكانت تشارك معه القوارب المقدسة لثالوث طيبة ومركب الملك الحاكم وتماثيل الملوك السابقين . ولما كان الطريق طويلا فقد أقام بعض ملوك الأسرة الثامنة عشرة بعض المقاصير على مساحات متقاربة لكى يزورها قارب آمون ويستريح فيها هو ومن معه . وكانت تقدم القرابين فى هذه المقاصير وذلك لفائدة الأحياء والأموات ، راجع : د. سيد توفيق : تاريخ العمارة فى مصر القديمة : الأقصر ، ص ٣٥٨ – ٣٥٩ .

ويوجد حتى الآن بقايا الأعمال المعمارية التى قام بها الملـك فـى معبـدى الأقصر والكرنك ، أما معبده الجنـائزى فقـد تـهدم تمامـا وكـان يحمـل اسـم Šspt – Imn [١] ، وعثر رجال الآثار بصعوبة بالغة على اساساته القديمة . وأمـام بقايا هذا المعبد يوجد تمثالا كبيران للملك يمثلانه جالسا ، يقعان على جانبى المدخـل الرئيسى ، ويبلغ ارتفاع كل منهما تسعة عشر مترا ، وقد نحتا من كتلة واحـدة مـن الحجر الجيرى ويسميان اليوم بتمثالى ممنون[٢] ، وقام المهندس أمنحتب بـن حـابو الذى كان أصلا من إقليم اتريب بتشيد هذا المعبد ، وأقيم خلف تمثالى ممنون لوحـة كبيرة ، وقد حصل أمنحتب بن حابو من الملك على حق تشييد معبد له بجوار معبد

---

(١) Helck , LAV , p . 7 .

(٢) عد هذان التمثالان ضمن عجائب الدنيا ، ولم يكن لـهذين التمثـالين فـى الأصل أى دور أو أية أهمية سوى أنهما يمثلان مدى سيطرة الإنسان علـى الأحجار وقدرته على نحتها ، فقد نحت كل منهما من كتلة واحدة من الحجر الرملى ، ويبلغ ارتفاع كل منهما بدون القاعدة خمسة عشـر مـترا . وقـد أقامها المهندس أمنحتب بن حابو الذى شيد معبد الأقصر ، وأتى بأحجارهـا من الجبل الأحمر على بعد ٧٠٠ كم من الأقصر ، وليس كبر حجمـهما ولا الدقة البالغة فى نحتهما هما سبب شهرتهما ، ولكن جاءت هذه الشهرة بعـد ذلك بعدة قرون من حادث غير متوقع ، ففى عـام ٢٧ ق.م حدثـت هـزة أرضيه كانت من الشدة لدرجة أن التمثال الذى يقع أقصى الشمال قد تهشـم وقسم إلى جزأين من الوسط ، وابتداء من هذا الحدث وطبقا لظاهرة طبيعيـة ثبتت حديثا فى معابد أدفو والكرنك إن الأحجار تهتز أثناء تغـيرات درجـة الرطوبة أو الحرارة التى تصحب شروق الشمس ، ويظن أن الصوت الـذى كان يخرج منه إنما كان من أثر الندى وأشعة الشمس الأولى على الحجـر الرملى للتمثال . وهذه الظاهرة التى لم يعرف المصريون أسبابها قد جذبـت انتباه محبى الاستطلاع فأسترابون . مثلا ذهب إلى مكان التمثالين لكى==

الملك [١] . وهذه هى المرة الأولى التى يحدث فيها مثل هـذا التكريم [٢] . وكـان أمنحتب بن حابو معروفا طوال حياته بالحكمة ، وقد قدس فى عصر الرعامسة وفى المعابد البطلمية ، وفى منطقة طيبة نجد أنه أصبح ممحل تكريم مع إيمحوتب ونسبت إليهما المعجزات والكرامات .[٣]

== يستمع إلى هذا الصوت الغريب ، ولم يستطيع أن يقتنـع نفسـه بـالتغيرات الطبيعية والسبب فى هذه الظاهرة وقال :

" إنه يمكن الاقتناع بأى شئ أكثر من الاعتقاد بأن مثل هذه المجموعـة من الأحجار يمكن أن تصدر صوتا :

ولكن شيئا فشيئا اقترنت هذه الظاهرة بالأساطير اليونانية خـلال السـنوات الأولى من القرن الأول الميلادى ، فقد كان البر الغربى من طيبة يحمـل اسـم ممنونيا – Memnonie فى الوثائق اليونانية ، وأطلقت هذه التسـمية المحليـة الجديدة على تمثالى أمنحتب الثالث وعـدا مـن الآن مثـالا لصـورة البطـل " ممنون " .

وكان الإغريق والرومان يعتقدون أن التمثالين أقيما للبطل ممنون بن تيتـون ومعبدة الفجر تيتس ، وتحكى أسطورته أن أباه ملك مصـر وأثيوبيـا أرسـله لمساعدة أهل طروادة فقتل انتيلوخ بن نستور ، غير أن اشيل قتـل ممنـون ، فأخذت أمه الفجر تبكيه بدموعها ، التى هى ندى كل صبـاح ، وهـو يحييـها بصوته حين تشرق فى الفجر ، وعندما تسمع الأم أنين ابنها تتساقط الدموع مـن عينها – وهى ندى الصباح – الذى يتساقط بدوره فوق تمثاله

وقد استقبل تمثلا ممنون كثيرا من الزوار ذوى الشهرة مثل حكـام مصـر البطالمة وقواد من طيبة اليونانية وقضاة يونانيين وأحيانا أباطرة مثل هادريان==

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٦٢ ، ٤٣٦ شكل ١٩٩ .

(٢) Vandier , Manuel d'Archéologie II , p . 688 – 689 .

(٣) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique ,p . 577.

ويحدثنا النص السابق فى السطور ١١ – ١٧ عن أعماله فى معبد الأقصر ، ويرجع الجزء الرئيسى من معبد الأقصر ، أى بهو الأعمدة إلى عصر هذا الملك [١] ، وقد شيده مكان معبد قديم من الدولة الوسطى ، وخصصه لعبادة ثالوث طيبة والذى يتألف من آمون رع وموت وأبنهما خونسو .

ويعد هذا البهو من أجمل الآثار المصرية [٢] بفنائه الكبير المحاط بأروقة بأعمدة ضخمة ، وقد نحت نحتا دقيقا على هيئة حزم البردى التى لم تتفتح أكمامها بعد . وسجل الملك على جدران إحدى القاعات قصة ميلاده المقدس منقوشة ومكتوبة بمراحلها المتعددة كما فى معبد الدير البحرى من عصر الملكة حتشبسوت ، وتحكى هذه القصة أن أباه قد ارتدى ثوب المعبود آمون وإن هذا الأخير تمثل بشرا لأمه موت أم ويا وأنجب من هذا اللقاء ذكرا أطلق عليه اسم أمنحتب .

== وسبتميوس سفيروس .وكتب بعض الشعراء الكثير من أبيات الشعر على القاعدة وعلى الركبة وهى تعبر عن ذكرى مرورهم بتلك النقطة . وقد حاول سفيروس عن طيب نية أن يقوم ببعض الترميمات ليعيد إلى التمثال المهشم مظهره السابق ، وحاول النحاتون ترميم الجزء الأعلى من الرأس وكان من نتيجة هذا العمل أن أصبح تمثالا ممنون كبقية التماثيل الأخرى صامتة بدون صوت ، ولكن بقى الاسم شهيرا مشيرا إلى تلك القصةالبعيدة،
راجع : Posener , Dictionaire de la Civilisation Egyptienne , p . 168-168; Bianchi , LAIV , p . 23 – 24 .
وأيضا : د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤١٦ – ٤١٧ ؛ د. نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ، ١٩٥٨ ، ص ١٣٣ حاشية (١) ؛ جيلان عباس : آثار مصر القديمة فى كتابات الرحالة العرب والأجانب ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٢ ، ص ١٥ .

(١) د. سيد توفيق : تاريخ العمارة فى مصر القديمة : الأقصر ، ص ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٢٦ .

(٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٩٩ – ٢٠١ ، شكل ٧٣ .

وبعد ذلك يلى ممر طويل على جانبيه أربعة عشر عمودا على هيئة سـيقان البردى ، وقد تفتحت أكمام زهراتها ، وزينت جدران هذا الممر بمناظر تمثـل عيـد الأوبت من عصر الملك توت عنخ آمون وحور محب .

وأقام من أمام الصرح الأول لمعبد الأقصر حتى مدخل معبد الكرنك طريقـا عريا - عرضه ٢٤ مترا - وأقيمت عل جانبيه تماثيل فى صفين علـى هيئـة أبـى الهول برأس كبش وكان يوجد على جانب كل صف حوالى خمسمائة تمثال ضخـم . أى أنه كان هناك ألف تمثال من هذا النوع .[١]

ويعد هذا الطريق من أجمل التحف الفنية نظرا لطوله وسعته وأيضـا لدقـة العمل الفنى فيه ، فخرج عملا رائعا لا يشابهه أى بناء فـى العـالم القديـم . ويبـدأ الطريق من أمام الصرح الأول لمعبد الأقصر ويتجه نحو معابد الكرنك ويتفرع إلـى فرعين : طريق يتجه نحو معبد موت ثم يتجه إلى الصرح العاشر .وطريق آخر يتجه نحو بوابة معبد خونسو من عصر الملك بطلميوس الثالث ، وتقـع جنوبـى معـابد الكرنك . وعندما تهدم هذا الطريق قام بإعادة رصفه وترميم بعض أجزائـه الملـك نختنبو الأول وحلت تماثيله محل تماثيل أمنحتب الثالث .[٢]

ويحدثنا النص السابق فى السطور ١٨ - ٢٠ ، ٢١ - ٢٦ عن أعماله فـى القارب المقدس لآمون ، وكيف أنه شيد قاربا كبيرا من خشب الأرز لهذا المعبـود ، كما يحدثنا النص بعد ذلك عن أعماله المعمارية فى معبد الكرنك . فقد قام أمنحتب .

---

(١) ترجع بعض هذه التماثيل إلى عهد أمنحتب الثالث ولكن أغلبها يرجـع إلـى عصر الأسرة الثلاثين مما يؤكد أن هذا الطريق تعرض للإضافة والـترميم فى العصر المتأخر ، راجع : Vandier , op . cit . II , p. 844 ; Weigall , op . cit . ,p.120

وأيضا د. سيد توفيق : تاريخ العمارة فى مصر القديمـة ، الأقصـر ، ص ١١٢ .

(٢) د. سيد توفيق : تاريخ العمارة فى مصر القديمـة ، الأقصـر ، ص ١١٢- ١١٣ ، ١٦٣ - ١٦٥ .

ببناء الصرح الثالث فى معبد الكرنك ، وقد استخدم هذا الصرح كواجهة لمعبد الكرنك حتى عصر حور محب . وقد عثر على قطع خشبية داخل الصرح الثالث وعليها اسم الملك أمنحتب الثالث ، وكانت تستعمل لربط الأحجار (١) . وكانت الأوجه الخارجية لهذا الصرح مزينة بمناظر تمثل مواكب القارب المقدس لآمون .ومثل الملك أمنحتب وهو يقضى على أسير راكع . وأمام هذا الصرح كان يوجد فناء صغير من عهد هذا الملك .

وهذا الصرح مهدم إلى حد كبير . وعثر بداخله على أحجار استخدمت كحشو له من أحجار مقاصير كانت مشيدة فى أماكن معينة من عصور سابقة وفكت من أماكنها الأصلية واستخدمت أحجارها فى داخل الصرح . ولعل أهمها أحجار المقصورة البيضاء للملك سنوسرت الأول ومقصورة من المرمر للملك أمنحتب الأول والمقصورة الحمراء للملكة حتشبسوت .(٢)

ويرى البعض أن تمثال الجعل المنحوت فى الجرانيت بجوار البحيرة المقدسة فى الكرنك يرجع إلى عصر أمنحتب الثالث . ويمثل الجعل المعبود " خبر " وأقيم هذا التمثال فوق قاعدة ضخمة من الجرانيت نقش عليها منظرا يمثل أمنحتب الثالث راكعا يقدم قربان " نو " إلى المعبود آتوم (٣) (خبرى) . على أساس أن البحيرة المقدسة تمثل المحيط الأزلى وخبر رمز المعبود الخالق الذى ظهر لأول مرة فى الوجود على سطح الماء الأزلى .

وعثر فى الطرف الجنوبى لمعبد الكرنك على عدة تماثيل للمعبودة سخمت أنثى الأسد ، شيد مقصورة للمعبودة موت (٤) ، وبالمتحف المصرى تمثالان كبيران

---

(١) د. محمد عبد القادر : آثار الأقصر ، شكل ٧ .

(٢) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ١٥٠ – ١٥١ ؛ د. محمد عبد القادر : آثار الأقصر ، الجزء الأول ، معابد آمون ، ص ٤٤ – ٤٧ .

(٣) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ١٦١ ؛ د. محمد عبد القادر : المرجع السابق ، ص ١٣٥ .

(٤) Benson - Couraly , Temple of Mout , p . 16 .

يمثلان أمنحتب الثالث وزوجته تى[١] . ومن أجمل المعابد الصغيرة المحاطة بالأعمدة (جوسق) ذلك الذى شيده أمنحتب الثالث فى جزيرة الفنتين ولكنه هدم فى القرن التاسع ميلادية [٢] وقام بتشييد معبد فى " صولب " فى شمالى الجندل الثالث [٣] ، وكان معبد صولب مخصصا للمعبود آمون ، وأقام أمام هذا المعبد مسلتين لم يبق منهما شئ يذكر ، ويبدو أن الملك كان محل تكريم فى " صولب" هو وزوجته تى .

وفى منطقة سدنجا قام الملك بتشييد معبد للملكة تى [٤] وقام أيضا بتشييد مقصورة للعجل أبيس فى منف ، وكان لأمنحتب الثالث أيضا قصر فى منف حيث كان يقضى فيه بعض الوقت ، وزوده ببحيرة ، وآخر فى مدخل الفيوم ، وربما قصر ثالث فى طيبة شرقى النيل .[٥]

ويبدو أنه بفضل السياسة الخارجية الناجحة لتحوتمس الثالث ، أصبح الوضع مستقرا إلى حد ما فى آسيا بين ميتانى وحيثا وكذلك بلاد النوبة .

ومن جهة أخرى لم يكن أمنحتب بطبيعته رياضيا ولا عسكريا لذلك فقد كان نشاطه الحربى محدودا . وعلى الرغم من ذلك فإن النص السابق يشير فى السطر ٢٣ إلى حملة قام بها الملك لمعاقبة للزعيم الكوشى . ويعتقد بعض العلماء أنها كانت الحملة الوحيدة التى قام بها الملك فى العام الخامس من حكمه للقضاء على ثورة فى الجنوب ، ويعتقد د. صالح أن جيوش أمنحتب الثالث قد خرجت فى بداية حكمه فى جولة تفتيشية إلى الشام ، وهذا مشكوك فيه ، وأنها خرجت فى جولة أخرى إلى

---

(١) Breasted , ARII (911 – 920) .

(٢) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ١٨٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٦٢ ، ص٢٠٢ ، وأيضا : Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p . 577 ; Giorgini , Kush 7 (1959) , p . 154 – 160 .

(٤) Giorgini , op . cit . , p . 159 .

(٥) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١١١.

بلاد النوبة [١] أما د. فخرى فيعتقد أن أمنحتب الثالث قد قضى ستة وثلاثين عاما على العرش ولم يرسل خلالها إلى آسيا حملة واحدة أو حتى يفكر مرة واحدة فى زيادة أجزاء من مناطق نفوذه فى آسيا لأن الأوضاع السياسية فى الخارج كانت مستتبة هناك على عهده [٢] ولكن من قراءة النص يمكن القول بأن الملك قام بحملة فى الجنوب فى العام الخامس من حكمه لمعاقبة بعض القبائل الزنجية هناك والتى قامت بالثورة ووصل فيها حتى كاراى وهى حدود لم يصلها أحد من قبل . [٣]

أشتد النزاع الدينى طوال فترة حكمه ، وكان هذا مصدرا لانزعاج البلاط فى طيبة ، ونذكر أن كهنة معبود الشمس رع فى هيلوبوليس قد علموا على أن يصعد تحوتمس الرابع على العرش وكان من ذلك محاولة للحد من نفوذ كهنة آمون فى طيبة وقد عملوا منذ البداية على الجمع بين المعبودين آمون ورع تحت اسم آمون رع . ويبدو أن أمنحتب الثالث قد وقع تحت تأثير كهنة آمون وبقيت الملكة تى فيما يبدو فى جانب كهنة رع الذين تقرب عبادتهم من العبادات السائدة فى أجزاء من مناطق نفوذه وخاصة فى آسيا وبالضرورة فهى تلائم ضروريات العصر أكثر من عقيدة المعبود آمون . واهتمت الملكة ومعظم رجال البلاط بعقيدة جديدة هى عقيدة أتون وروا فيها تعبيرا جديدا ومتطورا لديانة الشمس القديمة فى هليوبوليس .

قوبل هذا الاتجاه الجديد بالمقاومة الشديدة من جانب كهنة آمون الذين رأوا فى الديانة الجديدة تصورا لاتجاهات جديدة نتجت عن تطورات ذلك العصر من الاندماج والاختلاط بالأجانب ، ودخلت هذه الاتجاهات فى العقيدة وفى الفن وفى كل

---

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ص ٢١٦ حاشية (١) .

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢٩٧ ، ٢٩٩ .

(٣) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p . 128 ; Daumas , op . cit . , p . 89 ; Gardiner , Egypt of the Pharaohs , p . 205 ; Drioton – Vandier , L'Egypte (ed. 1946) , p . 330 , 378 . 394 .

شئ بوجه عام ولذلك كانوا يعارضون هذه الاتجاهات الجديدة ويؤيدون النزعة القومية التى تدعو المصريين إلى الحذر من كل الأفكار الأجنبية.

وكان المؤيد الكبير لكهنة آمون فى هذه الفترة ، هو رجل الدولة والحكيم أمنحتب بن حابو ، الذى عرف بحكمته أيضا عند اليونانيين الذى أطلقوا عليه أسم أمنحتب بن بابيس (١) وطبقا لمانيتون أن أمنحتب هذا قد نصح الملك بأن يخلص البلاد من بعض لأشخاص " غير الطاهرين " الذين كان ينتشر بينهم أعوان اتون . ويبدو أنه انتحر عندما تبين أن أراءه لم يؤخذ بها .

وكان البلاط مهتما كثيرا بالأفكار الدينية الجديد أكثر من الأوضاع السياسية والمشاكل الإدارية الأخرى ، ونعكس لنا لوحات المهندسين :

" سونى وحور " أسرار وحقيقة المعبودات وآخرين مثل مدير الشون ، ويبدو أن الملك قد أهتم بالمشكلات الدينية التى عاشتها البلاد أكثر من اهتمامه بالمشكلات الإدارية .

وعندما توفى الملك دفن فى مقبرته فى وادى الملوك فى البر الغربى وهى تحمل الآن رقم ٢٢ وتدلنا الوثائق التى لدينا عن هذه الفترة ، إن الحكيم أمنحتب بن حابو قد توفى وهو فى بداية العام الخامس والثلاثين من حكم الملك .

وإن الملك أقام له مقصورة بقيت أجزاؤها حتى الآن . وكان هذا المؤيد العجوز الصعب الموالى لكهنة آمون – فى الواقع – مكروها جدا من أعضاء الحكومة حتى أنه كان يخشى على مقصورته من السلب والنهب ، ولذلك قام الملك بعمل تحذير عن طريق الكتابة يتوعد فيه بالعقاب الشديد كل من يعدم هذا المكان

---

(١) Varille , Amenhotep Fils de Hapou (BdE 44) (1968) , p . 125 – 142 ; R . el Sayed , Quelques Personnages Célèbres : مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢٤ ، ١٩٧٧ ، ص ٥٠ – ٥٢ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ – ٢٠٤ .

أو ينهب الهبات التى خصصت له ،. وكان هذا هو آخر أعمال أمنحتب الثالث ، وتوفى بعد ذلك بست سنوات (أى عام ١٣٧٢ ق.م) [١] ، ويبدو أنه أقصى عن العرش أو احتجز فى القصر وأصبحت الملكة تى هى الحاكمة ، ومن المحتمل انه كان مريضا أو أصيب بمرض عقلى أثناء هذه السنوات وهذا يفسر – بدون شك – اختفاءه من الحياة العامة ، ورسل إلى الملك بعثة بتميمة للمعبودة عشتار من شمال سوريا على أمل أن يشفى من أمراضه [٢] ولكن المعجزة لم تتحقق ويبدو أنه توفى متأثرا بمرضه .

ومن فحص موميائه اتضح أنه كان مريضا بأسنانه ، وتدل أيضا على أنه قد توفى وهو أقل من سن الخمسين .[٣]

ويبلغ عدد مقابر معاصريه والمنحوتة فى البر الغربى واحد وعشرين مقبرة [٤] .ومن أهم رجال عصره خرو إف صاحب المقبرة رقم ١٩٢ الذى كان يشغل وظيفة رئيس استقبال الزوجة الملكية العظيمة تى ، وكان معاصرا أيضا لحكم أمنحتب الرابع[٥] . ورع موسى حاكم طيبة والوزير. وكان معاصرا أيضا لحكم أمنحتب الرابع (رقم ٥٥)[٦]ونرى فى هذه المقبرة صورة للملك أمنحتب الرابع الملك

---

(١) Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p . 90 .
وأيضا د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٠٠ شكل ١٧٤.

(٢) Černy , JEA 50 (1964) , p . 37 – 39 .

(٣) Smith , Royal Mummies (1912),p.48-51 .

(٤) وهى أرقام : ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٨٩ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٣٩ ، ١٦١ ، ١٨١ ، ١٩٢ ، ٢٢٦ ، ٢٥٣ ، ٢٩٤ ، ٣٣٣ ، ٣٨٣ ، راجع : د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٦١ – ٣٨٨ .

(٥) Saleh , LAI , p . 943 .

(٦) Stadelmann , LAV , p . 98 – 100 .

أمنحتب الرابع جلس تحت مظلة وهو يتلقى الأزهار من رع موسى .(١)

ورع موسى رئيس استقبال ومشرف على مخازن الغـلال الملكيـة (رقـم ٤٦) وأوسر حات المشرف على تحريم الملكي (رقم ٤٧) وأمنمحـات (سـور) الرئيس الأكبر للخدم والمشرف على ماشية آمون (رقم ٤٨) (٢) . وتعد مقبرته مـن اعظم المقابر الفخمة وحجما .(٣) وحوى مثال آمون (رقـم ٥٤) وخـع ام حـات (محو) الكاتب الملكي والمشرف على المخازن الملكية (رقم ٥٧) امن مس رئيـس الاستقبال فى المدينة الجنوبية (رقم ٨٩) ، نفر سخرو الكـاتب الملكـى ورئيـس استقبال أمنحتب (رقم ١٠٧) وامن مس حامل المروحة على يمين الملـك (رقـم ١١٨) وعانن الكاهن الثانى لآمون (رقم ١٢٠) وبا ارى كاهن (وعـب) (رقـم ١٣٩) ونخت حامل القرابين النباتية لآمن (رقم ١٦١) ونب امن وابوكـى مثـالا الملك (رقم ١٨١) وخنم مس الكاتب والمحاسب فى مخازن غـلال آمـون (رقـم ٢٥٣) وأمنحتب المشرف على مخازن غلال آمون (رقم ٢٩٤) .

ساد حياة القصور طابع الرقة والفخامة فى الذوق وخاصة عند الأغنياء فـى هذا العصر أكثر من أى عصر مضى عرفته مصر ، فقد زاد جمال المـدن الكـبرى مثل طيبة ومنف اللتين أصبحتا أكثر فخامة مما كانت عليه ، وإذا قدر لنا دخول أحـد المنازل الكبرى من منازل أهل هذا العصر ، وجدنـا أن الجـدران كـانت مزينـة برسومات غاية فى الدقة ، فعلى الأسقف فوق طبقة من اللون الأزرق الفـاتح كـان يرسم حماما أبيض اللون وفراشات فى أوضاع مختلفة ومتعددة وعلى الأرضية نرى

---

(١) R.el Sayed , Quelques PersonnagesCélèbres فى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العـدد ٢٦ ، ١٩٧٩ ، ص ٣ . وعن مناظر هذه المقبرة ، راجع : د. سيد توفيق : المرجع السـابق ، ص ٤٠٧ – ٤١١ أشكال ٨٧ – ٨٨ .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السـابق ، ص ٢٩٨ ؛ Helck , LAI , p . 194 – 195 .

(٣) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٤١٦ – ٤١٧ شكل ٩٢ .

مناظر لبط البرى بمختلف أشكاله يظهر بين نبات البوص واللوتس الملـــون ، علـــى حين نجد فى الماء الأزرق الأسماك الملونة الجميلة وعلى الجدران صور الحيوانـــات البرية التى تظهر بين الأشجار والطيور التى تحلق فوق الأزهار الحمراء .

وأحيانا نجد أن سقف كل حجرة كان مزينا بما يمثل حبات العنب التى تتدلـى من الفروع الخضراء ، وملونة باللون الأخضر والأزرق ، على حين نجد أن الأعمـدة التى تحمل السقف قد كنت بدقة بالغة ، ولونت بـــألوان ناصعـــة وزينـــت بالأزهـــار والخطوط المتعددة .

وعثر فى حطام أحد القصور على بقايا آلاف من أوانى النبيذ وأكواب مـــن الفخار المطلى باللون الأزرق ، وأخرج لنا فنان هذا العصر بعض الأوانى من الذهب والفضة فى شكل دقيق ، كانت مزينة بالرسومات وكذلك الموائد ، وأيضـــا الســـرر والمقاعد تكسوها وسائد محلاة بالزينات المختلفة ، وكانت الحدائق مملوءة بالأزهـــار والأشجار التى جئ ببعضها من سوريا .

وكان كل قصر ذى أهمية مزودا ببحيرة صناعيـــة ، مملـــوءة بالأســـماك ويغطيها نبات البشنين ، وأصبحت الملابس أكثر تعقيدا ، وأصبح النبـــلاء يرتـــدون ملابس من قماش الكتان الخفيـــف الرقيـــق ، ويحمـــل النســـاء والرجـــال الشـــعور المستعارة ، وفى كل اجتماع وحفل كانت تسمع أنغام الموسيقى ، وينشـــد المغنيـــون والمغنيات وترقص الراقصات ويعزف صاحب القيثارة وضارب الغاب ، وكان كـــل هؤلاء يقومون بالترفيه عن المدعوين .

وكان الأمراء والنبلاء يسيرون فى الطرق بعربات مغطاة بصفائح الذهـــب تشدها الخيول ، وكان الملك والملكة يتنزهون أحيانا فوق كراسى محمولة على أكتاف الخدم ومطعمة بالذهب والفضة على حين تعلوهم المراوح الضخمـــة ذات المقبـــض الطويل من ريش النعام ويحرق البخور أمامهم .(١)

---

(١) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p . 131 .

نفر خبرو رع ، وع ان رع – أمنحتب الرابع [١] (١٣٧٢-١٣٥٤ ق.م) :[٢]

الابن الوحيد لأمنحتب الثالث والملكة تى ، وكان يبلغ من العمر ثلاثة عشر عاما عندما توفى أبوه ١٣٧٢ ق.م . وتعددت الآراء حول ما إذا كان قد شارك والده فى الحكم فى الفترة الأخيرة أو لا أو هل تولى العرش بعد وفاة أبيه مباشرة [٣] أو أنه قد تنازل عنه لأبنه [٤] .

وعلى أية حال فقد تولى أمنحتب الرابع العرش ، وكما فعل أبوه ، نجد أنه قد تزوج وعمره اثنا عشر عاما وعلى الرغم من وجود فتيات كثيرات ممن يحملن لقب الأخت ، إلا أنه لم يتبع العادة القديمة التى ترغم الملك على الزواج بالتى تحمل لقب الأخت الكبرى ، الوريثة الشرعية للملك ، بل أختار زوجة لم تكن تمت بأية صلة للعائلة الملكية وكانت تسمى نفرتيتى [٥] ، ويبدو أنها كانت أبنه أحد كبار النبلاء المصريين وكان يدعى آى والذى سوف يحمل لقب فيما بعد اسم " آى ، حما الملك "[٦] أما عن أمها فقد توفيت ، وكانت الزوجة الثانية لآى وتسمى تى وكان يطلق عليها لقب " المرضعة الكبرى " أو " الأم المرضعة للملكة " .

ويبدو أن نفرتيتى كانت هى أيضا قد تزوجت وهى صغيرة السن ، حوالى ثلاثة عشر عاما وعندما بلغت ستة أو سبعة عشر عاما رزقت بطفلها الأول وكان

---

(١) ويسمى أيضا : أمنحتب – نثر حقا واست ، أخ إن أتون ، راجع :
Gauthier , LR II , p . 342 – 355 .

(٢) عن هذا الملك ، راجع : Wenig , LAI , p .210-219 .

(٣) Gardiner , JEA 43 (1955) , p . 13 ; Hari , CdE 51 (1976) , p .252-260 .

(٤) Redford , JEA 45 (1957) , p . 34 .

(٥) عن هذه الملكة ، راجع : Brunner-Traut,LAIV,p.519-521 .

(٦) Driotion – Vandier , L'Egypte (éd.1952) , p . 384; Hari op . cit . , p .260 .

أنثى ، وسوف نرى الملك الشاب يتخذ فيما بعد زوجات أخريات ، من بينهن أميرة متيانية تسمى " تادوهيبا " أبنه أخت جالوهيبا الأولى التي تزوجت من أمنحتب الثالث .(١)

وفي الواقع أن أمنحتب الرابع أصبح مشهورا في التاريخ العالمي تحت أسماء عديدة (٢) " الملك الذي غير الديانة " أو " الملك الذي فصل الديانة " فتحت حكمه أصبحت الديانة هي المفضلة من كل شئ من أمور الدولة ، ولا يجب أم نعتقد بأنه كان على الديانة أن تنتظر عصر أمنحتب الرابع لكي تلعب دورا في الحياة السياسية في مصر ، فالإصلاحات الدينية ، بدأت تأخذ دورها إلى حد ما نتيجة أفكار ظهرت ، أو كانت معروفة تحت حكم أمنحتب الثالث .

ويمكن القول بأنه منذ صغره ، تربى أمنحتب الرابع في أحضان عقيدة آتون وعندما أرتقى العرش ، منح اللقب الشرفي ومسئولية الكاهن الأكبر لمعبود الشمس – أو بمعنى أدق – أن هذا الشرف قد أعطى للتاج كما حدث بالمثل في عصر الأسرة الخامسة . ومما يدل على أنه كان متمسكا بالمعبود رع هو أنه احتفظ في أسمائه بلقب ابن رع وعندما جلس على العرش تسمى باسمى نفر خبرو رع (أى جميلة هي أشكال رع) ، وع أن رع (أى رجل رع الأوحد) . وكذلك تسمى بعض الأشخاص المقربين إليه بأسماء فيها رع فهذا شخص يسمى عنخ خبرو رع وسمنخ كارع وكذلك سمى إحدى بناته نفر نفرو رع وابنه أخرى ستبت إن رع (٣) فمنذ بداية الأسرة

---

(١) ظن بعض العلماء أن تادوهيبا هذه ما هي إلا نفرتيتي وإن أى قام بتربيتهما – ولم يكن أباها الفعلي – ولكن أثبتت سمات وملامح نفرتيتي عكس ذلك فهي مصرية – ويمكن استنتاج ذلك بملاحظة رأس تمثالها الشهير الموجود الآن في متحف برلين . وأيضا نلاحظ أن أسمها منم الأسماء المصرية الصحيحة التي تشير إلى المعبودة الجميلة حتحور " الجميلة آتية أو قادمة " .

(٢) Posener , Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne,p. 7-8 .

(٣) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٦١٣ .

الثامنة عشرة كان كهنة آمون يلعبون دورا هاما فى الحكومة . ومن هنا بـــدأ كهنـــة امون يشعرون بكثير من الضيق ، وساد القلق بين صفوفهم عندما أعلن الملك تشـــييده لمعبد آتون فى داخل نطاق السور المحيط بمعبد الكرنك ، فى شـــرق معبـــد آمـــون رع [١] ، ولم يكد ينتهى من هذا المعبد ، حتى بدأت العاصفة تهب ، ولا نعرف مـــا الذى حدث على وجه التحديد ؟ ولكن فى بداية السنة الرابعة من الحكم آى فى عـــام ١٣٦٨ ق.م . عندما بلغ الملك سن السابعة عشرة [٢] قرر فجأة أن يترك طيبة ويبنـى عاصمة جديدة حيث لا تصبح فيها عقيدة اتون عرضه للإضرابات وشيد فيها معبديـن لمعبودة اتون [٣] . وفى الوقت نفسه غير اسمه من أمنحتب إلـــى [٤] ، أخ – إن – أتون أى " المفيد لأتون أو الملائم لأتون أو الصورة المشعة لآتون [٥] " وذلك

---

(١) هدم المعبد وعثر على أحجاره ضمن أحجار الصرح التاسع الذى شيده حور محب ، راجع : د.أحمد فخرى :مصـــر الفرعونيـــة ، ١٩٨١ ، ص ٣٢٦ حاشية (١) .

(٢) يرى بعض العلماء أنه ترك طيبـــة خـــلال الســـنة الخامســـة ، راجـــع : Daumas ,la Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p . 90.

(٣) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمـــة ، ص ٢٠٥ – ٢٠٩ شـــكل ٧٨ – ٧٩ .

(٤) قرأ فى بعض الأحيان " خو إن آتون " ولكن هذه القراءة غير صحيحة .

(٥) كلمة آخ تعنى معانى عديدة ، راجع :
Englund , Akh , Une notionReligieuse , p . 84 – 94.
الأشياء المقدسة أو الخاصة بالطقوس " ، راجع :
Englund , op . cit . , p . 70 , 72 , 81 , 84 , 145, 149 , 150,188,191 .
" ما هو ضرورى ، أو نافع للطقـــوس " ، راجـــع :
Meeks , Alex. I, p . 7 no 77 . 0069 .
طقوس " ، راجع :
Moret , Rituel du Culte Divin , p . 125 n 2 el p . 128 , 102
الصورة المشعة (الشمس) عند خروجها من الأفق " ، راجع : ==

لكى يبين أنه قطع كل الصلات التى تربطه بمعبود طيبة الكبير آمون .

وبعد أن غير اسمه إلى إخناتون عمل على محو اسم آمون من كل النصوص والآثار وخاصة الخانات الملكية التى تحمل أسماء الملوك السابقين وتتضمن أسماءهم اسم آمون : أمنحت الأول ، الثانى ، الثالث .

ومنذ البداية حتى السنة الخامسة من الحكم ، كان أمنحتب يستخدم اسم آمون فى اسمه كما شوهد ذلك على لوحة من الحجر الرملى فى جبال السلسلة [(١)] ، وكان من المباح أيضا ذكر أسماء المعبودات القديمة والتى يعترف لها بالوجود ، ولم يغلق المعابد القديمة فى الأقاليم الأخرى فى مصر ، ومن الغريب أنه ليس هناك ما يشير إلى حرب أهلية وقعت بينه وبين كهنة آمون لأنه كان يميل إلى السلم فلم يثر حربا أو يشهر سلاحا .

ومن المحتمل أيضا أن" ثورة " إخناتون الدينية كان سببها سياسيا ولا نعتقد من وراء ذلك القول إن إخناتون لم يكن مخلصا فى اتجاهه الدينى ، بل من المؤكد أنه كان راهبا متعبدا ولكن ليس لدينا وثائق كافية ومؤكدة لكى نخرج برأى ما فى هذا الصدد ، وكان من الواضح أن تخطيطه فى بداية الأمر كان يهدف إلى إثارة جماعة كهنة آمون ، ثم بعد ذلك عن طريق حركة ثورية حقيقة عمل على القضاء على ديانة المعبود آمون وذلك بغلق معابده ، وتغريق كهنته ، ولم يكتف بهذه التصرفات الأولية ولكن هجر طيبة واستقر هو وحكومته وأعوانه فى تل العمارنة فى مصر الوسطى ، وهى تقع على الشاطئ الشرقى للنيل بين المنيا وأسيوط ، على بعد بضعة كيلو مترات إلى الجنوب من مدينة ملوى الحالية وبالقرب منها توجد محاجر حاتنوب

Herbin , RdE 35 , p , 110 . n.b ; Alliot , le Culte d'Horus I ,
p . 77 (4) ct n . 3 ,79(2) et n.(3) ; Yoyott,BIFAO 54,p.108 .
- نعم (أو خيرات) (المعبود) ، راجع :
Meeks , Alex , II , p . 6 no . 78 . 0058 .
(١) PM V , p . 220 .

للمرمر . وهى تدين باسمها إلى قبيلة بنى عمران الذين استقروا فيـــها منــذ قرنيــن تقريبا[١] ، وقد أطلق على المدينة الجديدة اسم " أخـــت آتــون " أى " أفــق اتــون " وتهدمت المدينة بعد وفاة إخناتون .[٢]

وفى الواقع أن كلمة آتون استخدمت بكثرة فى عهد أمنحتب الثالث ، فمثـــلا أطلق اسم اتون على القارب المقدس التى كانت تستقله الملكة تى فى البحيرى الملحقة بالقصر إذ سمى " آتون يلمع " [٣] .

ومن الغريب أن المعبودات الأخرى التى كانت موجودة إلى جانب المعبــود أمون وكان لها تماثيل ومقاصير لم تتعرض للمصير نفسه مـــن الاضطـــهاد ، أو إن المصريين أنفسهم نبذوا التقرب إلى هذه المعبودات . ولكن كان المعبود الرئيسى هــو آتون ، الذى يتمثل فى قرص الشمس نفسه ، أى الدائرة المضيئة ، وهو يختلف عـــن رع الذى يعيش فى داخل قرص ، وأصبحت هذه العقيدة الجديدة من الآن فى كـــامل تطورها ، وكان آتون يسمى أيضا بالقوة النشطة أو النشاط الذى يظهر فى الشـــمس نفسها وفى ضوئها الحار الدافئ ، أى القوة التى يعيش منها رع نفسه، وتقرب هـــذه العقيدة بين الأفكار الدينية المصرية والأفكار الدينية السائدة فى سوريا حيث كان يعبـد معبود الشمس فى معظم المناطق تحـــت اســم " اوهــون " أو " آدون " أى بمعنـــى " السيد " .

والديانة الجديدة ليست فى جاحة إلى تماثيل على الإطـــلاق للتقريــب إلــى المعبود – فهو معبود ظاهر ، وتؤدى الطقوس إليه فى الهواء الطلق وهى وجهة إلــى ذلك المعبود مباشرة الذى يشرف فى الأفق ويرتفع فى لسماء . فعقيدة آتــون كــانت أكثر تطورا من المعتقدات الأخرى السائدة فى الفترة نفسها ، فقد اعترف إخناتون فــى البداية بالمعبودات الأخرى[٤] ، وربما أراد فى قرارة نفسه أن يتخلى كلية عن

---

(١) Posener , Dictionaitre de la Civilisation Egyptienne , p . 8 .

(٢) عن هذه المدينة ، راجع : Kemp , LAVI , p . 309 – 319 .

(٣) Wolf , ZAS 59 (1924) , p . 109 – 119 .

(٤) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٠٣ .

المعتقدات القديمة والخرافات ومن النادر أن نجد من بين هؤلاء الذين عاصروا الجيل القديم من يستطيع أن يقاسمه عمق وصفاء تفكيره ، وكان الملك الشاب يعلم أن آتون لا يمكن لمسه ورؤيته ولكنه موجود فى كل مكان ، فهو أب وأم لكل البشر فى وقت واحد ، وهو يمكن أن يظهر عن طريق ضوء الشمس الذى يتغلغل فى كل مكان ، وعلى الرغم من هذا فليس آتون هو هذا الكوكب ، وكما لا يمكن تحديده فإنه يمكن أن يكون "القوة الخفية " التى وراء الشمس ، والتى عى وصدر هذا النشاط التى تبعث الحياة وتقوى كل شئ وتنمية . ولم يكن لآتون أية هيئة آدمية ولا يمكن أن تنحت له التماثيل أو يصور على هيئة – فهو معنى روحى – تكمن فيه العدالة والخير ، والحب والسعادة المطلقة ، ولك ما هو سعيد على الأرض جزء من طبيعة آتون (١) ، فالحب ، والصحة ، والاستقرار ، المتعة والضحك والسرور ، وهدير المياه وقصف الرياح وفاكهة الأرض وخيراتها والأزهار وجمال الطبيعة وشقشقة الطيور ، فما كل هذا إلا صدى لطبيعة آتون . وقد رأى بعض العلماء أنه كان تأثير آسيوى فى هذه الديانة ، على حين يرى بعض آخر أن الملك قد اعتنقها عمدا لكى يستطيع أن يوجد من خلالها بين أطراف أجزاء المناطق الخاضعة للنفوذ المصرى فى آسيا فى هدف دينى واحد وإن عبادة الشمس تتناسب بسهولة مع الاتجاهات الدينية السائدة فى أجزاء من آسيا ، وكانت ذات أهداف بعيدة ، ويمكن أن نلخص مبادئ واتجاهات إخناتون فى النقاط الآتية :

١- إن إخناتون كان مخلصا فى دعوته الدينية ، ويتضح من كل هذا المجهود أن الديانة التى أراد نشرها فى مصر تبين الرغبة والميل إلى التوحيد ، وشيئا فشيئا نجد أن إخناتون فرض على الذين اتبعوه فى مدينة " أفق آتون " عبادة واحدة مطلقة ، وهو كان يهدف بذلك إلى القضاء نهائيا على تعدد المعبودات فى جميع الأقاليم المصرية .

٢- نجد أن الملك لم يبد أى اهتمام فى الواقع بالسياسة الخارجية من الناحية العسكرية ، بل على العكس انشغل كثيرا بأمور الديانة فى الداخل على

---

(١) عن الآتونية ، راجع : Assmann , LAI, p . 526 – 540 .

حساب تدهور الوضع السياسى فى الخارج كما سوف نرى فيما بعد .

فقد أعتقد بحسن نية أنه يستطيع أن يحافظ على سلطاته فى كل سوريا العليا وذلك عن طريق ربط تلك الشعوب بعقيدة آتون ، وكان يفكر فى وحدة الشعوب المختلفة عن طريق الاتجاه نحو عقيدة واحدة ، هى عقيدة آتون الظاهر للجميع ، فالأشعة المتفرقة التى تخرج من قرص الشمس ما هى إلا أيدى مقدسة تحمل الحياة إلى الكون بأسره ، وكان الملك يعتقد أنه قادر بدون شك على توحيد هذه الشعوب لكى يسود السلام بينهما بدلا من الحرب ، وكما شيد مدينة الأفق فى مصر الوسطى فإنه كرس للمعبود نفسه مدينتين فى أقصى شمال وجنوب البلاد تحت اسم با – جم – آتون . ونحن لا ونعرف أين تقع المدينة الشمالية ؟ أما الجنوبية فمكانها الحالى هو بلدة " سزبى " فى السودان [١] وكان يتمنى أن يؤلف بين السكن فى تلك المناطق الجنوبية التى يحكمها أوله سيطرة عليها ،وذلك بمنحهم ديانة موحدة قائمة على الحب والسعادة ولكن مثل هذا الأمر لم يحدث فى كل التاريخ القديم .

٣- عن عقيدة آتون أو قرص الشمس لم تكن من اقتراحه الشخصى ، وكانت نواة هذه العقيدة موجودة من قبل عند بعض الملوك السابقين ، وأيضا اسم آتون الذى يتمثل فى قرص الشمس قد ظهر من قبل فى نصوص الأهرام من الدولة القديمة .

٤- يبدو أن بعض الكهنة المصريين قد لعبوا دورا هاما فى ثورة إخناتون الدينية .

٥- إنه من الواضح أيضا أن هذه الثورة لم تكن طويلة الأمد بل على العكس كانت قصيرة جدا ، وربما أيضا أن عقيدة آتون قد أهملت أثناء حياة الملك إخناتون نفسه ، ويبدو أن زوجته نفرتيتى قد لعبت دورا هاما فى الثورة التى تزعمها زوجها ، وإن كانت قد بدت غير متحمسة فى أول الأمر لإعلان العقيدة الجديدة ،

---

(١) Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p . 91 ;
Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p . 132 .
وأيضا د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٧٨ .

إلا أنها ظلت على أية حال ، أكثر الوقت على العهد مخلصة وموالية لهذه العقيدة أكثر من زوجها نفسه.

٦- إن العقيدة قد انهارت بعد وفاته لأنه كان يعد نفسه حلقة الوصل بين المعبود ومخلصيه [١] ، ومنهم من لم يؤمن إيمانا صادقا بهذه العقيدة .

وبعد وفاته مباشرة نجد أن كهنة آمون قد استعادوا كل نفوذهم السابق وفقد خلفاء إخناتون كل هيبتهم فيما عدا واحدا فقط هو حور محب الذى أخذ كهنة آمون ينظرون إلى ولايته بعين الحذر .[٢]

كانت أسرة إخناتون تتكون – قبل الرحيل إلى تل العمارنة – من الملك والملكة نفرتيتى والأميرة مريت آتون [٣] ، وبعد ذلك ولدت الملكة بنتين أخريين هما مكت اتون [٤] وعنخ إس إن با آتون[٥] .

وفيما بعد – أعلن كهنة آمون ن أنهم طردوه من طيبة هو وبلاطه ومعاونيه وكانوا حوالى ثمانين ألف شخص [٦] ، ويبدو أن هذا العدد كان حقيقيا بوجه عام ، وقد نشأت المتاعب بينه وبين كهنة آمون ولم يستطع أن يتحمل البقاء فى مكان كان محاطا فيه بمعابد آمون وفى أى مكان يذهب إليه فإنه كان يقابل صورة هذا المعبود فى النقوش والمناظر وأيضا تماثيله فى كل مكان [٧] وأطلق عليه أعداؤه هو وأعوانه

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٠٨ .

(٢) Drioton – Vandier , L'Egypte (éd . 1952) , p . 344 – 345 .

(٣) Redford , LAIV , p . 90 – 91 .

(٤) عن هذه الأميرة ، راجع : Helck , LAIV , p . 22- 23 .

(٥) عن هذه الأميرة ، راجع : Seipel , LAI , p . 262 – 263 .

(٦) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p . 136 .

(٧) جاء فى إحدى البرديات إن معبد آمون بالكرنك كان يحتوى على ٥١٦٤ تمثالا للمعبودات المختلفة وإن مجموع التماثيل بما فيها المعبود آمون بلغ ٨٦٤٨٦ تمثالا مصنوعة من مواد مختلفة ، راجع : د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٥٤ حاشية (١) .

صفة " الملحدين " وهكذا كان يسمى الموالون لآتون ، الذين أرسلوا إلـــى المحـــاجر كمذنبين .

وفى الحقيقة إن إخناتون قد اختار أفق آتون كما قال هو نفسه ، لأن مســـاحة الأرض المسطحة الواسعة ، النظيفة التى تمتد بجانب نهر النيل فى هذه المنطقـــة " لا تخص أى معبود أو أية معبودة " إنها أرض عذراء لم تطأها ديانة . وكل المظـــاهر تؤكد أنه ابتداء من العام الرابع لحكمه أصبح هو الرأس المدبر لهذه الحركة الدينيـــة . ولم يمنعه ضعف صحته من أن يتابع رسالته ودعوته التى آمن بها ويعتقد أن إخناتون هو الذى وضع مخطط المدينة الجديدة وحدد أماكن معابدها وقصورها وشوارعها [١]، وبعد مرور ما يقرب من سنتين أو ثلاث من اختياره لهذا المكان ، نجـــد أن مدينـــة اخت اتون بدأت تظهر بسرعة فوق سطح الأرض ، وأصبح القصر معدا لاســـتقباله ابتداء من السنة السادسة لحكمه ، وكان هذا القصر مزينا بطريقة وجدرانـــه وســـقفه وكانت تعلوه الرسومات التى تمثل الأزهار والطيور والأسماك ، وتحيط به الحدائـــق والبحيرات الواسعة .

أما عن منازل الأشراف والنبلاء الذين أتبعوه فقد كانت هى أيضـــا جميلـــة ورحبة ، ولكل منها حديقة محاطة بجدران ، ويوجد فيها الأزهار الأجنبية والأشـــجار المزروعة .

وقد شيد أخناتون معبدا فخما لمعبود آتون على النموذج القديم لمعابد معبـــود الشمس رع فى ايونو [٢] ، وشيدت معابد أخرى أقل حجما منها معبد خصص لـــروح أجداد الملك .

وكان يشق المدينة شوارع متسعة ، وفى كثير من الميادين أقيمت المبـــانى الغيرة ، والأبنية ذات الأعمدة ، والبحيرات الصناعية المحاطة بجزر صغيرة ، وقد

---

(١) د. أنور شكرى: المرجع الســـابق ، ص ٨٠ – ٨٣ ؛ د. أحمـــد فخـــرى : المرجع السابق ، ص ٣٠٤ .

(٢) Vandier , Manuel d'Archéologie II , p . 852 – 855 fig . 414.

غطت الرمال المتراكمة بسبب الرياح بقايا هذه البحيرات والحدائق .

وقد ظهرت الحفائر وجود بقايا جذوع الأشجار وهذه النباتات ، ويقص علينا أحد سكان هذه المدينة أنها كانت : " كبيرة ولها سحرها ، تبهر العين بجمالها وتشبه الحلم " .

وعلى الرغم من الحفائر الحديثة التى بدأت فيها عام ١٨٩١ حتى عام ١٩٣٧ والتى تظهر إلا اساسات المبانى الرئيسية ، إلا أنه يمكننا أن نقدر أن هذه المدينة كلها قد شيدت بذوق رفيع ، ويحميها من الشرق الوديان الصحراوية ، وأقيمت فيها ثلاثة قصور وفى سفح الجبل نحتت مقابر الأشراف وكبار الموظفين وعلى الشرق حفرت مقبرة كبيرة للملك وعائلته ودفنت فيها أبنته ماكت آتون والتى توفيت أثناء حياته ، ونرى على جدران تلك المقابر تمثيلا للعديد من المنازل والقصور ، وتلقى النقوش ضوءا حيا على الوجود فى هذا المكان المحبب . وزين الملك عاصمته بلوحات ورسومات نرى فيها قرص الشمس التى تخرج منه أشعتها حيث تنتهى بأيد تقبض على علامات الحياة والاستقرار والقوة ، وكان يوجد إلى الشرق من المدينة مبنى لحفظ المراسلات الخارجية وكان هذا المبنى يحتوى على ودائع اللوحات الصغيرة من الطين المجفف والتى كتبت عليها بالكتابة المسمارية (الأكدية) التى كانت تعتبر من لغة المراسلات الدولية ، وقام بكتابة هذه الألواح كتبة آسيويون أو مصريون يعرفون تلك اللغة ، ويبلغ مجموع ما عرف من هذه الرسائل حتى الآن ٣٣٧ رسالة [١] . وهى تلقى ضوءا على العلاقات الدبلوماسية بين مصر ودول آسيا فى ذلك العصر ، وهى عبارة عن المراسلات المتبادلة بين أمنحتب الثالث والرابع وأمراء سوريا العليا وفلسطين وبابل وغيرهم من المواليين لمصر . وتبين هذه الرسائل أن المدن المعادية لمصر كانت سامرا وصيدا ، أما صور وبيبلوس فقد التزمت بطاعة المصرى ، وعثرت إحدى الفلاحات عام ١٨٨٧ وهى تقوم بجمع السماد من الخرائب القريبة والأماكن الأثرية فى تل العمارنة ، على عدد وافر من هذه الرسائل . ونرى حتى اليوم بقايا مقابر الأشراف والمقبرة الملكية والقصور

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٣١٩ – ٣٢٢ .

والمعابد ومنازل الموظفين ، وقد كشف عن حى خاص بالفنانين عثر فيه على مجموعة من التماثيل قام بنحتها الفنان تحوتمس .(١)

وأقام الملك فى نطاق المدينة أربع عشرة لوحة إلى الشرق من النيل وتقع ثلاث منها إلى الجانب الغربى من شاطئ النيل فى الأماكن التى أختارها فى أطراف السهل ، وتقصى علينا النقوش أنه فى العام السادس جاء الملك على عربته الملكية المطلية برقائق الذهب لكى يثبت حدود مدينة آخت آتون وهنا اقسم يمينا بوالده آتون أنه لن يترك هذه الحدود على الإطلاق ، وسوف يبقى مقيما فى هذه المدينة المقدسة بقية حياته ، وقد أقام هذه اللوحات فى السنة السادسة من الحكم .

وتذكر النقوش أن إخناتون هو الذى علم شعبه جمال الأيمان بعقيدة آتون الجديدة وأكد النبلاء بصفة دائمة أنهم فهموا تعاليم العقيدة الجديدة وحفظوا فى قلوبهم كل ما قاله ملكهم .

ولكن يجب أن نشك قليلا فى مثل هذه الأقوال .

ونقشت مقابر تل العمارنة بالنصوص التى لم نر لها مثيلا من قبل ، فقد امتازت بالشاعرية الرقيقة ونمقت تنميقا جميلا ، وهى عبارة عن مديح لآتون ، منها تلك الأنشودة التى كان يرددها الملك نفسه ، وهى منقوشة فى مقبرة منسوبة إلى آى ، وهى شبيه بالمزمور رقم ١٠٤ (٢) فنجد أن بالأخير حوالى ثلاثين سطرا متشابهة تماما مع نشيد إخناتون وأناشيد سيدنا داود فى الكتاب المقدس ، التى هى عبارة عن مجموعة من الأناشيد التى جاءت من مصادر متعددة ، ويبدو أن بعضا منها مثل الأنشودة ١٠٤ نقلت عن نشيد إخناتون . وحدث به بعض التغير طبقا لمقتضيات

---

(١) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٦١٦ .

(٢) Sandman , Texts from the time of Akhenaton (BAeVII 1938),p.93; Weigall,Histoire de L'Egypte Ancienne ,p.139; وأيضا :د.أحمد فخرى :المرجع السابق ، ص٣٠٩-٣١٤ ؛ جيمس برستد : فجر الضمير (ترجمة د. سليم حسن) ١٩٥٦، ص٣٠١-٣٢٠ .

الديانة اليهودية ، ولكن السؤال الذى يجب أن نسأله : كيف نقلت كلمات هذا النشـــيد إلى الكتاب المقدس ؟ هل عن طريق الرسل والأنبياء الذين شرفت بهم أرض مصـــر أم عن طريق أهل الفكر ممن زاروا بلاد الشرق القديم وجاءوا إلى مصر فى فـترات لاحقة ؟ وتلك بعض فقرات منها (١)

ظهورك فى أفق السماء جميل .

يا آتون الحى ، ومصدر الحياة .

عندما تستيقظ فى الأفق الشرقى للسماء .

فإنك تملأ أرجاء البلاد بجمالك .

وبرغم تعاليك ، فإن اشعتك (تشرق) على الأرض .

وعلى الرغم من انك عال جدا فإن ضياء النهار هو وقع خطاك .

وعندما تشرق اشعتك فإن مصر بقطريها يصبح يومها عيد .

ويستيقظ القطران ويشبان على قدمها .

لأنك أنت بلا شك مانح هذه اليقظة فيهما .

فيبادر أهلهما إلى غسل أطرافهم وارتداء ثيابهم .

وأكفهم ممدودة إلى أعلى يقدسون فجرك .

ثم يسعى كل حى إلى عمله ضاربا فى أرجاء الكون .

فيسعد القطيع بكلئه ، وتزدهر كل الأشجار وكل النباتات .

وتحلق الطيور فوق المستنقعات ، ترفـرف بأجنحتـها ، مسـبحة بأسـمك وترقص الخراف جذلة ضاربة بأرجلها .

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السـابق ، ص ٦١٩ – ٦٢٠ ؛ Weigall , op . cit ., p . 139 .

وتحلق الطيور من كل نوع .

فتوهب لها الحياة عندما تطل عليهم بإشراقك .

وتصعد المراكب وتهبط النهر .

وتتقافز الأسماك فى النهر أمامك .

وتسطع اشعتك فى وسط البحر الممتد .

فأنت الذى تخلق الطفل (فى بطن) أمه .

وأنت الذى تمنح الحياة إلى الجنين فى بطن أمه .

وأنت الذى يلاطفه حتى لا يبكى ، فأنت مرضعة حتى فى داخل بطنها.(١)

وعندما يصيح الفرخ الصغير وهو لا يزال فى بويضته .

فأنت الذى تهبه الروح لكى يبقى مشدودا إلى الحياة .

وهكذا حتى يخرج من البيضة صائحا بكل قوته .

أيها المعبود إن افضالك لا تحصى .

فلتصبح كل أعمالك عظيمة ، يا سيد الأبدية .

أنت الحياة نفسها ، والحياة تستمد استمرارها منك " .

وكان إخناتون يعتقد أن آتون هو " الأب والأم لكل الخليقة " للأجانب وأيضا بالنسبة للمصريين ، ويريد بذلك أن يخطو خطوة أكثر تقدما لأهمية التفكير الدينى أكثر مما كان يتوقع فى بداية الأمر ، وربما حاول أن يظهر كذلك قلة نفع المعبودات

---

(١) وفى أنشودة إلى المعبد خنوم فى اسنا يقال له : " الذى يرى ما فى بطن الأم الحامل ، صانع الحياة ، طبيب الصحة ، نفس الأجساد ، الذى يهب الحياة لرحم الأم " ، راجع : Sauneron , Esna V, p . 214 texte 378,1, 13 – 14 .

القديمة ، وأراد أن يجعل من آتون مجموعة من المعانى فهو يمثل – أول اتصال بين الإنسان وفكرة الروح الطيبة – التى ينتشر حبها بين الجميع ، دون اعتبار لجنس أو لون ، فهو " سيد الحب " وهو " الوحيد الذى يضفى الجمال على الشكل " وهو " سيد الأقدار " ، " صاحب التدبير " بسبب الأحداث وهو الذى يخلق الحياة " و " لا يوجد فقر (أو عوز) بالنسبة لمن يضع آتون فى قلبه لأن رجلا مثل هذا لن يعان من الألم ، أو يقول اه ، ليس عندى ... " .

ويقول إخناتون أيضا مجسدا كل هذه المعانى " يا آتون أنت الوحيد ، ولكن فيك قوة حياة بلا نهاية ، التى بفضلها تبعث الحياة فى كل المخلوقات " ، " وعندما تجلب الحياة بكما لك إلى قلوب الناس فالحياة تولد فى الواقع " .

ولم تكن رغبة إخناتون أن يصبح راهبا منعزلا ، وعلى العكس كان يميل إلى الظهور أمام الشعب كإنسان بسيط المسلك على الرغم من انه أعتبر نفسه ، " الابن المحبوب جدا من آتون " ، وكان يفضل أن يصوره الفنانون كزوج وكأب متفان ، وكان يرغب فى الواقع أن يعطى المثل الأسمى لوجود عائلى أساسه الحب والسعادة .

وقد شوهد فى مقبرة الوزير رع موسى مع زوجته ، وقد ظهرا يطلان من شرفة تعلوها أشعة آتون ، وهما يقومان بتوزيع سبائك الذهب على كبار الموظفين(١) ونرى على إحدى اللوحات الملك يقبل أبنته الطفلة ، على حين تدلل الملكة طفلتها الثانية على ركبتها (٢) ، وفى منظر آخر يتناول شريحة من اللحم ، وتتناول زوجته طائرا يطهى على النار (٣) وهذا يتعارض مع صورة الملك التى عاهدناها فى العصور السابقة ، بل صور لنا الفنان حزن الملك على وفاة إحدى بناته مكت آتون

---

(١) Davies, The Tomb of Ramose , pI . 33 .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٦٢٧ .

(٣) Davies, The Rock Tombs of el Amarna (1903-1908) III, pl. 4 .

وأيضا : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٠٧ .

أدق تصوير [١] وصور الاحتفالات بدفنها فى تل العمارنة .

وهكذا كان إخناتون يمثل دائما بملامح الأب السعيد الحنون ، مداعبا بناته الصغار ويأخذهن على ركبتيه أو يحتضنهن ، وكزوج مخلص كان يحيط زوجته بالحب والحنان ويطلق عليها " سيدة قلبى " . وكصاحب دعوة للعدالة والحق ، فقد شجع الفنانين على تمثيله هو وأفراد عائلته بواقعية مبالغ فيها بعض الشىء فمثلا كانت الملكة نفرتيتى تعانى من انفصال شبكى فى العين ، ونرى بوضوح هذا المرض فى رأس تمثالها الشهر بمتحف برلين .

وعثر على صورة زوجته ممثلة على معظم لوحات ومعابد تل العمارنة ، وأهما رأسان عثر عليهما هناك ١٩١٤ ، إحداهما من الكوارتزيت الوردى بها لمسات بالمداد الأسود وهى معروضة الآن بالمتحف المصرى ، والأخرى وهى من الحجر الجيرى ومتعددة الألوان وهى موجودة الآن بمتحف برلين[٢] . وهى من أهم تحف المتحف . وفى أكثر من صورة نجد أن الملك قد نال نصيبه من الاهتمام أيضا ، فقد ظهر فى بعض الأحيان بكل عيوبه الجسمانية فى بعض الصور التى أنتجها الفنانون الأجانب الذين كانوا فى خدمته .

وفى عصره انتشر الاتجاه الواقعى ضد القواعد الفنية التى كانت موضوعة من قبل لتصوير الملك أو أحد أفراد عائلته ، وقد انتشر تأثير هذه المدرسة الفنية بسرعة حتى أن العين المجردة يمكنها التعرف فى الحال على السمات الفنية لهذا العصر . ففى فن تل العمارنة نرى ميلا شديدا إلى تصوير الطبيعة ورسم الطيور والنباتات ، وصور كبار رجال الدولة ، فنجد صورة لوزير الذى يعدو جوار عربة الملك ، ثم تصوير الملك وبناته على عربته التى تجرى بسرعة شديدة وبحماس عجيب .

وفى السنة الثانية عشرة من الحكم جاءت والدته الملكة تى التى كانت تعيش

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٦٢٤ .

(٢) Posener , Dictionaire de la Civilisation Egyptienne,p.186.

فى طيبة ، لزيارة مدينة الأفق ، ويبدو أن إخناتون عد هذا التاريخ فى الواقع – عيده الثلاثينى – وكما نعلم أن العيد الثلاثينى لملك كان يحتفل به بعد ثلاثين عاما من إعلانه وريثا للعرش ، ولكن إخناتون ترك كل العادات الدينية القديمة ، وحدد هذه السنة كتاريخ لعيده الثلاثينى ، وذلك لأسباب لا نعرفها حتى الآن على الرغم من أنه لم يبلغ سن الثلاثين ، فقد مضى عليه ستة أعوام ، مقيما فى مدينته المقدسة أى أنه كان يحكم منذ أثنى عشر عاما ، وكان يبلغ من العمر أربعة وعشرين عاما .

أن إخناتون أحتفل ثلاث مرات بعيده الثلاثينى ، فى السنة السادسة فى طيبة وليس فى تل العمارنة ، وفى السنة الثانية عشرة والسنة الخامسة عشرة وقد أقيمت الأعياد الكبرى تكريما لزيارة الملكة تى ، وقد شيد لها خصيصا معبدا لكى يمكنها أداء الطقوس لآتون ، ولكن بعد وقت قصير من عودتها إلى طيبة توفيت ودفنت فى مقبرة صغيرة فى وادى الملوك ، على بعد بضعة أمتار من المكان الذى دفن فيه أبوها وأمها .

وبعد ذلك ، حدث فيما يبدو محاولة للثورة – أيدها كهنة آمون فى طيبة – نتيجة لذلك أمر إخناتون بمحو اسم هذا المعبود منكل النقوش التى ظهر فيها ، وقد نفذ هذا الأمر بدقى بالغة ونرى اليوم نقوش الجدران القديمة ، وعليها آثار الكشط بالأزميل فى الأماكن التى يوجد فيها هذا الاسم المكروه . وقد فتحت مقبرة الملكة تى مرة أخرى ، لكى يمحى من اسم زوجها أمنحتب الثالث ، كل إشارة إلى المعبود آمون ، وقبيل نهاية حكمه ، أمر بان تمحى أيضا أسماء المعبودات الأخرى ، ولكن هذا الأمر لم ينفذ فى كل الأماكن .

واعتنق رجال البلاط القدماء لأمنحتب الثالث – أمثال الوزير رع موسى – الديانة الجديدة ، تركوا طيبة والمقابر التى أعددها لكى يهاجروا إلى العاصمة الجديدة . وأحاط إخناتون نفسه برجال بلاط جدد ولا نعرف عنهم أى شئ أمثال أى " الأب المقدس ، حمى الملك " ، ومرى رع الكاهن الأكبر الذى كان يحمل لقب كبير الرأيين للمعبود اتون فى معبده ، ونرى فى مناظر مقبرته تنصيبه كاهنا أول لآتون وقد تقلد وظيفته بين هتافات الجماهير ، والقى الملك خطابا فى تلك المناسبة ، ونرى

على جدران هذه المقبرة مناظر تمثل الملك يقود عربتـــه وكذلـــك الملكـــة نفرتيتـــى والأميرات الكبيرات يقدن أيضا ، عرباتهن ، والوزير نخت با أتون وتحمل مقبرتـــه رقم ١٢ فى تل العمارنة والمشرف على الجنود ماى صاحب المقبرة رقم ١٤ ويذكـــر فى نصوص مقبرته أنه كان عصاميا وإنه كان رقيق الحال من أب وأم فقـــيرين (١) . وهناك بانحس الكاهن الثانى لأتون ونشأ من عائلة رقيقة الحال ، وقد عطـــف عليـــه الملك فرقاه إلى تلك المكانة ، وقبره فى تل العمارنة كان أصلا قبرا جميـــلا ويحمـــل رقم ٦ وأهم المناظر الموجودة ، والباقية فيه هو حفل ظهر فيه زنجيـــان وآســـيويان ملتحيان .

وحويا المشرف على الحريم الملكى وعلى بيت المال ، وتعد مقبرته من أهـــم مقابر تل العمارنة(٢) ، وصور على جدران مقبرته وهو يتقبل هدايا من الذهب مـــن إخناتون وزوجته اللذين وقفا فى شرفة لقصر ، وتضم هذه المقـــبرة منـــاظر تمثـــل إخناتون وأمنحتب الثالث والملكة تى والأميرة باكت أتون وبعض الرفـــاق يتعبـــدون لأتون ، كان فى شرف استقبالهم رجال الحاشية وهم يزورون المعبد ، وقـــد صـــور الملك والملكة جالسين فى محفة وقد حملا على أعناق بعض رجال من الحاشية .

ولا ننسى أيضا معحو رئيس الشرطة ، ويرى فى مناظر مقبرته وهو برفقة الملك والملكة وبعض رجال الشرطة فى عرباتهم وهم يقومون بعمليات التفتيش علـــى حصون المدينة ، و مقبرة أمير القصر والمشرف على الخزائن توتو الذى لعـــب دورا هاما فى البلاط بالنسبة للأمراء الآسيويين غير المخلصيـــن أمثـــال عـــازيرو ملـــك أمور .(٣)

وبين السنة الثالثة والخامسة عشرة من الحكم ، أنجبت له الملكة نفرتيتى

---

(١) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ،ص ٦٤١ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٦٤١ .

(٣) Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p . 91 .

وعن هذه الشخصية ، راجع : Helck,LAI,p. 587 – 588 .

سبع بنات توفيت إحداهن ، وأرسلت الأخرى إلى بيبلوس لكى تصبح زوجة لملك هذا القطر البعيد .

وعثر على ورقة مؤرخة بالسنة الخامسة من حكم إخناتون فى مدينة غـراب عند مدخل الفيوم[1] ، وعثر فى الجنوب على نقش لمهندس يدعى " بيك " يشير إلـى قطع الأحجار من منطقة أسوان لآثار الملك فى مدينة الأفق[2] ، وعثر على أسم الملك مكتوبا فى نقوش معبد صولب فى بلاد النوبة السفلى .[3]

وقد يعيب بعضهم على إخناتون أنه لم يول الجيش الاهتمـام الـلازم [4] . ويمكن القول بان حالته الصحية هى التى حالت دون خروجه فى حمـلات حربيـة ، وكان هناك نوع من النشاط الحربى نراه مثلا على جدران المقابر فى تـل العمارنـة فنرى مواكب الجند ، وكان هناك جنود للحراسة أمام القصـور والمعـابد وأبـراج المراقبة [5] التى تحيط بالمدينة وقيام بعض الفرق والقوات ببعض التدريبـات أمـام الملك ، وكذلك مناظر أسرى الحرب من الآسيويين والنوبيين الذين يقدمون الجزيـة أمام الملك – وربما – فى هذا تقليد لأصل قديم ، وقد صور منظر يمثل الأعداء فـى مقبرتى محو ومرى رع فى تل العمارنة . وعثر فى الكرنك على لوحة نقلت من تل العمارنة عليها مناظر جنود ومراكب حربية ، وكشفت الحفائر التى قام بـها المعـهد الفرنسى عام ١٩٣٢ فى منطقة مدامود عن ست كتل حجرية تحمل نقوشا عـن تـل العمارنة تمثل مناظر حربية تبين المشاة والمركبات .[6]

---

(١) Gauthier , LR II , p . 345 .

(٢) Breasted , AR II (1973) .

(٣) PM VII , p . 109 .

(٤) Davies , The Rock Tombs of El-Amarna IV , pl.18 – 30 .

(٥) Id . op , cit . II, pl . 38 – 40 .

(٦) Chevrier , ASAE 53(1956) , p . 21-40,pl . 19 .

وفى هذه الأثناء كانت الأوضاع فى آسيا فى حالة يرثى لها[١] ، فقد اسـتغل الحيثيون الاضطرابات التى سببتها ثورة إخناتون الدينية فى الداخل ، لكـى يقـودوا التحالف ضد مصر ، ونجحوا فى ذلك ، فملك قادش استعاد سهل سوريا الشـمالية ، واستولى ملك أمور أحد المتحالفين مع الحيثيين على الموانئ الفينيقيـة التـى كـان يرتادها المصريون أو كانت تحت نفوذهم ، وعلى الرغم من كل هـذا لـم يتحـرك إخناتون ، وبفضل مجموعة الخطابات التى ذكرناها من قبل ، وهى تحمل اليوم الاسم الشهر " خطابات تل العمارنة " أمكن التعرف على حقيقة الوضع والاضطرابات التـى سادت مناطق النفوذ المصرية فى غرب أسيا فى عهد إخناتون ، ويمكننـا أن نفـهم اليوم أن سياسته السلمية – وربما – معارضته من ناحية المبدأ والضمـير ، لفكـرة الحرب – جعله يفقد مناطق النفوذ التى أسسها أجداده وكان يأمل أن يجمع بين السكان فى تلك المناطق التى يسيطر عليها ، فى عقيدة موحدة ، ولكنه فشل فى ذلـك وفقـد مناطق النفوذ المصرى والدليل على ذلك نراه فى تلك الخطابات ، ويبدو أن أرشـيف عاصمة الحيثيين يكمل أرشيف تل العمارنة كان عدو مصر ايتا جاما يحكـم قـادش على حين كان سوبيلوليما[٢] يفرض سيطرته على حلب وكذلك على كل شمال سـوريا وتقدم الأموريون بطول الشاطئ واستولوا على المدن التى كانت مواليـة للمصرييـن الواحدة بعد الأخرى .

استخدم عازيرو كل ذكائه ودهائه تارة والقوة والتهديد تـارة أخـرى لكـى يستولى على الشاطئ بين صيدا واوجاريت ، وفى أقصى الجنـوب عمـل مبعوثـو الحيثيين على إقصاء الموالين الأوفياء لمصر ، على حين كان ربعدى ملـك بيبلـوس يكافح ويقاوم فى أقصى الحدود وأيضا مملكة تونيب وملك القدس الذين ناهضوا أعداء مصر .[٣] وكتب سكان مدينة تونيب الكبرى إلى الملك إخناتون راجين منه أن يرسل

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنـى القديـم ، الجـزء الأول : مصـر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٢٠٣ – ٢٠٤ .

(٢) عن هذا الملك ، راجع :. Helck , LA VI , p . 110 – 112

(٣) د. أحمد فخرى : المرجـع السـابق ، ص ٣٢٠ – ٣٢٢ ، وأيضـا :
Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique,p. 91.

إليهم بمساعدة وكتبوا إليه قائلين :

" تونيب ، مدينتك ، تبكى وتسيل دموعها ، لأنها لا منقذ لها ، ولعدة سنوات أرسلنا أرسل إلى سيدنا – ملك مصر – ولم نتلق منه أيـة إجابـة ولا حتـى كلمـة واحدة [١] " . وأرسل ربعدى ملك بيبلوس ، خطابا وراء الآخر طالبا قوات مسـاعدة ولكن لم تأته النجدة . وكتب عبد خيبا الذى كان يحكم فى القدس يقول :

" لعل الملك يرعى البلاد ويرسل القوات ، لأنه إذا لم تأت القوات هذا العـام ، فإن كل أراضى الملك سيدى ، سوف تضيع ، ويضيف فى نفس الخطاب ملحوظـة موجهة إلى سكرتير إخناتون قائلا :

" اشرح هذا إلى الملك بوضوح : البلاد كلها عرضة للفناء " . وفـى أثنـاء ذلك الوقت ، كانت شعوب الخابيرو الصغيرة قد بـدأت تتسـلل إلـى سـوريا مـن الجنوب ، وأرسل الأمراء الموالون لمصر خطاباتهم العديدة ، شاكين طالبين حمايـة الملك ويعلنون أن الغزاة ينتصرون فى كل مكان .

وعلى الرغم من كل خطابات النجدة هذه لم يتحرك إخناتون واكتفى بإيفـاد مبعوث لبحث الموقف فى فينيقيا ولكن هذا الأخير بطريقة غريبة جدا ، ثبـت ملـك امور فى الأراضى والممتلكات التى انتزعها من مصر ، تلك الأراضى التى سـوف تشمل فيما بعد بيبلوس أيضا ، وهذا يعنى أن الملك قد أعترف بالأمر الواقع وأكتفـى باعتبار ملك آمور موال له ، ويخضع لأوامره ، أما فى فلسطين فقد قام البدو بدورهم بثورة ، واستولوا على مجدو ، ثم مناطق القدس القديمة ، وفى حالة من اليأس أرسـل المواطنون يطلبون مساندة ملك مصر ، ولم يرسل إخناتون إليهم أية نجدة ، وأخـيرا سقطت ميتانى حليفة مصر تحت ضربات الحيثيين والآشوريين المتواليـة ، وأصبـح الحيثيون الآن فى أوج قوتهم وسوف يحاولون إرغام ملك أمور على توقيع معـاهدة تحالف معهم ، وحتى هذا الوقت كان هذا الأخير يفضل أن يبقى مستقلا فـى المكان

---

(١) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p . 421 ;

وأيضا : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢١٩ .

الذى عينه فيه من قبل تحوتمس الثالث .

وكان حاملوا هذه الخطابات يجدون إخناتون مشغولا بمسئولياته الدينية مناديا شعبه بالعمل على نشر الحب والسلام ، وغير متصبر بما يقوم به مواليه وقواده من صراع للمحافظة على بعض مناطق النفوذ المصرية فى سوريا فالملك لا يريد أن يحارب ، وقتل معاونوه المخلصون بالتدريج ، أو أرسلوا إلى المنفى ولم تؤد الجزية إلى خزانة الملك ، ويبدو انه غرر به ممن حوله ، فقد حاول الملك فى نهاية حياته أن يتقرب من طيبة ، لكن نفرتيتى رفضت أن تخون الفكر الآتونى وبقيت فى تل العمارنة ، واستقرت فى القصر الشمالى هناك ، ولم يكن لإخناتون أولاد ذكور ، فأرسل إلى طيبة زوج من ابنته سمنخ كارع لكى يتفاوض مع القوى التقليدية الممثلة فى كهنة آمون ، وتوفى هذا الأمير فى الوقت نفسه الذى توفى فى حموه . وكان قد تزوج من أبنه إخناتون مريت اتون فى الفترة الأخيرة من حكمه ، ولا نعلم مدى الصلة التى كانت تربط الأمير سمنخ كارع بالعائلة الملكية ويبدو أن سمنخ كارع كان قد شاركه فى العرش فى السنتين الأخيرتين من حكمه ، على حين أصبحت صحة إخناتون فى تدهور عام .

وأخيرا توفى إخناتون فى السنة السابعة عشرة من حكمه وكان يبلغ من العمر تسعة وعشرين أو ثلاثين عاما ، أى ثلاثة عشر عاما كاملة بعد إعلانه ثورته الدينية ، وفى الوقت نفسه توفى سمنخ كارع أو عزل عن العرش ، ولا نعلم عنه أى شئ بعد ذلك ، ولا نعلم أيضا عل دفن إخناتون فى المقبرة التى أعدها لنفسه فى الصحراء فى شرق مدينة الأفق أو لا [١] ؟ ولكن عثر على تابوت ضخم مغطى برقائق الذهب وعلى الغطاء الخارجى نقرأ النص الآتى :

" الأمير البهى ، المختار من رع ملك مصر العليا والوجه البحرى ، الذى يعيش فى الحقيقة ، سيد القطرين – الابن المفيد لاتون الحى ، ذو الاسم الخالد إلى

---

(١) عن هذه المقبرة ، راجع : د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٠٠ – ٤٠١ شكل ١٧٥ .

الأبد "

وعلى قاعدة التابوت ، نقشت الدعوات القصيرة إلى أتون ، التي ربما قد كتبها إخناتون نفسه ، وهى مكتوبة بالعبارات الآتية :

" إننى استنشق العبير الذى يخرج من فمك ، إننى أشاهد جمالك كل يوم ، وأملى هو أن أسمع صوتك العذب وكأنه رياح الشمال ، ولعل الحياة تجعل الشباب يدب فى أوصالى بفضل حبك أعطينى يديك اللتين تحملان روحك ، لعلى أتلقاها وأعيش بها ، لتظل تنادين بأسمى إلى الأبد ، ولن أكف أبدا عن إجابتك [1] " . وقد وضع هذا التابوت فى داخل تابوت آخر من الجرانيت الوردى وهو محفوظ الآن بالمتحف المصرى .

وأعتقد بعض العلماء أن جثة إخناتون قد أعيد دفنها مع أمه الملكة تى فى البر الغربى فى طيبة وذلك نظرا للعثور على أسم إخناتون على بعض أثار المقبرة ، ولا يمكننا الإدلاء برأى قاطع فى هذا الأمر ، ويمكن القول بان أعداء إخناتون قد عبثوا بجثته وبأثاثه الجنائزى بعد وفاته .

ومن أهم رجال عصر أمنحتب المسمى حوى الذى كان يحمل لقب " ابن الملك حاكم كوش وحاكم الجنوب " وهو صاحب المقبرة رقم ٤٠ بالبر الغربى ، ورع مس حاكم طيبة والوزير والذى ذكرناه عن أمنحتب الثالث وكان معاصرا لأمنحتب الرابع (رقم ٥٥) ونب آمون وابوكى مثالا معاصرا لأمنحتب الثالث حتى أمنحتب الرابع (رقم ١٨١) ، وبارن نفر الساقى الملكى ورئيس الاستقبال (رقم ١٨٨) .[2]

---

(١) Englbach , ASAE 31 (1931),p.102-114; Weigall , op .cit. p. 144 ; وأيضا : د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٦٣٠ – ٦٣١ .

(٢) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٦٣ – ٣٦٤، ٣٧٣ .

عنخ خبرو رع – سمنخ كارع " جسر خبرو[١] "(١٣٥٤- ١٣٥١ ق.م):[٢]

كان يحيط بخلافة أمنحتب الرابع – نوع من الغموض – فكما حدث فى أيلم الملوك الأوائل للأسرة ، لم ينجب أمنحتب الرابع سوى إناث[٣] . ولهذا السبب نجـــده قد أشرك معه فى الحكم قبيل نهاية حياته زوج أبنته الثانية سمنخ كارع ، وكلاهما قـد أنضم فيما بعد إلى عبادة وتأييد عقيدة آمون ، فقد غيرت أبنه إخناتون مريـت آتـون أسمها إلى مريت آمون . إما عن الملكة نفرتيتى ، فقد بقيت فى تل العمارنة ، وظلت وفية لعبادة آتون ، وقد حكم سمنخ كارع لمدة ثلاث سنوات تقريبا ، أشترك خلالــــها مع إخناتون [٤] وكانّ من بين ألقابه نفر نفرو آتون – مــــرواع أن رع ، ويبـدو أن إخناتون وسمنخ كارع قد توفيا فى وقت واحد على الوجه التقريب .

وكان من الطبيعى أن تسند السلطة إلى زوج الابنة الثالثة لأمنحتــب وهــو توت عنخ آمون ، الذى كان لا يزال صغيرا جدا ، وملازما للملكة نفرتيتى فــى تـل العمارنة ، وقد كشف عن مقبرة سمنخ كارع فى عام ١٩٠٧ فى وادى الملوك وكــان يظن قديما إنها تخص الملكة تى [٥]وعثر فيها على بعض الآثار التــى تحمـل اسـم إخناتون ولا يزال بعض منهم تعتقد أنه دفن بالفعل فى هذه المقبرة . ولا يزال الأمــر مثار جدل بين هؤلاء العلماء ،ومن البدهى أنهم عبثوا بجثته وبأثاثــه الجنــائزى لأن خلفاءه كانوا ضعفاء ولم يستطيعوا الوقوف أمام أعدائه .[٦]

أساء بعض العلماء فهم طبيعة العلاقة بين إخناتون وسمنخ كارع وأســاءوا إلى الأول وجرحوه ، واتهموه بالشذوذ ، ولكن لا يمكن أن يصل أى صاحب رسالة

---

(١) Gauthier , LRII , p . 362-363 .

(٢) عن هذا الملك ، راجع : Helck , LAVI ,p.837-841 .

(٣) Vercoutter , L'Egypte Ancienne , p.87 .

(٤) Gardiner , Egypt of the Pharaohs , p . 443 .

(٥) Gardiner , JEA 43(1957) , p . 10 .

(٦) Drioton – Vandier ,L'Egypte (éd.1952) , p . 373 .

مؤمن برسالته اشد الإيمان إلى هذا القدر من الإسفاف وبالطبع يجب النظر إلى هـــذه الآراء بنوع من التحفظ الشديد بل ورفضها من أساسها .[١]

نب خبرو رع – توت عنخ آمون " حقا إيون رسى[٢] " (١٣٥١ – ١٣٤٣ ق.م):[٣]

وصل إلى العرش عن طريق زواجه من عنخ إس إن با آتون الابنة الثالثة لإخنـــاتون ونفرتيتى ، ويرى بعض المؤرخين أن توت عنخ آمون ربما كان ابنا لإخناتون مـــن زوجة غير شرعية ، وعند توليه العرش تزوج من الابنة الثالثة لإخنـــاتون ، وليـــس هناك ما يؤيد هذا الرأى . كانت عنخ إس إن با آتون تبلغ من العمر تسعة أعـــوام ، وبعد ثلاثة أعوام ، وبعد ثلاثة أعوام تقريبا ، فى أعقاب حدث لا نـــدرى مـــا هـــى طبيعته ، نجد توت عنخ آمون يترك تل العمارنة ، ويرحل إلى طيبة ، وهناك اتخـــذ اسم توت عنخ آمون ،وعندما توج ملكا وتزوج من عنخ إس إن بـــا آتـــون ســـلكت الزوجة مسلك زوجها فحذفت من اسمها اسم آتون واستبدلته باسم أمـــون وأصبحـــت تسمى عنخ إس إن آمون .

وكان الملك الصغير والملكة تحت سيطرة البلاط الممزق كلية ، ولا نعـــرف ماذا لحق بزوجة إخناتون نفرتيتى ؟ ويرى بعض العلماء إنها ظلت وحيدة فـــى تـــل العمارنة ، ويرى بعض آخر إنها رجعت لكى تعيش بجانب أبيها الذى كان دائما أهـــم شخصية فى البلاط وظل يسمى " أى ، حما الملك " وبعد إتمام مراسيم الاحتفال بدفـــن إخناتون ، احتفل بعودة البلاط إلى طيبة تكريما لهذا الحدث زين بهو الأعمدة الشـــهيرة فى معبد الأقصر [٤] ، وعلى جدران هذا البهو نرى المناظر التى تمثل حماس الشعب وانفعال أثناء الاحتفال الكبير الخاص بآمون رع حينما كان يقوم بزيارته السنوية فى

---

(١) د. أحمد بدوى : فى موكب الشمس ، الجزء الثانى ، ص ٥٩٦ .

(٢) Gauthier , LRII ,p. 365-396.

(٣) عن هذا الملك ، راجع : Krauss , LAVI,p. 812-816.

(٤) وسجل اسمه على جدران هذا البهو حور محب ، راجع : د. سيد توفيـــق : تاريخ العمارة فى مصر القديمة : الأقصر ، ص ١١٨ .

قاربه المقدس لمعبد الأقصر خلال عيد الأوبت .

وترك مدينة الفق كان يعنى انتصار كهنة آمون ، ولم يكن هناك أى نـــوع من الصراع ، بل على العكس ربما كان هناك محاولة للصلح بين المؤيدين للعقيدتيـــن وخلال الأثنى عشر عاما التى استمرت فيها ثورة إخناتون ، أهملت وأغلقــت معــابد آمون والمعبودات الأخرى ، وهناك نص من عصر توت عنخ آمون يشير إلى أعمال الترميمات التى حدثت وأمر بها الملك فى مقاصير المعبودات الأخرى فهو يقول :

" لقد مرت معابد المعبودات بفترة عصيبة ، وأصبحت أفنيتها مثل الطـــرق يمر فيها كل الناس وقد فرت منها المعبودات ولم تنصت لدعوات الداعين[1] " وحــل الوهن بالبلاد نتيجة للاضطرابات ، وأهلمت الطقوس للمعبودات ، ولكن جلالته أخـــذ يبحث عما يليق بآمون (لكى ينفذه) .

" وأمر الملك بان تنقش صورة المعبود آمون بالذهب الخالص ، وأقام الآثار للمعبودات الأخرى وزاد من أوقافهم " [2] .

وعثر على هذا النص منقوشا على لوحة كبيرة اكتشفت بالقرب من الصـــرح الثالث بالكرنك وهى محفوظة الآن بالمتحف المصرى ، وقد صور عليها الملك وهـــو يقدم القرابين إلى المعبود آمون والمعبودة موت .

ويتحدث عن انهيار معابد المعبودات من الفنتين حتى الدلتا ويذكر النص إنـــه حينما كان الملك فى قصره أخذ يفكر فى كيفية إرضاء المعبودات وجد أن خير وسيلة لذلك هو أن يقدم لهم التماثيل من الذهب .[3]

ويقول النص : " فكر جلالته فى عمل مشاريع يحبها قلبه باحثا عن أى عمل

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٧٥ .

(٢) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p . 147 .

(٣) د. عبد الحميد زايد : المرجع الســـابق ، ص ٦٥٠ ؛ د. أحمـــد فخـــرى : المرجع السابق ، ص ٣٢٤ .

مفيد ليؤدى خدمة لأبيه امون ، وصنع تمثالا فخما من الذهب الخالص ، بل وجعلـــه أفضل مما كان عليه قبل ذلك جعل محفة تمثاله على ثلاثة عشر عمودا بينما كــــانت محفة ذلك التمثال العظيم على أحد عشر عمودا فقط "(١) .

وظلت السياسة الخارجية فى تدهور مستمر خلال عهود خلفــــاء إخنـــاتون الأقربين : سمنخ كارع ، توت عنخ امون وآى ، ويبدو أن شرق الدلتا كان عرضــــه فى ذلك الوقت لتسربات من عناصر جاءت من أسيا ، وعندما بلغ الملك الشاب ســـن النضوج ، قاد بنفسه الحملة الحربية ضد هؤلاء الغزاة ، وتحدثنا النقوش عن :

" يوم القضاء على الأسيويين " . ويبدو إنه كان هناك لقاء بينهم وبين جيـش الملك أثناء طردهم من حدود مصر .

وعثر فى مقبرة بوادى الملوك على قطعة من الذهب صور عليها توت عنخ امون وهو يقوم بتأديب عدو مقبض عليه من شعر رأسه ، فهل هذا المنظر له صلـــة بتلك الحملة (٢) ، وقد صور على أحد جانبى صندوق من الصناديق التى عثر عليـــها فى مقبرته على رسوم معارك حربية .(٣)

وحاولت الملكة نفرتيتى من جانبها أن تتآمر ضد توت عنـــخ أمـــون مـــع الحيثيين ولم يتحقق لها ذلك ، وتوفى عنخ أمون صغيرا جدا وهو فى حوالــــى مـــن الثامنة عشر ، بعد أن حكم حوالى تسعة أعوام ، أما عن أرملته فقد حاولت الـــزواج من أمير حيثى ، واغتيل هذا الأخير وهو فى طريقه إلى مصر . فيقال أن عنـــخ إس إن أمون قد أرسلت بخطاب إلى ملك الحيثيين تطلب فيه أن يرسل لـــها واحـــدا مـــن أبنائه ليتزوجها ، ووعدته بأنه سيصبح ملكا على البلاد ، وقد تشكك الملك فى جديـــة هذا الطلب وأرسل مبعوثا من قلبه ليعلم حقيقة الأمر ، فاحتجت الأرملـــة ، وعندئـــذ

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٢٤ .

(٢) Davies ,The Tombs of Hormhabi and Toutankhamon (1912) , p.128fig.4.

(٣) Gardiner, Egypt of the Pharaohs, p . 241; ANET,p.395.

أرسل ملك الحيثيين أميرا صغيرا ، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل [١] ، كانت دولة الحيثيين تمثل أعظم القوى فى شمال سوريا فى ذلك الوقت .

توفى الملك الصغير فجأة ودفن فى مقبرته فى وادى الملوك رقم ٦٢ والتى لم تكن كبيرة ولكن اكتشافها أحدث دويا عالميا فقد عثر على ما بها من أثاث ومتاع فى حالة سليمة ، واكتشف هذه المقبرة كارتر الذى كان يعمل لحساب اللورد كارنارفون .[٢]

وفى يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٢٢ عثر كارتر على باب من الحجر مختوم فى مكان عميق كانت تخفيه مخلفات حجرية ، وأتربة ورديم ناتجة عن حفر مقبرة رمسيس السادس التى تعلو مقبرة توت عنخ آمون وردمت هذه المخلفات مدخل مقبرة توت عنخ آمون إلى ارتفاع كبير [٣] وتؤدى سلالمها الستة عشر إلى ممر ينتهى بحجرة أمامية واسعة ، تقع إلى يمينها حجرة الدفن الرئيسية ملحق بها بقية الحجرات،

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢ .

(٢) كان بلزونى قد أشار فى أوائل القرن التاسع عشر بعد عدة تنقيبات فى البر الغربى أنه لم يعد فى وادى الملوك مقبرة ملكية أخرى يمكن الكشف عنها , وذكر الشيء نفسه ديفز عام ١٩٠٢ . وعندما زار الأثرى ونلوك ديفز فى بداية عام ١٩٢٢ شاهد لديه مجموعة من القطع الأثرية عبارة عن أوانى فخارية وحجرية عليها اسم توت عنخ آمون . وكان قد عثر عليها عام ١٩٠٠ فى مخبأ صغير على مسافة ٤٥ مترا من مقبرة رمسيس السادس . وأيقن على الفور أنها مخلفات مقبرة توت عنخ آمون التى كان كارتر يبحث عنها من عام ١٩٠٧ ولمدة خمسة عشر عاما حتى أصابه اليأس من العثور عليها . ولكن بعد العثور على هذه المخلفات بدأ الأمل فى العثور عليها يراوده من جديد حتى تحقق له ذلك عند الكشف عن أولى الدرجات المؤدية إلى مدخل المقبرة الملكية فى صباح يوم ٤ نوفمبر ١٩٢٢ .

(٣) د. أنور شكرى:المرجع السابق، ص٩٩، ٤٠١ شكل١٧٦؛ د. عبد العزيز صالح : ألمرجع السابق ، ص ٢٢٠ .

فكان المدخل يؤدى إلى أربع غرف منها اثنتان داخليتان سالمتان تماما ، وأما الغرفة الخارجية عند المدخل فكانت تحتوى أثاثا أعيد وضعه بسرعة وبغير ترتيب ، وفى ٢٩ نوفمبر ١٩٢٢ أجرى رسميا افتتاح الغرفة الخارجية وعثر فيها على ١٧١ قطعة من التحف والمخلفات الأثرية .

وفى ١٧ نوفمبر ١٩٢٣ قام كارتر بكسر الحائط الذى يفصل الغرفة الخارجية عن الغرفة الغربية أى حجرة التابوت وجد فيها مقصورة كبيرة وجدت بداخلها ثلاث مقاصير أخرى الواحدة داخل الأخرى صنعت من خشب الأرز ، وغطيت من الداخل والخارج برقائق الذهب ، ووجد فى أصغرها تابوت من الحجر الرملى يحتوى على ثلاثة توابيت آدمية الشكل الواحد داخل الآخر أيضا ، ويحتوى التابوت الصغير المصنوع من الذهب الخالص على مومياء الملك بقناعها الذهبى الرائع وعه حلية التى تبلغ ١٤٣ حلية من الذهب وكان هناك سرير من خشب مذهب يحمل وحده التوابيت الثلاثة والمومياء .

ويبلغ وزنها كلها ١٣٧٥ كيلو جراما ويبلغ وزن التابوت الذهبى وحده ١١١٠,٤ كيلو جراما من الذهب الخالص وقد لفت مومياء الملك بلفائف كتانية عددها ست عشرة لفة وقد ترك التابوت الأوسط وفيه مومياء الملك فى المقبرة حتى اليوم .

ومناظر هذه الحجرة تمثل جنازة الملك وطقوس فتح الفم يقوم بها الأب المقدس أى على مومياء الملك ، واستقبال معبودة السماء نوت اياه ثم ظهور الملك مع المعبود أوزير ثم الملك بين المعبود انوبيس ومعبودة الغرب[١] ثم منظر القردة التى تمثل ساعات النهار .

أما الغرفة الشمالية أى غرفة الكنز فتضم صندوقا كبيرا يشبه مقصورة مقدسة تضم تحت أغلفة عديدة أحشاء الملك المودعة فى أوانى أحشاء وعثر أيضا على بقية الأثاث الجنائزى من أسرة ومقاعد مذهبة وصناديق وتماثيل من الذهب والفضة وتماثيل خشبية مغطاة برقائق الذهب وأوانى من أشكال مختلفة وقد أحصى

---

(١) د. صبحى بكرى : دليل آثار الأقصر ، ص ٦٠ – ٦١ .

كارتر فى هذه الحجرة حوالى ٤٥ ألف قطعة مرصعة ، وفى أواخر نوفمبر ١٩٢٧ بدأ كارتر العمل فى الحجرة الرابعة أو الملحق حيث كشف عن تكديس لا يتصوره العقل لأشياء ة وأدوات منوعة ، أربعة أسرة من نمط واحد ومقاعد وصناديق كما عثر على ٨٤ أنية من المرمر و١١٦ سلة تحتوى على فواكه جافة وبذور كالعنب والدروم والماندراجور وبذر الشمام و٣٦ جرة من النبيذ .(١)

وقد ذكر لوكاس الذى قام بترميم الأثاث الجنائزى أن هذه المقبرة كانت معدة لأى (٢) ، ومن بين الأثاث عثر على مقعد العرش الذى صدر عليه توت عنخ امون وأمامه زوجته تضع قليلا من الدهون العطرية على صدره وتقدم له طاقات الأزهار ، ويعد هذا الكرسى تحفة فنية غاية فى الإبداع أستخدم فيها الفنان المصرى والذهب والفضة والعقيق والقيشانى والزجاج الملون إلى جانب الخشب .(٣)

وصور الملك على أحد الصناديق أو الخزانات المغطاة برقائق الذهب وهو يمارس رياضة الصيد وهو يحمل قوسه وسهامه لصيد الإوز ونحت على مقبض مروحته نقشا يدل على أنه كان يكثر الخروج إلى الصحراء لصيد النعام ، فكان ينتقل بين منف وإيونو ، وقد سجل زيارته لمنطقة أبى الهول فترك لوحة تذكارية ظهر فيها هو وزوجته وهما يؤديان الطقوس لأبى الهول ، وعلى صندوقه الصغير ، يوجد مناظر صيد الحيوانات البرية وخاصة الأسود .(٤)

ومنذ نهاية حكم أمنحتب الرابع ، لم تكن السياسة الخارجية لمصر تحت مسئولية وإدارة الملك نفسه ، ولكن تحت مسئولية القائد – حور محب ذو الشخصية القوية الذى سوف يؤثر فى أحداث نهاية الأسرة الثامنة عشرة انتظارا لتولية هو نفسه

---

(١) د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم الجزء ٥ : الحضارة المصرية ، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٤ ، ص ٤٤٢ – ٤٤٦ .

(٢) Davies-Gardiner , Tutankhaman's Painted Box (1962),p.1.

(٣) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ١٥٦ – ١٥٧ .

(٤) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٦٥٠ .

السلطة ، ومنذ بداية حكم توت عنخ أمون ، أخذ فى معالجة الأوضـــــاع فــى اســيا وجنوب فلسطين حتى نجح فى إنقاذ ما يمكن إنقاذه .[١]

وعاش حتى عصر هذا الملك حوى الذى كان يحمل لقب ابن الملــك حــاكم كوش وفلا مقبرته فى قرنة مرعى رقم ٤٠ نرى مناظر الجزية التى جئ بها من بلاد النوبة السفلى [٢] ، وكان مسئولا أيضا عن ترميم الآثار التى تعرضت للهدم فى عــهد إخناتون [٣] .وعثرت البعثة الإنجليزية الهولندية المشتركة فى سقارة على مقبرة رجل يدعى " ماى " كان يشغل منصب وزير الخزانة فى عهد توت عنخ أمون .

خبر خــبرو رع إيرمــاعت – إيــت نــثر أى ونــثر حقــا واســت[٤] (١٣٤٣ – ١٣٣٩ق.م):[٥]

توفى توت عنخ امون دون أن يترك أولادا ذكورا ، وال العرش إلى أقــرب أقربائه الذكور ،أى والد زوجة إخناتون ، نفرتيتى[٦] وقد اكتسب اى حقه فى الجلـوس على العرش بواسطة زواجه من أرملة توت عنخ آمون ، وقد لعب دورا كبيرا فـــى السياسة الداخلية بعد وفاة أخناتون فقد ساند سمنخ كارع وساعد توت عنخ أمون فـــى تولية العرش .

وفى بداية حياته كان جنديا وكان يشغل وظائف كبيرة فى سلاح المشاة وفى

---

(١) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p . 147 .

(٢) د.أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٣٣١ ؛ Davies , The Tomb of Huy , pl 24 ; Helck , LAIII , p . 72 .

(٣) R . el Sayed , Quelques Personnages Célèbres : فى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العــدد٢٦ ، ١٩٧٩ ، ص ٤ – ٥ .

(٤) Gauthier , LR II , p . 376 – 378 .

(٥) عن هذا الملك ، راجع : Von Beckerath , LAI , p . 1211 – 1212.

(٦) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p . 147 .

سلاح المركبات ، وأصبح على رأس الجيش ، وبعد ذلك انخرط فى الوظائف الكهنوتية والإدارية وكتب اسمه مصطحبا بلقب " الأب المقدس " وفى نصوص تل العمارنة كان يحمل لقب " المشرف على كل خيول جلالته " .(١)

ويبدو أنه نجح فى الوصول إلى العرش اعتمادا على الصلة التى تربطه بالعائلة الملكة وكذلك للمرتبة التى كان يحتلها فى الجيش الذى عاونه فى الوصول إلى العرش .

وقد تميز حكم الملك أى بالغموض فهو لم يحكم إلا لمدة قصيرة لا تتعدى الأربع سنوات ، وكانت السياسة الخارجية تحت إدارة حور محب الذى لم يكن بدون شك راضيا عن ارتقاء أى للعرش .

ولا نعرف حتى الآن عن أوجه نشاط الملك اى إلا القليل فقد شيد مقصورة بالقرب من مقبرة أمنحتب الثالث فى طيبة ، وقد ترك لنا مقصورة فى أخميم(٢) وظهر آى على جدران مقبرة توت عنخ امون ، وهو يتقدم الجنازة ، وكان مرتديا ملابس الملك ونعرف أنه زار منف فى السنة الثالثة من حكمه ولا نعرف كيف انتهت حياته فلا يزال ذلك الأمر غامضا (٣) وكل ما نعلمه أنه كان كبيرا فى السن عند وصوله إلى العرش ، لأننا نعرف أن حور محب عند توليه العرش محا اسم آى من على الآثار واستولى على معبده .(٤) الذى كان يحمل اسم Mn – mnw (٥)

وعند وفاة اى دفن فى وادى الملوك فى المقبرة التى تحمل الآن

---

(١) المقصود هنا الملك توت عنخ امون ، راجع : د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٥٤ .

(٢) PMV , p . 17 .

(٣) Nelson – Holscher , Oriental Institue Communications no18 , 50-51(1931-1933),p. 106-118 .

(٤) Gardiner , Egypt of the Pharaohs , p . 242 .

(٥) Helck , LAV , p . 7 .

رقم ٢٣ .[١]

ومن عصره نعرف نفرحتب رئيس كتبة امون (رقم ٤٩) ونـاى الكـاتب الملكى (رقم ٢٧١)[٢]

جسر خبرو رع – حور محب مرى آمن [٣] (١٣٣٩ – ١٣١٤ ق.م) :[٤]

توفى اى عام ١٣٣٩ ق.م[٥] ، وكان حور محب ، هو الرجل القـوى فـى ذلك الوقت ،والذى تولى العرش ، وكان يشغل منصب قائد الجيش ولكى يعطى نفسه الحق فى اعتلاء العرش ، تزوج من " موت نجمـت "[٦] ابنـة ووريثـة أى أخـت نفرتيتى ، وأصبح حور محب آخر ملوك الأسرة الأقوياء ، ويمثـل عـهده ، فـترة انتقالية بين عصر الأسرة الثامنة عشرة والأسرة التاسعة عشرة .

وقد رجح أغلب المؤرخين انتماءه إلى هذه الأسرة – وليس إلـى الأسـرة التاسعة عشرة – فهو فى الواقع ليس مرتبطا بالأسرة الثامنة عشرة فهو لا ينتمى إليها سواء من ناحية الدم أم من ناحية صلة القرابة ، ولم يكن له أى حـق فـى اعتـلاء العرش بصفة شرعية. وإذا كان قد أختير كملك فقد حدث هذا نتيجة لاختيار مقـدس من امون نفسه ، وربما ساعده أيضا كهنة هذا المعبود[٧] ، فهو ينتمى أصلا إلى عائلـة

---

(١) د. أنور شكرى :المرجع السابق ، ص ٤٠٢ شكل ١٧٧ .

(٢) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٦٤ – ٣٨٠ .

(٣) ويسمى أيضا : جسر خبرو ر ع – ستب إن ر ع – حور محب – مـرى امن ، راجع : Gauthier, LR II , p . 381 .

(٤) عن هذا الملك ، راجع : Von Beckerath , LA II , p . 962-964 .

(٥) يدخل فى تاريخ ما بين ١٣٥٤ – ١٣١٤ حكم سمنخ كارع ، توت عنـخ امون ، اى ، وحور محب لأننا نعلم أن الأسرة التاسعة عشر قـد بـدأت حوالى ١٣١٤ ق.م ، تقريبا .

(٦) عن هذه الملكة ، راجع : Spalinger , LA IV , p .252-253.

(٧) Gardiner , Egypt of the Pharaohs , p . 242 .

من حكام الأقاليم ولد فى عهد الملك أمنحتب الثالث فى بلدة حت نسوت .(١)

كان على جانب كبير من الثقافة وأنخرط فى السلك العسكرى ، ودخل الجيش ، ويبدو أنه منذ الصغر كان يفضل المستقبل العسكرى ، فأصبح " رئيسا للرماة " تحت حكم امنحتب الرابع ، ولم يعاد الملك وقام بقادة الجيش تحت حكم كل من توت عنخ امون واى . وفى عصر توت عنخ امون أحتل منصب قيادة الجيش ، وعلى هذا فقد خدم الملوك الثلاثة إخناتون وسمنخ كارع وتوت عنخ أمون ، وأقام الفترة الأولى من حياته فى منف التى كانت مقرا للجيش ، وكان يشرف على تدريب الفرقة العسكرية والمناورات التى كان يقوم بها الجنود وفى السنة الأولى من حكم أى توجه حور محب إلى منف لزيارتها .(٢)

وقد ترك لنا فى هذه العاصمة تمثالا وضعه فى معبد بتاح ، وقد وضعه غالبا عند مقصورة المعبود تحوتى التى تقع فى الغالب حول قرية ميت رهينة . وكان التمثال يمثل حور محب جالسا ناشرا بين يديه قرطاسا من أوراق البردى وقد وضع محبرته على ركبته وقد اخذ فى الكتابة ، وكانت النصوص التى نقشت على هذا التمثال تشير إلى أفضال المعبود تحوتي الذى يهدى الضال ويعلم الناس كل الأسرار المقدسة ، وكان يحمل فى هذا الوقت ألقابا مثل " حامل المروحة على يمين الملك " و" رئيس قواد الجيش " و" ولى عهد الملك " . ثم يذكر : " إننى قمت بتصحيح قوانين القصر ، وجرى ذلك بتدبيرى ، ولم يكن هناك أحد غاب عنى (أى عن تفكيرى)، كذلك كنت مرشدا لكل فرد ، حريصا على آن يعرف كل إنسان ما هو عليه ، ومع ذلك لم انس ما يجب على ، وكنت ارفع آرائى إلى الملك فى كل شئ ، وأنبهه إلى كل ما خفى ، ولم أترك شيئا من آراء الملك ، وكنت أصدر تعاليمى إلى مجلس البلاط ، مؤيدا بآراء الملك " .(٣)

---

(١) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٦٥٥ ؛ Daressy , RT 16(1894),p . 123 .

(٢) عن هذا الملكة ، راجع : Spalinger , LAIV , p . 252 – 253 .

(٣) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٦٥٦ – ٦٥٧ ؛ د.أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٣٤ – ٣٣٥ حاشية (١) .

وقد ذكر تتويج حور محب وزوجته الملكة موت نجمت على تمثال من الجرانيت الأسود فى متحف برلين [١] ويقص علينا مراسيم هذا التتويج ، وقصة زواجه بموت نجمت التى كان يجرى فى عروقها الدم الملكى ، ولما تم التتويج فى طيبة توجه إلى الشمال قاصدا منف ، وأصدر أوامره بتطهير البلاد من أتباع إخناتون ، وأمر بهدم معابد ومقاصير أتون ، وإصلاح معابد المعبودات الأخرى ، وتقرب إلى كهنة امون الأقوياء لكى يتجنب السيطرة السياسية لكهنة أمون على المملكة ، وكان يتمتع بتأييد كهنة المذاهب الدينية فى إيونو ومنف والأشمونين .

كان حور محب من بين مؤيدى الملك توت عنخ آمون وآى فى البداية ، ونجد أن هذا الاتجاه بدأ يتغير وشيئا فشيئا تعرض بعض الأوفياء لآتون ، أى بعض الذين عاشوا منهم أثناء فترة حكم حور محب للتشهير وعدوا ملحدين ، وأصبح إخناتون العدو الذى أطلق عليه ببساطة " هذا الملحد " .

وأعلن حور محب أن السنوات التى مضت منذ تاريخ عام ١٣٧٦[٢] حتى تاريخ توليه العرش عام ١٣٣٩ ق.م ، يجب محوها من الحوليات والقوائم الرسمية ، وعلى الرغم من انه حكم أربعة وعشرين عاما ، فإن بعضا منهم يرى انه حكم تسعة وخمسين عاما[٣] ، وقد اظهر حور محب رد فعله ضد عائلة أمنحتب الثالث ، فنجد أنه سلب اثار توت عنخ امون ومحا اسم اى من عليها لكى يضع اسمه الشخصى ، وأخيرا نجد قد أرخ بداية حكمه ابتداء من وفاة أمنحتب الثالث ، كما لو أن أمنحتب الرابع ، سمنخ كارع ، توت عنخ آمون وآى لم يكن لهم أى دور أو وجود فى تاريخ مصر القديم .[٤]

---

(١) Breasted , AR III (24) .

(٢) يقال أن الثورة الدينية وظهور عقيدة آتون بدأت فى الحقيقة فى عام ١٣٧٦ ق.م ، وعندما أبعدت الملكة تى زوجها أمنحتب الثالث إلى الصفوف الخلفية ، وبدأت تحكم بمفردها .

(٣) وذلك لسد الفراغ فى تاريخ فترة الانتقال هذه .

(٤) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne ,p.149 .

وتعد الفترة التى مكثها حور محب على العرش من الفترات التى بدأت فيـها مصر تتخلص من الكوارث التى حلت بـــالبلاد بسـبب أحـلام إخناـاتون – غـير الواقعية – وقام فى البداية بعدة إصلاحات فى الداخل ، واشرف بنفسه على مواطـن الفساد فى الدولة ، وكانت الطريقة فى جمع الضرائب هى أن يقوم كل مزارع بتقديـم ضريبة عينية من الحبوب أو ما شابهها ونقلها على مراكب وتوصيلها إلـى مخـازن الملك ، وتعرضت هذه المراكب للعديد من أعمال السلب والنهب ، وأعتدى البعـض على أوقاف المعابد ، ولاحظ أيضا أن كثيرا من رجال الإدارة فى الأقاليم يفرضـون إتاوة على الأهالى ، فقام حور محب بنفسه بسن مجموعة من القوانين تحد منكل هـذه الأمور وتنظيم العلاقة بين الناس والسلطة الحاكمة .(١)

وقام حور محب بالتفتيش على الموظفيـن ، وعمـل علـى تطبيـق هـذه القوانين ، وحذر القضاة من الاتصال بالناس ومصادقتهم ، أو قبـول أى نـوع مـن الهدايا من أى إنسان ، وقد عاقب بالموت كل من يخالف ذلك ، وأصـدر مرسـومة الذى سجله على لوحة ، وضعت فى إحدى قاعات معبد الكرنك .(٢)

ووضع فى مناصب القضاة أشخاصا محمودى السيرة ، ولديهم القدرة الكافية لفهم مشاكل الناس ، وكان القضاة يعينون بأمر ملكى ، أما العقوبات فكانت صارمـة ورادعة بالنسبة للاعتداء على السفن الخاصة بنقـل محـاصيل الضرائـب وحمايـة أصحاب السفن من عدوان قطاع الطرق ، ومعاقبة كل من يتأخر فى توريد الضرائـب المستحقة لدور العبادة ، ومعاقبة الموظفين الذى يعملون بتجـارة الرقيـق ، ومنـع الاستيلاء على جلود الحيوانات من الفلاحين ، وأمر بمنع الرشوة ومن يستولى علـى أموال الشعب بدون وجه حق من الموظفين الرسميين سيخضع للعقاب أيضا ، ومنـع السخرة فى أعمال القصر الملكى ، ويشمل الجزء الثانى من القوانين العودة إلى أحياء مجالس القضاء القديمة فى الأقاليم وإعادة تنظيم الاحتفالات الخاصة بالقصر والحـد

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

(٢) Helck , ZAS 80 (1955) , p . 109 – 122;UrK IV , p . 2140 .

د. أحمد فخرى : المرجع السابق ١٩٨١ ، ص ٣٣٦ حاشية (١)،٣٣٧ .

من كثرتها .[١]

وهكذا نجح فى إعادة السلطة إلى الحكومة المركزية ، ونجح فى القضاء على استغلال الموظفين وضع الأمور فى نصابها .

أما عن نشاطه الحربى ، فقام بقيادة الجيش من جديد إلى أسيا ، ونجح فى استعادة جزء صغير من الأراضى التى فقدت هناك ، ثم قام بحمله أخرى فى النوبة السفلى ، وتبين نقوش حور محب فى جبل السلسلة ، انتصاره على النوبيين ونرى مواكب الأسرى ، وسجل هذا الانتصار أيضا على جدران الصرحين التاسع والعاشر اللذين أقامهما فى معبد الكرنك ، وقد نقش منظر يمثل الملك ومجلسه من رجال البلاط وهم يستقبلون رؤساء بلاد بونت , وشيد لنفسه مقبرة فى منف فى بداية الأمر فلما وصل إلى العرش وانتقل إلى طيبة بنى له مقبرة أخرى أكبر حجما ، وكان اللصوص قد سطوا على مقبرة سقارة هذه ، وباعوا أجزاءها إلى المتاحف العالمية فى أوربا وخاصة متحف ليدن فى هولندا وبعض متاحف أمريكا .

وكشفت البعثة الإنجليزية عام ١٩٧٥ عن تلك المقبرة إلى الجنوب من السور الخارجى لمجموعة الملك جسر ، وأهم أجزاء تلك المقبرة تبين القوات والجنود وهم يحيون القائد ، واستراحة الجنود فى الهواء الطلق ، وكذلك مناظر الأسرى من النوبيين والآسيويين بألوان جميلة ، وبمتحف بولونيا بإيطاليا جزء من هذه المقبرة وعليه منظر فريد فى نوعه إذ وجد فارسا يمتطى جوادا ، والفارس له لحية وقد جلس على ظهر الحصان دون سرج ، ويدل ذلك على انه اسيوى وان حور محب ذهب إلى اسيا وليس تمثيل هؤلاء الأسرى من آسيويين أو نوبيين من قبل التقليد ولكن يدل على ان حور محب ذهب إلى بلاد هؤلاء الأسرى [٢] .أما عن نشاطه المعمارى فقد أرسل رجال المحاجر إلى جبل السلسلة لقطع الأحجار اللازمة لمنشآته الجنائزية ،

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٦٦٠ .

(٢) Schulman , JNES 16(1957),p . 265pl. 37 .

وهو أول من بدأ بهو العمدة الكبرى فى الكرنك الذى أتمه رمسيس الثانى [1] ، وبـــدأ الصرحين التاسع والعاشر بالكرنك ومن أجل ذلك هدم مبانى إخناتون التى اعـترضت الصرح التاسع [2] ويبدو أن جزءا من طريق الكباش الذى يبدأ مـــن الكرنــك كـــان من عمله ، واغتصب لنفسه نقوش توت عنخ أمون فى بهو الأعمدة بالأقصر ، وشــيد لنفسه معبدا جنائزيا فى البر الغربى فى طيبة [3] وكان قد بدأه الملك آى ، ولم يبـــق منه سوى الأساس ، أما عن مقبرته فى طيبة فلم يبق فيها إلا تابوت مصنـــوع مـــن الجرانيت الوردى مازال باقيا فى مكانه .[4]

عدت مقبرته من المقابر الفخمة في وادى الملوك بالقرب من مقــبرة تــوت عنخ أمون ، وهى تحمل الآن رقم ٥٧ وحفرت على محور واحد وتبدأ بسلم يـــؤدى إلى مدخل ثم إلى ممرات حتى نصل إلى حجرة البئر ونرى فى مناظر هــذا الجــزء حور محب فى حضرة مجموعة من المعبودات ، ثم نصل بعد ذلك إلى قاعة مربعة ، ثم تظهر عدة ممرات تؤدى إلى قاعة مستطيلة تتبعها حجرة الدفن [5] وهذه الحجرة لم يتم نقشها وبها أجزاء منقوشة من كتاب ما يوجد فى العالم الســـفلى (إمـــى دوات) وكتاب البوابات .

---

(١) Seele , The Coregency of Ramses II with Seti (1940),p.40; Barguet , LAIII , p . 342 – 352 .

(٢) وهما مهدمان إلى حد كبير ، وعثر في داخلهما على أحجار التلاتات التـــى استخدمت كحشو وكانت أصلا مستخدمة فى بناء معبد آتون الذى كان يقـــع إلى الشرق من معابد الكرنك ، راجع : د. سيد توفيق : تاريخ العمارة فـــى مصر القديمة : الأقصر ، ص ١٦٢ ؛ د. محمد عبد القادر : آثار الأقصر ، ص ١٥٤ – ١٦٠ .

(٣) Holscher , Temples of the Eighteenth Dynasty , p . 63 ; Vandier , Manuel d'Archéologie II , p . p . 692 .

(٤) د. صبحى البكرى : دليل آثار الأقصــر ، ٦٤ – ٦٦ ؛ Vandier , op .cit . , p . 239 .

(٥) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٠٢ شكل ١٧٨ .

وعلى الرغم من أن اللصوص فى العصور القديمة لم يتركوا أى شئ لرجال الآثار إلى ان النقوش والمناظر التى تغطى جدران المقبرة تدل على أن الفن فى هـذا العصر قد عاد مرة أخرى إلى التقاليد الأصلية وإلى بعض المظاهر التى رأيناها قبل عصر إخناتون .(١)

وأمر الملك حور محب بحفر هيكل مقدس فى جبل السلسلة على الشاطئ الغربى للنيل بالقرب من ادفو (٢) ، وبداخله نجد نقوش من عصور لاحقة (٣) .كما امر الملك بحفر معبد صغير يطلق عليه معبد ابو عوده عند جبل عدا فى بلاد النوبة . وخصصه لعبادة آمون رع وتحوتى .(٤)

وعندما توفى حور محب فى عام ١٣١٤ ق.م ، لم يترك له وريثا من الذكور ، وهكذا انتهت الأسرة الثامنة عشرة .(٥)

وقد قدس حور محب بعد وفاته فى معبد فى البر الغربى وذلك خلال الأسرة التاسعة عشرة .(٦)

ومن عصره نعرف نفر حتب الأب المقدس لآمون رع (رقم ٥٠) وروى

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٦٤٤ .

(٢) Vernus , LAVI p . 323 – 33.

(٣) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٥ ؛ وأيضا :
Vandier , Manuel d' Archéologie II , p . 946 – 948 .

(٤) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٣٤ – ٢٣٥ ؛ وأيضا :
Vandier , op . cit . , p . 958 – 960 .
وراجع المؤلف نفسه :تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، ص ٢٩١ حاشية (٥) .

(٥) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne ,p. 149 .

(٦) Yoyotte , RdE 34 (1983) , p . 149 .

الكاتب الملكى ورئيس الاستقبال (رقم ٢٥٥) .[١]

نظرة فى بعض مظاهر حضارة عصر الدولة الحديثة :

تعد أغلب فترات الأسرة الثامنة عشرة والجزء الأول من الأسرة التاسعة عشرة من الفترات الهامة فى تاريخ مصر القديم ، وقد تركت لنا هاتان الفترتان الكثير من الآثار الممثلة فى مئات المقابر فى البر الغربى فى طيبة والعديد من المعابد والوثائق التى خلدت لنا مظاهر الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعلمية والفنية ، فهى فترة الترف الكبير ، والتطور السريع من الناحية الفنية وفى أوجه النشاط المختلفة ، وقد احتفظ المصريون بالكثير من صفاتهم التى عرفناهم عنهم فى العصور السابقة ، فقد بقيت تلك الصفات كما هى على الرغم من التغير الكبير الذى طرأ على حياتهم اليومية نفسها .

ونجد أن المصريين كانوا يفخرون فى هذه الفترة بمسلكهم القويم وتمسكهم بالمبادئ والقيم ، وأقنعوا أنفسهم بأن سعادتهم فى العالم الآخر تعتمد عما سوف يقولونه عند لحظة محاكمة أرواحهم فى العالم الآخر ، فعليهم أن يؤكدوا أنهم لم يرتكبوا أية معصية أو فحشاء أو أى عمل شرير أو ضار ويتمثل ذلك فيما يعلنه المتوفى عند بعثه فى عالم الآخرة فى الفصل ١٢٥ من كتاب الموتى " أنا لم أقتل ، أنا لم اسرق ، أنا لم أسبب نزاعا ، أنا لم أكذب ، أنا لم أطمع فى أى شئ ، أنا لم أغضب ، لقد تجنب اللغو فى الحديث ، لم أقم بالتسلط على الآخرين ، أنا لم أكن متكبرا ، أنا لم ألعن اسم المعبود ، أنا لم أرتكب أية خطيئة خلقية ، أنا لم أمنع الخبز عن الجائع ، ولا الماء عن الظمآن ولا الملبس عن العارى ، ولا أحمل أثر الخطيئة على جسدى " .[٢]

وفى أثناء حياته ، كان على كل إنسان أن يلتزم بهذه المبادئ والقيم فهى لم

---

(١) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٦٤ ، ٣٧٨ .

(٢) Weigall , op . cit ., p . 50 – 51 .

تكن فى الواقع مجرد جمل تردد بدون هدف أو بدون معنى أمام المعبود أوزيريس رب الآخرة والعالم السفلى ، ولكن لكل هذه المبادئ أثر فى حياتهم وفى سلوكهم وهى تشير إلى حقيقة تفكيرهم وما كان سائدا من أفكار دينية وإلى جانب هذا المظهر من الحياة الدينية العامة ، فقد كان للحياة الاجتماعية واليومية طابع خاص فى بعض الأحيان ، وتبين لنا النقوش والرسومات أيضا الاحتفالات والأعياد التى كان يحتفى بها المصريون وحبهم للطبيعة وتذوقهم للجمال الطبيعى الذى أثرى فى هذه الفكرة أكثر من غيرها ، ونرى فى المناظر التى رسمت على جدران المقابر ، الحدائق التى كانوا يحبونها والأشجار والأزهار والحيوانات والطيور التى كانوا يفضلونها ، والتى يحتفظون بها فى منازلهم ونرى البط الذى كان يسبح فى البحيرات ومستنقعات البردى ، والفراشات والقطيع الذى يرعى الكلا ، والأسماك تحت الماء والغزلان فى الصحراء الخ ...

وفى أكثر من ناحية ، كانت الحياة تتميز فى هذا العصر بروح الرقة ، ويسود العصر نوع من التطور ، وهكذا كان ينام أهل الطبقات العليا فى أسرة ، ويستخدمون الأغطية والوسائد من لريش التى تشبه تماما تلك التى تستخدم فى العصر الحالى ، وكانوا يجلسون على مقاعد وثيرة ، وكانت حجراتهم تضاء بمصابيح توقد بالزيت ، ومن خلال المرمر الشفاف ينبعث الضوء ، وكانت النساء يضعن المساحيق على خدودهن ، وأيضا اللون الأسود على الرموش ، ولكن يصبغن شعورهن ، وكان الرجال يستخدمون شفرات من المعدن لقص شعرهم ، وكلا الجنسين يعملون باستمرار على العناية بنظافة إظفار اليد والقدمين ويضعون الشعر المستعار ويرتدون الملابس الفخمة وكان الأطفال يلعبون بلعب من الخرق ، ودوائر وكرات وعرائس ودمى تتحرك أطرافها عن طريق حبل رفيع ، وعندما يخرج بعض منهم فإنهم يضعون القفاز ، وعندما ترتفع جرارة الجو ، كانوا يتناولون المرطبات عن طريق رشفه بالبوص الأجوف وعند عودتهم إلى المنازل ، كانوا يستخدمون لغسيل الأيدى ، الأحواض والأوانى من نوع معين ، وفى أثناء السهرات العائلية وبين الأصدقاء كان الرجال والنساء يلعبون النرد والشطرنج والعاب التسلية .

وفى مجال الثقافة تطور اللغة واستخدام الخط الهيراطيقى بكثرة، وأمتاز أدب هذه الفترة بفنونه المختلفة ، وأمتاز أيضا بنوع من الجمال فهناك فقرات من أشعار الحب التى تمتاز بنوع من الرقة والحساسية المؤثرة [١] . وفى مجال الفنون فى العمارة فى بناء القصور والمساكن والمعابد والمقاصير والمقابر كما تقدمت فنون النحت والنقش والرسم والتلوين والتطعيم والفنون الأخرى مثل الموسيقى والغناء والرقص وكان يسرى عن الموعودين فى الحفلات بواسطة الراقصين والراقصات والمغنيين والموسيقيين بآلاتهم الموسيقية من القيثارة والعود والغاب والدف والرق .

هذه الصور التى عرفناها من نقوش المقابر ، تدل على أن المصريين كانوا يعيشون خلال هذه الفترة ، حياة مترفة وبأسلوب يناسب روح العصر أكثر مما نعتقد .

كان للمعبود أمون أهمية خاصة فى عصر الأسرة الثامنة عشرة ولقد حاول التحامسة فى منتصف الأسرة تقوية سلطان آمون على بقية المعبودات الأخرى وأصبح معبود الدولة الرسمى ، ومما ساعد على تهيئة تلك الزعامة ، هو أن مركز عبادته طيبة كانت عاصمة الدولة .

وقد أقيمت فى طول البلاد وعرضها ، من الدلتا حتى شمال السودان معابد ومقاصير جديدة من أجل أمون ، ومما يثبت زعامة آمون رع ، ملك المعبودات فى الكرنك ، على بقية المعبودات إقامة دور صغرى للعبادة خاصة بتلك المعبودات داخل الدائرة التى يشغلها معبد أمون ، فنجد كهنة أمون يحملون ألقاب كبير كهنة رع ، وكبير كهنة بتاح ، ولقد ازدادت المنح والأراضى الموقوفة على معابد آمون ، وقد تجاوزت مخصصات معابد أمون والترميمات الخاصة بدور عبادته مخصصات

---

(١) سجلت أشعار وأغانى الغزل على بردية شستر بيتى رقم ١، وهناك تسع عشرة بردية تحمل هذا الاسم شستر بيتى وهى محفوظة بالمتحف البريطانى تحت أرقام مختلفة ، وهى تحتوى على موضوعات متعددة منها ما هو طبى وسحرى وغيرها ، راجع : James , An Introduction to Ancient Egypt , p . 96 , 98 , 99 , 105 , 106 , 108 , 109 , 126 , 276 .

وأوقاف المعبودات الأخرى ، وقد كان يخصص جزء كبير من المخصصات التى تأتى من الخارج لدور عبادة آمون من مواد خام ، وكذلك أفراد من أسرى الحروب ، والعبيد الذين جئ بهم من بلاد الشرق القديم ، ووافقت على هذه الدور الكثير من الأراضى الخصبة ، وكان يقوم على زراعتها جمع كبير من عبيد الأرض وكان لآمون مزارع للكروم وحدائق وقطعان من الماشية مختلفة إنعامها ، وكان لمعابد امون مخازن للغلال وأساطيل من المراكب تضم سفنا بحرية تمخر عباب البحر إلى سوريا وإلى شواطئ البحر الأحمر .(١)

لقد كان كبار كهنة آمون يستولون على جزء كبير من دخول دور العبادة التى تأتى من الضياع وغيرها ، وكان كبير الكهان هو رئيس كهنة آمون ، وكانت هذه تتكون من طبقة أول من الكهنة ، ثم يأتى بعد ذلك الكهنة من المرتبة الثانية والثالثة والرابعة لآمون . أما الكهنة العاديين فكانوا المطهرين كما كان يوجد بعض أفراد من الكهنة لهم صفات أخرى ، مثل كهنة التلاوة وكهنة متخصصون فى الكتابات المقدسة وكهنة لمعرفة الوقت وحملة القارب المقدس وحملة المباخر ورؤساء حملة المباخر والمغنيون والموسيقيون .

وفيما عدا الوظائف الكبرى يقسم موظفو المعبد إلى أربع فرق ، تعمل كل واحدة منها مرة لمدة شهر ، وفى نهاية المدة الخاصة بها تقوم بتحويل مسئوليات المعبد إلى الفرقة التالية لها . أما السيدات فكن يعملن فى المعبد كمغنيات وفى مرتبة الكاهنات اللاتى يسمين " حريم أو زوجة المعبود " .

وكان الملك هو الذى يقوم بتعيين الكهنة أو عزلهم وذلك من الكاهن الأكبر إلى أقل مرتبة كهنوتية ، ويمكن للكاهن أن يصل إلى وظيفة عن طريق الوراثة ، أو الانتخاب أو الشراء .(٢)

وكان الوزير هو رأس الجهاز الإدارى ، وهو الشخص المماثل فى المقام

---

(١) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٦٦٤ – ٦٦٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٦٥ – ٦٦٦ .

والدرجة إلى حد ما للملك ، وقد كانت أعمال الوزير كثيرة ومتشعبة فهو يشرف على كل فرع من فروع الإدارة وقسمت أعباء هذه الوظيفة بين أثنين ، فكان هناك وزير للجنوب ، وقد كان مكتبه فى العاصمة طيبة ، ويشرف على إدارة الممتلكات من أقصى الجنوب إلى الشمال حتى القوصية ، وعين وزير اخر للشمال ، كان يقيم أما فى منف أو أيونو [١] وتمتد دائرة اختصاصه من مصر الوسطى حتى شمال الدلتا وسواحلها .

والوظيفة الأصلية للوزيرين هى حكم مصر وفقا لرغبات الملك ، وليخبرا الملك عن الأحوال السائدة فى الأقاليم ، ويبدأ الوزير عمله اليومى يتلقى التعليمات بنفسه من الملك ، وكذلك تبادل التقارير مع حامل الخاتم الملكى ومن بين واجباته هى مهر الوثائق القانونية ، والمحافظة فى مكتبه على سجلات الدولة القانونية والإدارية ، وفتح وغلق إدرات القصر الملكى وفى صحبته حامل الخاتم الملكى ، واستقبال السفراء ، والجزية الأجنبية ، ومراقبة المصانع أو الورش والمستودعات ، وضياع معبد أمون وارشاد البعثات الخاصة بالتعدين أو قطع الحجارة ، وإدارة المنشات المعمارية فى كل من طيبة ومنف .[٢]

وكان رؤساء المدن مسئولين رأسا أمام مكتب الوزير وكان سن الشرائع القانونية فى حكومة الدولة الحديثة من اختصاص الملك وحده ، وكان الملك هو الذى يقوم بتعيين رجال القضاء ، على اعتبار أنه هو القاضى الأعلى ، ويشرف على كل هذه الوظائف ، وكانت هناك الحاكم أو مجلس محققين يرأسه الوزير ، أما الشهادة فى المحكمة فقد كانت عادة قسم باسم بالمعبود أو بالملك ، غالبا ما كنت مصحوبة بتقرير عن العقوبات التى توقع فى حالة الحنث باليمين .[٣]

وتوجد مصالح أخرى تعمل تحت إشراف الوزير مباشرة ، ولو أن هذه

---

(١) المرجع السابق ، ص ٦٧٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٧٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٦٧٧ .

المصالح كانت خاضعة لرقابته العامة ، فقد كانت لها رؤساؤها ، وكان أهم هذه المصالح هى بيت المال أو الخزانة.

وكان من الواجب على كل طالب للوظائف الخاصة بالخدمة الملكية أن يكون على قدر من التعليم يؤهله لها ، وعلى ذلك فقد تخرج الكثير من صغار الموظفين من مدراس الكتبة ، وخصوصا تلك التى كانت قائمة فى طيبة ومنف [١] وكان على الطالب أن يعرف ويدرس طرفا غير قليل من الرياضيات ، مسك الدفاتر ، والهندسة العملية ، والرسم والمساحة والجغرافيا ، وقليل من علم الهندسة ، وقد كان على الطالب أن يستمر فى دراسته حتى بعد تخرجه من المدرسة والتحاقه بوظيفة صغرى فى واحد من مكاتب الإدارة الوطنية ، وقد كانت هذه الدراسات فى هذه المرحلة تحت إشراف من هو أعلا منه فى وظيفته .[٢]

وكان للظروف الحربية التى عاشتها الأسرة الثامنة عشرة أثرها فى ظهور طبقة من العسكريين أخذت تنمو وتثرى بما يجز له عليها الملوك من منح وهبات وأفضال كثيرة نتيجة أعمال البطولة التى كانوا يقدمونها فى المعارك الحربية من أجل الوطن وقد أكرمهم الملوك فكانوا يقدمون إليهم ما يسمى "ذهب الشجاعة أو المديح " وهى أوسمة ذهبية ، وأسلحة وذلك بالنسبة للضابط ، وإلى الرجال الذين أظهروا كانت توزع عليهم الغنائم من العبيد والأنعام والأسلحة والحلى والملابس والأمتعة التى استولوا عليها من العدو [٣] . وقد قسم الجيش إلى فرق مختلفة من مشاة ورماة وقوات المركبات واقتحام الحصون .[٤]

---

(١) المرجع السابق ، ص ٦٨٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٨١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٦٨٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٦٨٢ - ٦٨٣ .

الفصل الثالث

الأسرة التاسعة عشرة

(١٣١٤ - ١٣٠٠ ق.م)[١]

استمرار سياسة البناء في الداخل والاعتماد على القوة العسكرية في الخارج

أهم أعمال ملوكها :

لما كان الجيش المصرى يمثل القوة الضاربة بفضل إعداد وتنظيم كبار الملوك العسكريين فى عصر الأسرة الثامنة عشرة ، وأصبح من الآن فصاعدا قوة لا يُستهان بها فى الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين ، وليس من الغريب أن نرى الجيش يلعب من جديد دور كبيرا فى الحياة السياسية فى مصر فى الخارج وفى الداخل ، فالدور الذى قام به الجيش فيما سبق هو الذى أتاح لحور محب فرصة الاستيلاء على السلطة، ولما أصبح هذا الأخير رجلا مسنا ولم يترك ذرية من الأبناء لخلافته ، فقد ذكر فى رَجل عسكرى مثله لكى يتولى العرش من بعده ، وهو :

من بحتى رع – رعمسسو الأول (١٣١٤ – ١٣١٢ ق.م) : [٢]

عندما توفى حور محب فى عام ١٣١٤ ق.م ، دون أن يترك خليفة له ، آل العرش إلى شخص يدعى رعمسسو (أى رمسيس) الذى حذف من اسمه أداة التعريف فى اللغة المصرية القديمة ، وكان أصلا من تانيس فى شرق الدلتا ، وربما كان من ذوى القربى للملك المتوفى ، واختاره حور محب بنفسه لتولى السلطة دون أية صعوبة ، وكان من الضباط المقربين إلى حور محب وكان يحمل لقب وزير

---

(١) يعطى فون بكرات كتاريخ لهذه الأسرة : ١٣٢٠ أو ١٣٠٦ إلى ١٢٠٠ أو ١١٨٥ ق.م ، راجع : LAI , p . 970 .

(٢) عن هذا الملك ، راجع : Zivie , LA V , p . 100 – 108 .

وألقابا كهنوتية أخرى ، ويعمل فى السلك العسكرى ، وحمل الألقاب العسكرية نفسها التى كان يحملها حور محب نفسه ، فقد تدرج فى الوظائف العسكرية فعين قائدا لفريق الرماة وكان مقره قلعة ثارو فى شرق الدلتا وسماها الرومان – سيلة – وهى تقع الآن فى مكان ما عند مدينة القنطرة يعرف باسم " تل أبى صفية " .

وعندما تولى العرش كان متقدما فى السن ولكى يؤكد السلطة الملكية لخليفته أشرك على التو أبنه سيتى الأول معه فى الحكم .

وقد توفى رمسيس الأول بعد سنة أو سنتين من الحكم [١] . وترك تماثيل له تمثله على هيئة الكاتب الجالس فى الوضع المعروف للكتبة عند المصريين القدماء . وقد بسط على فخذيه قرطاسا من البردى ، وجاء ذكر أسمه على لوحة الأربعمائة العام التى كشف عنها فى تانيس . وعثر على تمثالين له فى الكرنك عام ١٩١٣ [٢] . وأقام قدس أقداس صغير فى ابيدوس أتمه ولده سيتى [٣] وعثر فى وادى حلفا على لوحة محفوظة الآن بمتحف اللوفر ومؤرخة بالعام الثانى من حكمه [٤] . وهو يتحدث فيها عن أقامة معبد فى بوهن وتقديمه القرابين للمعبود مين – أمون .

ويرى البعض أن حور محب هو الذى بدأ فى تشييد الصرح الثانى بالكرنك وأن رمسيس الأول أكمله وسجل عليه رمسيس الثانى اسمه وأضيفت إليه بعض الإضافات والمناظر فى عصر بطلميوس الثامن . ويبلغ طوله ١٨ مترا وارتفاعه ٢٩,٥ مترا وسمكه ١٤ مترا .[٥] كما ذكر اسم الملك رمسيس الأول على بعض

---

(١) يذكر مانيتون أنه حكم سنة واحدة وأربعة أشهر ، راجع : Gauthier , LRIII , p. 2-3 .

(٢) د. عبد الحميد زايد ، مصر الخالدة ، ص ٧٠٠ .

(٣) Winlock , The Temple of Ramses I at Abydos , p . 10 ؛ وقد نقل هذا المحراب إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، راجع : د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٧٠٠ .

(٤) PM VII , p . 129 .

(٥) د. سيد توفيق : تاريخ العمارة فى مصر القديمة : الأقصر ، ص ١٤٥ – ١٤٧ ؛ د. محمد عبد القادر : اثار الأقصر ، الجزء الأول ، معابد أمون ، ص ٤٨ – ٥٢ .

الآثار بالقرب من الصرح الثانى مما يؤكد بأنه كان أول من قام بتنفيذ بهو الأساطين العظيم بالكرنك .[١]

----

(١) وهو أعظم بهو ذى أساطين فى العالم ، وتبلغ مساحته نحو ٥٤٠٠ متر مربع وفيه مائة وأربعة وثلاثون اسطونا فى ستة عشر صفا ، منها أثنى عشر أسطونا فى صفين فى الوسط بساق أسطوانية وتاج على شكل زهرة بردى يانعة ، ويبلغ ارتفاع كل أسطون بغير القاعدة ١٩,٢٥ مترا ، وقطره نحو ثلاثة أمتار ونصف ، ومحيطة أكثر من عشرة أمتار . ويبلغ ارتفاع الأساطين الجانبية وعددها مائة واثنان وعشرون اسطونا نحو ١٤,٧٥ مترا بغير القاعدة ، ويقرب محيط كل اسطون من ثمانية أمتار ونصف وساقه اسطوانية مخنوقة فى أسفلها ، وتاجه على شكل براعم البردى .

ويقال أن المصريين استخدموا لبناء هذه الأساطين جسورا حول البناء من الطين واللبن لتكون أشبه برصيف لتيسير وضع الأحجار فى إمكانها من البناء ، راجع : د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٢١ – ٢٢٥ ؛ د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ١٩٨١ ، ص ٣٤٠ .

وكانت مياه الفيضان تغمر معبد الكرنك سنويا . لذلك قامت مصلحة الآثار بحفر مصرف ضخم يبلغ طوله بضعة كيلو مترات حول السور الخارجى لمعبد الكرنك للتجمع فيه المياه وبعد ذلك تسحب بواسطة ماكينات الصرف . وفى عام ١٨٨٧ قام المهندس الفرنسى لجران الذى كان يشرف على أعمال الترميم بالكرنك بإغراق بهو الأساطين بمياه الفيضان لإذابة الأملاح التى ظهرت على الجدران والأعمدة . وكان من الطبيعى أن تؤثر هذه العملية على أساسات البهو فتهدمت فيه ستة عشر عمودا وانهار الصرحين الثانى والثالث . ونجحت مصلحة الآثار فى إعادة ترميم ما تبقى من الأعمدة والصرحين ، راجع : د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ١٤٦ – ١٤٧ .وعن مناظر البهو راجع : ص ١٤٧ – ١٥٠ ؛ د. محمد عبد القادر : آثار الأقصر ، ص ٥٠ .

وحفر لنفسه مقبرة في وادى الملوك بسيطة في تصميمها وتحمل الأن رقم ١٦ . وهى لم تكن معدة عند وفاته ، وانتهى منها بسرعة لدفن الملك فى حجرة لم تكن إلا قاعة ثانوية لحجرة الدفن زينت بمناظر رحلة الشمس أثناء الليل فى العالم السفلى والتى تعبر عن انتصار النور على الظلام والبعث المتجدد لمعبود الشمس . وقد وضع التابوت فى وسط الحجرة وهو من الجرانيت ، وقد لونت نقوشه بدلا من أن تنحت ، ثم عبث بمحتويات هذه المقبرة ولهذا نقلت المومياء إلى مقبرة الملكة انحابى ثم إلى خبيئة الدير البحرى .(١)

وكان لرمسيس الأول زوجة تدعى سات رع مجهولة النسب (٢) ، وقد عاشت من بعده ، ودفنت حين وفاتها فى جزء من صحراء طيبة فى وادى الملوك ، الذى لم يكن يستخدم حتى ذلك الوقت كمكان للدفن ، وسوف نراه يصبح فيما بعد جبانة الملكات والأميرات الشهيرات .

ومن أهم رجال عصره والذى عاش أيضا حتى عصر الملك سيتى الأول ، أمن – ام – اوبت المشرف الكبير فى البلاط وصاحب المقبرة رقم ٤١ .

من ماعت رع (٣) سيتى الأول – مرى إن بتاح (١٣١٢ – ١٢٩٨ ق.م) : (٤)

تولى سيتى العرش ، وقد تجاوز سن الأربعين من عمره ، وعمل مثل أبيه ، مثل حور محب فى السلك العسكرى ، وجاء ذكر وظائفه التى تقلدها على لوحة الأربعمائة العام ، فقد كان يحمل لقب " رئيس الرماة ، ومشرفا على الحرس فى

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٧٠١ .

(٢) Decker , LA V , p . 493 – 494 .

(٣) ويسمى أيضا : من ماعت رع – حقا واست ؛ من ماعت رع – حقا ايون ؛ من ماعت – رع – حقا ماعت ؛ من ماعت رع – ستب ان رع ؛ من ماعت رع تيت رع ، راجع :. Gauthier , LR III , p . 10-15

(٤) عن هذا الملك ، راجع : Stadelmann , LA V , p . 911- 917

قلاع ثارو " وكان أحد القواد الذين قضوا على النظام الدينى وضعه إخناتون .[١]

وكان وزيرا واشترك مع رمسيس الأول فى الحكم لذلك تولى السلطة تلقائيا [٢] ، وأصبح هذا العاهل من بعده وفاة أبيه الملك الوحيد .[٣]

وبفضله عرفت مصر من جديد فترة من المجد ، لكن دون أن تصل إلى درجة التوسع التى وصلت إليها فى عصر تحوتمس الثالث ، ويعد عهده فاتحة عهد جديد لذلك نجده يستخدم فى نقوشه عبارة " باعث (حرفيا مجدد) الميلاد " .[٤]

ومن الملاحظ أن اسم سيتى يعنى " المنسوب إلى المعبود ست " إلا انه لم يكن معاديا للمعبودات الأخرى بل على العكس نجد انه أضاف إلى لقبه اسم معبود اخر هو بتاح ونجد أيضا انه عندما شيد معبدا للمعبود أوزير فى العرابة المدفونة أبعد رسم حيوان ست المقدس فى حجرات أوزير تقديرا له.[٥]

وقد أراد بذلك أن يظهر للناس مدى ولائه لأوزير ، بل أحب المعبود أوزير ، ولم يحاول أن يغير اسمه الشخصى [٦] حتى أنه أصدر مرسوما نقش على أحد الصخور فى بلاد النوبة يقضى بحماية مخصصات الأوقاف فى منطقة نورى والموقفة لصالح المنشآت الدينية والمعابد فى ابيدوس [٧] وأصدر تحذيرا إلى كل من

---

(١) Posener , Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, p . 244.

(٢) Vercoutter, L'Egypte Ancienne, p . 89 .

(٣) Vercoutter , op . cit . , p . 90 ; Zivic , BIFAO 72 (1972) , p . 112-114 .

(٤) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٢٢١ ؛ د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٤٠ .

(٥) Maspero, The Struggle of the Nations, p . 370 .

(٦) ربما تسمى بهذا الاسم لقوة وعنف المعبود ست ، وربما أراد أن يحمل اسما لم يتسمى به الملوك من قبل .

(٧) Griffith , JEA 13 (1927),p. 193- 196.

يحاول أن يستولى على هذه المخصصات أو من يـهمل الخدمـة فـى معـابد تلـك المنطقة ، فإنه سوف يلقى عقابا شديدا ، ويذكر أنه قام بذلك لوالـده اوزيـر معبـود العرابة المدفونة ، وأصدر هذا المرسوم فى السنة الرابعة من حكمه . وأعـاد هـذا الملك اسم المعبود آمون فى كل مكان محى منه فى جميع أنحاء البـلاد فـى عـهد إخناتون ، وعمل كل ما فى وسعه وبكل الوسائل لى يعيد لـهذا المعبـود سـيطرته المطلقة على كل المعبودات الأخرى فى مصر .

وبعد مرور عامين من وفاة أبيه وصعوده على العرش أعاد سياسـة بسـط النفوذ المصرى فى آسيا ، واستعاد بعض النفوذ والسيطرة حتى جنوب سـوريا [١] . فقد حاول العابيرو إثارة الشعب واستغلوا فرصة تغيير الملك ، فأعلنوا ثورتهم ودفعوا ببدو الصحراء الشرقية الشاسو إلى الحدود المصرية ، واسـتولوا علـى الحصـون والحاميات المصرية التى تمتد بطول الطريق البرى مـن الحـدود المصريـة إلـى فلسطين ، ويقال أن البدو من الشاسو قد استولوا على ٢٣ مدينة محصنة على طـول الحدود الشرقية وجنوب فلسطين . وأن الذى قـام بتحريضـهم هـو مواتلـى ملـك الحيثيين [٢] فخرج إليهم فى السنة الأولى من حكمه على رأس جيش كبـير وقضـى على هذه الثورة واستعاد الحاميات وتغلغل فى فلسطين ، وقد حاول السكان المدفوعين بواسطة الحيثيين إلى الوقوف ضد المصريين ولكن سيتى نجح فى هزيمة المتحـالفين قبل أن يتوافر لديهم الوقت الكافى للترابط فيما بينهم . ونقشت أخبار هذه الحملة علـى الجدران الخارجية لبهو الأساطين العظيم فى الكرنك .[٣]

ويبدو أنه خرج من بلدة ثارو (سيله) واتجه حتى وسط صحراء سيناء وقام

---

(١) Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne , p . 266وأيضا : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .

(٢) Lalouette , L'Empire des Ramsès , Paris (1985), p . 90-92 .

(٣) د. احمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٩٨١ ، ص ٣٤٠ ؛ Breasted , AR III (101) .

بإعداد حصون صغيرة لحماية آبار المياه [١] ، ثم تقدم حتى مدينة كنعان وهى مدينة غزة الفلسطينية ثم قام بهزيمة الشاسو الثوار ، ووصل بعد ذلك إلى لبنان حيث نشاهد الأمراء وهم يقومون بقطع أشجار الأرز ونلمس فى مجموعة كبيرة من النقوش التى تغطى الجدران الخارجية لبهو الأساطين العظيم فى الكرنك كيف نجح فنانو العصر فى أن يظهروا مهارتهم بمعالجة مساحات كبرى للحروب ، تشمل مثلا مئات الأشخاص وبدأوا يتعودون على مثل هذه الأنواع من المناظر .

وعثر على لوحات صغيرة فى قادش [٢] وفى تل شهاب [٣] ذكر على كل منها اسم سيتى الأول وعثر فى بيت شان (بيسان) على لوحة تؤكد وصول جيوشه إلى مدينة حماه .[٤]

وهكذا اصبح سيتى أول سيدا للموقف فى فلسطين ، وتقدم نحو سوريا ووصل إلى مرتفعات صور وأعاد لمصر مرة أخرى نفوذها فى غرب آسيا وسوريا العليا . وبذلك حققت الجيوش المصرية النصر فى المناطق التى تقع شمال لبنان . وقد تحقق كل ذلك خلال أربع حملات ، وحاول الحيثيون الحد من تقدم الجيش المصرى بعض الوقت وكانوا على قدر كبير من القوة وقد تركزوا فى بوغاز كوى فى شرق انقره ، ولكن دون جدوى ، وأصبح الهجوم الذى قام به سيتى ضد قوات الحيثيين المتقدمة – حدثا ذا أهمية كبرى – لذلك عند عودته إلى مصر ، كان فى انتظاره الكثير من الاحتفالات الكبرى ، وأصبح كل شخص سعيدا أن يرى أن ذكرى الكوارث التى حلت بنفوذ مصر فى آسيا فى عصر إخناتون قد بدأت تختفى وتمحى ، ويرى مصر من جديد قوية تقارب قوتها إلى حد ما فى الفترة الأولى من الأسرة

---

(١) Gardiner , JEA 6 (1920) , p . 99-107 .

(٢) PM VII , p . 392 .

(٣) PM VII , p . 383 .

(٤) Grdseloff , Une Stèle Scythepolitaine du Roi Sethos I er , le Caire (1949),p. 13-21 .

الثامنة عشرة . ورغم أن الحدود الغربية لمصر من ناحية ليبيا كـانت دائمـا تمتـاز بالهدوء منذ الدولة القديمة ، إلا أنها فجأة أصبحت تمثل خطرا كبيرا ، فنجد أن قبـائل آرية انتشرت فى كل جنوب أوروبا ، ونجحت فى عبور البحر المتوسط ، وجـاءت لكى تستقر فى ليبيا . وبدأت هذه القبائل فى محاولة للتسلل إلى مصر بحثا عن أمـاكن استقرار فى أرض مصر الخصبة ، وخاصة وأن أراضى الواحات فـى الصحـراء الغربية كانت معروفة من القدم بوفرة مراعيها وانعامها (١) . ويبدو أنه كان ضمـن هذه الجماعات قبائل التحنو والماشواش ونجح سيتى الأول فى محاصرتـها بسـهولة كبيرة دون أية مقاومة ولكنه لم يقضى على الخطر كلية – وبقيت جذوره – وسـوف يسبب هذا الخطر الكثير من المتاعب لخلفائه . ويرجح أن هذه الحملة على ليبيا كانت فى العام الثانى من حكمه أيضا . وقد جاء ذكرها فى نقوش معبد الكرنك .(٢)

وبعد حالة من الهدوء على الحدود الليبية ، أتجه سيتى مرة أخرى نحو آسـيا لكى يتابع حملته الأولى التى طرد فيها الشاسو وأخضع فلسطين وكنعان ، ولا نعـرف تفاصيل هذه الحملة الأخيرة ، لأن نصوصها على جدران معبد الكرنك قـد ضـاعت معالمها ، وقد عثر على تمثال له على هيئة أبى الهول فى معبده الجنـائزى بمنطقـة شيخ عبد القرنة ذكر عليه معظم البلاد التى أخضعها فى فلسطين وفى آسـيا وهـى حوالى ستة عشر بلدا (منازل أصحاب الأقواس ثم بلاد خيتا وبلاد نـهرين وارسـا وعكا وسامرا وبمرا وبيت شائيل وينعم وكمهم واواوزا وكمة وصيدا واوثـو وبيـت عنة وقراميم)(٣) وربما قد وصل فى هذه الحملة الثانية حتى قادش ، وتذكر نصـوص

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٨٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٨ ؛ د. أحمد فخرى : المرجـع السـابق ، ص ٣٤١ ؛ Lalouette , L'Empire des Ramsès , p . 96 .

(٣) Breasted, ARIII (101); Drioton-Vandier, L'Egypte (éd. 1946),p.404 ؛ د. عبد العزيز صـالح : المرجـع السـابق ، ص ٢٢٨ وأيضـا د. أحمـد فخـرى : المرجـع السـابق ، ص ٣٤٠ – ٣٤١ ؛ د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٧١٠ .

تمثاله انه استولى على سامرا وبلاد آمور ، وفى حملة ثالثة وصل فيها إلى وادى نهر العاصى كما يتضح من نصوص معبد الكرنك أنه كان يحارب فى قادش ضد الحيثيين ، وإذا كان سيتى قد نجح فى هزيمة الحيثيين بالقرب من قادش إلا إن الصراع لم يحقق نتائج هامة لأنه لم ينجح فى استعادة شمال سوريا ، ويبدو أن الحيثيين قد تراجعوا (١) وفى حملة رابعة عاد مرة أخرى إلى آسيا وتقابل مرة ثانية مع الحيثيين شمال قادش وربما وقع فى هذه المرة معاهدة مع ملك الحيثيين ولكن لم تصلنا نصوصها (٢) وليس لدينا أية تفاصيل عن المعركة التى دارت بين المصريين وقوات موالى ملك الحيثيين ، وإنما تذكر أن سيتى عاد منتصرا من هذه الحملة . وعثر على لوحة عام ١٩٧٠ بالقرب من الحائط الخارجى لجزيرة ساى بين الجندلين الثانى والثالث ، وهى مؤرخة بالعام الثامن من حكم الملك سيتى الأول ، ويقص علينا النص أنه أثناء وجود الملك فى مدينة طيبة، يؤدى الطقوس الدينية لأبيه آمون ، جاء من يخبره أن الأعداء من بلاد أرم فى الجنوب يزعمون القيام بتمرد .وخشى الملك أن ينتهك الأعداء الحدود الجنوبية ، فخرج إليهم بالمشاة والعربات الحربية وقضى عليهم ولم يبق منهم أحدا.(٣)

عرف سيتى الدول باهتمامه المفرط بتشييد المعابد ، فقد شيد معبدا فخما فى ابيدوس مخصصا للمعبود اوزير وإلى أرواح الملوك القدماء الذين دفنوا فى الجبانة الملكية المجاورة ، ويعد من أجمل المعابد المصرية ، وهدمت البوابة الأولى وكذلك الشرفة التى زينت بمناظر حروب رمسيس الثانى ، ويمتاز هذا المعبد بوجود سبعة هياكل أو مقاصير للمعبود حورس ، إيزيس ، اوزير ، آمون رع ، حور أختى ، بتاح ثم هيكل لتقديس الملك شخصيا ،(٤) وتؤكد النقوش فى هذا المعبد أن المستوى الفنى

---

(١) د. احمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٤٢ .

(٢) Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique ,p.93; Faulkner , JEA 33(1947),p.34-39 . وأيضا د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٧١٢ .

(٣) Lalouette, op. cit . ,P. 97-98 ,484-485n.36,39 .

(٤) Von Beckerath , LAI ,p.36 – 39 .

فى هذه الفترة كان متقدما ، وزار استرابون هذا المعبد وأعجب بما فيه (١) . وأمر الملك بنحت معبد الرديسية والذى يسمى أيضا معبد وادى عباد شرقى إدفو فى الطريق المؤدى إلى مناجم الذهب القريبة من البحر الأحمر . وهو معبد منحوت فى الصخر . واجهته مبنية من الحجر وتستند على واجهة الصخر وترتكز على أربعة أعمدة ، ونقوشه الخارجية من عمل رمسيس الرابع . أما الواجهة الداخلية فقد زينها سيتى الأول . وبالمعبد قاعة كبرى يرتكز سقفها على أربعة أعمدة نحتت فى الصخر . وقد زخرفت الحوائط والعمدة بمناظر تمثل سيتى الأول يقدم للمعبودات مين آمون وحور بحدتى ونخبت وثالوث طيبة وآتوم وحور أختى وبتاح وغيرها من المعبودات(٢) . وأمر أيضا بحفر بهذه البئر فى العام التاسع من حكمه ، وترك لنا نقش يقول فيه :

" وقف (أى الملك) فى الطريق ليشاور قلبه وقال : ما أقسى العمل فى طريق بلا ماء ، كيف يقتات الرحالة ؟ بدون شك أن حلوقهم ستجف ، ما الذى سيطفئ ظمأهم ؟ أن أرض الوطن بعيدة ، والصحراء واسعة ... ولكننى سوف أفكر فى إسعادهم ، وأصنع لهم الوسائل للحفاظ عليهم أحياء "(٣) . وانشأ مكانا للراحة أو للإقامة بالقرب منه ، وكان الذهب المستخرج من هذه المنطقة مخصصا لمنشآت سيتى الأول فى العرابة المدفونة .

والنقوش الخارجية لهذا المعبد من عمل رمسيس الرابع . وفى الكرنك ساهم فى بناء بهو الأساطين العظيم الذى بدأ فيه بعد نهاية ثورة إخناتون وقد زينت جدران هذا البهو بكثرة تحت حكم سيتى بمناظر طقوس جنائزية ومناظر تشير إلى انتصار الملك على البدو والليبيين والأموريين والحيثيين بالقرب من قادش . وتعد هذه الصالة

---

(١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٢٩ – ٢٣٣ .

(٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٦٢ ، ٢٣٢ ؛ د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٧١٣ – ٧١٤ ؛ Gunn – Gardiner , JEA 4 (1917),p.241 .

(٣) ترجمة د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٧٠٦ .

أكبر قاعة أعمدة معروفة في كل المعابد المصرية القديمة ، كما ذكرنا من قبل [١] . وقد استحدث الفنانون في عهد سيتى الأول أمرا جديدا وهو رسم المعارك الحربية مفصلة وفى حجم كبير على جدران المعابد [٢] . ويبدو أنه كان يرافق الملك في حملاته بعض الكتبة والفنانين الذين يقومون بتسجيل أحداث المعارك التى يخوضها الملك بكل تفاصيلها ، ثم يعودون ومعهم ما سجلوه على أوراق البردى لكى يأمر الملك بنقشه على جدران المعابد الداخلية والخارجية وعلى جدران الصروح الخارجية . ولابد أنه كان هناك ما يسمى بالأرشيف العسكرى تحفظ فيه مثل هذه البرديات التى تعد بمثابة تقارير حربية حررها بعض الكتبة الكبار .

وشيد الملك معبده الشهير في القرنة[٣] وفى بداية وادى الملوك ، حتى تؤدى فيه الطقوس لروحه ولروح أبيه ،وعثر على آثار باسمه فى سيناء تدل على استغلاله لمناجم النحاس هناك ، وآثار أخرى فى قنطير وتانيس وترك فى إيونو مسلة نقلت إلى روما [٤] وترك فى الجيزة بجوار أبى الهول لوحة من الحجر الجيرى أهداها إلى هذا المعبود . وفى كل من منف ، واصطبل عنتر ترك نقوشا ، وعثر من عهده على بردية محفوظة الآن فى متحف تورين وعليها أقدم خريطة، خاصة ببعض مناطق استخراج الذهب فى وادى الحمامات [٥] . فرسم عليها الجبال وطرق الوصول إلى

---

(١) راجع فيما سبق ، ص ٢١٧ حاشية (١) .

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٣٤٣ .

(٣) Vandier , Manuel d'Archéologie II , p . 696 .

(٤) Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne ,p.266.

(٥) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢٢ ؛ Goyon , ASAE 49 (1949),p.337- 392 .

قام جوندلاش بحصر ٨١ منجم من مناجم الذهب التى استغلها المصريون القدماء فى المناطق المختلفة فى الجنوب والشمال كما قام بحصر ٧٤ مصدرا من مصادر الذهب فى بلاد النوبة والسودان ، راجع : Gundlach, LA II , p . 740 – 749

المناجم ومناطق التعدين والمبانى التى يأوى إليها العمال. وبــذل علمــاء الدراســات المصرية جهودا لمعرفة المواقع التى مثلت على هذه البردية . وقد تم تحديد بعــــض المواقع فى بئر أم الفواخير بناحية وادى الحمامات .

وقد أرسل الكثير من الفنانين لإعداد الأحجار بكميات وفيرة فـــى المحــاجر المختلفة [١]، ولأستخرج الأحجار الثمينة اللازمة لتزين معابد المعبودات . وكما يميلل بعض المؤرخين إلى الاعتقاد بان هؤلاء الرجال كانوا يعملون بالسخرة فى ظـــروف صعبة . نقول أن لدينا نصا من هذا العصر نفسه يحدثنا كيف كان هؤلاء العمال محل عناية ورعاية :

" فكل واحد منهم كان له نصيب يومـــى مــن الخـبز ، وحزمتيــن مــن الخضروات واللحوم المشوية ، وكل خمسة عشر يوما يصرف لكل واحد منـــهم رداء جديد نظيف "[٢] . وتوفى سيتى الأول فى حوالى عام ١٢٩٨ ق.م .

وفى وادى الملوك حفر سيتى لنفسه مقبرة ضخمة ، كشف عنـــها بلزونـــى Belzoni عام ١٨١٧ وتعد من أجمل مقابر وادى الملوك وتحمـــل الآن رقـــم ١٧ ، وبها العديد من الدهاليز والحجرات والقاعات ويبلغ عمقها فى الصخر حوالـــى مائـــة مترا . كان التابوت الداخلى من المرمر يحتوى على مومياء الملك [٣] . ويجـــد الآن بمتحف سوان فى لندن .

وقد انتزعت مومياء الملك من تابوته وعثر عليها فى خبيئة الدير البحـــرى فى عام ١٨٨١ وهى الآن بالمتحف المصرى .

وكان لسيتى الأول معبد صغير فى الشمال من الرمسيوم بناه قبل أن يبنـــى

---

(١) Habachi , BIFAO 73 (1973),p. 113 – 125 ؛ د. عبـــد العزيـــز صالح : المرجع السابق ، ص٢٢٢ .

(٢) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne ,p . 155 .

(٣) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٠٣ شـــكل ١٧٩ ب ؛ د. صبحى بكرى : دليل اثار الأقصر ، ص ٦٣ – ٦٨ .

معبده الجنائزى فى القرنة ، ويتألف هذا الأخير من قسمين ، ويحتوى علـــى ثـلاث مقصورات ، يظن أنها كانت لتقديس رمسيس الأول وأمـــون رع وســيتى الأول[١] . وكان للمعبد الجنائزى فى القرنة صرحان من وراء كل منهما فناء كبير وفى المؤخرة ثلاثة مداخل رئيسية تؤدى إلى أقسام المعبد الثلاثة . والتى كانت مخصصـــة لعبـادة آمون رع ورع حور آختى ورمسيس الأول وسيتى الأول .[٢]

واندثر قصر سيتى الأول سواء أكان فى شرق أو غرب طيبة ، وكشف عن بقايا قصر له فى قنطير جنوب تانيس .[٣]

ومن رجال عصره و سرحات صاحب المقبرة رقم ٥١ الذى كـــان كاهنـــا لروح الملك تحوتمس الأول وعاش حتى عصر الملك رمسيس الثانى . وباسر حـــاكم المدينة والوزير وصاحب المقبرة ١٠٦ . وباشد الرسام فى مكان العدالة (رقـم ٣٢٣) وحوى رئيس النجارين فى مكان العدالة (رقم ٣٦١) .[٤]

وفى ابيدوس أقام سيتى الأول قبرا تذكاريا خلف معبده يعد مـــن الأعمـــال الفريدة فى العمارة المصرية .وكانت تحيط به الأشجار ، ويشتمل على دهليز منحـــدر يبلغ طوله نحو ١١٠ مترا . ويؤدى الدهليز إلى ردهة مستعرضة ثم إلى بهو يتوسطه مسطح مرتفع ، يؤدى إليه درجان متقابلان ، وتحيط به قناة ، كأنه بذلك جزيرة وسط الماء . ومن وراء البهو قاعة كبيرة ، وهى أشبه بتابوت ضخم ، وسقفها أحـــدب ولا يزال يحتفظ بمناظره الدينية الرائعة ، وقد وصفه سترابون .[٥]

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤١٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤١٧ – ٤١٨ شكل ١٨٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

(٤) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٦٤ ، ٣٦٨ ، ٣٨٣ ، ٣٨٦ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٠٥ – ٤٠٦ شكل ١٨٢ .

وسر ماعت رع ستب إن رع [١] – رعمسســــو الثــانى مـــرى آمـــون (١٢٩٠–١٢٢٣ق.م) : [٢]

عندما تولى سيتى الأول ، تلوى السلطة فى الحال ، أحد أبنائه الصغـــــار – الأمير رعمسسو – الذى لم يكن يبلغ من العمر سوى ست عشرة ســـنة ، ويبـــدو أن رعمسسو (أى رمسيس الثانى) قد بدأ حكمه كشــــريك لأبيـــه ســـيتى الأول علـــى العرش ، وذلك لمدة تزيد عن ثلاث سنوات على الأقل ، ويبدو أنه كان هناك نوع من تقسيم الأعباء والمسئولية ، فقد تولى سيتى الأول الشئون الخارجية وعلى الأخص فى اسيا التى اقم فيها بعدة حملات ، أما الشئون الداخلية فى مصر وفى بلاد النوبة فقـــد كانت فى يد الملك الصغير رمسيس الثانى [٣] . وعلى الرغـــم مـــن عدمـــك توافـــق التواريخ فى المصادر المصرية مع وثائق بلاد النهرين فإن بعضــــا منـــهم يـــرى أن تاريخ ارتقاء رمسيس الثانى العرش هو عام ١٢٩٠ ق.م.[٤]

وتعد لوحة كوبان التى تقع على الشاطئ الشرقى للنيل على بعـــد ١٠٨ كـــم من أسوان مصدرا هاما لأوجه نشاط رمسيس الثانى المختلفة أثناء اشتراكه فى الحكم مع والده ومساهمته فى كل المشاريع الملكية،ويسجل هذا النص اهتمامه بمناجم الذهب

---

(١) ويسمى أيضا : وسر ماعت رع – تيت رع ، وسرماعت رع – حقاواســـت ، وسرماعت رع – اوع رع، راجع: . Gauthier , LR III ,p. 33 – 35

(٢) عن هذا الملك ، راجع : . Krauss , LAV , p . 108-114

(٣) Schmidt , Ramesses II , A chronogical Structure for his Reign (1973) , p . 166 ; Desroches – Noblecourt , Ramsès le Grand , Paris (1976), p . XX (introd); kitchen , Ramsès II , le Pharaon triomphant , p . 293 .

(٤) Schmidt ,op . cit . ; Kitchen,CdE 43 (1968),p. 322 – 324 . p.13, يعطى د. احمد فخرى : المرجـــع الســـابق ، ص ٣٤٤ ، تـــاريخ رمسيس من ١٢٩٠ إلى ١٢٢٣ ق.م .

فى وادى العلاقى [١] وحفره لبئر فى أرض اكيتا حيث كشف عن الذهب بكميات كبيرة .

وهكذا تولى رمسيس الثانى بطريقة شرعية عرش أبيه ، وكانت أمه الزوجة الشرعية لأبيه ، الملكة توى التى كانت تنتمى منذ نشأتها إلى العائلة الملكية وكان الأمير الصغير ، نشطا ومملوءا بالثقة بالنفس ولديه الكثير من الطموح ، وقد أبعد أخوته الكبار عن طريقه بمساعدة مجموعة قوية من رجال البلاط ، ونجح فى إعلان نفسه ملكا تحت اسم – وسرماعت رع – وظل يؤكد على مدى سنوات حكمه ، إن والده قد أهله منذ الصغر لكى يتولى العرش ، وكان يشغل وظيفة قائد الجيش وهو فى سن السادسة عشرة ، وكان مستشارا فيما يخص أعمال الدولة حتى قبل أن يبلغ سن السادسة عشرة ولكن ليس لنا أن نعتقد فى صحة كل هذا ، ربما كان هذا نوعا من المبالغة المقبولة أو المتفق عليها .

كان الموقف فى آسيا حينذاك خطيرا للغاية ، فقد اخذت قوة الحيثيين فى النمو شيئا فشيئا خلال الفترات السابقة ، واخذ مواتلى ملك الحيثيين [٢] ، يتقدم نحو الجنوب – تجاه قادش – المدينة الشهيرة منذ حروب تحوتمس الأول والتى تقع على الشاطئ الغربى لنهر العاصى على بعد ١٥٠ كم من دمشق [٣] . وكانت قوة الحيثيين تعادل ضعف قوة الجيش المصرى فى العدد والعتاد .

وسخر مواتلى معظم إمكانيات مملكته لهذه الحروب . وجمع حوله جيوشا تنتمى إلى ما يقل عن عشرين طائفة وجنسية . ولابد انه إستعان بجماعات أخرى

---

(١) chmidt , op . cit . ,p.26 – 27 . مواتلى هو ابن مورسيل الثانى ، عن مواتلى ، راجع : Spalinger,LAIV , p . 272 – 273 وعن أبيه ، راجع : Id .,op . cit . IV ,p.224-225 .

(٢) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne ,p. 155; lalouette , L'Empire des Ramsès, p . 118 – 123 .

(٣) د. عبد صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ؛ ١٩٧٩ ، ص ٢٢٦ ؛ lalouette , op . cit .,p.115 .

من قبائل بدو الصحراء في سيناء .

وكان لابد أن تتصارع القوتان لبسط النفوذ على سوريا وكان الحيثيون يسعون إلى هذا الصراع أكثر من مصر ، وقبل رمسيس الثانى التحدى .

قام بالحملة الأولى فى السنة الرابعة من حكمه وعبر فيها فلسطين حتى نهر الكلب على بعد قريب من بيروت حيث أقام هناك لوحة تذكارية (١) . وفى خريف العام الخامس من حكمه عام ١٢٩٣ ق.م قام بحملته الشهيرة ضد مواتلى بقصد السيطرة على سوريا ، ونقشت أخبار هذه الحملة التى عرفت بموقعة قادش على العديد من جدران المعابد : فى الكرنك على الحائط الخارجي لبهو الأساطين العظيم (٢) . وعلى الحائط الخارجي بين الصرحين التاسع والعاشر فى المعبد نفسه ، وعلى الصرح الأول فى معبد الأقصر ، وعلى الصرح الثانى من معبد الرمسيوم ، وعلى الجدار الأيمن لبهو العمدة فى معبد أبى سمبل ، وقد ثور لنا الفنان بعض مراحل من موقعة قادش فى مساحة شاسعة ، نرى فيها رمسيس وهو يعقد مجلسا حربيا ينهى فيه أوامره لقواده ، أو وهو فى مركبته الحربية يخترق بها مركبات الأعداء (٣) ومنها ما يصور معسكرات وصفوف الجيش المصرى . وذكرت هذه المعركة على ثلاث برديات : بردية ريفا وبردية ساليه وبردية قصائد بنتاؤرة ، لأن كاتبها قام بتدوينها من أصل كان موجودا فى وقتها . وقد أقتسم متحف اللوفر والمتحف البريطانى بقايا البردية التى كتبت عليها قصائد بنتاؤرة (٤). ولم يعثر على

---

(١) PM VII ,p . 385 .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢٩ – ٢٣٢ ؛ د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ص ٣٤٦ – ٣٥٠ ؛ Gaballa , JEA 55(1969) ,p . 82 – 88 .

(٣) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٤٣ .

(٤) Kuentz,la Bataille de Qadech ,MIFAO 55(1928),p.14 ؛ نقشت هذه القصائد أيضا على جدران عدة معابد فى الأقصر وفى الرمسيوم وفى الكرنك وفى ابيدوس ، راجع : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٥٠ .

هذه البردية فى معبد الكرنك وعثر عليها فى مقصورة بابى سمبل ، وتوجد نسخ من هذه القصائد فى الكرنك وفى الأقصر وأبيدوس والرمسيوم أيضا .

خرج رمسيس من قلعة ثارو وبعد مضى شهر وصل على بعد بضعة كيلو متر من معاقل مدينة قادش (تل نبى مند)[١] ، وتقع فى الزاوية التى تتكون من المصب الشمالى لنهر العاصى ورافد ياتى من الغرب وهو ما يسمى بالموقادية .[٢]

وكان جيشه يتكون من أربع فرق : آمون ، رع ، ست ، وبتاح كان يأمل فى الاستيلاء على المدينة ، وتقدم على رأس فيلق آمون وعلى بعد ما من قادش ، قبض على رجلين من بدو الشاسو ذكرا أنهما كانا مع ملك الحيثيين وأراد أن يخدعا الجيش المصرى ، وأخبرا الملك المصرى بأن جيش الحيثيين لا يزال بعيدا عن هذا المكان ، وقالا أيضا بأن جيش العدو يقوم بالانسحاب من أرض المعركة .[٣]

وفى الواقع أن هذين البدويين لم يكونا غير جاسوسين ، وعلى ذلك اندفع بكل سرعة بعرباته وقواته إلى الأمام ، تاركا وراءه معظم قوات الجيش الثقيلة . وحدث أن فاجأ العدو فيلق رع لأن مواتلى كان ينوى القضاء على الخطوط الخلفية للجيش المصرى ، وبعد أن عبر بسرية تامة، الشاطئ الشرقى لنهر العاصى، اتجه نحو الجنوب، على حين كان رمسيس يتقدم فى اتجاه الشمال بمحاذاة الشاطئ الغربى ، وعندما اقترب رمسيس من قادش مع قواته الأمامية قطعت عليه قوات العدو الطريق عن بقية قواته الثقيلة ، وكانت القوات الحيثية أكثر عددا وعتادا ، عندما عبرت نهر العاصى وكانت تحت قيادة شقيق ملك الحيثيين ، وهكذا أصبح هناك حائل بين رمسيس وقواته الثقيلة .

---

(١) عن قادش وموقعها ، راجع : . Kuschke , LAV , p . 27-31

(٢) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique ,p. 409 .

(٣) lalouette , L'Empire des Ramsès , p . 117 – 118 ؛ وأيضا : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٤٧ .

ولم يكن أمام القوات المصرية وقت كاف لكى يغيروا من خططهم أو يعودوا أدراجهم فقد كان العدو بينهم ، وانسحبت قوات المشاة بسرعة ، ووقعت عربات الملك الحربية مع بقية حرسه فى الشرك وأصبحت منعزلة تماما ، وهنا حدثت البلبلة والاضطراب فى صفوف الجيش المصرى . وكان على رمسيس الثانى أن يواجه جيوش العدو وحده وقد أوشك الحيثيون أن ينتصروا ، ودفعوا بالقوات المصرية نحو جبهة جديدة حيث كانت مهددة من الخلف بواسطة الحامية التى تقطن فى قادش . وهكذا أصبح رمسيس منعزلا فى اليسار بواسطة النهر ، وعلى قمة الجبال المواجهة له كان يوجد ملك الحيثيين يراقب مسار القتال .

كان رمسيس الثانى شابا صغيرا مليئا بالقوة والحيوية ، وكان عمره واحدا وعشرين عاما فقط ، وكان واقفا فى عربته وثابتا عليها ، متوجا بغطاء رأسه الملكى وزيه العسكرى ، وكان هدفا لأسهم العدو . وكانت فرصته الوحيدة للنجاة هو أن يتبع الطريق الذى يوازى النهر ، ويحاول أن يمهد له ثغرة بين صفوف الأعداء . ولم تكن العربات الحربية المصرية معدة لمثل هذا النوع من الصدام نظرا لخفة وزنها ، وهى لم تستخدم إلا للمناوشات أو تتبع خطوط العدو الخلفية بشكل خاطف وسريع . وكانت كل عربة لا تحتوى إلا على محارب واحد ، وكان يجر عربة رمسيس حصانان .

وتحدث الملك عن تفاصيل هذه المعركة فى النقوش التى حفرها على الصرح الأول من معبد الأقصر وكما يظهر من المناظر أنه كان وحيدا ، فقد أوثق القيود فى وسطه لكى يستطيع أن يستخدم سلاحه بيديه الاثنتين . وكان عبارة عن قوس واسهم وسيف مقوس ، وخنجر ، ولم يكن لديه أية درع واقية . وكان عرضه فى أية لحظة أن تلتف العربة حول نفسها ويسقط من عليها ، وكان عليه أن يكون مستعدا لقطع القيود بواسطة خنجره ، وعلى أية حال حاول بكل جهده التقدم والهجوم بقوة بعربته وتبعته بقية القوات وكان هجوما عنيفا وغير متوقع لدرجة أن القوات المصرية اخترقت صفوف العدو ، بعد أن قتلوا الكثير منهم، ومن بينهم شقيق ملك الحيثيين، ومن بين هؤلاء الذين دفعهم المصريون فى النهر كان ملك حلب الموالى للمصريين ، فكان على وشك الغرق ولكنه أنقذ فى اخر لحظة[١] وعندما عبر

---

(١) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne ,p. 157 .

رمسيس الضفة الأخرى وجد نفسه فى أرض مكشوفة وأمكنه أن يربط بين المشاة الذين فروا فى الهجوم الأول وعادوا لمؤازرته مرة أخرى على حين كان العداء ينقلون قتلاهم وجرحاهم ويقومون بالعناية ببعضهم .

وبينما كان الجزء الأكبر من الجيش المصرى قد وصل أرض المعركة مما شجع رمسيس على شن هجوم حاسم على صفوف الأعداء المضطربة إذ منع الملك مواتلى وقواته الحيثية الاحتياطية على شاطئ النهر من التقدم لمساعدة إخوانهم .

وأخيرا انتهت المعركة دون أن يحرز فريق منهما النصر الحاسم . وهنا تقص علينا بردية قصائد بنتاؤرة تفاصيل هذا الهجوم :

" عندئذ ظهر جلالته شبيها بأبيه المعبود مونتو[1] ، وأمسك بأسلحته ، وارتدى زيه الحربى ، مثل المعبود بعل فى ثورة عنيفة ، وكانت المركبة الحربية التى تحمل اسم " نصر فى طيبة " قد جاءت من اصطبل ملكى كبير . واندفع جلالته واخترق صفوف هؤلاء الحيثيين الجبناء . وكان وحيدا بالفعل ، ولم يكن معه أحد وعندما ألقى نظرة خلفه ، رأى أن آلفين وخمسمائة مركبة حربية قد سدت عليه كل مخرج ، مع كل محاربى بلاد الحيثيين التعساء وأيضا عددا من القوات من البلاد المتحالفة ... ولم يكن معى أى ضابط ، أو قائد مركبة ، أو أحد أفراد القوات ، فقوات مشاتى وفرسانى وقعوا ضحية لهروبهم ، ولم يمكث منهم أحد لكى يقاوم الحيثيين . (وناديت) أمون ، أبى ماذا يجرى أذن، انه لا ينسى فى ذلك الوقت ولده ، ماذا أنا فاعل بدونك ... إنها تفوق قوة سيد مصر ، كيف يسمح للبربر ان يدنسوا أرضه ، ما قيمة هؤلاء الآسيويين بالنسبة لك – آمون – إن هؤلاء التعساء لا يعرفون معبودا ، ألم أشيد لك العديد من الآثار ، ألم أملأ معبدك بأسراى ... أننى أناديك ، يا والدى أمون أننى وسط جحافل البربر لا أعرفهم ، أن (قوات) كل البلاد قد اتحدت ضدى وأنا وحيد بمفردى ، بدون أى مخلوق معى ، لقد تركنى معظم جنودى ولم يتجه أحد من فرسانى بنظره نحوى . وإذا ناديتهم ، لا يستطيع أحدهم أن يسمعنى ،

---

(١) عن هذا المعبود ، راجع : Borghouts , LAIV ,p . 200 – 204 .

ولهذا أناديك ، لأننى أعرف أن (قوة) آمون تفوق مليون جندى ... وإذا كنت هنا ، فإنه بناء على أمر شفتيك يا آمون ولم اشك فى مشيئتك ، ومن هنا ، من حدود بلاد البربر ، أننى أتوجه إليك بصلواتى ، أن صوتى يصل حتى أرمنت Hermonthis أننى أرى امون . أنه لبى ندائى انه يبسط يده نحوى ، انه معى ، الفرحة تتملكنى " أنه خلفى ، إلى الأمام أننى معك ، أنا والدك ، يدى معك أننى أكثر نفعا من مئات الألوف . أننى سيد القصر وأننى أحب الشجاعة (وهنا) تملكنى الشجاعة مرة أخرى . وأصبح قلبى سعيدا وكل الجهود قد كللت بالنجاح ، وأجدنى شبيها بمونتو وأطلق السهام على يمينى وأوثق الأسرى على يسارى ، أننى أمامهم مثل بعل فى ثورة غضبه " .[١]

وهكذا بفضل شجاعته الشخصية وبفضل مساعدة آمون المعنوية نجح رمسيس فى إن يخرج نفسه من المأزق ، وظهر فى السجلات الرسمية نوع من الشعر الخاص بالمديح الذى أصبح مشهورا تحت اسم " بنتاؤرة " . وجاء فى تلك الأشعار أن خطابا قد ورد من الحيثيين يعبرون عن إعجابهم بقوة الملك .ويطلبون وضع حد لتلك الحرب .[٢]

ومع مرور السنوات أدار مديح رجال البلاط رأس الملك ، لذلك غطى جدران معابده بالمناظر التى تمثل هذه المعركة والنقوش التى تصفها فى عبارات مبالغ فيها .وتقص الحوليات الرسمية :

" هاجم جلالته الحيثيين فى الوسط ، وكان وحيدا ولم يكن معه أحد ، وأحاطت به ألفان وخمسمائة مركبة حربية للعدو من كل جانب ولكنه قضى عليها بالجملة ، وقتل جميع أمراء البلاد المتحالفة مع الملك الحيثى ، وكذلك القواد الكبار لهذا الملك ، محطما مركباته الحربية ومشاته وجعلتهم يأكلون التراب واندفع كل منهم

---

(١) Kuentz , la Bataille de Qadech , p . 237 ; Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique ,p. 409 – 410 .

(٢) Kuentz , la Bataille de Qadech , p . 319 . ؛ وأيضا : د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ١٩٧٩ ، ص ٢٣٠ – ٢٣١ .

وراء الآخر فى مياه نهر العاصى " . وتتوالى الرواية بالتفصيل تدريجيا، وفى النهاية نجد الملك يكتب بضمير الشخص الأول المتكلم :

" لقد اندفعت نحوهم مثل معبود الحرب ، لقد قتلتهم ، وقضيت عليهم فى التو على حين يصبح أحدهم على الآخر : " أنه ليس بشرا ولكن معبودا قويا وما فعله ليس من فعل إنسان ، فلم يحدث على الطلاق أن هزم شخص واحد منات الألوف هكذا "، لقد قضيت عليهم جميعا ولم يفر منى أحد ، لقد ناديت على جيشى : " اثبتوا، اثبتوا يا جنود ، انظروا لقد حققت بمفردى النصر " ، " وبفضلى أصبحت حقول قادش جرداء بسبب القتلى، لدرجة أنه كان من الصعب السير ، لقد حاربت بمفردى، وقتلت بذراعى القوية منات الألوف ذات الصفوف المتقاربة ، وفى هذه النقوش منجده يطلق على الحيثيين اسم رعاياه ، ونراهم يصعدون نحو عرشه بأجسادهم المرتجفة ويتحدثون عن ملكهم بسخرية "(١) .

وذكر الملك مواتلى من ناحيته فى وثائق بوغاز كوى بأن المعركة كانت انتصارا له وأن أمور وقعت فى أيدى الحيثيين .(٢)

وفى الواقع أن كلا الخصمين كانا فى قوة متساوية ولم يدخلا فى معركة حقيقية وبقيت سوريا تحت تهديد الحيثى (٣) . ولكن الخسائر كانت فادحة جدا من كلا الطرفين ، وفى خلال الأيام التى تعاقبت ، كان هناك نوع من الهدنة .

وقد نجح الملك إلى حد ما فى القضاء على حدة شوكة الحيثيين ، الذى كانوا قد كونوا تحالفا من عشرين شعبا ، وكان على الجيش المصرى أن يواجه هذه الشعوب المتحالفة معا ، وأصبحت هذه المعركة معروفة أيضا لدينا جيدا بفضل المديح المبالغ فيه ، والذى طلب الملك كتابته وتصوير تصرفاته الشخصية أثناء المعركة . وأمكن من خلال هذه القصائد عمل خريطة لتحركات جيش المقدمة الذى

---

(١) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p . 157 – 159 .

(٢) Gotze , DLZ 32 (1929),p. 832-838;Edel,LA III ,p.483-484.

(٣) Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharonique ,p. 93 .

يمثل الجزء الرئيسى . ولولا حسن تصرف رمسيس وبعض القادة معـــه لأوشــكت الهزيمة أن تحل بالقوات المصرية ، التى ستكون لا نظير لها ، وكل ما فعله هو انـــه نجح فى اختراق صفوف أعدائه ولم ينجح فى تحطيم الجيش الحيثى أو الاستيلاء على قادش .

وبعد ذلك رجع رمسيس إلى مصر دون أن ينجح فى طرد الحيثيـــن مــن قادش ، ومن المؤكد فى الوقت نفسه أن ما حققه فى المعركة يعد نصرا كبـــيرا لـــه ويحق له ذلك لأنه أظهر شجاعة نادرة ، وفى خلال السنوات العشر التى مرت بعـــد ذلك ، قام بعدة حملات إلى آسيا ، ومن الواضح إن الحيثيين اضطروا فى النهاية إلـــى التراجع تاركين أكبر جزء من سوريا تحت تهديد المصرى . وقد حـــاول الحيثيـــون التدخل لتأليب أمراء مدن فلسطين ولكن أزمة الخلافة على العـــرش أضعفـــت ملـــك الحيثيين .

وفى أعقاب وفات مواتلى تولى ابنه الذى كان صغيرا جدا وبعد عدة سنوات من الحكم ، حل محله عمه الملك خاتوسيل الثالث وكان مشهودا له بالحكمة والذكـــاء والنشاط (١) . وأنتهز رمسيس هذه الفرصة لكى يعاقب مدن فلســـطين التـــى كـــانت موالية للحيثيين ، وأراد أن يستعيد موانئ الشاطئ الفينيقى والســـورى وتقـــدم نحـــو تونيب وأيضا حتى نهرينا ونجح فى إعادة الهدوء إلى فلســـطين ، واســـتولى علـــى تونيب من يد الحيثيين .

وعندما وصل إلى هذا الحد ، تطور الموقف الخارجى فجأة ، فقد ظهر فـــاتح ثالث فى اسيا مستغلا الصراع بين المصريين والحيثيين ، وهى آشــــور ، فقـــد أراد خاتوسيل أن يستعيد سيطرة الحيثيين على شمال سوريا ولكنه تصادم مع هـــذه القـــوة الجديدة ، التى بلغت أوج مجدها تحت الملك اداد – نيرارى(٢) وشـــالمناصر الأول ، فقد استولى ملك اشور على الجزء الأكبر من ميتانى القديمة، ثم اســـتقر علـــى نـــهر الفرات ومن هنا بدأ يهدد مناطق النفوذ المصرية من ناحية والإمبراطورية الحيثية من

---

(١) عن هذا الملك . راجع : Helck , LAII,p.1053;Edel,LAIII ,p.483.

(٢) Helck , LA I , p . 62 .

ناحيـــة أخرى ، وراى خاتوسيل أنه من الأفضل بدلا من أن يقسم قواته ، أن يتفـــاهم مع أحد خصومه فاختار أكثرهم تفهما وهى مصر .

وبدأ المصريون والحيثييون يشعرون بالخطر ولجأوا إلى التفاهم معا ونصـح معاونو خاتوسيل الملك بعقد معاهدة سلام دائم مع ملك مصر وعرض ملك الحيثييـــن على رمسيس الصلح ، وجاء رسولان لعرض مشروع معاهدة تحالف بيـــن مصـــر وخيتا ، وكان المشروع مسجلا بالخط المسمارى على لوحـــة مـــن الفضـــة باســم خاتوسيل ، فقبله رمسيس وكتب رجاله نصا اخر مترجما باللغة المصرية على لـــوح من الفضة أيضا [١] . وهى تعد معاهدة سلام ودفاع ومساعدة مشتركة بينهما وأيضـــا تعاهدا على تفادى الحرب بينهما ، واحترام حدودهما فى مكان ما فى شمال ســوريا ، لا يمكننا التعرف عليها ولا يعتدى أحدهما على حدود الآخر ، ومعاونة الآخـــر فـــى حالة اعتداء دولة أجنبية أخرى والتعاون ضد الثورات الداخليـــة وتبـــادل اللاجئيـــن السياسيين والفارين الذين سوف يعودون إلى بلادهم الأصليـــة دون التعـــرض لأيـــة عقوبة ، واديا القسم أمام ألف معبود حيثى وجميع المعبودات المصرية بان يرعـوا بنودها واحترام ما جاء فيها .

وكانت النسخة المصرية من هذه المعاهدة مؤرخة بالسنة الواحدة والعشـــرين من حكم رمسيس الثانى ونقشت على أثرين أحدهما على جدران معبد الكرنك والآخـــر فى معبد الرمسيوم [٢] أما النص الحيثى فغير كامل وكتب بالخط المســـمارى البـــابلى وهو خط اللغة الدبلوماسية فى الشرق القديم فى ذلك الوقت [٣] . وعثر علـــى أصـــل

---

(١) لم تكن هذه أول معاهدة مع الحيثيين ، فقد قام حور محب بعقد معاهدة مـــع مورسيل الثانى من قبل ، راجع : Wilson , The Culture of Ancient Egypt,p. 239 .

(٢) PM II , p . 492; lalouctte , L'Empire des Ramsès ,p. 127 – 130 ؛ وأيضا د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٥٤ حاشـــية (١)؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٣٢ .

(٣) longdon – Gardiner , JEA 6(1920),p.179-205 .

النص الحيثى فى خرائب بوغاز كوى .

وعادت المراسلات بين البلدين وتشير وثائق بوغاز كوى إلى التهنئة التى كتبتها الزوجة الكبرى لرمسيس الثانى – نفرتارى – إلى بودو – هيبات زوجة ملك الحيثيين وتقول فيها :

" أننى فى سلام وأرضى فى سلام وأننى أتمنى لك يا أختى السلام ".(1)

وبعدها بثلاثة عشر عاما تقريبا ، جاء الملك الحيثى خاتوسيل فى زيارة رسمية إلى مصر ، مصطحبا ابنته لتصبح زوجة الملك رمسيس .

وجاءت فى موكب فى فصل الشتاء وبفضل دعوات الملك المصرى تمتعت بجو معتدل . ووصلت بعثة الشرف مع الأميرة فى السنة الرابعة والثلاثين من حكم الملك . ولقبت هذه الأميرة بالاسم المصرى : ماعت – نفروع . ولكنها لم تصبح زوجة ثانوية بالمعنى المفهوم بل منحت الألقاب الرسمية الفعلية كملكة . وصورت فى معابد الكرنك وأبى سمبل والفنتين .(2) وصورت مع رمسيس الثانى على تمثاله الشهير فى متحف تورين .

وعثر بترى فى مدخل الفيوم فى بلدة مى ور على بردية كتبت عليها قوائم بعدد ملابس هذه الملكة .(3)

ونذكر هنا أيضا أن هذه الأميرة كان لها أخت أكبر سنا وكانت تعانى من مرض عصبى ، ووصفت بأنها ابنة ملك من قطر بعيد يسمى باختان Bachtan قد

---

(1) د. سليم حسن : مصر القديمة ، جزء ٦ ، ص ٣٠٣ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٧٣٠ .

(2) Kucntz, ASAE 25 (1925), p. 181-238; lalouctte op. Cit., p. 132 – 134. ؛ وأيضا : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٥٤ – ٣٥٥ .

(3) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٧٣٢ .

أصابتها روح شريرة فأرسل إليها من مصر الطبيب المصرى تحوتى ام حب الذى لم يستطيع علاجها ، فأرسلوا إليها تمثالا شافيا لمعبود خونسو ، ولم يرغب الحيثيون فى إعادة التمثال مرة أخرى إلى مصر ، ولمدة تقرب من الأربع سنوات ظل التمثال فى أرض أجنبية حتى اللحظة التى رأى فيها الملك حلما أثر فيه ، فأرسل فى طلب التمثال الذى وصل إلى طيبة بين احتفالات الكهنة والشعب . وسواء كانت هذه الرواية صحيحة أم لا فأنها تدل على العلاقات السائدة بين البلدين .(١)

وظلت المعاهدة مع الحيثيين سارية المفعول طوال مدة حكم رمسيس الثانى ، وكانت كل من الدولتين تكن للأخرى فى الواقع نوع من الاحترام المتبادل ، ولم تحاول أحدهما أن تغير على الأخرى .

واستمر هذا السلام لمدة ستة وأربعين عاما حتى أيام ولده مرنبتاح ، فقد أرسل هذا الأخير حبوبا إلى الحيثيين الذين واجهتهم مجاعة (٢) . ولنا أن نسأل ما هو وقع الكلمات التى جاءت فى النصوص المصرية والخاصة بالحيثيين على الأميرة الحيثية والأشخاص الذين كانوا يحيطون بها عند قراءتهم لمثل هذا الكلام ، ومن حسن الحظ ، نعلم أن أغلب الحيثيين كانوا لا يعرفون اللغة المصرية القديمة ، ونعلم من ناحية أخرى أن البلاد كانت مكتظة فى ذلك الوقت بالسوريين والآسيويين وأجناس أخرى ، وما فى شك إن مثل هذه الادعاءات كانت تزعج بعضا منهم وتسلى بعضهم الآخر .

فلم تؤثر السيطرة المصرية على سوريا فى بداية الأسرة الثامنة عشرة – على أخلاق الشعب المصرى . وكان الملك وقواده لا يقيمون أية صلات مع السوريين أو علاقات لا يفرضها إلا الوضع السياسى نفسه ولم يستمر هذا الوضع طويلا .

فقد عد رمسيس الثانى سوريا كجزء فعلى من مناطق نفوذه، وكان يوجد فى

---

(١) Posener , BIFAO 34 (1933),p. 75 – 81 ; Gardiner , Egypt of the Pharaohs ,p. 266 .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٦٣١ .

بلاطه عدد كبير من الأمراء والموظفين السوريين الذين سوف يؤدى تأثيرهم إلى طبع البلاد بالطابع الشرقى ، فقد سمى رمسيس ابنته الكبرى والمفضلة عنده " بنت عنات " وهو اسم يدخل فيه اسم المعبودة السورية عنات [١] ، وكان لهذا الأمر مغزاه الخطير عندما نعلم أن هذه الابنة كانت هى الوريثة الشرعية للعرش ، وفى السنوات الأخيرة من حكمه اصبح رمسيس الثانى أسيويا حقيقيا فى بعض عاداته ، وكان حريمه الواسع يضم الكثير من الأميرات الشرقيات وذلك نتيجة لارتباط بأغلبية الأمراء السوريين الموالين له ، وكذلك بالملوك المستقلين الذين تمتد أراضيهم فيما وراء سوريا .

وقد عثر على لوحة فى شمال نهر الكلب ، وهى مهشمة كلية [٢] ، ويفهم من بقايا نصها أن الملك رمسيس ربما قام بحملة بين العامين الثانى والخامس من حكمه ، واستولى خلالها على ثمان مدن على الشاطئ الفلسطينى والسورى ، منها عسقلون إلى الشمال من غزة ، وبعض المدن فى الجليل ولبنان ، واتجه نحو الشمال واستولى على حصن دابور فى بلاد عامور ، وتبين النقوش على اللوحة خمسة من أبناء اصطحبوه فى هذه الحملة ، وصوروا وهم يتسلقون السلالم حتى أبراج المراقبة فى أسوار المدن الخارجية ، وربما أثناء هذه الحملة كذلك وعند عودته إلى مصر ، حارب شعوب موآب وآدوم واستولى على مدينة ديبون التى تقع إلى الشرق من البحر الميت وكانت تابعة لأرض موآب .[٣]

ومن العام العاشر من حكمه ، عثر على لوحة أخرى إلى الجنوب من نهر الكلب ، تبين أنه كان لرمسيس الثانى نشاط عسكرى فى فينيقيا . ربما قادم أثناء هذه الحملة بغرض الحصار على مدينة تونيب (فى شمال قادش)[٤] . وفى العام الثامن

---

(١) عن المعبودة عنات ، راجع : سلوى احمد : الإلهة عنات ، رسالة ماجستير غير منشورة – كلية الآثار – جامعة القاهرة . وعن عنات ، راجع :
Leclant , LAI , p . 253 – 258 .

(٢) lalouette, L'Empire des Ramses , p . 124 .

(٣) Lalouette , op. cit., p . 124.

(٤) Id. , op. cit., p . 125.

عشر من حكمه جاء رمسيس الثانى إلى آسيا ، فقد عثر على لوحة فى بيت شان (١) ، وعلى الرغم من أنها لا تذكر أحداثا محددة ، إلا أنها تؤكد مرة أخرى قوة الملك وسيطرته على هذه المناطق . وتقول عنه النصوص ." الرجل القوى الذى قضى على الأعداء ، الذين سقطوا على مدرجات الأرض بعد أن هزم زعماؤهم وجيوشهم "(٢) . و " لم يحقق أحد على الإطلاق ما حقق (الملك) ضد البلاد الأجنبية "(٣) .

وقد أشير إلى الاستيلاء على عسقلون وبعض المدن الفلسطينية واللبنانية ودابور وحصار تونيب فى نقوش معابد الكرنك والأقصر والرمسيوم(٤) . وبين العام الخامس عشر والثامن عشر قامت ثورة فى بلاد ارم ، فذهب رمسيس الثانى إلى هناك ، وكان معه أربعة من أبنائه من بينهم مرنبتاح ، وكان هؤلاء الأبناء يبلغون من العمر عشرين عاما . واصطحب الملك من هناك سبعة آلاف أسير (٥) . وبعض المناظر على جدران معبد رمسيس الثانى فى ابيدوس تشير إلى هذه الحملة (٦) . وكان رمسيس يمكث فى طيبة مدة شهور الشتاء فقط ، ويقضى بقية شهور العام فى شرق الدلتا بالقرب من مناطق الحدود ، وقد شيد هناك قصرا جديدا ومدينة فى مكان يسمى برعمسيس(٧) " بيت رمسيس " والتى ذكرت فى التوراة تحت اسم "رمسيس"(٨) وكانت تقع بين صان الحجر وقنطير فى شرق الدلتا وشيد فيها أيضا قصرا له (٩) .

---

(١) Id. , op. cit., p . 125.

(٢) Id. , op. cit., p . 126. 1 . 1-3 .

(٣) Id. , op. cit., p . 126. 1. 9 – 10 .

(٤) Drioton – Vandier , L'Egypte (éd. 1946) , p. 432 (c) (1-5) ; Breasted , AR III (353 – 362) .

(٥) Drioton– Vandier , op . cit .,p.406 ؛ lalouette,op.cit.,p.125.

(٦) lalouette , op. cit., p . 125.

(٧) عن بر – رعمسيس ، راجع : Bietak , LAV,p.128 – 146 . الذى تحدث عن اصل التسمية ، وتاريخها ، ومعبوداتها ، وأهم آثارها .

(٨) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .

(٩) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٥٧ .

وكانت برعمسيس عاصمة جميلة فقد تحدث عنه رجـال البـلاط والكتبـة ، ومنـها يستطيع الملك مراقبة ما يحدث في البلاد الأسيوية . وعلى الرغم من ذلك فقد احتفـظ الرعامسة بقصورهم فى منف ، وزادوا عمرانها ، كما ظلت معابد امــون رع فــى طيبة تحظى بأكبر قسط من رعاية الدولة (١) . وشيد مدينة أخرى في المنطقة نفســها ذكرت فى التوراة باسم " بيتوم "(٢) . وعلى أية حال فقد شيدت مدينــة برعمســيس بالقرب من مدينة قديمة تسمى زوان (تانيس – صان الحجر) التى ظهرت أهميتــها منذ بداية الأسرة الثامنة عشرة وكانت تقع على بعض بضعة كيلو متر مــن شــاطئ بحيرة المنزلة ، وسوف تصبح عما قريب من المــدن الأكــثر أهميــة فــى مصــر القديمة (٣) .

وعلى الرغم من أن الجزء الشرقى من الدلتا كان مجــالا للاهتمــام نظــرا لسهولة العلاقات مع سوريا ، نجد أن الملك قد اهتم بغرب الدلتا فقد بدأ خطرا شعوب البحر يدق على أبواب مصر من الغرب ، وربما كان هذا هو الســبب الــذى جعــل رمسيس الثانى يبنى سلسلة من التحصينات مثل حصن الغربانيات وعلى مقربة مــن برج العرب ، وحصنا اخر عند العلمين ، وحصنا ثالثا عند زاويــة أم الرحــم إلــى الغرب من مرسى مطروح .(٤)

ونجد أن الملك قد شيد الكثير من الآثار فى بقية أنحاء البلاد ، فقد عثر علــى اسم رمسيس الثانى على معظم الأطلال الآثرية وإذا قدر لنا حصر الآثار التى تحمــل اسمه ، فهو يعد من أكبر البناة المصريين ، فقد كان شغوفا بالعمائــر والتماثيل كمــا

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٢٣٣ .

(٢) عن هذه المدينة ، راجع : Redford , LA IV , p. 1054-1058 .

(٣) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p. 160 .

(٤) د. أحمد فخرى : المرجع الســابق ، ص ٣٥٥ حاشــية (١) (٢) (٣) ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجــع الســابق ، ص ٢٣٤ ؛ Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique ,p. 94; Gardiner, Egypt of the Pharaohs, p. 270 .

كان يسلب آثار الآخرين بوضع اسمه عليه ، وكان لا يتردد فى محو أسماء الملـــوك السابقين من على جميع الآثار القديمة ، لكى يضع ألقابه عليـــها ، وإذا أضفنـــا إلـــى الآثار التى سلبها ، تلك الآثار الكثيرة التى شيدها لنفسه أو باسمه ، سوف نفهم جيـــدا لماذا ترك تلك الذكرى الحية فى تاريخ مصر القديم ، واختلط اسمه مع اسم سنوسرت فى الأساطير التى رددها اليونانيون . فنجد أنه أضاف الكثير مـــن معـــابد الأقصـــر والكرنك ، أضاف الفناء الكبير فى معبد الأقصر ، وتقوم بين الأساطين الأمامية فـــى النصف الجنوبى من الفناء تماثيل كبيرة لرمسيس من حجر الجرانيت . ويتقدم الفنـــاء صرح عظيم تحلى مدخله ست تماثيل ضخمة لرمسيس الثانى (١) ، اثنان منها علـــى يمين ويسار المدخل من جرانيت أسود يمثلانه جالسا ، والأربعة الأخرى من جرانيت وردى تمثله واقفا(٢) ومن أمامها مسلة شاهقة من حجر الجرانيت الـــوردى، تحلـــى أختها الآن ميدان الوفاق (الكونكورد)، اعظم ميادين باريس . وكان محمد على قـــد أهدى المسلتين إلى شامبوليون والذى أهداهما بدوره إلى الملك لويس فيليـــب ، وقـــد أمكن نقل إحداهما على باريس وظلت الأخرى فى مكانها ، وطولها ٢٢,٨٣ مـــترا ، بينما يبلغ طول مسلة باريس ٢٥,٠٣ مترا .(٣)

وأتم الملك بهو الأساطين العظيم فى الكرنك (٤) وأقام على جانبى الطريـــق المؤدى إلى بهو الكرنك العظيم صفين من تماثيل الكباش الضخمة ، يمثل كـــل منـــها كبشا بجسد أسد رابضا فوق قاعدة مرتفعة ، وكـــان الكبـــش يمثـــل حيـــوان آمـــون المقدس .(٥)

كـــان يوجد أمام الصرح الأول لمعبد الكرنك مرسى يرجع إلى عصر الملك

---

(١) د. سيد توفيق : تاريخ العمارة فى مصر القديمة : الأقصـــر ، ص ١١٣ – ١١٥ .

(٢) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٠٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٠٢ حاشية (١) .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٢١ – ٢٢٨ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .

رمسيس الثاني ، وعلى الواجهة الغربية لرصيف المرسى كان يوجد نقوش تسجل ارتفاع منسوب مياه النيل من عصر الملك ششنق الرابع حتى العام التاسع عشر من حكم بسماتيك الأول .[١] عثر في عام ١٩٥٤ بالقرب من الصرح الثاني بالكرنك على تمثال ضخم من الجرانيت الوردي ويبلغ ارتفاعه ٢,٦٠ مترا . وهو يمثل رمسيس الثاني ممسكا بيديه الرموز الملكية ومرتديا التاج المزدوج وقد وقفت أمام ساقيه تمثال زوجته بالحجم الطبيعي ولكن الملك بانجم ابن بعنخي اغتصبه لنفسه كما سجل عليه رمسيس السادس اسمه على القاعدة .[٢]

وشيد لنفسه معبدا جنائزيا في البر الغربي في طيبة ، والذي يسمى الآن " الرمسيوم "[٣] وهو أحمد الأبنية الأكثر فخامة في البلاد كلها وكان يحمل اسم Hnmt W;st [٤] وأمام المدخل كانت تقوم التماثيل الضخمة التي تمثل الملك جالسا ، والتي يبلغ ارتفاعها حوالي ثمانية عشر مترا تقريبا ، وهي منحوتة في كتلة واحدة من الجرانيت الذي يستجلب من الجندل الأول ويبلغ وزنها أكثر من ألف طن .

وشيد خمسة معابد في بلاد النوبة هي : أبو سمبل [٥] ، وادي السبوع[٦] ،

---

(١) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ١٣٧ ؛ وأيضا : Les Guides Bleus : Egypte ,p. 393 .
د. محمد عبد القادر : آثار الأقصر ، الجزء الأول : معابد أمون، ص ٢٥ ، شكل (٤) .

(٢) د. سيد توفيق : تاريخ العمارة في مصر القديمة : الأقصر ، دار النهضة العربية ، ١٩٩٠ ، ص ١٤٥ – ١٤٦ ؛ وأيضا د. محمد عبد القادر : آثار الأقصر ، ص ٤٨ .

(٣) د. أنور شكري : المرجع السابق ، ص ٤١٨ – ٤٢٢ شكل ١٨٥ ؛ وأيضا : Vandier , Manuel d'Archéologie II, p. 701 – 711; Stadelmann , LAV , p. 91 – 98 .

(٤) Helck , LA V, p. 7 .

(٥) عن هذا المعبد ، راجع : Otto , LA I, p. 25 – 27

(٦) راجع : Gundlach , LA V, p 768 – 769

جرف حسين[١] ، والدر[٢] وبيت الوالى [٣] ، ولعل أهم هذه المعابد وأشهرها هو معبد أبى سمبل الذى يقع جنوبى أسوان بنحو ٢٨٠ كيلو مترا ، ذو الواجهة التى تطل على النيل – وأمام المعبد يوجد أربعة تماثيل ضخمة تمثل الملك جالسا وفى الوسط يوجد مدخل يؤدى إلى قاعة فسيحة تقوم على جانبيها التماثيل الاوزيرية للملك ، وتؤدى هذه القاعة إلى صالة أخرى عرضية ثم أخيرا قدس أقداس . والمعبد بأكمله ، بتماثيله ومناظره منحوت فى الصخر نفسه ومن كتلو واحدة بعمق ٤٧ مترا من مدخله حتى قدس الأقداس .[٤]

وكل جزء من هذا العمل الفنى الكبير منحوت فى الصخر ولم تضف إليه أية كتلة من الخارج . وكان هذا المعبد مخصصا لمعبود الشمس حور أختى وآمون رع وقامت خطته على أساس أنها تلائم وقت شروق الشمس ، وعندما تشرق الشمس من خلف الجبال التى تقع على الجانب الشرقى للنيل ، فهى تلقى بضوئها هلى أمجه التماثيل الأربعة الأمامية ثم تخترق المدخل فتضئ القاعات الداخلية ثم قدس الأقداس . مرتين فقط كل عام :

- فى اليوم الثالث والعشرين من شهر فبراير (يوم مولد رمسيس الثانى ؟)
- وفى اليوم الثالث والعشرين من شهر أكتوبر (يوم تتويجه ؟) مما يدل على أن التصميم الهندسى لهذا المعبد قد وضع طبقا لقواعد فلكية دقيقة .[٥]

وزينت الجدران الشمالية للقاعة الأولى بمناظر تمثل معركة قادش ، كما أن المعركة نفسها نراها مسجلة أيضا فى معبد الأقصر ، فنرى الملك فى عربته يندفع نحو صفوف الحيثيين[٦] . ونرى فى قدس الأقداس تمثال الملك رمسيس قائما إلى

---

(١) راجع : Kc.Blcr , LAII, p. 534 – 535 .

(٢) Savc – Sodcrbcrgh, LAI, p. 1069- 1070 .

(٣) Otto , LAI , p. 686 – 687 .

(٤) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٢٤٢ – ٢٤٦ شكل ٩٨ – ١٠١ .

(٥) مختار السويفى : مصر والنيل فى أربعة كتب عالمية ، ص ١٦٦ .

(٦) Vandicr , op. cit. II, p. 95 – 111 .

جانب تماثيل المعبودات الأخرى : آمون ، بتاح ، رع حور أختى .

ونرى فى كل أجزاء المعبد ، الملك يتعبد إلى صورته - إلى جانب المعبودات الأخرى - لأنه عد نفسه أو جسده ما هو إلا صورة من المعبود الخالق على الأرض .(١)

ولكى يعزز هذا الاعتقاد كان يتعبد إلى صورته على الأرض مثل ما يتعبد إلى المعبودات . فكل الملوك كانوا من روح مقدسة " ولكن رمسيس الثانى يعد أول ملك - رأى أن شخصيته الإنسانية الحية - يجب أن تنحنى أمام صورته السماوية المقدسة ، ويرى كريستوف الذى نشر كتابا عن معبدى أبو سمبل عام ١٩٦٠ بأن رمسيس الثانى أراد أن يبتعد عن العواصم المصرية الكبرى واتجه إلى أن يتشابه بمعبود الشمس فى النوبة فى داخل عقائد فيها كثيرة من الجرأة (٢) . وإلى جوار معبد أبى سمبل الكبير شيد مقصورة للمعبود تحوتى ، وفى الشمال ، شيد معبدا آخر خصص للمعبودة حتحور والملكة نفرتارى يزين واجهته ستة تماثيل كبيرة . وقد تم نقل معبدى أبو سمبل إلى مكان مرتفع خلف مكانهما الأصلى بنحو ٢٠٠ مترا وذلك قبل أن تغمرهما مياه السد العالى . وقد بدأ التنفيذ فى يونيو ١٩٦٤ وانتهى منه فى سبتمبر ١٩٦٨ وذلك بعد أن تضافرت جهود العالم لإنقاذه عن طريق منظمة اليونسكو .

وقطعت أحجار المعبد قبل نقله إلى ١٠٣٥ كتلة حجرية تزن كل واحدة منها ٣٠ طنا(٣) . أما عن بقية المعابد الأخرى لرمسيس الثانى فى بلاد النوبة ، فيعد معبد بيت الوالى من أجمل معابد بلاد النوبة بعد معبدى أبى سمبل ، وكان يقع فى مستوى

---

(١) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p. 161 . ؛ ولتر امرى : مصر وبلاد النوبة (ترجمة وزتحفة حندوسية) ١٩٧٠ ، ٢٠٤ - ٢٠٩ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٧٣٩ .

(٣) lalouette, L'Empire des Ramsès, p. 423
راجع الجزء الأول : تاريخ مصر القديم ، ص ٢٩٦ حاشية (١) .

مرتفع جنوبى أسوان بنحو ٥٥ كيلو مترا وقد نقل إلى جنوبى السد العالى مباشـــرة ، وخصص لعبادة امون رع وخنوم وعنقت . وتحلى جدران الفناء الخـــارجى منـــاظر تمثل رمسيس يهزم الآسيويين والليبيين والنوبيين ، وحاكم كوش يقدم الجزيـــة مـــن ذهب وجلود حيوان وعاج وكراسى مزخرفة وماشية وغزلان وزراف .(١)

ولم ينقذ معبد جرف حسين بأكمله ، وأكتفى بإنقاذ بعض أجزائـــه ، وكـــان مخصصا لعبادة بتاح ، وكان بعضه مبنيا وبعضه محفورا فى الصخر (٢) . أما معبـــد وادى السبوع فقد نقل من مكانه أيضا إلى مكان آخر مرتفع خلف مكانه القديم جنوبـــى أسوان بنحو ١٥٠ كيلو مترا وكان مخصصا لعبادة آمـــون رع ورع حـــور آختـــى ورمسيس المقدس ، ويشبه فى تخطيطه كثيرا معبد جرف حسين (٣) . ويبعـــد معبـــد الدر عن أسوان بنحو ٢٠٠ كيلو مترا ، وقد خصصه الملك لعبادة بتاح وآمـــون رع ورمسيس المقدس ورع حور آختى (٤) وكشف عن بقايا قصر له فى قنطير جنـــوب تانيس .

إلى جانب تشييد كل هذه الآثار سجل رمسيس اسمه فى كل مكان . ويبـــدو أن حبه للعظمة والفخامة قد أدى الفنون وما يطلبه من رؤساء الفنون جعلهم يخرجـون عن المعتاد أحيانا والتقاليد الفنية المتبعة .(٥)

وتزوج رمسيس الثانى من نساء كثيرات (٦) وكـــان لـــه خمـــس أو ســـت زوجات ، انجب منهن الكثير من الذرية بنين وبنات ، ونعرف منهن ثلاث :

---

(١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٣٦ – ٢٣٧ شكل ٩٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣٧ – ٢٣٨ شكل ٩٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٣٩ – ٢٤٠ شكل ٩٦ .

(٤) المزجع الســـابق ، ص ٢٤٠ – ٢٤١ شـــكل ٩٧ ؛ Vandier, Manuel d'Archéologie II, p. 954-958 ؛ وولتر امرى : المرجع الســـابق ، ص ٢٠٦ ٢١١ .

(٥) Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, p. 244

(٦) Kitchen-Gaballa, ZAS 96 (1969), p. 14 28

نفرتاري(١) التى تزوجها فى العام الأول من حكمه ، والتى كانت تحمل لقب الأخت وانجب منها عددا كبيرا (٢) من الأولاد إحدهم يدعى سيتى ، ونعد مقبرتها فى وادى الملكات (٣) والتى تقع بالقرب من مقبرة سات رع زوجة سيتى الأول من أجمل المقابر الملكية .

أما الملكة الثانية فهى ايزيس نفرت التى لا يعرف أصلها ، سوى أنها كانت أما لأولاد الملك المفضلين : رمسيس ، خع ام واست ثم مرنبتاح ، وتوفى أكثر أبنائه الأوائل فى حياته ، وأهم هؤلاء الأولاد ابنه خع ام واست الذى كان أحب أبنائه إليه ، وفى السنة الثلاثين من حكمه فكر رمسيس الثانى فى إشراك ابنه خع ام واست فى شئون الدولة (٤) ، والذى كان مشهورا بالحكمة والتقوى وعمل كاهنا للمعبود بتاح وكان يشرف على الأعياد الثلاثينية لأبيه ، وكان مهتما بالآثار القديمة فكان يرمم كل ما يجده فى حاجة إلى ترميم (٥) . ولهذا عثر على اسمه على العديد من الآثار ، ولكنه توفى فى السنة الخامسة والخمسين من حكم رمسيس ، ودفن فى جبانة الجيزة

---

(١) عن هذه الملكة ، راجع : Helck, LAIV, p. 518 – 519 .

(٢) قدر بعض المؤرخين انهم بلغوا ٧٩ ولدا و ٥٩ بنتا أو مائة ولد ، غير أن هذا التقدير مبالغ فيه ، ومن المحتمل أن بعض من اعتبرهم المؤرخون أبناءه كانوا من عائلته فحسب ، أى من أقربائه الصغار الذين انتسبوا إليه تشرفا ، حاملين لقب سانسوت بمعنى ابن الملك ، راجع د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٢٢٥ .

(٣) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٢٩ – ٤٣٠ شكل ١٩٠ .

(٤) Drioton , ASAE 41 (1942), p. 21 – 26 ؛ وعن هذه الشخصية ، راجع : Gomaa, LAI, p. 897 – 898 .

(٥) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٣٥٦ .

حيث عثر على مقبرته فى كفر البطران [١] ، وأصبح مرنبتاح – الابن الأخر – الوريث للعرش .

وأخيرا تزوج من الميرة الحيثية ماعت نفرو رع التى احتلت مكانة هامة ، وقد ظهرت على لوحة عند مدخل معبد أبى سمبل بصحبة أبيها خاتوسيل عند مجيئها إلى مصر [٢] . وقد ظهرت أيضا على أحد التماثيل التى عثر عليها فى تانيس وبجوارها أكبر أولادها آمون حرخبشف .[٣]

أما عن أشهر بناته الأخيرة بنت عنات فهى كبرى بناته ، وعثر على مقبرتها فى وادى الملكات ، كما عثر فى المكان نفسه على مقبرة لأبنته الثانية مريت آمون ويرى بعض العلماء أنه تزوج من بعض بناته ولكن هذا الرأى لا يستند إلى حقائق علمية واضحة ، وفى معبد السبوع سجل ما يزيد عن مائة أمير وأميرة [٤] . وفى ابيدوس سجل ثلاثة وثلاثين ولدا واثنتين وثلاثين بنتا وصور بعض أبنائه فى معبد أبى سمبل .

وقد حكم رمسيس مصر أكثر من سبعة وستين عاما أى أنه عمر حتى سن الثالثة والثمانين ودفن فى مقبرة أعدها لنفسه فى وادى الملوك وكانت أكبر من مقبرة أبيه ، وتحمل الآن رقم ٧ . ولكنها الآن فى حالة سيئة ويرجع ذلك إلى رداءة الصخر ، فبدأت تتساقط . أما مومياء الملك فقد أصابها الكثير من التلف وحفظت مع غيرها فى خبيئة الدير البحرى حتى تم نقلها إلى المتحف المصرى [٥] .

---

(١) Frankfort, Kingship and the Gods, p. 79.

(٢) Christophe, Abou Simbel et L'Epogée de Sa decouverte, Bruxelles (1965),p. 12 .

(٣) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٦٣٤ .

(٤) Gauthier, le Temple de Ouadi- es- Seboua, p. 80 .

(٥) سافرت هذه المومياء إلى فرنسا عام ١٩٧٦ وعادت بعدها بعام وتم فحصها فى متحف الإنسان بباريس وعكف فريق من العلماء الفرنسيين على فحصها بالأشعة السينية والتصوير بالأشعة الملونة وبالمنظار الداخلى وتم=

ومن عصر رمسيس الثانى يوجد أكثر من أربعة وثلاثين مقبرة لمعاصريه في البر الغربى فى طيبة [١] . ونذكر هنا أسماء : خع بخنت الخادم فى مكان العدالة (رقم ٢) وقن مثال أمون فى مكان العدالة (رقم ٤) ونب نفر رئيس العمال (٦ب)، ورع مس الكاتب فى مكان العدالة (رقم ٧) وخنم ام حب المشرف على خزانة معبد الرمسيوم (رقم ٢٦) وتحوتى الرئيس الأول لاستقبال آمون (رقم ٣٢) .

ومن أهم الموظفين الذين عاشوا فى عصره مسى[٢] الذى كان يشغل وظيفة كاتب بيت المال فى معبد بتاح فى منف ، وترك لنا نصوصا تخص ملكية أرض تقع بالقرب من منف ، وكانت موضع نزاع بين الورثة والأوصياء وفيه عرض لألوان الفصل فى الدعاوى ، يدل على تحرى الدقة لمعرفة الحقائق [٣] وتوجد هذه النصوص على كتل حجرية مأخوذة من مقصورته وهى توجد بالمتحف المصرى . وقد تم حديثا العثور على مقبرته بجوار المجموعة الهرمية للملك تيتى بسقارة

= دراسة شعر المومياء وتحديد العمر وتحديد زمن لفائف المومياء بواسطة الكربون المشع . وتم علاج المومياء بواسطة أشعة " جاما " ، راجع : مومياء رمسيس الثانى ، الناشر س.ر.س ، باريس ١٩٨٥ ، ص ٦٥ – ١٠٥ وتم إعداد نسخة بالفرنسية لنفس المؤلف بعنوان : La Momie de Ramses II , Crc , Paris (1985), p. 100 – 206 .

(١) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٦٠ – ٣٩٠ ، وهى أرقام : ٢، ٤، ٦ب ، ٧ ، ١٠ ، ١٦ ، ٢٦ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٤٥ ، ١١١ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٥٧ ، ١٧٠ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٩ ، ٢١٢ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥٧ ، ٢٦٣ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٣٣٧ ، ٣٦٠ ، ٣٨٧ ، ٤٠٩ .

(٢) Gardiner, The Inscriptions of Mes, Leipzig (1905), p. 5 ; Gaballa, The Memphite Tomb Chapel of Mose, p. 15 .

(٣) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٦٣٦ .

بواسطة د. حواس . وأيضا حوى الثاني الاس المنحي حادم كوش [١] .

وندكر أيضا **نب ون إف الكاهن الأول للمعبودة حتحور في دندرة وصاحب** المقبرة رقم ١٥٧ . وباك إن خونسو كبير كهنة امون (المقبرة رقم ٣٥) **وبانحسي** كاهن طقوس الملك أمنحتب الأول وصاحب المقبرة رقم ١٦ . وهى **مقبرة هامة نظرا** للمناظر الدينية التي تحتويها ، ففيها تصوير لمعبد الكرنك وموكب الإناء المقدس لآمون والذى لا يصور إلا نادرا ، وخونسو الكاهن الأول لطقوس الملك تحوتمس الثالث (المقبرة رقم ٣١) ونجم المشرف على الحدائق (المقبرة رقم ١٣٨) ونفررنبت المسمي كنرو كاتب الخزانة لآمون (المقبرة رقم ١٧) وايبي النحات (المقبرة رقم ٢١٧) .[٢]

با ان رع آمون – مرنبتاح حتب حرماعت (١٢٣٥ – ١٢٢٤ ق.م) : [٣]

كان حكم رمسيس الثاني طويلا للغاية ، وكان مستقلا جدا بالحكم ومستبدا بسلطانه لذلك لم يطبق العادة القديمة ، وهى تسمية المشترك معه على العرش عندما بلغ سن السبعين عاما بالإضافة إلى ذلك فإن وفاة ابنه المفضل خع ام واست في الفترة نفسها تقريبا قد أعفاه من ذلك العبء ، ولكنه أعلن – مرنبتاح – وريثا وتقاسم بذلك السلطة معه ، وأظهر له هكذا بعض الثقة .

وعندما توفى رمسيس الثاني كان مرنبتاح في ذلك الوقت رجلا مسنا يناهز الستين عاما ، ويعد مرنبتاح ابنه الثلاثين في سلسلة أبنائه .[٤]

---

(١) Habachi , LA III, p . 72 – 73 .

(٢) R. el Sayed, Quelques hommes célèbres ؛ مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢٦ ، ١٩٧٩ ، ص ٥ – ٨ .

(٣) عن هذا الملك ، راجع : Krauss , LA IV ,p. 72 – 76 .

(٤) Gauthier , LR III , p. 110 .

وكان يشغل وظيفة الكاهن الأكبر لبتاح وقائدا للجيش [١] . وقد توج مرنبتاح على العرش ، ويبدو أن حقه كان شرعيا فى تولى العرش بزواجه من التـــى كـــانت تحمل لقب الأخت وهى : الأميرة ايزيس نفرت ، الوريثة للعرش أيضا .

وعلى الرغم من شيخوخته فقد نجح فى المحافظة على هيبة مصر ولم يحكم إلا عشرة أعوام . وكانت الحالة الداخلية مستقرة والجدير بالذكر أن أحوال مصر قـــد ساءت واضطربت بعد عهده ، كما زال مجد مصر السالف ، إلا أنـــها أبقـــت علـــى عطائها وتأثيرها الحضارى فى بلاد الشرق القديم .

ويعد مرنبتاح آخر ملك قوى فى الأسرة التاسعة عشـــرة . وكـــانت هنـــاك أنشودة بمناسبة إعلائه العرش :

" اسعدى ايتها البلاد كلها ن لقد حل الزمن المناسب

لقد هيمن ملك على كل الأقطار

انتم أيها العادلون ، تعالوا لتروا الحقيقة تزهق البهتان

لقد خر الآثمون على وجوههم

فبعدا لكل نفس جشعة

لقد توقف الماء وكف عن التدفق

وجرى النيل بمياهه المرتفعة

أصبحت الأيام طويلة والليالى بها ساعات

وتمر الشهور كما ينبغى أن تمر

المعبودات مغتبطة سعيدة القلوب "[٢] .

---

(١) Keimer , ASAE 39 (1939), p. 100 .

(٢) Eraman- Blackman,The literature of the Ancient Egyptians, p. 278; Frankfort, la Royauté et les Dieux, p. 94.

واتبع الملك سياسية عسكرية نشطة نظرا للأخطاء التى كانت تـهدد حـدود مصر الغربية والشرقية والجنوبية . ولعل الحدث الأكثر الأهمية فى عهده هو حملتـه ضد الليبيين وشعوب البحر وانتصاره عليهم . وترك لنا الملك عشرة مصادر أثريـة تحدثنا عن انتصاراته على حدود مصر . وأول هذه المصادر هى :

١- لوحة عمدا :

مؤرخة بالعام الرابع ، الشهر الثانى من فصـل الصيـف ، اليـوم الأول ، ويحتوى نصها على ١٣ سطرا ، ويتحدث عن الهجوم الليبى وشعوب البحـر علـى الحدود الغربية والتمرد فى الجنوب .(١)

٢- عمود المطرية :

مؤرخ بالعام الخامس ، الشهر الثانى من فصل الصيف ، وقد عثر على هـذه العمود الأثرى المصرى منير بسطه أثناء حفائر هيئة الآثار فى منطقة المطرية عـام ١٩٦٧ - ١٩٧٠ وعلى هذا العمود نص من أربعة أسطر (٢) . ويحدثنا عن انتـصار الملك على الليبيين وأعداد الأسرى والغنائم والممتلكات .

---

(١) Kitchen, Ramesside Inscriptions IV, p. 1-2 ; Cerny, Amada (dans CEDAE V, 1967), p. 1-3 ; Bouriant, RT 18 (1896), p. 159-160 ; Breasted, The Temple of lower Nubia (1906), p. 46; Id., AR III, p. 259; A. Youssef, ASAE 58 (1964),p. 274-280 pl . 1; Lalouette, L'Empire des Ramsès, p. 268-269 ; Gauthier, le Temple d'Amada, p. 185 pl . 41 ; Id. LR III, p . 118 (20); PM VII, p. 67 .

(٢) Leclant , Orientalia 41 (1972), p. 252; t . 45 (1976), p. 280; Bakry, Aegyptus 53 (1973), p. 3-21; Zivie, GM 18(1975), p. 45 – 50; Lalouette, op . cit., p. 271 – 273. 278, 413 , 491 n. 10; Grimal, les Termes de la Propogande Royale, Paris(1986), p. 494(256), 662(581), p. 683(691) .

٣- جزء من عمود بالمتحف المصرى :

مؤرخ كذلك بالعام الخامس ، الشهر الثانى من فصل الصيف ، عثر عليـــه فى منف ، وهو من حجر الجرانيت الوردى ، وعليه بقايا نص مهشم [١] . ويحدثنـــا عن معاقبة الملك للرؤساء الليبيين ولعناصر من شعوب البحر .

٤- نص الجدار الشرقى لفناء الخبيئة فى الكرنك :

مؤرخ بالعام الخامس ، الشهر الثالث من فصل الصيف ، اليـــوم الثـــالث . يحتوى هذا النص على ٨٠ سطرا . وتعرض للتشويه فى بدايته وفى بعض أجزائـــه . وطول هذا النص يدل على أنه كان الأصل الذى نسخت منـــــه النســـخ الأخـــرى [٢] ويحدثنا عن حروب الملك ضد الليبيين وشعوب البحر .

---

(١) Breasted, AR 111 (593 – 594), p. 240; Edel, ZAS 86 (1961), p. 101 – 03 (1); Gauthier, LR 111, p. 116; Maspero, ZAS 19 (1881),p. 118 (h) ; Kitchen, Ramesside Inscriptions IV, p. 23; Drioton- Vandier, L'Egypte (éd. 1946), p. 433 (VIII) (A) (2); lalouette, l'Empire des Ramsès, p. 275- 276 .

(٢) Kitchen, op. cit . IV, p. 2-12; Mariette, Karnak, pl . 52-55; Breasted, AR III (572-592),p.40-252; lalouette, l'Empire des Ramsès, p . 270-275 et p . 491 n. 9, 11-15, 17 – 18 ; Holscher, libyer und Aegypter, p. 61 – 63; Zivie, GM 18 (1975),p. 49n (5); PM, Theban Temples II(1929),p.49(6) ; PM , Theban Temples II(1972), p. 131(487)؛ وعثر على أجزاء أخرى من هذا النـــص فـــى الكرنـــك ، راجـــع : legrain, ASAE 2 (1901),p. 269 – 279;4(1903),p.2-4;RI 31(1909),p. 176-179; Drioton-Vandier,L'Egypte (éd. 1946),p.433(VIII)(A)(1); Gardiner, Egypt of the Phoraohs,p. 271n. 2-3 .

٥- منظر الواجهة الداخلية للجدار الشرقى لفناء الخبيئة فى الكرنك :

نص مؤرخ بالعام الخامس ، الشهر الثالث وعلى هذا الجدار صور مرنبتاح واقفا يضرب الأعداء ، حيث نراه ممسكا بيده اليمنى بالمقمعة وباليسرى حبلا ينتهى بعدد من الأسرى رافعين أيديهم فى وضع استسلام ويقدمونهم لآمون .(١)

٦- لوحة المتحف المصرى رقم CGC 34025, JE. 31418 :

مؤرخة بالعام الخامس ، الشهر الثالث من فصل الصيف ، اليوم الثالث . كانت هذه اللوحة فى الأصل ملكا للملك أمنحتب الثالث والتى أقامها فى معبده الجنائزى فى البر الغربى فى طيبة وأشرنا إليها عند حديثنا عن عهد أمنحتب الثالث وسجل على وجهها الأمامى نصا عن أعماله المعمارية فى معبده الجنائزى فى البر الغربى وفى معبدى الأقصر والكرنك ، ثم سلب هذه اللوحة مرنبتاح .

ونقلها إلى معبده الجنائزى الذى شيده إلى الشمال من معبد أمنحتب الثالث فى البر الغربى فى طيبة (٢) . وسجل على ظهرها نصا آخر عن نشاطه الحربى

---

(١) Kitchen – Gaballa , ZAS 96 (1969), p. 26 fig . 8 pl. 8 ; Kitchen, Ramesside Inscriptions IV , p.p. 23 – 24 ; PM II, p . 49; la louete, L'Empire des Ramses , p. 277 et p. 491 n. 21; Saleh- Sourouzian , Official Catalogue: Egyptian Museum , Cairo (1984), no 212; lacau , Steles du Nouvel Empire CGC., p. 52-59 pl . 17-19 .

(٢) بالنسبة لمراجع هذا النص الخاص بمرنبتاح ، راجع : lacau , Steles du Nouvel Empire CGC, p. 52 – 59 pl . 17-19 (يعطى المؤلف فى ص ٥٨ – ٥٩ بيان بأسماء حوالى ٣٥ مرجعا لهذا النص) ، وأيضا : Kitchen, Ramesside Inscriptions IV, p. 12 – 19; lichtheim, Ancient Egyptian literature II, p . 73 – 78 ; Breasted, AR III (602 – 617) p. 256n. (d)257n.(a); Pritchard, ANET, p. 376-378; Gardiner, Egypt of the ==

على الحدود الغربية وفى فلسطين ، ونعلم من ناحية اخرى ان مرنبتاح قد أخذ الكثير من أحجار معبد أمنحتب الثالث الجنائزى وذلك لتكملة معبده الجنائزى فى المنطقة نفسها .[١]

ونحن لا ندرى ما هو السبب الحقيقى وراء استيلاء مرنبتاح على هذه اللوحة من معبده أمنحتب الثالث ؟ ربما يرجع ذلك إلى أن الإمكانيات المادية فى عهده كانت محدودة [٢] .والدليل على ذلك أنه سلب أحجارا متعددة من معبد أمنحتب الثالث لتكملة معبده الجنائزى . ومما ساعد على عملية نقل هذه اللوحة إلى معبده هو قربه من معبد أمنحتب الثالث .ويبدو أيضا أن إمكانيات النحت قد قلت كثيرا فى عهده وفى عهد سيتى الثانى وعهد رمسيس الثالث .[٣]

== Pharaohs , p . 273; lalouette, L'Empire des Ramsès (1985), p . 276 – 277 ; Drioton- Vandier, L'Egypte (éd. 1946),p. 364 (IV), p. 433(VIII) (A) (3) (b); PM , Theban Temples II (1929),p. 49 (7), p. 159 (XIV) ; PM , Theban Temples II (1972),p. 447 – 448 ؛ ومن المراجع باللغة العربية التى ذكرت هذه اللوحة : د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٢٢٥ حاشية (٨٧) ؛ د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٣٥٨ حاشية (١) . وعثر على لوحة فى معبد الكرنك عليها نسخة مكررة من نص مرنبتاح . ويتكون هذا النص من حوالى ٣٩ سطرا ونلاحظ أن فقرة " وقبائل يزرل سحقت ولم يعد لها بذور " لم تذكر على هذه النسخة المكررة . راجع : legrain, ASAE 2 (1901),p. 269; Kuentz, BIFAO 21 (1923),p. 113 – 117 ; Zivie, GM 18 (1975),p. 50 n . 7; PM , Theban II (1972),p. 131 (1972),p. 131 (487)et p. 448 .

(١) Vandier, Manuel d'Archéologie III , p. 713 – 716 fig. 354 .

(٢) Drioton – Vandier , l'Egypte (éd . 1946), p . 344 .

(٣) lalouette, L'Empire des Ramsès, p. 473 .

ونلاحظ أيضا أن مرنبتاح لم يحاول أم يمحوا ويطمس النص الخاص بأمنحتب الثالث مما يدل على أن هذه اللوحة كانت قائمة فى مكان ظاهر فى معبده الجنائزى ولم تكن ملصقة على جدار أو حائط فى المعبد وإلا لأثر ذلك على سلامة نص أمنحتب الثالث ، الذى عثر عليه فى حالة جيدة[١] . ومما يدل على أنها كانت مقامة فى مكان ظاهر حتى يتمكن من يدخل معبده الجنائزى أن يقرأ النصين معا ، وربما يقارن أيضا بين ما حققه أمنحتب الثالث وبين ما حققه مرنبتاح فى حربه ضد الليبيين على الحدود الغربية وما حققه فى الشمال الشرقى ضد بعض المدن الفلسطينية وشعوب اليسيرارو , ولهذا نجد أن نص مرنبتاح أسهب فى إظهار مدى الخطر الذى كان يهدد حدود مصر الغربية بينما أسهب النص الخاص بأمنحتب الثالث فى إظهار النشاط المعمارى للملك .

نرى فى أعلى اللوحة منظرا مزدوجا يظهر فيه مرنبتاح على اليمين ويتبعه المعبود " خونسو نفرحتب "[٢] وهو يقوم بتقديم علامة الخبش بيده اليمنى إلى المعبود آمون وبيده اليسرى يمسك بعلامة حقا . وعلى اليسار مرنبتاح يعطى بيده اليمنى علامة الخبش لآمون ويمسك بيده اليسرى علامة حقا وتتبعه المعبودة موت . ونقرأ أمام امون فى المنظر الذى على اليمين .

" خذ لنفسك أداة الحرب للانتصار على كل بلد أجنبى "

وعلى اليسار نقرأ :

" تلقى لنفسك أداة الحرب ضد كل البلاد الأجنبية مجتمعة فى مكان واحد "

وبعد ذلك يبدأ النص الذى يتكون من ٢٨ سطرا ، والذى يحدثنا فيه الملك عن انتصاراته على الليبيين وزعيمهم وبعد ذلك يحدثنا عن انتصاره على بعض المدن فى فلسطين .

---

(١) يذكرنا هذا بالأثر رقم ٧ الذى نقش أيضا على الوجهين .

(٢) Brunner, LA I, p. 960 – 962 .

ونقرأ فى السطور ٢٦ – ٢٨

٢٦ – ٢٧ :" ... والزعماء جميعهم انبطحوا سائلين السلام ولم يعد أحد يرفع رأسه بين الأقواس التسعة وأمسكت[١] التحنو[٢] ، وخاتى هدأت ، وأصيبت [٣] كنعان[٤] بكل أذى "

واستسلمت [٥] عسقلون[٦] ، واخذت[٧] جزر[٨]، وينعم [٩] أصبحت كأنها لم تكن (أى مَحيت [١٠]) وقبائل

---

(١) نقرأ hfc راجع للمعنى Meeks, Alex. II p. 278 .

(٢) حرص الكاتب على ذكر المدن التى خضعت لجيوش مرنبتاح وذكرها باسمها والمقصود بالطبع هم سكان هذه المدن أو هذه الأماكن .

(٣) نقرأ h3q راجع للمعنى Meeks, Alex. II p . 239 .

(٤) لفظ يطلق على منطقة تشمل الجزء الأكبر من فلسطين ، وكانت مجالا لتردد القبائل الرحل ، راجع : lalouette, L'Empire des Ramsès , p.33 , 530.

(٥) عن هذا المعنى لكلمة iny ، راجع : Grimal, les Termes de la Propogande Royale , Paris, (1986),p. 747 .

(٦) إلى الشمال قليلا من غزه ، راجع : lalouette, op . cit., p . 124; Pirenne, la Societé Hebraique d'apres la Bible, p . 1.

(٧) عن هذا المعنى لكلمة mh+ m ، راجع : Grimal, op . cit ., p . 752.

(٨) تقع إلى الشمال من عسقلون ، راجع: Pirenne, op . cit ., p . 1 . جاء فى نص عمدا بأن مرنبتاح " قاهر جزر " ، راجع : د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٧٤٧ .

(٩) مدينة تقع فى جنوب فلسطين ، راجع : lalouette, op . cit., p . 91 .

(١٠) فى نصوص رمسيس الثالث فى مدينة هابو نجد الجملة نفسها : " ينعم أصبحت كأن لم تكن "، راجع : د.عبد العزيز صالح : المرجع السابق، ص ٢٣٦ . وهذا يعنى أن كتبة الحملات الحربية كانوا ينسخون بعض الجمل لأسماء البلاد المقهورة من قوائم أخرى كتبت فى عصور سابقة كنوع من الدعاية، راجع : د. أحمد فخرى :مصر الفرعونية، ١٩٨١، ص ٣٧٤ .

يزريل [١] سحقت [٢] ولم يعد لها بذرة (اى بذرة النسل)[٣] .(نقرأ حرفيا :

---

(١) تقرأ حرفيا : يسيرارو ysy ri3 rw أو يزيـــرارو . وطبقـــا لأراء بعـــض العلماء فى اللغة فان يسير ارو بمكن أن تقرأ يسيرالو ومنهم من يقرأ التسمية : يسير (نى) لو = يسرا (نى) لو ، راجع : Kitchen, Ancient Orient and old Testament, p. 59 n. (12). ومما نـــود الإشـــارة إليـــه أن الأبجدية اللغة المصرية القديمة لا تحتوى علامات لألف الوصل يـــاء المـــد (حركة الكسر الطويلة) .

وقد قرأ جوتيه هذا الاسم Isrealou راجع : Gauthier, DG I ,p. 172 ولكن من الأفضل قراءة وكتابة هذا الاسم كما جاء فى النص المصرى دون أية تحريف : (الـــ) يسيرارو أى يزريل والمقصود " (قبائل) يزريل" .

(٢) يمكن أن نقرأ fk3 بمعنى " يحطم " ، راجع : Meeks, op . cit . 11, p. 148 وأما fk بمعنى " يشرد" Faulkner, Concise Dictionary, p. 99

(٣) كلمة prt تعبر هنا عن معنين " البذرة الضرورية للانبات أو بـــذرة النســـل (راجع . Meeks , Alex. I,, p. 134; Wb I , 530 9-10 ; 531 , 1)

" ومما يؤكد هذا المعنى النقش الذى ذكره سنوسرت الثالث والذى ذكرنـــــاه فيما سبق والذى حدثنا فيه عن محاربته للقبائل الزنجية فى الجنوب قـــائلا .. وذهبت حتى آبارهم وقضيت على ماشيتهم وأحرقت غلالـــــهم " . وعندمـــا تحدث رمسيس الثانى فى نقوشه عن معركة قادش نجد أنه قـــال : وبغلـــى أصبحت حقول قادش جرداء بسبب القتلى " . وفى نص لرمســـيس الثـــالث ذكره د. عبد الحميد زايد (المرجع السابق ، ص ٧٤٦) يتحدث عن حـــروب الملك ضد الليبيين إذ جاء فيه : " أصبحت مدنهم رمادا ، هدمت ونهبت عن آخرها : ولم يصبح لديهم بذور " . ويؤكد د. زايد (المرجع الســـابق ، ص ٧٤٦) أن كلمة برت التى جاءت هنا فى نص مرنبتاح تعنى " حبـوب " ولا تعنى هنا " نسل " لأن المخصص الذى كتب به كلمة حبوب هو عبارة عـــن حب من القمح ينتهى بثلاثة خطوط هى التى يكتب بها الجمع فى اللغة —

يسر ارو فكت بن برت إف) وخارو[١] أصبحت أرملة [٢] .

٢٨ – لتامرى ، والبلدان كلها أئتلفت فى سلام وبالنسبة لأى مـــن(الأقـــوام) الرحل[٣] الخارجين (عن الطاعة)[٤] فأنه سوف يقضى [٥] (عليـــه) بواسطة ملك

== المصرية القديمة . وأن Spiegelberg ترجمها بهذا المعنى فـــى . ZAS 34 (1896)p. 1-25 . وذكرت فى نصوص مختلفة بمخصصات عديـــدة ، راجع : Baillet, RT 20 (1898),p. 178 (4); Kminck- Szedlo, Bologna , p. 3671 ; Petrie, Shabtis , pl. 22 ; Meeks, op . cit . 11 , p . 78; Wb I, 394, 2 ويذكر بعض العلماء أن هذا التعبير يعنـــى القضاء على بذرة أو سلالة الأعداء فى نصوص رمسيس الثالث فى مدينـــة هابو ، راجع : lalouette, op. cit., p. 305 n 73. P. 306 – 307 n. 78, p. 312n . 91, p. 492, p. 493; Kitchen, Ramesside Insciptions IV, p. 14, 1.16, p. 12 , 1.13; Grimal, op. cit., p. 71 (3-7),p. 100 (249) ؛ ومما يؤكد هذا المعنى الأخـــير أنـــه عندمـــا استولى اسرحدون على منف وذكرت نصوصه وانه اسر الحريـــم وعائلـــة طهرقا وقال " أنه أنتزع بذرة كوش من عصر : راجع فيما بعد ، ص ٤٠٥ ومما يؤكد هذا المعنى أيضا ، نصنا هذا أن هذه القبائل اليسيرارو لـــم يكـــن لديها زرع أو حرث لأنها تسكن الجبال .

(١) خارو هى جزء من فلسطين وجنوب سوريا ، راجع : Pirenne, op . cit ., p . 35; Gardiner, Egypt of the Paraohs, p . 226n.(1).

(٢) أى أن فلسطين وجنوب سوريا أصبحتا بدون حماية عـــن هـــذا المعنـــى ، راجع :Daumas,la Civilisation de L'Egypte Pharaonique,p.95.

(٣) تقرأ šm3w ، راجع : Faulkner, op . cir ., p . 266 .

(٤) تقترح أن تقرأ هذه الكلمة iwjt ، راجـــع بالنســـبة للمعنـــى : Meeks,. Alex. I,p. 18 .

(٥) عن معنى wcf راجع : Mecks, Alex, I . p. 84 يعطى د. عبد الحميـــد (فى مصر الخالدة، دار النهضة العربية، ١٩٦٦، ص ٧٤٥) الترجمة ==

مصر العليا والوجه البحرى با – ان – رع – مرى – آمون ، ابن رع ، مرنبتاح – حتب حرماعت ، معطى الحياة مثل رع كل يوم " . والسؤال الذى يجب أن نطرحه الآن ويدور فى مخيلة كل دارس لتاريخ مصر القديم :

هل هناك صلة بين أحداث حملة مرنبتاح على فلسطين ووقائع خروج بنى إسرائيل من مصر ؟(١)

اتجه علماء الدراسات المصرية القديمة والدراسات الشرقية بالإدلاء بعدة اراء فى هذا الموضوع ، فيرى بعضهم – دون الاعتماد على نصوص أثرية مصرية أن خروج بنى إسرائيل من مصر قد حدث فى عصر الهكسوس (٢) وظهر رأى أخير يفيد بانهم خرجوا فى عصر الأسرة الثامنة عشرة(٣) . وبالتحديد فى عهد الملك تحوتمس الثالث ، وآخرون يعتقدون ان خروجهم حدث فى عهد أمنحتب الثانى (٤)

== الآتية لهذه الفقرة : انبطح الأمراء أرضا وصاحوا شكرا ! ولم يرفع واحد من بين الأقواس التسعة رأسه : هدمت بلاد " التحنو " . " وخاتى " فى سلام ، ونهبت " كنعان " بكل مرض ، وأخذت" عسقلان " وأستولى على "جزر " وأصبحت " يونعام " كأن لم تكن . وخربت " إسرائيل " وليس بها حبوب وأصبحت " خور " = (فلسطين وسوريا " أرملة لتامرى = (مصر) واتحدت كل البلاد فى سلام . لقد قهر كل قاطع طريق " .

(١) Ebach,LA III , p . 205 .

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ٩٨١ ، ص ٣٥٩ حاشية(١) ؛ د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٢٢٥ – ٢٢٦ .

(٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٥٩ .

(٤) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٤٧ – ٥٧٥ ، وذلك اعتمادا على جاء فى سفر الملوك الأول فإن سيدنا سليمان بنى معبدا فى بيت القدس ٢٤٠ سنة بعد خروج أطفال إسرائيل من مصر . ويقول أصحاب هذه النظرية أنه إذا أعدنا إلى الوراء ٤٨٠ سنة من إقامة معبد اليهود والذى تم حوالى عام ٩٦٠ ق.م ، وبذلك نصل إلى عام ١٤٤٠ ق.م .وهى السنة العاشرة من حكم أمنحتب الثانى تقريبا .

وقد وضع مانيتون خروج بنى إسرائيل أيام أمنحتب الثانى [١] . كما أن هناك من الباحثين من يرى أن ذلك حدث فى عهد أمنحتب الثالث ووصل الأمر ببعضهم الآخر إلى القول بأن خروجهم من مصر كان على أثر وفاة أمنحتب الرابع .[٢]

وظهرت آراء أخرى ترى أن الخروج حدث فى عهد رمسيس الثانى [٣]

---

(١) De Wit , The Data and Route of the Exodus (1960),p. 20.
وأيضا : د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٧٦ .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٥٩ ؛ د. علـى حسـن : النبـى موسى المصرى الذى قاد اليهود ، ص ١٥٦ – ١٥٧ .

(٣) Desroches- Noblecourt, Ramsès la Grand (1976), p. XXVIII – XLV ; lalouette, l'Empire des Ramsès (1985),p. 259 n . 167et p. 490 ; Fairman , Egypt in the Bible, p. 236 .
وأيضا :د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٧٤٧ ، وقد جـاء فـى كتاب مدام نوبلكور أحدث الآراء بالنسبة لقصة الطرد ، فهى تضعه فى أيـام حكم رمسيس الثانى . وملخص رأيها الذى جاء فى كتابها فى المقدمة ابتـداء من الصفحة رقم XXVIII – XLV " أن الطرد قد حدث بين العام العاشـر والثامن عشر من حكم رمسيس على الرغم من أنه ليس هناك أيـة وثيقـة تشير إلى ذلك – وذكرت أن اسم سيدنا موسى هو اسم من اصل مصـرى . ونشأ فى بلاط الملك وكان هناك فى ذلك الوقت الكثير من اليهود يعملـون بمناطق الحدود المصرية فى زراعة الكروم وعمل الطوب اللبـن . وكـان بعض منهم قد تعلم فى المدارس المصرية وكان سيدنا موسى يتمتع بحمايـة خاصة من الملك حور محب الذى كان مشغولا بمشكلات الآسـيويين فـى مصر . وقام الملك سيتى الأول بتشييد الحصون فى شـرق الدلتـا وشـيد قصره فى قنطير التى أصبحت العاصمة فى عهد رمسيس الثانى . وكـانت الأيدى العاملة التى عملت هذا القصر والحصون من القبائل الآسيوية ، وهنا تواجد سيدنا موسى بين أهل عشيرته . وكان الملك يقوم باضطهاد ===

أما الرأى الوحيد المعتمد على نص أثرى – لم يلتزم العلماء الغربيين حيالـــه بالدقـــة المطلوبة فى ترجمته وتفسيره – فإنه يرى خروج بنى إسرائيل من

== اليهود فى بيتوم وهرب سيدنا موسى إلى مدين بعـــد مقتـــل أحـــد زبانيـــة الاضطهاد وتزوج من ابنة كاهن مدين فى عرب وادى عربـــة – ايـــلات . وعاد سيدنا موسى مرة أخرى إلى ممصر بعد أن تولـــى رمســـيس الثـــانى الحكم . وكان سيدنا موسى شخصية كبيرة فى مصر وطلب من رمسيس أن يذهب مع شعبه لعمل تضحية فى الصحراء على بعد مسيرة ثلاثـــة أيـــام . ولكن الملك رفض هذا الطلب وكان هذا الرفض سببا فى بداية الصـــراع ، وحدث هذا الطلب بين السنة الخامسة والسابعة من حكم رمســـيس . وفـــى خلال هذه السنوات شاعت القلاقل على الحدود المصرية الشرقية . وتمـــادى الملك فى اضطهاد اليهود فى بيتوم ومدينة رمسيس وذلك بعد وفـــاة الابـــن الأكبر للملك . وحدث الطرد وبدأ الخروج من مدينة رمسيس واتجه اليـــهود إلى وادى الطميلات نحو جنوب خليج السويس وهـــو طريـــق خـــال مـــن التحصينات . ويبدو أن الصدام مع الجيش المصرى قد حدث فى المنـــاطق الضحلة فى كليسما Clysma على البحر الأحمر . وهنا حدثـــت معجـــزة انشقاق مياه البحر ، واتجه سيدنا موسى بعد ذلك إلى جنوب صحراء النقـــب فى سيناء .

وجاء فى كتاب د. عبد الحميد : المرجـــع الســـابق ، ص ٥٧٥ ، ٧٤٦ – ٧٤٧ ما يلى : وهناك نظريتان لخروج اليهود من مصر ، أحدهما تـــؤرخ خروجهم منذ أيام أمنحتب الثانى وأول من نادى بها لفبور lefebure عـــام ١٨٩٦ويقول أصحاب هذه النظرية أنه إذا عدنا إلى الوراء ٤٨٠ سنة مـــن أقامه اليهود فى بيت المقدس والذى تم حوالى عام ٩٦٠ ق.م ، وبذلك نصل إلى عام ١٤٤٠ ق.م . وهى السنة العاشرة من حكم أمنحتب الثانى تقريبـــا ، وعلى ذلك فعام ١٤٤٠ ق.م . هو التاريخ التقريبى لخروج اليهود من مصر

مصر كان فى أيام مرنبتاح[1] وذلك اعتمادا على الفقرة التى جاءت فى السطر رقـم

== أما عن الفرعون الذى مات أثناء أقامة موسى فى مدين فهناك أحتمال فى أن يكون تحوتمس الثالث هو الذى كات توفى عام ١٤٥٠ ق.م أما عن دخول الإسرائيليين أرض كنعان بعد أربعين سنة أقاموها فى الصحراء ، فيحتمل أن يكون ذلك قد وقع عام ١٤٠٠ ق.م وسط حكم أمنحتب الثالث والذى حكم ١٤٠٥إلى ١٣٦٧ ق.م تقريبا ، وفى هذا الوقت تم الاستيلاء على جريكو ، وقد انتقل سيدنا موسى قبل ذلك ، بعد أن بلغ من العمر ١٢٠ سنة ، وعلى ذلك فقد ولد حوالى عام ١٥٢٠ ق.م . وفى نهاية عهد تحوتمس الأول الذى حكم من ١٥٢٨ – ١٥١٠ ق.م . تقريبا ، وقد أخذت ابنته حتشبسوت موسى وتبنته . وقد فر إلى مدين فى سن الأربعين ، وكان ذلك بعد وفاة حتشبسوت ، فقد أحس موسى بان حزبها قد ضعف وان مركزه سيتزعزع لأن تحوتمس الثالث أراد أن ينفرد بالسلطة فقضى على كل من والى حتشبسوت". وقد نشر Grdseloff بحثا عام ١٩٤٩ عن لوح عثر فى بيت شان يحدثنا عن هجوم العابيرو أيام سيتى الأول على بلدة تقع غرب الأردن . كما يذكر أن العابيرو الذى جاء ذكرهم على لوح أمنحتب الثانى الذى كشف عنه فى ميت رهينة يتصلون بدخول سيدنا يعقوب وأولاده مصر ، وقد أنهى مقاله بان خروجهم من مصر وقع فى العام الأخير من حكم رمسيس الثانى وحدد جردسلوف دخول يعقوب إلى مصر بالعام ١٤٣٨ ق.م . وخروج اليهود بالعام ١٢٢٣ ق.م . وكما جاء ذكر ذلك فى سفر الخروج ، راجع أيضا: ابكار السقاف : إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، ص ١١٥ – ١٥٨ .

(١) Kitchen, Ramsès II, le Pharaon triomphant, p. 344; Id. Ancient Orient and old testament, p. 57- 60; Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 44; Pirenne, la Sociéte Hebraique d'apres la Bible, p. 160; Mayani, les Hyksos et le monde de la Bible, p. 34; Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, p. 109; Drioton, la data de l'Exode, dans la Revue ==

٢٧على الأثر رقم ٦ (أى اللوحة السابق ذكرها ضمن آثار مرنبتاح) والتى جاء عليها : " و(قبائل) يزريل سحقت ولم يعد لها بذور (أو زراعة) . وقد قرأ أغلب العلماء الاسم " يزريل " إسرائيل . وقد اعتمد أكثر العلماء على القراءة الخطأ لهذه الفقرة للتحدث الخروج فى عهد هذا الملك وابدأ الآراء المتعددة التى لا تدعمها الوثائق أو الأدلة الأثرية .

ويرى بعض العلماء أن خروج بنى إسرائيل من مصر فى عهد مرنبتاح يعد أمرا يكاد يكون مستحيلا ، وذلك لعدم توافر الأدلة الأثرية الكافية لإثبات وجودهم فى مصر فى عهد هذا الملك .(١)

وقد حاول بعضهم البحث عن اسم سيدنا موسى فى النصوص المصرية ، وافترض بعضهم العثور على هذا الاسم فى بردية انستاسى رقم ١. ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل لوجود العديد من الأشخاص الذين يحملون اسم مسى أو مس سو وقد جاء فى سفر الملوك الأول ، ان سليمان بنى معبدا ، فى بيت المقدس ٤٨٠ سنة بعد خروج أطفال إسرائيل من مصر ، وفى سفر الخروج جاء أن لإقامة العبرانيين فى مصر قد استمرت ٤٣٠ عاما .

= d'Histoire et de Philosophie Relig ieuse 35 (1955),p. 47 – 50؛ وأيضا : د. بيومى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ، الجزء الأول ، ١٩٨٠ ، ص ٢٨١ حاشية (١) ، ص ٣٠٢ حاشية (٥) ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٧٤٦ – ٧٤٧ ؛ محمد قاسم : المرجع السابق ، ص ١٤٠ يضعه سنة ١٢٢١ ق.م ؛ ابكار السقاف : المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢٥ .
ويؤكد د. عبد المنعم عبد الحليم فى مؤلفه : البحر الأحمر وظهيرة فى العصور القديمة ، ص ٥٢٢ – ٥٢٥ أن فرعون الخروج هو رمسيس الثانى وأنه هو الذى هلك غرقا .

ولقد جاء فى المزمور ٤٣ ، ١٣٨،١٢ ما يفيد أن الحوادث التى سبقت الخروج قد وقعت فى تانيس .

وقد جاء فى سفر التكوين حين أعلن الله (يهوا) إلى إبراهيم ما يلى :

" أعلم علم اليقين أن نسلك سيقيمون فى أرض ليست أرضهم ، وسيصبحون عبيدا هناك ، وسوف يضطهدون مدة أربعين عاما "(١) . والقصة التى جاءت فى التوراة كما نسخها فيما بعد الكتبة اليهود ، تمثل بعض الإسهاب الدينى للظروف الضخمة التى صاحبت هذا الطرد وفى نهاية القرن الماضى قامت جمعية الاكتشافات الأثرية الإنجليزية بعمل حفائر فى شرق الدلتا وشبه جزيرة سيناء ، وكانت تأمل فى العثور على بقايا أثرية تخص قوم الطرد ، ولكن هذا الأمل لم يتحقق ولم تعثر على أى أثر مادى .

وفى الواقع أن كل هذه الآراء لا تعتمد على مصادر أو شواهد أثرية مؤكدة لكى تدعمها ، ولم نجد حتى الآن نقشا أو نصا واحدا على الآثار المصرية والمصادر التاريخية تؤيد أى رأى من هذه الآراء أو تدفعنا لإبداء رأى جديد ، بل على العكس ظلت المصادر الأثرية والنصوص المختلفة حتى يومنا هذا على صمتها إزاء هذا الموضوع (٢) . الذى أصبح فى الواقع مشكلة من مشاكل تاريخ مصر القديم .

وقد ذكر هذه الفقرة العديد من علماء الدراسات المصرية من المصريين والأجانب(٣) ونذكر بخصوصها عدة ملاحظات منها :

---

(١) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٥٧٥ ، ٧٤٧ ؛ محمد قاسم : التناقض فى تواريخ وأحداث التوراة من آدم حتى سبى بابل ، مطابع ستاربرس للطباعة والنشر القاهرة ١٩٩٢ ، ص ١٤٠ – ١٤٣ .

(٢) د.أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٦٠ حاشية (١) ؛د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢٦ حاشية(٨٨) .

(٣) وقد عثر على نسخة أخرى من هذه اللوحة فى معبد الكرنك ، ولكن لم يذكر عليها حملة الملك فى فلسطين ، راجع : legrain, ASAE 2 (1901) ,p. 269-270 ; kuentz , BIFAO 21 (1923),p. 113 – 117 .

أولا : مما يؤسف له أن أغلب العلماء فى كتاباتهم عندما يتعرضون لـــهذه الفقرة يترجمون كلمة " يزريل " بالاسم " إسرائيل "(١) وهذا ما يخالف كتابته الكلمـــة فى النص وبالتالى قراءتها وترجمتها .

ومن ناحية أخرى فإن ترجمة الاسم على هذا النحو يخالف ما كان سائدا من أوضاع سياسية فى فلسطين فى عصر الأسرة التاسعة عشرة ، لأن ترجمـــة الكلمـــة باسم " إسرائيل " يعنى وجود مملكة إسرائيل على أرض فلسطين فـــى عصـــر هـــذه الأسرة أو قبله بفترة ، لذلك فمن الأفضل وللأمانة العلمية قراءة وترجمة الكلمة كمـــا جاءت فى النص " يزريل أو جزريل " والمقصود بهذه التسمية هنا هم الذين يســكنون سهل جزريل (الذى ذكرته التوراة تحت اسم اسدرالون Jezreel وهو مـــرج ابـــن عامر فى الناحية الشرقية الشمالية من جبال الكرمل)(٢) (والذى يمتد من حيفا غربـــا إلى وادى

---

(١) د.أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، الطبعـــة الخامســـة ، مكتبـــة الأنجلـــو المصرية ١٩٨١ ، ص ٣٥٨ وحاشية (١) ويذكر : " وهـــذه هـــى المـــرة الوحيدة التى ذكرت فيها كلمة (إسرائيل) على الآثـــار المصريـــة " ؛ الـــن جاردنر : مصر الفرعونية (ترجمة د. نجيب ميخائيل ومراجعـــة د. عبـــد المنعم أبو بكر) الهيئة المصرية العامـــة للكتـــاب ، ١٩٧٣ ، ص ٣٠٢ ؛ د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٧٤٨ ؛ د. عبد العزيز صـــالح : المرجع السابق ، ص ٢٢٥ حاشية (٨٧) . وعن الخروج ، راجع : ابكـــار السقاف : إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة مكتبة مدبولـــى ١٩٩٨ ، ص ١١٥ - ١٥٨ ، Saleh- Sourouzian , op .cit., n. 212 ; Gardiner, Egypt of the Pharaohs, p. 273 ; Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 95 ; Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, p.109 ; Drioton – Vandier, L'Egypte (ed. 1946),p. 416 ; Pirenne , la Societé Hebraique d'apres la Bible p. 34 n .(3), p. 35 et p. 36 n (2) ; Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p . 163; Kitchen, Ancient Orient and Old Testament, p. 59; lalouette, L'Empire des Ramsès, p. 277 .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٧٧ .

الأردن (الغور) .

ويبدو أن جيش الملك مرنبتاح قد اتبع الطريق الدولى القديم الذى يمكن تتبعه من دلتا النيل وعلى ساحل سيناء حيث يتفرغ إلى مناجم النحاس والفيروز فى شبه الجزيرة . ومن سيناء يتجه الطريق شمالا نحو ساحل فلسطين حتى جبال الكرمل على مسافة من البحر . وهنا يتفرع إلى طريقين يتجه الواحد إلى الساحل فيصل صور وصيدا وجبيل وسائر الموانئ السورية .ويسيرّ الآخر إلى الداخل فيجتاز مجدو ويعبر الأردن فى وادية الشمالى ثم يتجه رأسا إلى دمشق فى الشمال الشرقى .(١)

وكما يخبرنا النص أن جيش الملك بدأ بمعاقبة أهل كنعان (٢) ويقصد بها هنا مدينة غزة ثم عسقلون وهما تقعان على الساحل الجنوبى لفلسطين (٣) ، ثم سار بمحاذاة الشاطئ إلى الشمال ثم توجه بعدها إلى مدن الداخل جزر (٤) وينو عام (ينعم)(٥) ووصل إلى وادى الأردن أو منطقة مرج ابن

---

(١) د. فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول (ترجمة د. جورج حداد وعبد الكريم رافق) ، دار الثقافة ببيروت ١٩٥٨ ، ص ٦٤ – ٦٥ .

(٢) أصبح هذا الاسم يطلق فيما بعد على الساحل وغربى فلسطين ثم أصبح الاسم الجغرافى المتعارف عليه لفلسطين وجزء كبير من سوريا ، راجع د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٨٧ .

(٣) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٨٩ .

(٤) جزر هى تل الجزر جنوبى شرقى الرملة ، راجع : د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٢٦ وقد عثر للملك مرنبتاح على ساعة شمسية (مزولة) من العاج فى تل جزر ، راجع : Moller , ZAS 56 (1920),p. 101 = PM VII, p. 370 = Sloley , JEA 17 (1931)p. 173.

(٥) عثر على اسم مرنبتاح على العديد من الآثار التى عثر فى سرابيه الخادم فى سيناء ، راجع : . PM VII , p. 351 , 364 كما عثر على اسمه على أنية من الفخار عثر عليها فى تل الدوير فى فلسطين ، راجع : Kitchen, Ramesside Inscriptions IV , p. 24.

عامر [١] (Esdraelon) أى اجتاز فلسطين بأكملها وتقابل مع كان سـهل جزريل أى فى المنطقة التى تفصل بيت تلال الجليل فـى الشـمال عـن مرتفعـات فلسطين فى الجنوب [٢] ويلاحظ ان كاتب النص قد اتبع الترتيب الجغرافى أى ذكـر مدن جنوب الساحل ثم الموجودة فى الداخل فى الشمال الشرقى.[٣]

ثانيا : ما يؤسف أيضا أن العلماء يسـمون هـذه اللوحـة بـ " لوحـة إسرائيل "[٤] وهذا يخالف ما جاء على وجهى اللوحة من نصوص فهى تحتـوى فـى وجهها الأمامى على نص من عهد الملك أمنحتب الثالث يسجل فيه أعمالـه بالنسـبة لمعابد طيبة وخاصة فى الأقصر والكرنك وانتصاراته الحربية ، وعلى ظهرها علـى نص آخر من عهد مرنبتاح ، ولهذا فمن الفضل تسميتها أما بـ" اللوحة ذات النصيـن" أو بـ " لوحة انتصارات أمنحتب الثالث ومرنبتاح " أو " نص البر الغربى " لأمنحتب الثالث أو لمرنبتاح " عند الحديث عن أحدهما .[٥]

---

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق، الجزء الأول ، ص ٣٢ ، ٣٩ ، ٣٥٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٩ .

(٣) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٧٤٦ .

(٤) Saleh- Sourouzian, op . cit, n. 212; Grimal, les Termes de la Propogande Royale, p. 254, 284, 314, 487, 541, 649, 661 (505); lalouette, L'Empire des Ramses, Paris (1985),p. 277, 528; Zivie, GM 18 (1975),p. 46n. 7, p . 50n. ii et 18 ; kitchen ,op . cit.,p. 59 n . 12 ; Posener, op . cit., p. 109; Daumas, op. cit., p . 557, 629, 639 ; Drioton – Vandier, op . cit ., p. 364, 415 – 416, 433 (VIII) (A) (3) (b); Pirenne, op . cit ., p. 36; lefebvre, ASAE 27(1927),p. 25 n. b, 26 n. e, 28 n. d; PM , Theban Temples 11 (1929),p. 159)XIV); PM , op . cit ., 11 (1972),p. 447.

(٥) Kruchten, BSFE 103(Juin 1985),p.15n.21 يسميها بـ " لوحـة أمنحتب الثالث " وأيضا : د. أحمد فخرى : مصـر الفرعونيـة ، ١٩٨١ ، ص ٣٥٨، د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق، ص٢٢٥؛د. عبد الحميـد زايد : المرجع السابق ،ص٧٤٤ويسميها Saleh-Sourouzian" لوحة ==

ثالثا : يذكر كيتشن فى كتابه الذى ذكرناه فيمـــا ســبق " الشـــرق القديـــم والتوراة " " أن إسرائيل كانت موجودة فى غرب فلسطين فى عـــام ١٢٢٠ ق.م وإن غزوها لأراضى فلسطين كان فى وقت مبكر عن هذا التاريخ أى فى عـام ١٢٩٠ أى عند ارتقاء رمسيس الثانى عرش البلاد أو عام ١٣٠٤ق.م ".(١)

وفى رأينا أن هذا الرأى لا يستند على أى نص تاريخى أو مصـــدر أثـرى مؤكد ولهذا لا يجب الأخذ به على الإطلاق . وذلك للأسباب الآتية :

أن عملية استقرار أية جماعة من الجماعات يحتاج إلى فترة زمنية طويلـــة فلو أن إسرائيل لها وجود فى فلسطين فى الفترة التى سبقت عهد مرنبتاح ، فلمـــاذا لا تذكرها النصوص المصرية مرة واحدة وخاصة وأن النقوش المصرية القديمة تحدثنـا عن فلسطين ومدنها منذ الدولة القديمة .

فإذا عدنا إلى الوراء إلى عصر الأسرة السادسة نجد أن بعض الشعوب التى كانت تسكن بالقرب من جبال الكرمل قامت بتهديد طرق التجـــارة المصريـــة إذ ذاك فاضطر الملك بيبى الأول (٢٢٩٤- ٢٢٥٢ ق.م) إلى إرسال القائد ونـــى لتجـــهيز أحدهما سار بطريق البر ، وسار هو مع الجيش الآخر بطريق البحر فنزل عند مكـان من المحتمل جدا أن يكون قريبا من جبال الكرمل ، وسار بعد ذلك فى داخل البـــلاد وانتصر ، وقمع الثورة هناك لأن فلسطين لم تكن فى ذلك العهد بلدا تابعة لمصـــر أو تحت حكم ملك مصر .(٢)

وفى عصر الأسرة الثامنة عشرة ، نجد الملك تحوتمس الثالث (١٥٠٤ –

== انتصار مرنبتاح " وأيضا يسميها " لوحة إسرائيل " قمنا بإعداد دراسة عـــن هذه اللوحة تحت عنوان : " اللوحة ذات النصين ليست لوحة إسرائيل " فـــى مجلة كلية الآداب – جماعة المنيا ، المجلد الثامن عشـــر ، الجـــزء الأول ، أكتوبر ١٩٩٥ ، ص ٢٣٣ – ٢٦٦ .

(١) Kitchen, op . cit., p . 57 – 59 .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٥١ وحاشية (١) .

١٤٥٠ ق.م) قام بأول حملة له على فلسطين فى العام الثانى والعشرين من حكمه أى فى السنة الأولى من انفراده بالحكم ،. وأنه غادر حصن ثارو (علــى مقربــة مــن القنطرة) فى طريق إلى فلسطين فوصل إلى غزة بعد تسعة أيام . وقطع مسافة تزيـد على ٢٨٠ كم ، ولم يضع تحوتمس الثالث وقته لأنه كان يعلم أن الذى شــقوا عصــا الطاعة جمعوا جموعهم عند مدينة مجدو (تل المتسلم) على الحافة الجنوبية لســهل جزريل . وكان هذا الاتحاد تحت رئاسة أمير قادش . وترك جيش تحوتمــس غــزة ووصل بعد ذلك بسلام إلى بلد يقال له " يحم " بعد مسيرة أحد عشر يوما وبعدها كان أمام تحوتمس ثلاثة طرق اثنان منها يدوران حول سطح جبال الكرمل ولكنه صمــم على اتخاذ طريق ضيق وسط الجبال يبدأ من مكان يسمى عرونا وبعــد أن حــاصر مجدو سبعة شهور استطاع الاستيلاء عليها .

وبعد الاستيلاء على مجدو اتجه تحوتمس شمالا مستوليا على البــلاد كلــها ومن بين المدن التى أستولى عليها ينوعام (ينعم) (وتقع على بعد تسع كيلو مـترات من بحيرة طبرية) وهى التى جاء ذكرها فى نص مرنبتاح (١) .

ونج أن نقوش الأسرة التاسعة عشرة مليئة بأخبار الحملات الحربية التى قـام بها ملوك الأسرة ضد بدو سيناء أو ضد القوى الكبرى التى ظهرت فى بلاد الشــرق القديم وكانت تناهض السياسة المصرية فى سورية وفلسطين ولكن لــم تذكــر هــذه النصوص أيضا أى وجود للملكة لإسرائيل على ارض فلسطين .

فنجد الملك سيتى الأول (١٣١٢ – ١٢٩٨ ق.م) قام بحملة فى فلســطين وسورية وتغلغل بعمق داخل فلسطين ضد قبائل العابيرو والبدو من الشاسو وقضــى على ثورتهم ثم تقدم حتى كنعان ، وعندما حاولت قبائل الشاسو التجمع مرة أخــرى فى بلدة ينعم لم يمكنهم سيتى الأول من التجمع سويا فى مكان واحدا .(٢)

ومن الملاحظ أن نص الملك سيتى يذكر لنا مدينتى كنعان وينعم وقد ذكرت

---

(١) د.أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٧٧ – ٣٨٩ وحاشية (١) .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٤١ .

هاتين المدينتين فى " لوحة انتصارات أمنحتب الثالث ومرنبتاح " .

وهناك لوحة تركها لنا رمسيس الثانى فى شمال نهر الكلب يخبرنا نصها عن حملة قام بها الملك رمسيس الثانى بين العام الخامس والثامن من حكمه فى فلسطين واستولى فيها على مدن عسقلون وبعض المدن الفلسطينية وحارب شعوب أدوم فى جنوب فلسطين ومؤاب ، واستولى على بعض المدن إلى الشرق من البحر الميت [١] ونلاحظ أيضا فى نص هذه اللوحة لم يأت ذكر لوجود مملكة لإسرائيل .

رابعا : يلاحظ أن كلمة يزريل بها مخصص العصا المعقوفة وهو المخصص نفسه الذى يجده فى أسماء الشعوب الأجنبية[٢] . وأضاف كاتب النص إلى الكلمة مخصص الرجل الجالس والمرأة واتبعهما بثلاثة شرط علامة الجمع مما يؤكد أنه يقصد الأقوام [٣] أو الشعوب أو القبائل أو الأشخاص . ونلاحظ أيضا خلو الكلمة أو الاسم من أية مخصصات للمكان (الجبل أو المدينة) الذى يدل على سكان البلاد الأجنبية والذى نجده فى أسماء بعض أسماء المدن الفلسطينية مثل كنعان وعسقلون وجزر وينعم ونلاحظ كذلك أن فى أسماء هذه المدن الخيرة يوجد مخصص العصا المعقوفة والجبل معا مما يعنى أنها تخص ممالك أو دول وشعوبها .

ولهذا فإن غياب مخصص الجبل أو المدينة من كلمة يزريل يدل على أن التسمية يراد أقوام يعيشون مناطق الحواف الجنوبية لسهل جزريل شرق شمال جبال الكرمل ولهذا لم يربطهم النص صراحة بمدينة أو بمنطقة جبلية فى داخل فلسطين

---

(١) Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 5; Pirenne, la Societé Hebraique d'apres la Bible,p. 36n.(2) .

(٢) Gardiner, Egyptian Grammar(ed. 1957),p. 513(T14) .

(٣) يرى د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٧٤٦ ، بأن هذا المخصص يشير إلى أقوام ولا يشير إلى منطقة من المناطق . ويرى ابكار السقاف : إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ، مكتبة مدبولى ١٩٩٨ ، ص ١٤٣، أن هذا المخصص يشير أن لا وطن لهم وأنهم ليسو من أصحاب هذه الأرض .

نفسها ، وذلك يعنى أيضا أنهم كانوا أقواما فى حالة ترحال وتنقل دائمين . أو كـــانوا من سكان مناطق السهول المتاخمة للحدود مما يؤكد علامة الحدود فى الأســم وممــا يدل على ان الحديث هنا فى كلمة يزريل عن ســـهل ، هــو المصطلــح المصــرى القديم bn prt , f بن برت إف أى " لم يعد له بذرة " حيث أن الزراعة لا تنمو إلا فى السهول كما أن لكاتب استخدم الضمير المتصل للشخص الغائب المذكر المفرد للدلالــة على الملكية " له " ولم يكتب " لهم " .

خامسا : لم يذكر لنا النص من قريب أو من بعيد أنهم كــانوا مــن نـزلاء فلسطين كما رأى د. صالح.[1] وهناك نص مؤرخ من العام الثامن من حكم رمســيس الثانى ، جاء فيه التعبير الجغرافى يزريــ (ل) الذى كان يطلق على المنطقة جنـوب فينيقية[2] و هذا التعبير قريب الصلة بكلمة يزريل على لوحة مرنبتاح (يلاحظ وجــود مخصص العصا المعقوفة والجبل معا فى نهاية الكلمة) .

وعلى ذلك فإن كلمة يزريل Yezreel (مرج بن عامر فى شــرق شــمال جبال الكرمل) يقصد بها سكان هذه المناكق ولا يقصد بها كما فهم أو فسره أغلـــب علماء الدراسات المصرية القديمة بكلمة أو اسم " إسرائيل " . ومما يعزز هذا الــرأى هو ما جاء فى نهاية الفقرة : " وخارو أصبحت أرملة لمصر " .

وكما نعلم أن كلمة خارو يقصد بها جنوب فينيقيا (أو سوريا) وجزء مـــن فلسطين فإن ذلك يؤكد أن المقصود هنا بكلمة يزريل هم قبائل سهل جزريـــل الذيــن أرادوا أن يحتكوا بجيوش الملك مرنبتاح فأنزل بهم أشد العقاب وإذا نظرنا إلى ترتيب ذكر مدن الساحل على لوحة مرنبتاح نجده يذكر كنعان وعسقلون وجزر[3] وينعم

---

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنـــى القديــم ، الجــزء الأول ، مصــر والعراق ، مكتبة الأنجلو المصرية ، طبعة ١٩٧٩ ، ص ٢٢٥ .

(٢) Gauthier, DG I, p. 105.

(٣) وفى نقش على لوحة عمدا السطر ٢ جاء ذكر مرنبتاح " قاهر جزر " ، ==

ويبدو أن جيوش الملك بعد أن أخضعت مدن الساحل اتجهت إلى الناحيـــة الشــرقية الشمالية من سهول فلسطين لإخضاع القبائل هناك الذين ربما تعرضوا لسبل التجــارة المصرية . والدليل على ذلك أن نهاية النص تخبرنا : " وبالنسبة لأى من (الأقــوام) الرحل الخارجين (عن الطاعة) فإنه سوف يقضى (عليه) بواسطة ملك مصر "

وتختلف قبائل سهل (يزريل) عن جماعات البدو المتعددة التى كانت تغطى جنوب فلسطين وتغير على الحدود الشرقية لمصر مثل :.

العابيرو ، والشاسو ، والبديوشو . وقد فرق الكاتب المصرى فى نصـــوص الدولة الحديثة بين هذه القبائل خارج حدود مصر الشرقية فهى قبائل رحل ففى رسـالة لأحد قواد الحامية على الحدود الشرقية يقول :

" انتهينا من السماح لقبائل الشاسو (البدو) الأدومية بتخطى قلعة مرنبتـــاح التى فى ثيكو حتى بحيرات بيتوم – مرنبتاح التى فى ثيكو ليظلوا هم وقطعانهم أحيـاء بفضل إحسان فرعون (أى الملك) الشمس المشرقة على كل الأرض " .(١)

سادسا : وكما ذكرنا من قبل أن هناك تعبير جغرافى يزريـ (ل) قريـــب الصلة من كلمة يزريل ظهر مرة واحدة فى نص من عهد رمسيس الثانى وكان يطلق على المنطقة جنوب فينيقيا ، ثم ظهر التعبير الجغرافى يزريل مرة أخرى فى نـــص مرنبتاح للدولة للدلالة على القبائل أو الأقوام التى تعيش سهل يزريل فى شرق شـمال جبال الكرمل . ولم يظهر أى من التعبيرين فـــى المصـــادر التاريخيـــة أو الأثريـــة المصرية من العصور اللاحقة . مما يشير إلى أن هذا التعبير كان يطلق فـــى هـــذه

=== راجع : وأيضا ؛ Gardiner, Egypt of the Pharaohs, p. 273 n. 5;
kitchen, Ancient Orient and old Testament, p. 60 ؛ ســيرالن
جاردنر : مصر الفراعنة (ترجمة د. نجيب ميخائيل ومراجعة د. عبد المنعم أبو بكر) ص ٣٠٢ حاشية (٥) .

(١) الن جاردنر : المرجع السابق ، ص (٦) ؛ د. عبد الحميـــد زايـــد : مصـــر الخالدة ، ص ٧٤٧ .

الفترة على قبائل سهل جزريل الذين عاقبهم الملك ولم يعد به بذرة أى أن الحديث هنا ينطبق على سهل كانت به زراعة فخربت (كما ذكرنا من قبل بالنسبة لنص سنوسرت الثالث عند حديثة عن معاقبته للعناصر الجنوبية ونص رمسيس الثانى عند حديثة عن معاقبته لمدينة قادش) .

وأن المنطقة أصابها عقاب شديد على الرغم من أن النص لم يذكر السبب الحقيقى وراء معاقبة هذه الجماعة أو السكان . ولكن كان من نتيجة هذه الحملة أن أصبحت سوريا وفلسطين بدون حماية ، وهذا هو المقصود بالتعبير أن " خارو أصبحت أرملة لتاميرى "(١) أى ان جيوش الملك نجحت فى تأمين الحدود الشرقية وما ورائها كما قامت قبل ذلك بتأمين الحدود الغربية وما ورائها .

سابعا : الواقع أن اسم إسرائيل لم يرد إلا فى مصادر التوراة فى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد حين ذكر أن ميشع ملك مؤاب حارب مع إسرائيل .(٢)

ثامنا : أن نص لوحة انتصارات أمنحتب الثالث ومرنبتاح ليس له صلة على الإطلاق بأحداث الخروج . وذلك لأننا نعلم أن الظروف التى مهدت للخروج وأسبابه معروفة فى آيات القرآن الكريم، وكذلك المعجزة التى وقعت خلال الخروج، فكلمة خروج أو خرج أو طرد لم ترد فى نص اللوحة بالنسبة لقبائل سهل يزريل ، ولم يذكر النص كذلك أى تتبع للملك لهذه القبائل من داخل الحدود المصرية .(٣) ولم يذكر النص أيضا أية معجزة حدثت .

تاسعا : عثر على الملك مرنبتاح على أكثر من أثر فى شبه جزيرة سيناء وجزر ورأس الشمرا مما يدل على نشاطه واهتمامه بتلك المناطق .

---

(١) Daumas, op. cit., p. 95; Pirenne, op. cit., p. 36.

(٢) الن جاردنر : المرجع السابق ، ص ٣٠٢ ؛د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٧٤٧ ؛ محمد قاسم : المرجع السابق ، ص ٦٠٣ .

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢٥ .

عاشرا : يبدو أن عهد مرنبتاح كان عهدا لأحياء روح الكفاح الوطنى ، ففى عهده كتبت بردية ساليه رقم ١ التى تعدد بالأحداث إلى الوراء وتحدثنا عن بداية حرب المقاومة ضد ملوك الهكسوس والتى بدأها سقننرع ضد أبو فيس .[١] وكتبت هذه البردية فى ذلك العهد لتبين أن الانتصارات القومية القديمة لم تمح من مخيلة بعض المثقفين و الكتبة مهما طال عليها .[٢] ويبدو أن تسجيل الانتصار على الليبيين وشعوب البحر على أكثر من مصدر وكتابته فى نص طويل من ثمانين سطرا (نص الكرنك الأثر رقم ٤) يدخل ضمن هذه السياسة لبعث روح الكفاح الوطنى ، والإشارة إلى حملته على آسيا وبعض المدن الفلسطينية والمبالغة فى معاقبة هذه المدن وقبائل اليسيرارو ربما كان اتجاها معينا من الكتبة المصريين الذين ربما قد تأثروا بأحداث الخروج الذى ربما قد وقع قبل عهد مرنبتاح . ومن النصوص التى كتبت أيضا بدافع بعث هذه الروح القومية ، ذلك النص الذى تركه مرنبتاح فى الكرنك ويقارن فيه بين العهد السئ الذى حلت فيه الكوارث بأرض مصر على يد الهكسوس وبين عهده المجيد أثناء فترة حكمه .[٣]

ومما يدل على هذه الروح أيضا وذلك الاتجاه فى عصر مرنبتاح هو وجود حصن فى ثيكو كما تذكر بردية انستاسى رقم ٦ ، يحمل اسم مرنبتاح ، ووجود منشأة عسكرية على الضفة الغربية فى طيبة تحمل اسم الملك أيضا .[٤]

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٠٢ حاشية (١) .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٩١ حاشية (١٨) ؛ د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص.٢٥١ .

(٣) De Rouge, Inscriptions Hiéroglyphiques, pl. 188- 189; Mariette, karnak, pl. 53; Drioton – Vandier, L'Egypte (éd 1946), p. 284, 310 .

(٤) Yoyotte, RdE 7 (1950), p. 66 .

حادى عشر : هناك حقيقة هامة ، وهى أن آيات القرآن الكريم تؤكد لنا أن المسئول فرعون قد غرق هو ومن معه أو هو وجنوده[١]، ثم أمر الله عز وجل بأن ترفع جثته مصداقا لقوله تعالى :

" فليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية " .[٢]

قال ابن عباس وغيره من السلف فى تفسيره لهذه الآية : " أن بعض بنى إسرائيل شكوا فى موت فرعون ، فأمر الله سبحانه وتعالى البحر أن يلقيه بجسده سويا بلا روح ، ليتحققوا من موته وهلاكه "، ولهذا قال تعالى : " فليوم ننجيك " أى نرفعك على نشر من الأرض " ببدنك " ، قال مجاهد " بجسدك " وقال الحسن " بجسم لا روح فيه " ، وقوله " لتكون لمن خلفك آية " أى لتكون لبنى إسرائيل دليلا على موتك وهلاكك وأن الله هو القادر[٣] وجاء فى سفر الخروج " أن ملك مصر (؟) قد مات وتنهد بنو إسرائيل " .[٤]

والآن كيف يكون مرنبتاح هو فرعون الخروج طالما أنه قام بحملته على فلسطين فى العام الرابع أو الخامس . فلو أنه غرق لما ذكر اسمه على بردية أنستاسى رقم ٦ والمؤرخة بالعام الثامن من حكمه ، كما أن لدينا آثارا مؤرخة بالعام العاشر من حكم مرنبتاح[٥] وإذا كان الملك قد غرق فى أعقاب طرد بنى إسرائيل ، لما قيل له فى نهاية السطر ٢٨ على لوحة انتصارات أمنحتب الثالث مرنبتاح هذه الدعوة :

" معطى الحياة مثل رع " يوميا " والدعوة نفسها ذكرت فى نص الكرنك

---

(١) سورة الإسراء : الآية ١٠٣ ؛ القصص : الآية ٤٠ .

(٢) سورة يونس : الآية ٩٢ .

(٣) محمد على الصابونى : صفوة التفاسير ، المجلد الأول ، مكتبة جده ١٩٨٠ ، ص ٥٩٦ – ٥٩٧ .

(٤) سفر الخروج : ١ : ٦ – ١٠ .

(٥) Gauthier, Livre des Rois III, p. 110 – 120 .

(الأثر رقم ٤ ، السطر ٧٩) : " معطى الحياة مثل ر ع أبديا " .

ثانى عشر : أخيرا أن مدة حكم مرنبتاح كانت مدة حكم قصيرة نسبيا ، فقد حكم حوالى عشرة أعوام أو أكثر بقليل ، وعندما تولى الحكم كان كبيرا فى السن . وعلى الرغم من كبر سنه إلا أنه كان خبيرا فى شئون السياسة الخارجية ويشعر بالخطر الذى كان يهدد حدود مصر[١] ويبدو أن تأثير مرنبتاح على أبيه العجوز كان كبيرا . وكان هو الموجه الحقيقى للسياسة الخارجية للبلاد . ولهذا فإن احتمال حدوث الخروج فى عهده مع الظروف التى مهدت له لا يمكن أن يحدث خلال هذه الفترة القصيرة من الحكم وعلى ذلك فهو ليس فرعون الخروج .

وبناء على ذلك أيضا فإن تسجيل أحداث الخروج بما فيها من وقائع وتفاصيل ومعجزات يحتاج إلى مئات الأسطر وربما إلى أكثر من لوحة . ولهذا فلا يجب الاعتماد على جملة قصيرة فى فقرة تحتمل التأويل للإدلاء بآراء كبيرة والربط بينها وبين حدث دينى تاريخى هام مثل حادث الخروج وتخيل قيام دويلة أو مملكة صغيرة قبل قيامها الفعلى بأربعة قرون تقريبا يتعارض مع حقائق التاريخ والأدلة الأثرية . هذا ما أردنا أن نذكره من حقائق بالنسبة للفقرة التى جاءت على لوحة انتصارات أمنحتب الثالث ومرنبتاح وما أثارته هذه الفقرة من اراء خاطئة وما ترتب عليها من نظريات بعيدة عن حقيقة الأحداث .

ثالث عشر : من المحتمل أن يكون هناك نوع من الرقابة فرضت على تسجيل مثل هذه النصوص الدينية وعدم الإشارة المباشرة إلى ما تعرض له المسئول- فرعون من مصير وما حدث من معجزات .

هذا ما أردنا أن نذكره من حقائق لغوية وتاريخية بالنسبة للفقرة التى جاءت على لوحة انتصارات أمنحتب الثالث ومرنبتاح وما أثارته هذه الفقرة من اراء .

---

(١) Lalouette, op. cit., p. 178 - 180, 268 – 286 .

ولنذكر الآن بقية الآثار التى تذكر لنا نشاط مرنبتاح العسكرى :

٧- لوحة المتحف المصرى رقم JE. 50568 :

مؤرخة بالعام الخامس ، الشهر الثالث من فصل الصيف ، اليوم الثالث . وعثر عليها بالقرب من منوف وتسمى لوحة أتريب ، ويبلغ ارتفاعها ٣,٥ مترا وهى منقوشة على الوجهين . يحتوى الوجه الأمامى على ١٩ سطرا والخلفى على ٢١ سطرا . نرى فى أعلى النص على الوجه الأمامى منظرا يمثل الملك مُرتديا غطاء الرأس نمس ويرفع يده اليمنى تحية للمعبود آمون وباليد اليسرى يمسك بحبل ينتهى بعدد من الأسرى . وقام ليففر بعمل ترجمة دقيقة لنص هذه اللوحة .(١)

٨- نقش على جدران معبد العمارة بالقرب من عمدا :

مؤرخ بالعام السادس ، الشهر الأول من فصل الفيضان ، اليوم الأول . ويتحدث عن انتصارات الملك مرنبتاح على الليبيين فى العام الخامس ، الشهر الثالث من فصل الصيف ، اليوم الأول .وسجل هذا النص على الجانب الشرقى من النهاية الشمالية لبوابة المعبد ويتضمن ثمانية أسطر (٢) عن نشاط الملك .

٩- بردية اناستاسى رقم ٢ (بالمتحف البريطانى) :

عثر عليها فى سقارة ، وهى من عصر مرنبتاح ، وتشير إلى انتصارات

---

(١) Kitchen, op. cit. IV, p. 19- 22; lefebure, ASAE 27(1927), p. 21- 30 pl. 102; Maspero, ZAS 21 (1863) p. 65- 67; Breasted, AR III (596- 601) et p. 253- 256; Drioton – Vandier, L'Egypte (éd. 1946), p. 433(VIII) (A) (2); Zivic, GM 18 (1975), p. 50 n. (6) .

(٢) Černy, Amada V (dans CEDAE, 1967) pl. 5 1.6, 11; Fairman, JEA 24(1948),p. 155= PM VII, p. 15.

الملك دون إعطاء أية تفاصيل حربية ، وتعطينا اسم شعبين لم يذكرا في المصادر السابقة (١) . فقد أشير في هذه البردية إلى المرينا والشردانه ورؤساء البلاد الأجنبية .

١٠- بردية اناستاسى رقم ٣ (بالمتحف البريطانى) :

وهى من عصر مرنبتاح إلينا وبها إشارة لسكان الجبال أى البدو .(٢)

بعد استعراض ما جاء فى نصوص هذه المصادر التاريخية والتى تتحدث جميعها عن النشاط العسكرى لمرنبتاح نستطيع أن نقول بأنه :

بالنسبة للحدود الجنوبية : نجد انه العام الرابع قامت بعض العناصر الكوشية بالتمرد مستغلة القلاقل على الحدود الغربية . فتعرضوا لأقسى عقاب وأشعلت النيران فى أغلبهم وتعرضوا للتعذيب وذلك بسبب الثورة التى قاموا بها ، وهكذا لم تعاود كوش التمرد مرة أخرى لمدة طويلة بعد ذلك ، أى بعد هذا الدرس الذى لقنه إياها جيش الملك مرنبتاح (الأثر ١ ، السطر ٧ ، ٩) . وبعد هذه الحملة بدأ مرنبتاح

---

(١) Caminos, late Egyptian Miscellanies, p. 43 – 47; Gardiner, late Egyptian Miscellanies, p. 14 – 15 .

(٢) Camions, op. cit., p. 101- 103; Gardiner, op. cit., p. 28- 29 ; Id ., JEA 5 (1918), p. 186; Heath, The Exodus Papyri, p. 85. هناك تسع برديات عرفت باسم برديات اناستاسى وهى محفوظة بالمتحف البريطانى تحت ارقام اناستاسى رقم ١ (Brit. Mus. 10247) رقم ٢ (10243) رقم ٣ (10246) رقم ٤ (10249) رقم ٥ (10244) رقم ٦ (10245) رقم ٧ (10222) ورقمى ٨،٩ (10248) ، راجع :
Drioton – Vandier, L'Egypte (éd. 1952),p. 497, 509(c) ; James, An Introduction to Ancient Egypt, p. 96, 98, 106, 108. 110; Brunner and De Meulenaere, in LAIV, p. 674-680.

يتفرغ لما يحدث على الحدود الغربية حيث يخبرنا نص عمدا كذلك أنه " أهمل النوبيين " (الأثر ١ ، السطر ١٢) ويؤكد لنا النقش الموجود بجوار المنظر الذى يعاقب فيه مرنبتاح بعض الأعداء على الجدار الشرقى لفناء الخبيئة بالكرنك ، هذه السيطرة على الجنوب حيث يقال له " استوليت على كل الأرض فى جزئها الجنوبى " (الأثر ٥) .

بالنسبة للحدود الشمالية : يتحدث الأثر رقم ٥ عن الحدود الشمالية حيث يقال لمرنبتاح :

" استوليت على كل الأرض فى جزئها الجنوبى ، وختمتها فى جزئها الشمالى " ربما يعنى لفظ ختمتها أى حصنتها بالحصون اللازمة منعا لتسرب عناصر من شعوب البحر .

بالنسبة للحدود الغربية : كان هناك الاعتداء الليبى بالتعاون مع شعوب البحر وعناصر أخرى . ونجد على الأثر رقم ١ (السطر ٤) أن هذا الاعتداء حدث فى العام الرابع ، الشهر الثالث ، اليوم الأول . وعلى الأثريين رقمى ٢ ، ٣ نجد العام الخامس ، الشهر الثانى . أما بقية المصادر (الأثر ٤ السطر ٣١ ، الأثر ٥، الأثر ٦ السطر ١ ، الأثر ٧، ٨) فهى تعطينا العام الخامس ، الشهر الثالث فى فصل الصيف . وهذا يعنى أن الاعتداء الليبى بدأ بمناوشات على الحدود فى العام الرابع وحدث تسرب بعض العناصر الليبية عبر الحدود الجنوبية من الصحراء الغربية (الأثر ١ ، السطر ٤) . وفى العام الخامس ، الشهر الثانى ، نجح مروى الزعيم الليبى فى التقدم نحو الشمال إلى حدود الدلتا الغربية ونجح فى الدخول عبر أقاليم الدلتا فى بر – ايرو بعد أن أجتاز الحدود الغربية . ولكنه لم يجتز حدود الفرع الكانوبى للنيل ، ووصل بعدها إلى مرتفعات الواحات قاطعا منطقة أراضى الفرافرة (الأثر ٤ ، السطر ١٨ – ٢٠) . ويبدو أنهم بقوا هناك عدة ايام وشهور (الأثر ٤ ، السطر ١٩) .

وطبقا للأثر رقم ١ (السطر ٥) يبدو أنهم كانوا مئات الآلاف ، أكثرهم عددا الليبيون وعدد من سكان وقبائل الصحراء الغربية من التحنو ، التمحو ،

والماشواش، والكهك (الأثر ٢ ، الأثر ٤ ، السطر ٥٧ ؛ الأثر ٦ ، السطر ٥ ، ١١؛ الأثر ٧ ، السطر ٢، ٤، ٥، ٧) وعدد أيضا من شعوب البحر : الايكا واشا ، التورشا ، الروكو الشرادنة ، الشكروشا (الأثر ٢، ٣، ٤، السطر ١ ، ١٤ ، ٥٢، ٥٣ ، ٥٦) الأثر ٧ ، السطر ١٣ – ١٥ ؛ الأثر ٩ ، السطر ٤) وكانت هذه الشعوب الخمسة قد جاءت أصلا من جزر اليونان وايطاليا وآسيا الصغرى ، ويذكر الأثر رقم ٩ ، السطر ٤ ، اسم شعبين : الاسديركا والمرنيا التى ربما كانت شعوب أقل عددا وجاءوا من آسيا ، أضف إلى ذلك بعض العناصر المتفرقة من خيتا (آسيا الصغرى) (الأثر ١ ، السطر ١٣) .

وكانت كل هذه الشعوب والعناصر والأجناس تحت قيادة مروى بن ديد (الأثر ٤ ، السطر ١٣) الذى اصطحب معه أيضا زوجته وأولاده ، وجاءوا ليبحثوا عن خيرات مصر لكى يملأوا بها أفواههم لأنهم كانوا يتقاتلون فى بلادهم فى سبيل الحصول على أقل زاد (الأثر ٤ ، السطر ٢٢) وكان الغرض من هجومهم أيضا هو الاستقرار فى مصر " (جاءوا مع) زعيمهم ، هؤلاء الذين يقضون النهار سعيا (فى) الأرض ويتقاتلون فى سبيل ملئ بطونهم يوميا ، واتجهوا نحو ارض مصر ليبحثوا (عن) احتياجات أفواههم " . يصفهم الأثر رقم ٧ (السطر ١٥) " الذى يعيشون على الأعشاب مثل الماشية " .

ومع بداية الهجوم على الحدود الغربية اجتمع الملك برجال بلاطه وأخبرهم بنبأ العدوان الليبى (الأثر ٤ ، السطر ١٦) بعدها أعطى الملك تعليماته إلى جيشه فخرج إليهم ، وحدثت المواجهة فى اليوم الرابع عشر (الأثر ٤ ، السطر ٢٨) ومن المحتمل أن الملك لم يشترك بنفسه فى المعركة نظرا لكبر سنه إلى حد ما . وترك هذه المهمة لقواته الشابة وكان قائد الرماة فى مقدمة الجيش ، وبقى هو فى العاصمة يدير دفة الأمور وشئون الدولة (الأثر ٤ ، السطر ٢٧) ولا شك أن الملك مع قواده خططوا معا للقضاء على العدوان ولاسيما وأن مرنبتاح كان ابنا لرمسيس الثانى المقاتل الشجاع ، وخرج الجيش للعدو وكان المعبود نوبتى (ست) يمد إليهم يد العون والمعبود آمون بمثابة ذراعهم (الأثر ، السطر ٢٧ ، ٣٢) .

ورأى الملك المعبود بتاح فى رؤيا وهو يحثه على الدفاع عن البلاد ووعده بالنصر (الأثر ٤ ، السطر ٢٨ ، ٢٩)[1] وكانت ست ساعات فقط من القتال كافية لرماة جيش جلالته للقاء على العدو (الأثر ٤ ، السطر ٣٣) .

وكان من نتيجة القتال هو فرار الزعيم الليبى فى الظلام بعدان قتل الآلاف من رجاله وأخذت ممتلكاته ومعداته وفضته وذهبه وأوانيه من البرونز (الأثر ٤ ، السطر ٣٤ – ٤٠) وصور لنا الأثر رقم ٤ كيف كانت حالته وقت القتال . وكيف هرب مارا بالحصون على الحدود الغربية (السطر ٤١) وكيف أصبح عدوا لجيشه وعين أخرا بدلا منه بسبب هزيمته (السطر ٤٤) . ويذكر لنا النص أيضا عدد الأسرى من أبناء الزعماء ومن شعوب البحر ومن الليبيين ومن الكهك و الماشواش (السطر ٥٦ – ٥٧) .

وأخذ الأسرى إلى العاصمة طيبة فى موكب مارا تحت شرفة القصر الملكى (السطر ٤٨) ، وفى الصالة الكبرى للقصر الملكى ظهر الملك أمام رجال بلاطه سعيدا بما رآه وسعيدا بما حققه جيشه من انتصارات (السطر ٦٢ – ٦٣) . ويصور لنا السطر ١٠ من الأثر رقم ٦ مدى الحسرة التى أصيب بها أفراد العدو ، ويقول شيخا منهم لولده : " وا نكبتاه على ليبيا ، حرم أهلها المعيشة والحالة الرغدة (فى مصر) وما عادوا يجرأون على السعى بين المزارع ، وتوقف سعيهم فى يوم واحد"[2] .

وتصور لنا الآثار أرقام ٤ (السطر ٤٧) ، ٦ (السطر ٢١) ؛ ٧ (السطر ٤) مدى السرور والسعادة التى عمت فى البلاد وحالة الأمن التى سادت فى داخل وخارج الحدود بعد هذا الانتصار الكبير .

---

(١) بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ، ١٩٧٥ ص ٥٦.

(٢) د.عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢٦ .

بالنسبة للحدود الشرقية : لم تتحدث المصادر السابقة عن نشاط الملك على الحدود الشرقية فيما عدا الأثر رقم ٦ ولكن هناك إشارة إلى هذا النشاط على الأثر ١ (السطر ٢) " مخضع جزر " (السطر ٣) " الأسد ضد خارو " وأن صدى انتصاره على الليبيين أثار الرعب والخوف فى البلاد الأسيوية (السطر ٦) وأيضا على الأثر ٤ (السطر ٢٤) حيث يذكر الملك انه قى على قبائل البديوشو التى كانت تعيش فى شمال الجزيرة العربية . ومن الغريب ان نص الكرنك الطويل (الأثر رقم ٤) لم يذكر لنا أى نشاط للملك على الحدود الشرقية . أما الأثر ٦ (السطر ٢٦ - ٢٨) يذكر لنا استيلاء الملك أو بمعنى أصح جيشه على كنعان واسترداد عسقلون وجزر والقضاء على ينعم والقضاء على جماعات سهل يزريل ويفهم من ذلك (إذا قارنا كل هذه الفقرات ببعضها البعض) . أن نشاطه العسكرى لم يتعد حدود فلسطين فهو يذكر لنا قبائل البديوشو وبعدها اتجه إلى محاربة بعض المدن الفلسطينية أما فيما وراءها أى رتنو فقد كانت ترتعد من قوة الملك ، وخيتا كانت فى حالة سلام (الأثر ٦ ، السطر ٢٦) والدليل على ذلك أن الملك أمر بإرسال الحبوب إلى هذا البلد عندما تعرض لأزمة اقتصادية نتيجة غزوات شعوب البحر (الأثر ٤ ، السطر ٢٤) .

أسباب الحملة :

لم تذكر نصوص الأثر رقم ٦ الأسباب التى من أجلها أرسل الملك بقواته إلى هذه المدن الفلسطينية وسهل يزريل على الرغم من أنه ذكر لنا الأسباب التى قام من أجلها بحملتيه ضد كوش فى الجنوب وضد الليبيين وشعوب البحر فى الغرب .

ونحن نعتقد أن عدم ذكر هذه الحملة فى نصوص أخرى ، وعدم ذكر آية تفاصيل عنها ربما لأنها كانت حملة تأديبية بسيطة الحجم لذلك أشير إليها فى جملة واحدة على الأثر رقم ١ ، ويبدو أن القوات كانت محدودة مثل الحملة التى أرسلها

الملك للقضاء على التمرد فى كوش . وطبقا لرأى دوما وفانديه (١) فإن مرنبتاح قام بحملة صغيرة حتى سشم فى فلسطين لمعاقبة بعض المدن الفلسطينية . ولم يخبرنا كاتب النص كيفية الاستيلاء على هذه المدن الفلسطينية وكيفية القضاء على ينعم وقبائل سهل يزريل على الرغم من أن حملة الملك على ليبيا مملوءة بالتفاصيل وصورها لنا كاتبها بكل أحداثها وتفاصيلها منذ البداية حتى النهاية .

ونحن نعتقد أنه عندما بدأ شعوب البحر فى تحركاتها ، منها من هاجر جزر اليونان وإيطاليا وأسيا الصغرى نحو ليبيا عن طريق البحر المتوسط بالمراكب . ومنها الأخيين الذى عبر البعض منهم البحر المتوسط إلى ليبيا والبعض الآخر أتجه من أسيا الصغرى نحو فينيقيا وفلسطين وذلك عن طريق الطريق البرى ونزلوا على الشاطئ الشرقى للبحر المتوسط . ودفعت هذه الشعوب المهاجرة بدون شك ، والتى كانت أكثر قوة (٢) شعوب أخرى من سكان آسيا الصغرى (مثل شعوب شاطئ ليديا وكارى وميسى)(٣) ، أمامهم بحثا عن أماكن استقرار جديدة فى المدن الفينيقية والفلسطينية . ويبدو أيضا أن عناصر من شعوب البحر كذلك استقرت فى هذه المدن (٤) وكانت مصدرا وبؤرة للثورة ضد النفوذ المصرى فى فلسطين(٥) وربما أن الذى ساعد على ذلك هو دور مصر السياسى فى آسيا قد قل فى نهاية حكم رمسيس الثانى نظرا لكبر سنه(٦) . ومن ناحية أخرى يبدو أنه كانت هناك عناصر محاربة

---

(١) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 95; Drioton- Vandier, L'Egypte (éd. 1946), p. 416.

(٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٢٢٦ ؛ Wainwright, JEA 25 (1939),p. 148-153.

(٣) Lalouette, L'Empire des Ramsès, p. 267.

(٤) فى عهد رمسيس الثالث استقرت بعض شعوب البحر فى آسيا ، راجع : lalouette, op. cit., p. 306.

(٥) Drioton – Vandier, L'Egypte (éd. 1946) ,p. 416 .

(٦) Drioton – Vandier, op. cit., p. 416.

منفصلة عن مملكة خيتا انضمت إلى الليبيين فى هجوم على حدود مصر الغربيـــة أو أن عناصر من شعوب البحر نفسها جاءت من آسيا الصغرى ساهمت فى هذا الـهجوم طبقا لما جاء على الأثر ١ (السطر ١٣) ، ومما يؤكد وجود عناصر اسيوية ضمـن القوات الليبية هو ما جاء على الأثر ٩ ، السطر ٤ ، أن جيش الملك أضرم النار فـى الاسديركا وأحرق المرينا ، والمرينا كانوا أصلا من سوريا .

وهذا يؤكد ان حملته على فلسطين كانت حملـــة تأديبيـة لمعاقبـة المـدن الفلسطينية وسكانها من العناصر الأجنبية التى ربما كانت قد ناصرت الاعتداء الليبـى على مصر .

تاريخ الحملة :

لم يذكر لنا نص الأثر رقم ٦ تاريخ هذه الحملة ، فقد ذكرت فى آخر النـص الذى يتحدث فيه الملك عن حملته ضد الليبيين ، وطالما أن النـــص مــؤرخ بالعـــام الخامس الشهر الثالث من فصل الصيف ، فقد اعتقد بعض العلماء أن هذه الحملة على فلسطين حدثت فى أعقاب حملته على ليبيا أى فى العام نفسه .

ونحن نعتقد إن حملته على فلسطين ربما حدثت فى العام الرابع اعتمادا على الجملة التى وردت فى نص الأثر رقم ١ (السطر ٢) " مخضع جزر " أى أن حملته حدثت بعد حملته على الجنوب وقبل حملته ضد ليبيا ، أى أنه أمن حـــدود الجنـوب الشرقى ليتفرغ للخطر الكبير على الحدود الغربية بعد ذلك ونظرا لن الدوافـــع إلـى حملته ضد المدن الفلسطينية لم تمثل خطرا فعليا على الحدود الشرقية لمصـــر لذلـك أرسل الملك حملة تأديبية صغيرة ولهذا لم يذكر هذه الحملة فى نص الأثـــر رقـم ٤ الطويل . وعلى الرغم من أن هذه الحملة ذكرت فى نهاية النص الذى يتحـدث عـن حملته ضد الليبيين ، فهذا لا يعنى أن جيوش الملك قامت بالحملتين فى الشهر الثـالث من فصل الصيف من العام الخامس ، أى الشهر قبل الأخير من فصول السنة . فليـس من المعقول أيضا أن تستطيع قوات الملك أن تحقق النصر فى الغـرب فـى الشــهر الثالث من فصل الصيف بعد حملة مضنية وشاقة أثناء شهر مايو ، وفى الشهر نفســه

أو الشهر الرابع من فصل الصيف تحقق النصر كذلك فى الشرق ، وهذا مـــا نشـك فيه . ولهذا فنحن نعتقد إن حملته فى الشرق ربما وقعت فى العام الرابـــع . ويذكـر فخرى أن هذه الحملة حدثت فى العام الثالث [١] . ويرى بعض العلماء إن هذه الحملـة التى قام بها جيشه فى فلسطين حملة غـــير مؤكـدة . وأن المقصـــود مـــن تســجيل نصوصها مع نصوص حملته ضد الليبييـــن هـــو بـــث روح الخـــوف فـــى نفــوس الأسيويين[٢] ومن ناحية أخرى يذكر هيرودوت أن مرنبتاح لم يقم بحملـــة عســكرية واحدة [٣] ونحن لا نتفق مع هذين الرأيين .

ويبدو أنه فى أعقاب هذه الحملة كذلك بدأ مرنبتاح ينظم عملية مرور القبـائل التى تأتى من جنوب فلسطين عبر الحدود الشرقية لمصر بحثا عن مصـــادر الميـاه الضرورية لها ولقطعانها . ونقرأ فى بردية . أنستاسى رقم ٦ ، الســـطر ٥٤ – ٥٨ التى هى عبارة عن تقرير للكاتب انينى إلى سيده كاتب بيت المال " كاجب "[٤] يخـبره فيه بالآتى :

" ... أمـــا بخصوصنـــا فقـــد توقفنـــا عـــن الســـماح بمـــرور الشاســـو من آدوم[٥] (إلى) حصن مرنبتاح حتب حرمـــاعت ليعـــش فـــى رخـــاء وصحـــة والذى ثيكو إلى مستنقعات بيتوم (التابعـــة) لمرنبتـــاح حتـــب حرمـــاعت والتـــى فى ثيكو (أيضا) لكـــــى يعيشوا ولكـــى تحيـــا ماشيتهم بفضل الإدارة [٦] العظيمـــة

---

(١) د.أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٣٥٨ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٧٤٦.

(٣) هيرودوت يتحدث عن مصر : ترجمة د. صقر خفاجه مراجعـــة د. أحمـــد بدوى ، ١٩٦٦ ، ص ٢٢٧ – ٢٢٩ .

(٤) Wilson, ANET, p. 259; Heath, The Exodus papyri, p. 183; Caminos, late Egyptian Miscellanies, p. 293; Gardiner, Egypt of the Pharaohs, p. 274. ؛د. عبد الحميـــد زايـــد : المرجـــع السابق ، ص ٧٤٨ .

(٥) أى جنوب فلسطين .

(٦) لمعنى كلمة k3-nswt ، راجع : Meeks, Alex. I, p. 375.

للفرعون [1] ليعش فى رخاء وصحة (انه) الشمس الخيرة لكل الأرض ، فى السنة الثامنة اليوم الخامس " .

ويفهم من هذا النص انه كان لمرنبتاح حصنا فى أرض الثيكو فى شرق الدلتا) يحمل اسمه ، وأنه كان لا يسمح بمرور قبائل الشاسو إلا بأذن الملك وتعليماته . وهذا يعنى أيضا انه منذ العام الرابع حتى السنة الثامنة من حكمه لم يحدث أى احتكاك بهذه القبائل فى حدود الوثائق التى نعرفها وان تحركات هذه القبائل كانت تحت نظر رجال الدولة على الحدود .

وقد عمت البلاد كلها الاحتفالات الكبرى وساد السرور فى كل مكان بسبب انتصار الملك على الليبيين مما يشير إلى مدى الخطر الحقيقى الذى أحدق بالبلاد وتقص النصوص الرسمية على جدران معبد الكرنك :

" لقد غمر السرور الكبير ربوع البلاد ، وأصبح الجميع يتحدث عن النصر الذى أحرزه مرنبتاح على الليبيين ، نحن الآن نستطيع أن نبقى ونتحدث فى هدوء ، نسير خلال نزهة طويلة جدا فى الطرقات لأن الخوف لم يعد يسكن قلوبنا ، وقد تركت الحصون ، وحفرت الآبار من جديد ، وأصبح الرسل الذين يأتون إلى المدينة يسيرون بالطول والعرض خارج الأسوار أو يجلسون أيضا فى الظل أو تحت الشمس ، حتى يستيقظ حراس البوابات من راحتهم ، وينام الجنود ملء جفونهم ، ويخرج حراس الحدود إلى الحقول كما يشاءون ، وترعى الماشية دون راع وتهبط إلى الوادى لتشرب من النهر ، ولا أحد يصيح فى الليل قف ، أنظرُ ، هنا من يأتى ، هناك من يأتى ، ذلك الذى يتحدث لغة أجنبية ، وأخذ الناس يترنمون فى عدوهم ورواحهم وما عاد أحد يسمع بكاء قوم يتألمون أو صياحهم وعمرت القرى من جديد ، وأصبح من يحرث حقله يقتات من حصاده "[2]

أما عن أهم أعماله الداخلية فنجد مرنبتاح قد ترك لنا أثارا عديدة تحمل

---

(١) ذكر هذا اللقب " فرعون " لمرنبتاح على بردية ساليه رقم ١ ، راجع :
Caminos, op. cit., p. 324- 325; Gardiner, late Egyptian Miscellanies, p. 86 – 87 .

(٢) Weigall, op. cit., p. 16 .

اسمه منها لوحات حفرت على جدران الصخور ، ولوحات وضعت علـــى جــدران المعابد ، وتماثيل ملكية مختلفة الأوضاع والأحجام [١] وجــاء اســمه علــى بعــض البرديات ، وعلى بعض المسلات الصغيرة ، وعلى بعض الجعارين ، وتــرك آثــارا تدل على مساهمته في تشييد معبد الأوزيريون في ابيدوس ، ومقصورة في الســويرية في مصر الوسطى ، وفي معبد تحوتي في هرموبوليس [٢] ومعبد رع في إيونو . وقد شيد لنفسه قصرا في منف ، كشف أطلاله ، وكان يتألف مدخله من ردهة ذات أربعــة أساطين في صف واحد ، ويشتمل القصر على ثلاثة أقسام ، يشغل القسم الأمامي بهو مستعرض ، ويشمل القسم الوسط قاعة عرش ، وكان القسم الخلفــي يحتــوى علــى القاعات الخاصة .[٣]

وشيد لنفسه معبدا جنائزيا إلى الشمال من معبد أمنحتب الثــالث فــي الــبر الغربي في طيبة وقد أخذ الكثير من أحجار معبد هذا الأخير لتكملة معبده .[٤]

وذكرنا من قبل أنه عثر على اسم مرنبتاح على العديد من الآثار التي عـــثر عليها في سرابية الخادم في سيناء ، كما عثر على ساعة (مزولة) من العاج باســمه في جزر في فلسطين كما عثر على اسمه منقوشا على آنية من الفخار عثر عليها فــي تل الدوير في فلسطين ، وعلى سيف من البرونز في رأس الشمرا .

وعندما توفي مرنبتاح في عام ١٢٢٤ ق.م لم تكن مقبرته في وادي الملــوك قد انتهى منها بعد ، ويذكر بانحسي في نص من العامين السابع والثامن مـــن حكــم الملك ، أنه كان يذهب لتفقد العمل في هذه المقبرة [٥] ، وهي تحمل الآن رقم ٨ ، فقد

---

(١) Vandier, Manuel d'Archéologie III, p. 398.

(٢) Gauthier, LR 111,p. 110 – 120 .

(٣) د. أنور شكري : العمارة في مصر القديمة ، ص ١٢٦ – ١٢٧ ، شــكل ٣٤ .

(٤) Vandier, op. cit., II, p. 713- 716, fig, 354.

(٥) Lalouette, op. cit., p. 286.

لوحظ وجود الغطاء الخارجى للتابوت من الجرانيت خارج حجرة الدفن ، وقد نحت الغطاء الداخلى للتابوت وأعطى له شكل وجه الملك ، وهو موجود ألان فى مكانه فى المقبرة التى تقع بجوار مقبرة والده رمسيس الثانى ، ونقلت موميـاؤه إلـى مقـبرة أمنحتب الثانى عندما وقعت عملية نهب المقابر حيث كشف عنها لوريه عام ١٨٩٨ .

ومن أهم رجال عصره توى الكاتب الملكى لاتصالات ومراسلات الملـك ، وصاحب المقبرة رقم ٢٣ .(١)

هذا هو ما أردنا ذكره بالتفصيل عن عصر مرنبتاح بسبب ما نسـب إليـه وإلى النص الذى ذكر على لوحته التى عثر عليها فى معبـده الجنـائزى مـن أراء مختلفة . وقمنا بتحليل هذا النص ووضعه فى إطاره التاريخى الصحيح وذلـك لكـى نضع القارئ العادى والمؤرخ المتخصص أمام مصداقية النص حتى لا ننسـاق وراء آراء هى من ضرب الخيال أو التفسير المبالغ فى الترجمة الخاطئة التى لا تقوم علـى حقائق تاريخية أو نصوص أو نقوش أثرية مؤكدة ولا زلنا فى انتظار العثـور علـى هذا النص أو النقش (إن وجد) الذى سوف يكشف لنا عن شخصيته فرعون الخروج وما صاحب عهده من أحداث جسام .

يرى بعض العلماء أن حكم مرنبتاح هو العلامة الفاصلة بين مجـد مصـر وعزتها وقوتها وانهيارها وضعفها بعد هذه الفـترة ، إذ أنـه بعـد انقضـاء حكـم مرنبتاح – فى منتصف الأسرة التاسعة عشرة – اخذ المجد المصرى يخبـو ويخبـو رويدا رويدا حيث : أولا : بدأت مصر تفقد نفوذها فى أسيا إلى الأبد .

وثانيا : بدأت الوحدة السياسية فى التفكك والتى كانت تمثل الدعامة الأولـى والقوة الأساسية فى مناطق النفوذ ، وذلك ما حدث فى العصر الوسيط الأول والوسيط الثانى . وسوف نرى من جديد قيام ممالك صغيرة يعادى بعضها الآخر تسـتقر فـى مصر العليا أو الوجه البحرى ، ولن تجد مصر فى هذه المرة الملك القـوى والقديـر الذى يستطيع أن يضع حدا لكل هذه الفوضى السياسية ، وكل ما كان هناك عبارة عن

---

(١) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٦١ .

مهدنات وقتية ، ومن فوضى إلى اضطراب تصبح مصر فريسة للإمبراطوريات القوية البعيدة ، للآشوريين تارة ثم للفرس تارة أخرى وأخيرا للإغريق

بقية ملوك الأسرة :

من ماعت رع – ستب أن رع – آمن مس – حقا واست [١] (١٢٢٤ – ١٢١٩ ق.م) : [٢]

تولى من بعد مرنبتاح ولده آمون مس ، وليؤكد حقه فى تولى العرش تزوج من التى كانت تحمل لقب الأخت تاوسرت [٣] ، ولكنه توفى أو عزل عن العرش بعد فترة قصيرة [٤] وعثر على مقبرته بالبر الغربى وتحمل رقم ١٠ .

آخ ان رع – ستب إن رع – مرنبتاح – سابتاح [٥] (١٢١٩ – ١٢١٠ ق.م): [٦]

تزوجت الملكة تاوسرت من أخ أكبر كان يعانى من مرض قصر القدم ، وتوج تحت اسم مرنبتاح ، ولكن على الرغم من هذا التتويج فقد كانت تاوسرت هى التى بيدها السلطة الفعلية بمساعدة أحد رجال الدولة الكبار الذى كان يسمى باى وكان يحمل لقب " حامل الختم العظيم لكل البلاد " . وغالبا ما كان هذا الموظف من أصل سورى . ومن الجائز أنه من أولئك الموظفين الذين عاشوا فى مصر فى هذه الفترة قد منحوا سلطة كبيرة من الملك [٧] . وكما فعلت الملكة حتشبسوت فى الأسرة الثامنة عشرة والتى حكمت بمساعدة سنموت ، وقد أحاطت الملكة باى بتكريم كبير ،

---

(١) ويطلق عليه أيضا اسم : من مى رع – ستب إن رع ، راجع : Christophe, Bi. Or. 14 (1957), p. 10 – 13 .

(٢) عن هذا الملك ، راجع : Von Beckerath, LAI, p. 201 .

(٣) عن هذه الملكة ، راجع : Kitchen, LAVI, p. 244 – 245 .

(٤) يضع بعض المؤرخين ترتيبا مختلفا لخلفاء رمسيس الثانى ، راجع : Christophe, op. cit., p. 10 – 13 .

(٥) يعطى جوتبيه تريبا آخر ويطلق عليهم مرنبتاح الأول والثانى والثالث ، راجع : Gauthier, LR 111, p. 130 – 141 .

(٦) عن هذا الملك ، راجع : Kitchen, LAV, p. 955- 956.

(٧) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٧٥٠ – ٧٥١ .

وسمحت له بان يشيد لنفسه مقبرة فى وادى الملوك . واتخاذه مقبرة فى مكـان كـان مخصصا للملوك يدل على مكانته وقد توفى سابتاح بعد أن حكـم أكـثر مـن سـتة أعوام ، ولا نعرف عن فترة حكمه شيئا سوى أن الفوضـى قـد زادت بعـد وفاتـه وأصبح حكام الأقاليم يتمتعون بسلطة مستقلة ، وقد قام ببناء معبد جنائزى إلى الشمال من معبد الرمسيوم وعثر على مقبرته بالبر الغربى وهى تحمل الآن رقم ٤٧ .

وسر خبرو رع – مرى آمون – مرنبتاح – سـيتى الثـانى [١] (١٢١٠ – ١٢٠٥ ق.م) : [٢]

تزوج هو أيضا كسابقيه من تاوسرت – أرملة الملكيـن السـابقين – التـى أصبحت ذات مكانة هامة حتى أنها نسيت كل ذكريات زوجيها السـابقين ، وأرخـت حكمها الرسمى بوفاة أبيها – مرنبتاح الأول – كما لو كانت هى الوحيدة التى تحكـم بطريقة شرعية . وقد قامت مثل أزواجها الثلاثة السابقين مقبرتها فى وادى الملـوك ، ولكن يلاحظ فى مقبرة زوجها الأخير – سيتى الثانى – أن اسمه قد محى وكتب مـن جديد ، مما يدل على انه فى وقت ما كانت تاوسرت تمتلك السـلطة الفعليـة وأرادت أبعاد اسم زوجها ، ولكن سرعان ما أبعدت هى عن السلطة وأعيد اسم سيتى الثانى ، ولا نعلم عنها أى شئ بعد ذلك أو عن مستشارها باى ، ولم يطل عمر سيتى الثـانى بعدها طويلا وأختفى بدوره بعد أن حكم خمس سنوات ، وقبيل نهاية حكمـه وقعـت جميع البلاد فريسة للفوضى . وشيد سيتى الثانى مقصورة للقارب المقـدس لثـالوث طيبة فى الكرنك .[٣]

---

(١) ويسمى أيضا : أوسر خبرورع ستب إن رع ، راجـع : Gauthier, LR III, p. 132- 133 .

(٢) Kitchen, LAV, p. 917- 918 .

(٣) Vandier, Manuel d'Archéologie II, p. 933- 934, PM 11, p. 9. ؛ وأيضا د. سيد توفيق : تاريخ العمارة فى مصر القديمة ، الأقصـر ، ص ١٤٠ – ١٤١ ؛ Les Guides Bleus: Egypte, p. 393 .
د. محمد عبد القادر :آثار الأقصر،الجزء الأول:معابد آمون،ص٣٤– ٣٧.

وكان يوجد فى الزاويتين الشمالية والشرقية والجنوبية الشرقية للمرسى أمام الصرح الأول بالكرنك مسلتان من الحجر الرملى ، تتقدمان طريق الكباش مازالت إحداهما قائمة حتى الآن (ارتفاعها حوالى مترين وارتفاع القاعدة ٧٥ سم) . وهما ينسبان إلى عصر الملك سيتى الثانى [١] . وأمام الصرح الأول يوجد طريق صغير للكباش طوله ٥٢ مترا وعرضه ١٣,١ مترا وكان يحيط به صفين من التماثيل . وتبلغ عدد الكباش فى كل صف عشرون كبشا ، وتحت رأس كل كبش تمثال صغير للملك . وتحمل هذه التماثيل اسم الملك رمسيس الثانى ولكن عثر على أسماء سيتى الثانى وباى نجم .[٢]

وقد جاء ذكر اسم تاوسرت فى مناجم الفيروز فى سيناء [٣] ، وعثر على جعران لتاوسرت فى منطقة الرمسيوم . وقد أقيم فى الوقت نفسه أو بعد ذلك بقليل لتاوسرت هيكل جنائزى منفصلا إلى الجنوب من الرمسيوم [٤] . وعثر على مقبرة تاوسرت بالبر الغربى وهى تحمل الآن رقم ١٤ وكذلك مقبرة سيتى الثانى وهى تحمل الآن رقم١٥ .

بعد وفاة سيتى الثانى سادت الفوضى وافتقرت البلاد إلى ملك قوى يدير الحكومة المركزية ، وظهر شخص سورى يسمى أرسو نجح فى أن يفرض نفسه كملك على مصر مما يدل على مدى تفكك وانهيار الملكية المصرية [٥] . وفى الخارج تقدمت القبائل الهندأوربية من أسيا نحو الجنوب والغرب على حين استغل هؤلاء الذين استقروا فى ليبيا فرصة الفوضى التى حلت بمصر لكى يعيدوا تنظيم أنفسهم مرة أخرى . وقد جاء على لسان رمسيس الثالث بكل هذه الفترة حديث يصف فيه أيام الفوضى والاضطرابات وهى كلمات مقتطفة من بردية هاريس :

---

(١) د. سيد توفيق : تاريخ العمارة فى مصر القديمة : الأقصر ، ص ١٣٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٧ – ١٣٨ .

(٣) Gardiner, JEA 44 (1958),p. 12 – 22 .

(٤) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٧٥١ .

(٥) Vercoutter, L'Egypte Ancienne, p. 94; ANET, p. 260.

" كانت أراضى مصر مضطربة ، وكل شخص يعيش محروما من حقوقه ، ولعدة سنوات ، لم يكن هناك رئيس واحد ذو كلمة ، وأصبحت البلاد فى أيدى القدماء ورؤساء المدن الذين يتنازعون بعضهم بعضا كبارا وصغارا ، وبعد ذلك جاء وقت آخر من سنوات خالية ، نجد أحد السوريين ويسمى أرسو أصبح رئيسا عليهم ، ربما كان أرسو أصلا من أسرة هاجرت من سوريا منذ فترة واستقرت فى مصر ، ونجح فى الوصول إلى العرش بفضل أعوانه وكان له نفوذ فى البلاط وجمع حوله رجاله واستولى على السلطة (١) ونهب ممتلكات المصريين وعامل المعبودات كالبشر ولم يقدم أية تضحيات في المعابد (٢) ".

ومن عصر سيتى الثانى نعرف شوروى رئيس المشاعل الخاصة بالمعبود أمون وصاحب المقبرة رقم ١٣ بشيخ عبد القرنة وحوى الذى كان يشغل وظيفة كاهن أمنحتب الأول وصاحب المقبرة رقم ١٤ .(٣)

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٧٠ – ٣٧١ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢٧ .

(٢) Vercoutter, op. cit., p. 94.

(٣) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٦١ .

الفصل الرابع

الأسرة العشرون

القضاء على مظاهر الفوضى فى الداخل

وإعادة الهيبة فى الخارج

(١٢٠٠ – ١٠٨٥ ق.م) [١]

لاشك أن وصول القبائل الهندوأوربية فى مجموعات كبيرة إلى ليبيا ، وفى البحر المتوسط وفى آسيا فى نهاية الألف الثانية (حوالى عام ١٢٠٠ ق.م) قد غير موازين القوى فى تلك المنطقة ، فقبل وصول تلك القبائل ، كانت مصر من ناحية والعراق من ناحية أخرى تمثلان مركز الثقل الحضارى فى الشرق القديم ، فكانتا فى الواقع ، مستقلين وتبعدان عن بعضهما بما فيه الكفاية لتفادى أى صراع بينهما . ولكن فى بداية الألف الثانية ، نجد أن أول موجات الهجرة الهندوأوربية قد غيرت بسرعة هذه الأوضاع الموجودة ، التى كانت قائمة منذ الألف الثالثة .

وأدى تكوين الإمبراطوريات الكبرى الجديدة فى الشرق القديم : الحيثية فى الأناضول ، الآشورية فى أعالى الفرات ، إلى اضطرار مصر للدفاع عن نفسها بإنشاء عدة أسوار وحصون تمتد إلى فلسطين وسوريا ، ولكن بمرور الوقت أثبتت تلك الأسوار عدم فاعليتها لحماية وادى النيل ولأول مرة فى تاريخها نجد إن مصر أصبحت عرضة للهجوم عن طريق البحر على الشاطئ الشمالى الغربى نفسه ، ولكن سوف تنجح فى صد أسطول الغزاة ، وبهذا حققت لنفسها ولبضع سنوات قادمة حالة من الهدوء والأمان ، ولكن لن تصبح على الإطلاق فى ذروة قوتها لكى تستطيع أن تؤدى أى دور فى مواجهة القوى الجديدة ، فالبحر المتوسط الذى عد حتى ذلك

---

(١) لهذا التاريخ ، راجع : James, An Introduction to Ancient Egypt (1979), p. 264 .

بينما يعطى فون بكرات كتاريخ : ١٢٠٠ أو ١١٨٥ إلى ١٠٨٥ أو ١٠٧٠ ق.م ، راجع : LAI, p. 970 .

الوقت – منطقة محايدة أو منطقة لا تأتى منها الأخطار ، أصبح بدوره معبرا للمرور والهجرات . وسوف يتحول إلى مركز للتنافس الحضارى ، وأوشكت عزلة مصر المؤقتة على هذا البحر أن تنتهى ، فحتى ذلك الحين كان فى مقدور مصر أن تنطوى على نفسها وتظل كما هى ذات نقاء أفريقى ، ولكن نظرا لحتمية التغير وبمرور السنوات عليها نجدها من ألان فصاعدا أقل مقاومة للمحافظة على تلك الأصالة الإفريقية .

وأصبحت مصر عن طريق الدلتا تمثل جزءا من حضارة البحر المتوسط سواء قبلت أم لم تقبل(١) ولتغير الأمر الواقع كان لابد أن يصحب ذلك تطورا داخليا فى مصر ، وسوف نرى أن مركز الثقل السياسى لمصر قد تغير نتيجة لتغير مركز الصراع الحضارى تجاه البحر المتوسط ، ولكن مصر نظرا لامتدادها الكبير فى الطول فإن تغير مركزها الإدارى قد يجلب عليها أخطارا لا حد لها ، فبالنسبة لها كما رأينا سابقا ، فإقامة العاصمة فى الدلتا قد يؤدى بالتأكيد إلى إثارة التذمر فى الجنوب أو إهمال شئونه إلى حد ما ، ويبدو إن كل عناصر ومقومات الانهيار كانت تكمن بدون شك فى هذا الموقف الحساس .

وكان عليها أن تراقب عالم البحر المتوسط وما يحدث فيه من تغيرات ، وأن تحمى نفسها منه لذلك لجأت إلى إقامة عاصمتها فى الوجه البحرى ، ولما أصبح المركز الإدارى يقع فى أقصى الشمال ، فقد أصبحت مصر العليا مستقلة إلى حد ما ، ونتيجة لذلك نجد إنها نزعت عن نفسها كل مقومات القوة فى انفصال قطريها ومملكتها – إلى جانب هذا العامل – الذى لا يمكن علاجه أو تفاديه ، ظهر عدم توازن أخر سوف يزيد الأمر سوءا أيضا ويتمثل فى أمرين ثانويين :

١– إن طيبة وكهنة آمون أصبحوا يمتلكون الكثير من الهيبة فى نظر المصريين وظلت طيبة بالنسبة لأهل الشمال ، تمثل مركزا يجذب الجميع ويسبب المضايقات نظرا لإقامة العاصمة الإدارية القوية فى الدلتا .

---

(١) Vercoutter, L'Egypte Ancienne, p. 95 .

٢- عدم وجود رؤساء أو ملوك كبار يستطيعون بهيبتهم الشخصية أو بواسطة حسن تصرفهم أن يحتفظوا للبلاد بنوع من الوحدة السياسية فى ذلك الجسد الكبير المحطم الذى أصابه .

وكل من هذين العاملين سوف يؤدى بالضرورة إلى تفكك مصر وسقوطها السريع ، وأصبحت بلاد الملوك الكبار أمثال أمنمحات الأول وسنوسرت الثالث وتحوتمس الثالث ورمسيس الثانى ، فريسة لمن يطمع فيها ويريد الاستيلاء عليها وغزوها . فموقعها الجغرافى الذى جعل منها مركزا لالتقاء عدة طرق ، جعلها باستمرار عرضة للأطماع ، ولكن خطورة الموقع لم تتضح إلا عندما أصبح البحر المتوسط أهلا بالسكان ومتقدما فى الحضارة ، وأصبح مركزا للإشعاع الثقافى . وانتقال مركز التقاء حضارات العالم القديم فى الشمال ، جلب الكثير من النكبات على مصر ، فالجميع أصبح يتطلع إليها . وكل هذه العوامل الخارجية التى تؤثر فى التوازن القديم للحضارات ، تجلب معها انهيار لبعض أصحاب هذه الحضارات فى حين إنها تدفع ببعضها الآخر إلى مكان الصدارة .

أهم أعمال ملوكها :

وسر خعروع -ستب إن رع -مرى آمون - ست نخت مرو آمون رع[1] (١٢٠٠-١١٩٨ق.م) :[2]

تعكس النصوص المصرية قسوة ودكتاتورية المغتصب السورى أرسو . للعرش ، ثم ظهر فجأة منقذ فى شخص أمير ، يسمى ست نخت ، الذى كان مسنا فى ذلك الوقت ربما - وربما - إنه أعتمد على رد فعل شعبى ، أو أنه نال تأييد كهنة آمون ، فعزل أرسو وأسس الأسرة العشرين .[3]

وعلى الرغم من ضعف البلاد نتيجة لطول فترة الفوضى التى تعرضت لها

---

(١) Gauthier, LR III, p. 152. ؛ وأيضا : James, op. cit., p. 264.
(٢) عن هذا الملك ، راجع : Kitchen, LAV, p. 911.
(٣) يعطى جوتيه اسم الملك تيتى سارع - مران بتاح كآخر ملوك الأسرة التاسعة عشرة ، راجع : Gauthier, op. cit. III, p. 148 - 149 .

من قبل ، فإن هذه الأسرة قد نجحت أيضا فى الحصول على بعض الهيبة لمصر فى الخارج ، ولكن لم يدم طويلا ، ولم يكن هذا إلا فترة يقظة لأن الانهيار المحتم الذى لا يمكن تجنبه كان على وشك الحدوث .

وقد حكم مؤسس الأسرة لفترة قصيرة ، ونحن نجهل طبيعة العلاقة التى كانت تربطه بالبيت المالك السابق ، ومن المحتمل إنه كان أحد أبناء رمسيس الثانى الكثيرين ، ولم يمض على وفاة رمسيس الثانى أكثر من عشرين عاما ، وتوج هذا الأمير ملكا على مصر ، وفى أثناء حكمه الذى أستمر عامين فقط ، نجح فى إعادة النظام والهدوء بوجه عام فى البلاد .(١)

وتقص الحوليات أو النقوش التى ذكرناها بصدد أرسو ما يأتى : " بعد هذه الأشياء ، عندما أصبحت المعبودات راضية من جديد عن الهدوء وإعادة القوانين القديمة فى مصر ، رفعوا أبنهم ست نخت على عرشهم الكبير بصفته ملكا فاقر النظام فى البلاد التى ثارت وقضى على الثوار الذين كانوا فى المنطقة – وطهر عرش مصر الكبير – وأعاد مرة أخرى المنبوذين والمتشردين ، وتعرف كل إنسان على أخيه الذى كان مسجونا وأخيرا أصلح معابد المعبودات ".(٢)

وفكر ست نخت على التو فى إقامة مقبرة له فى وادى الملوك وهى تحمل الآن رقم ١٤ وهى مقبرة تاوسرت نفسها ، وبعد أن أتم العمال حفر الممر على بعد قليل فى الصخر ، عثروا فجأة على المقبرة السرية لآمون مسى ، التى لم يعرف مكانها ، لأنها كانت بعيدة عن الأنظار خلال الأثنى عشر عاما من الاضطرابات بعد رحيله ؛ لذلك توقفت كل العمال فى نحت مقبرة ست نخت ، وعندما توفى الملك دفن فى مقبرة الملكة تاوسرت ، بعد أن غيرت من اجل ذلك بعض النقوش والمناظر على الجدران ، وقد فتحت هذه المقبرة فيما بعد ، بعدة أجيال ، وقام الكهنة بإعادة ترتيب الأثاث الجنائزى فى المقبرة التى لم بعثر فيها إلا على مومياء الملكة تاوسرت ،

---

(١) Vercoutter, L'Egypte Ancienne, p. 97.

(٢) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 97 .

فوضعوها فى التابوت الفارغ لست نخت ، ولم يعثر حتى الآن على موميـــاء ســت نخت التى لا تزال مختفية .(١)

وسر ماعت رع مرى آمون – رعمسسو الثالث حقـا إيـون (١١٩٨- ١١٦٦ق. م) :(٢)

تولى من بعد ست نخت ، ولده رمسيس الثالث ، الذى كان قد أشترك معــه فى الحكم من قبل بصفته وريثا للعرش ، ويبدو أنه كان يقرب من الأربعين عاما عنـد توليه العرش ، ولذلك لم يجد رمسيس اية صعوبة فى تولى الحكم ، وهو يمثل آخـــر عهد قوى شهدته مصر ، ونظرا لأنه يحمل اسم رمسيس ، فذلك يدل على أنه ولـــد ، وسمى بهذا الاسم عندما كان رمسيس الثانى لا يزال حيا بالفعل ، ويدل أيضا على أن والده كان من أفراد العائلة المالكة وربما كان ست نخت بالفعل هو أحد أبناء الملـــك رمسيس الثانى ، ولهذا لم يكن من الضرورى عمل فاصل حقيقى بين الأسرة التاســعة عشرة والعشرين ، وليس هناك أى سبب يعطى مانيتون الحق فى أن يبدأ هنا أســـرة جديدة ، ولكن يبدو إنه لجأ إلى ذلك بعد سنوات الفوضى التى أعقبــت حكــم ســيتى الثانى ، وعلى أية حال سارت الأمور فى مجراها الطبيعى وتولى رمســـيس الثـــالث الحكم واظهر أنه جدير بهذا الاسم مثل سلفه العظيم رمسيس الثانى .(٣)

ففى الداخل قام رمســـيس الثـــالث بـــإصلاح الإدارة وأيضـــا كـــل النظـــم الاجتماعية . ولكن للأسف الشديد مازالت تفاصيل هذا الإصلاح غير معروفة جيـــــدا وكنا نفضل أن تكون لدينا معلومات أفضل عن تقسيم السكان إلى طبقـــات مختلفـــة ، مرتبة كما يدلنا على ذلك بعض البرديات ، وإذا قارنا ذلك التقسيم الذى طبـــق إثنـــاء حكمه بما حدث فى نهاية الإمبراطورية الرومانية ؛ التـــى لجـــأت إلـــى إصلاحـــات مشابهة ، وجدنا إن هذا التدرج الوظيفى كان فى حد ذاته علامة على الانهيار أكثـــر

---

(١) Weigall, op. cit., p. 167.

(٢) James, op. cit., p. 264 ؛ وعن هذا الملك ، راجع : Krauss, LAV, p. 114-119.

(٣) Weigall, op. cit., p. 168.

منه تنظيما مفيدا أو نافعا .

ويحتفظ المتحف البريطانى ببردية تسمى بردية هاريس رقم ١ ويبلغ عـــدد دروجها ٧٩ صحيفة ، وهى من أهم الوثائق المصرية وتضم ١١٧ عمـــودا كتبـت بالخط الهيراطيقى ويبلغ طولها ٣٩,٦٢ مترا (مائة وثلاثين قدما)[١] وهـــى أشـبه بالوصية عدد فيها الملك رغباته الأخيرة ، وتتحدث عن إصلاحات الملك وعما شـيده من دور للعبادة وما خصصه من أوقاف وقرابين وما الحق بهذه الأوقاف من موظفين وعمال [٢] . وتبدأ بأسماء العاملين ثم عدد الماشية ومزارع الكروم والحقول والسـفن والمدن فى مصر وسوريا ثم يلى ذلك المبالغ التى تأتى عـــن طريـق الضرائـب ، وجزءا خاصا بإقليم هليوبوليس ومنف وبعض المعبودات المحليـــة ، وتذكـر هبـة بمناسبة عيد دينى خاص [٣] وذلك فى السنة الثانية والثلاثين ، ثم ينتهى نص البرديـة بعرض بعض الأحداث السياسية .

وعلى الرغم من أن الفن والعادات قد تغيرت ، ول بشكل يسير إلا انه كـان من الصعب على العلماء التمييز بين مخلفات الأسرة التاسعة عشرة والعشرين ، علـى الرغم من وجود اختلاف كبير بين عهدى رمسيس الثانى والثالث وخلفائهم .

وإذا نظرنا إلى الوظائف الكهنوتية ، وجدنا إنه منذ عصر الملـك مرنبتـاح أصبحت الوظائف فى طبقة الكهنوت العليا لآمون رع فى طيبة ، وراثيـــة ، وازدادت

---

(١) راجع : Rossler – Kohler, LAIV, 707 .

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٣٧٥ .

(٣) Birch, Fascimile of An Egypt. Hier. Pap. Pl, 75 . Eisenlohr, Transactions S.B. A. I, p. 362, Eisenlohr- Birch, Records of the Past. 8, p. 46, Breasted, AR IV, p. 399. وأيضـــا :
د. عبـد اللطيـف علـى : مصـادر التـاريخ الرومـــانى ، ص ٧٥ ؛
د. ايفار ليسنر : الماضى الحى ، حضارة تمتد سبعة الاف سنة (ترجمـــة شاكر إبراهيم ومراجعة د. أبو المحاسن عصفور ، الهيئة العامة للكتـــاب ، ١٩٨١ ، ص ٧٢.

سيطرة الكهنة فى كل البلاد .

وتعد الفترة ما بين آخر حكم رمسيس الثانى ونهاية الأسرة الخامسة والعشرين ، فترة مجد للحياة الدينية فى مصر ، إذ تعد عصرا للكهنة فى الحقيقة ، ولهذا تختلف هذه الفترة عن غيرها من الفترات السابقة ، وقد لاحظنا أنه فى كل تاريخ مصر لعبت عبادة المعبودات المختلفة دورا هاما فى سياسة الملوك وفى حياة رعاياهم . وكان أقوى كهنة فى مصر هم كهنة آمون رع ، فقد أضيف إلى معبد هذا المعبود فى الكرنك الكثير ، وزين بواسطة الملوك السابقين ، واصبح فى ذلك الوقت من أكبر المعابد فى العالم القديم .

وكان للمعبد أراضيه ومزارعه الخاصة به ، وكان الجزء الأكبر من هذه الأوقاف يخص مختلف طبقات الكهنة ، ويعمل فى هذه الأراضى أسرى الحرب من الأجانب ، كما كانت هناك مجموعة من الموظفين المصريين يخصصون لإدارة هذه الممتلكات المقدسة ، وكانت أوقاف آمون رع شاسعة جدا بحيث لا يمكن حصرها ، إذا كان مجموع أراضيها تصل إلى ١٠% من أرضى البلاد المزروعة ، بينما جميع المعبودات الأخرى كانت أراضيها تصل إلى ٥% فقط . وكان لآمون ٨٦,٥٠٠ من الأرقام الذين يعملون فى أراضيه ، وكان له قطعان من الماشية لا يقل مجموعها عن ٤٢١,٠٠٠ رأسا .

كما كانت له حدائق فى طول البلاد وعرضها ، كما كانت له مناجم الذهب فى النوبة . وكانت له تسع مدن فى سوريا تأتيه محاصيل أراضيها وضرائبها بانتظام ، وغير ذلك من الموارد ، وأهمها ما يقدمه عامة الناس وما يقدمه الملوك وكبار الشخصيات [1] . ولهذا اصبح كبار كهنة آمون على جانب كبير من الثراء . هكذا كان الوضع الدينى ووضع الكهنة عندما ارتقى رمسيس الثالث العرش – وكان رجلا على جانب من التقوى – وسوف نرى كيف اصبح الملك فيما بعد مجرد أداة فى أيدى كبار الكهنة آمون ، واخذوا يرتبون أمورهم بالتدريج لكى يتولوا عرش

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية (طبعة ١٩٨١)، ص ٣٧٥ .

البلاد .[١]

تولى رمسيس الثالث العرش عام ١١٩٨ ، وخلال السنوات الأربع الأولى من حكمه ، اتبع السياسة التى بدأها أبوه فى إعادة النظام والقوانين ، ولم يتوقف عن هذه الأعمال إلا بسبب حملة صغيرة قام بها ضد العدو فى بلاد آمور فى بلاد الشام وأسر خلالها العديد من السرى الذين وزعوا كعبيد فى المعابد المختلفة [٢] . ونجح رمسيس الثالث على الأقل فى تدعيم النظام العسكرى ، وهذا أمر ضرورى بالنسبة لظروف مصر ، ويقال أن الملك قام بحملة قبل العام الخامس من حكمه فى الجنوب لتهدئة الأوضاع هناك[٣] . ولكن فى العام الخامس كان عليه أن يواجه خطرا آتيا من الغرب ، وهو الخطر نفسه الذى تعرض له من قبل مرنبتاح منذ خمسة وعشرين عام ، ومرة أخرى نجد شعوب البحر [٤] تبحث عن مناطق نفوذ لها فى المشرق فقضوا على دولة الحيثيين وغيرها من دول آسيا واستولوا على قبرص ونزلوا فى شمال سوريا ،ووصلت تلك القبائل فى ذلك الوقت حتى حدود فلسطين متجهين نحو مصر ، ومن ناحية أخرى نجد إن الليبيين قد بدأوا فى الثورة فى السنة الخامسة من حكم رمسيس بسبب تعيين حاكم جديد عليهم ، وكانوا قبائل متعددة منهم الماشواش ، وقد نجح رمسيس الثالث فى حملته الأولى فى الحد من تقدم تلك القبائل التى جاءت من ليبيا ونجحت فى دخول حدود مصر الغربية [٥] . ومن هناك بدأوا يهددون منف .

---

(١) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 170 – 171 .

(٢) Id., op. cit.,p. 172. ؛ وتشير إلى هذه الجملة نقوش معبد مدينة هابو التى تتحدث عن زعيم آمورو الذى " أصبح لا شئ وانقطعت ذريته " ، راجع د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٧١ .

(٣) Lalouette, L'Empire des Ramsès, p. 351- 302.

(٤) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول :مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٢٣٥ – ٢٣٦ .

(٥) Edgerton- Wilson, History Records of Ramses III, p. 19. وأيضا : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٧١ – ٣٧٢ .

وبعد نجاحه فى هذا الاختبار الأول وقتل منهم اثنا عشر ألفا وأسر العديد من الرجال ، كان عليه فى الوقت نفسه أن يواجه الموجة الأخرى من الغزو الهندواوروبى فقد جاء الغزاة ومعهم زوجاتهم وأطفالهم من الشرق ومن الشمال ، وهددوا حدود مصر من البر ومن البحر فى آن واحد ، ويبدو أن تلك الشعوب قد فشلت فى اتحادها مع الليبيين فى شمال أفريقيا ، فآخذت تبحث عن مجال جديد فى آسيا الصغرى وفى سوريا وكان هدفهم من وراء تلك الحملات الاستقرار الدائم فى تلك الأقطار . ومنهم من ركب عربات تجرها ثيران ذات سنام علت رقابها ، وليس لدينا معلومات مؤكدة عن الحملة البرية ولكن يبدوا أن الجيش المصرى قد نجح فى محاصرة الهندواوربيين على الحدود الفلسطينية ، أى خارج حدود مصر ، وأرخ هذا الحدث بالسنة الثامنة من حكم رمسيس ، وسجل الملك معاركه معهم على جدران معبد مدينة هابو (١) ، فنقوش ذلك المعبد فى البر الغربى فى طيبة تسمح لنا بتتبع قصة الانتصار المصرى ، فقد تقدم الأعداء نحو حدود مصر عن طريق البر والبحر واعدا الملك بعناية كبيرة أسطولا ضخما للدفاع عن الدلتا واعد قوات مدربة جيدا ، ويبدو أنه فاجأ الغزاة وربما أخذهم بعنصر المفاجأة حتى انهم لم يستطيعوا الرسو على الشاطئ وهلك أغلبهم ، وصور لنا الفنان قتال المصريين فوق سفنهم وأوضاع الأعداء أمامهم وكان من بين تلك الشعوب : الشرادنة ، الدانوا ، والبلست الذين اشتهروا فيما بعد ، التكر ، وقد ظهرت جماعتى التكر والبلست على صفحات حوائط معبد مدينة هابو وفوق رؤوسهم ريش طائر ومعهم دروع مستديرة . مما يدل على أن كتبة ورسامى الملك قد شاهدوا تلك المعارك ورافقوا الحملة واستطاعوا أن يرسموا أعدائهم وانتصار الملك عليهم تصويرا باهرا .

---

(١) Medinet- Hobu, publ. of Oriental Institue of Chicago I, pl. 34; lalouette, L'Empire des Ramses, p. 302- 315 .
وأيضا : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٧٢ – ٣٧٣ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٣٦ – ٢٣٩ .

ويعد رسم المعارك البحرية التى خاضتها الجيوش المصرية فريد من نوعه بين مناظر الحرب . ووصف كتبة الملك انتصاره بطريقة مبالغ فيها . وقد جاء فى نصوص الملك العبارة الآتية :

لقد جهزت شبكة من أجلهم لاصطيادهم ، وقد حوصر أولئك الذين دخلوا مصبات النهر وسقطوا فيه ، وقد قيدوا فى أمكنتهم وذبحوا وقطعت جثثهم " . وعلى أية حال فقد تحطم أسطول من " شعوب البحر " أمام شواطئ الدلتا ولم يعادوا الكرة مرة أخرى (١) . ومن ثم فقد عادت السيطرة المصرية كاملة على حدودها الشمالية .

ويبدوا أن هذا الانتصار الأول لرمسيس الثالث على الليبيين وحلفائهم كان غير حاسم فبعد سنوات ست تقريبا من الغزوة الأولى ، وفى العام الحادى عشر من حكمه تعرضت البلاد لخطر الليبيين من جديد (٢) ، فاتحدت قبائلهم من جديد تحت امرة رئيس واحد هو كابر Kaper الذى بدأ بإخضاع بقايا الشعوب الليبية الأصلية وحقق السيطرة الكاملة للهندواوربيين على الليبيين . وعندما تحقق له ذلك ، دفع كابر بقبائله لغزو مصر ، وتقابل مع الجيش المصرى بالقرب من منف أيضا ، وكان انتصار رمسيس فى هذه المرة حاسما ، فقد اسر رمسيس كابر وولده ، وأخذا كأسرى حرب ، وقضى على اكثر من ألفى رجل وعاشت القبائل الهندواوربية بعد ذلك بطريقة غير منظمة ولم تحاول غزو مصر بالقوة مرة أخرى ، ولكنها كانت تجذبهم إليها دائما ، وبدلا من أن يدخلوها كغزاة ، بدأوا من ألان فصاعدا يتسللون إليها بالطرق السلمية ، ففى اغلب الأحيان كان يستعان ببعض الليبيين بواسطة الأسرات المحلية القوية أو بواسطة الملوك الذين بحثوا عن حل لمعالجة النقص فى عدد رجالهم ، وهكذا نجحوا فى أن يصبحوا قوة داخل الدولة ونجحوا فى النهاية فى الاستيلاء على العرش وسوف يرتقى أحد أحفاد هؤلاء المحاربين المرتزقة يوما ما

---

(١) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٧٦٠ – ٧٦١

وأيضا : Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 170 – 171.

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٧٣ .

عرش مصر كما سوف نرى فيما بعد .

ونجت مصر من الغزو بهذا الانتصار البرى الكبير . وهكذا اضطر رمسيس الثالث أن يحارب الليبيين ويهزمهم . وقد جاء ذكر هذه الحملة الأخيرة فى بردية هاريس (١) . وفى معبد مدينة هابو هناك نصان يقصان أحداث المعركة وصورا لغنائم الحرب من الأسرى وما تعرض له بعض هؤلاء الأعداء من بتر لأيديهم ولأعضائهم ، وهذه هى المرة الأولى التى تشهد فيها مثل هذه المناظر التى يكون فيها نوع من المبالغة نظرا لما هو معروف عن المحاربين المصريين من عدم القسوة مع أسراهم (٢) . وبعد إنزال الهزيمة بالشعوب الليبية وحلفائها من شعوب البحر حاول رمسيس استعادة السياسية التقليدية لمصر فى آسيا ، واضطر للقيام بحملة أخيرة إلى سوريا للقضاء على ثورة هناك بعد العام الحادى عشر (٣) ، وقد قضى بذلك على جماعة من البدو كانوا يتنقلون فى الصحراء جنوب فلسطين ، ولم يكن هذا غير مجرد غارة لم تتكرر ثانية فلم يتعرض لأية مضايقات بعد ذلك وحكم منذ ذلك الحين فى سلام تام .

وأصبح الجزء الجنوبى من الشاطئ الفينيقى نفسه ، والذى كان يخضع لمدة طويلة لرقابة القوات المصرية ، محتلا الآن بواسطة شعوب البلست (الفلسطينيين) ولم يصبح لمصر أى دور فعال تؤديه فى الهلال الخصيب بعد ذلك الحين .

وأصبح لرمسيس شهرة كبيرة ، وفى كل مكان كان يخشى اسمه ، وكان جيشه وأسطوله الدعامة الأساسية لتأكيد تلك السيطرة المصرية لعدة سنوات ، وأصبحت حدوده وشواطئه آمنة ، وغدت سفنه التجارية تستطيع التجوال بين شواطئ مصر وفينيقيا دون التعرض لأى خطر ، وفى هذا العصر كان لكبار كهنة إيونو ومنف وطيبة أساطيل تجارية خاصة بهم – يغدقون عليها من أموالهم الخاصة ،

---

(١) Breasted, AR IV (405) .

(٢) Edgerton- Wilson, op. cit., p. 74 .

(٣) د.أحمد فخرى : مصر الفرعونية ١٩٨١ ، ص ٣٧٤ ؛ Lalouette, op. cit., p. 316 – 318 .

وكانت هذه السفن تقوم بإحضار أخشاب الأرز اللازمة من غابات لبنان التى كانت تستخدم فى بناء المعابد والسفن ، وفى أثناء هذا الحكم ن أرسلت بعثة رسمية إلى بلاد بونت عن طريق البحر الحمر [1] وعادت السفن ، محملة بأشجار البخور والصمغ وكل المنتجات الأخرى لهذا البلد البعيد ، كما حدث الأمر نفسه فى عصر الملكة حتشبسوت ، ونحن نعرف الشكل العام لهذه السفن الضخمة التى كانت تستخدم فى هذا العصر وذلك عن طريق الوصف الذى وصفت به مراكب الأعياد المقدسة لآمون رع ، حيث كان يبلغ طول الواحدة منها حوالى ستة وستين مترا وكانت تصنع من خشب الأرز وتغطى فى بعض أجزائها برقائق الذهب ، وكان يعلو سطحها مقصورة كبيرة مغطاة برقائق الذهب ومطعمة بالأحجار نصف الكريمة ، على حين كانت مؤخرتها ومقدمتها مزينة برؤوس الكباش والحيات المحلاة بالذهب اللامع ، وكان لها شراع كبير مربع الشكل وملون ومزين بحليات متعددة ، وكان بحارتها يستخدمون المجاديف المتعددة الألوان ، وكان عددها يتراوح بين خمسة عشر وثلاثين على كل جانب وقد أرسل الملك أيضا حملة برية إلى مناجم شبه جزيرة سيناء لإحضار النحاس ، ويوضح الجزء الثانى من بردية هاريس مقدار ما كان يتمتع به الناس فى عهده من سلام ، ويتحدث الملك عن أعماله بوجه عام بالألفاظ الآتية :

" لقد جعلت نساء تامرى (مصر) يستطعن السير ، الرأس عارية إلى أى مكان يرغبن الذهاب إليه – بدون حراس موافقين – لأنه لا يوجد أى أجنبى أو أى شخص على الطريق يسبب لهن أية مضايقة . لقد جعلت المشاة وفرسان المركبات الحربية من ألان فى راحة ، أثناء حكمى ، والشردانه والكهك (المرتزقة) فى مدنهم ، مستلقين على ظهورهم . ليس هناك خوف ، لأنه ليس هناك متمردين من بلاد كوش أو منافسين من سوريا ، أقواسهم وأسلحتهم وضعت فى مخازنها ، على حين أنهم كانوا يشربون حتى الثمالة ، ويصيحون صيحات السرور وزوجاتهم معهم أولادهم بجانبهم ، أنهم لا ينظرون خلفهم (من الخوف) قلوبهم مطمئنة لأننى معهم ، لقد سهرت على حياة البلاد كلها ، على الأجانب ، والعمال والمدنيين رجالا

---

(١) Breasted, AR IV (407).

ونساء [١] . لقد أنقذت الناس من التعاسة ومنحتهم نسيم الحياة ، لقد أنقذت هؤلاء الذين كانوا عرضة للاستغلال من طبقات اقوى منهم ، لقد أعدت لكل إنسان حقوقه التى يستمتع بها فى مدينته ، وساعدت من ينشد العدالة أمام ساحات المحاكم ، لقد سعدت البلاد التى كانت عرضة للبؤس والشقاء . لقد أحسنت معاملة الناس وقدرت المعبودات ، ولم استول على أى شئ يخص الآخرين ".[٢]

كان هذا الملك مولعا بالفن المعمارى ، فقد أقام ثلاثة معابد كبيرة فى منطقة طيبة وحدها ، أولها المعبد الذى يحتوى على مقاصير القوارب المقدسة لامون وموت وخونسو على اليمين بعد الصرح الأول فى الكرنك [٣] . وثانيهما معبد للمعبود خونسو الذى شيده فى الكرنك أيضا .والثالث هو معبد مدينة هابو ، وقد تم بناؤه فى العام الثانى عشر من الحكم ، يوجد فى الطرف الجنوبى من جبانة طيبة فى البر الغربى ، وهو من أجمل المعابد التى شيدها الملوك فى تلك المنطقة [٤] وكان يحمل اسم Ḫnmt – nḥḥ[٥] . ويبدو انه كان معجبا بخطط رمسيس الثانى ومتتبعا لها لذلك أتخذ معبد الرمسيوم كنموذج له ، فشيد معبد مدينة هابو بنفس الضخامة واستخدم فيه بعض الكتل التى تخص معبد سلفة ، ولهذا المعبد شكل فريد من نوعه فالمدخل على شكل برجين كبيرين ، يشبه إلى حد كبير أحد الحصون الأسيوية ، ويشتمل على عدة حجرات ، نقشت جدرانها مناظر تمثل رمسيس الثالث وحريمه بعض يمرحن ويغنين

---

(١) Lalouette , L'Empire des Ramsès, Paris (1985),p.124 et p. 493 .

(٢) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 176 .

(٣) د. سيد توفيق : تاريخ العمارة فى مصر القديمة: الأقصر ، ص ١٤٢ – ١٤٤ ؛ د. محمد عبد القادر : آثار الأقصر ، الجزء الأول : معابد آمون ، ص ٣٧ – ٤٤ .

(٤) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٢٢ – ٤٢٩ ؛ Stadelmann, LA III, p. 1255 – 1271 .

(٥) Helck, LAV, p. 7 .

أمامه أو الملك يلعب النرد مع إحدى نسائه[١] . وبعض آخر يمسكن بمـــراوح مـــن ريش النعام أو يحملن طاقات الأزهار ، وتتميز هذه المناظر بالطابع الشرقى ، وشـيد المبنى نفسه على الطريقة السورية ويبدو أن هذا الجزء كان خاصا بالملك يلجأ إليـــه ليسرى عن نفسه ويقضى فيه بعض الأوقات مع نسائه كما هو واضح فـــى بعــض المناظر الممثلة على الجدران ، ومن الخلف يمتد فناء أمامى فسيح نجد فـــى نهايتــه صرحا كبيرا محاطا بأبراج فى وسطها المدخل الرئيسى الـذى يـؤدى إلـى الفنــاء الأول ، وفى هذا الفناء ، نجد أن الحائط الذى يمتد إلى اليسار يمثل رواقا على شــكل واجهى قصر ، الذى شيد بجانب المعبد ، ولكنه تهدم الآن ولم يبق منه شئ [٢] ويلـى الفناء الأول ،فناء ثان به أعمدة ، ثم يأتى بهو الأعمدة الذى يقوم سقفه علـى أربعــة وعشرين عمودا ، ويوجد إلى الخلف ، قاعتان صغيرتان تؤديان إلى قدس الأقـداس . ومن حوله جمعت عدة مقاصير وحجرات كانت مخصصة للكهنة والموظفين . وفـى حرم المعبد كشف عن مبنيين لإدارة المعبد وتبلغ مساحته أكثر مـن خمسـة عشـر فدانا . وقد بنى على فترتين ، تم فى الفترة الأولى بناء المعبـد وملحقاتـه والسـور الداخلى ، وفى الفترة الثانية تم بناء السور الخارجى بوابتيه الضخمتيـن المحصنتيـن فى الشرق الغرب ، وكان يوجد مرسى أمام البوابة الشرقية [٣] وقد استخدم لبناء هـذا المعبد أكثر من ستين ألف عامل .

وفى كل جزء من أجزاء المعبد زينت الجدران بنقوش ذات ألـوان مختلفـة تمثل الملك يعاقب أعداءه أو يقودهم أسرى إلى المعبودات المختلفة [٤] أو الملك فـى حضرة المعبودات المختلفة او مناظر تسجيل حروب رمسيس الثالث . ويقع الصـرح الأول وسط الجدار الشرقى من السور الداخلـى ، ويبلـغ ارتفاعـه ٢٤,٤٥ مـترا وعرضه ٦٨ مترا إلا قليلا ، وكانت تقوم فى واجهة أربـع ساريـات ، وتحليهـا ،

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٢٦ شكل ١٨٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣١ – ١٣٣ شكل أ ، ب .

(٣) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٢٢ – ٤٢٩ شكل ١٨٦ – ١٨٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٢٦ .

صورة الملك يعاقب أعداءه أمام حور اختى ونص طويل يسجل انتصاره على شعوب البحر .[١]

أما الصرح الثانى فهو أقل عرضا من الصرح الأول وارتفاعه ستة عشـر مترا وتحلى واجهة هذا الصرح مناظر ونصوص عن القتال مع شعوب البحر ، وقد أبدع الفنان تمثيل ملامح الأجناس المختلفة [٢] . وقد بلغ فن النحت أوج مجده فى عهد رمسيس الثالث وذلك باستخدام المساحات الواسعة لتصوير مناظر القتـال فـى البر والبحر ، وتصوير مناظر الصيد ، وخير ما صوره فنان الأسرة العشرين لرمسيس الثالث على الوجه الخلفى للصرح الثانى فى معبد هابو [٣] وهو يقوم بصيد الثيران فى بعض الأحراش .

وإذا صدقت النقوش ، كانت الأبواب مزينة بالنحاس المطلى وموائد القرابين مزودة بالأوانى العديدة من الذهب والفضة والنحاس ، وكانت توجد بـالمعبد " آثـار تشبه جبال المرمر " [٤] وتماثيل مغطاة بالذهب ، ومن حول المعبد انتشرت الحدائق وبساتين الأزهار الفيحاء والبحيرات المنسقة ، ويشير الملك أنه لم يعاقب شخصا مـا وأن الجميع كان سعيدا بالعمل فى ظل حكومته النقية .

وبالإضافة إلى معبديه فى الكرنك ، خصص رمسيس الثـالث الأوقـاف الضخمة على كهنة آمون رع ، وأقام الحدائق الغناء فى الكرنك وطيبة وأمر بزراعة مساحات كبيرة من أشجار الكروم التى تمون المعابد " بالنبيذ بوفرة كما لو أنه كـان ماء " . وقد حفرت البحيرات لزراعة مساحات زهيرات من اللوتس الأزرق الذى يستخدم بكثرة فى احتفالات الأعياد وقال الملك : " لقد ملأت هذه المعابد بالعبيد رجالا ونساء ، وقد اكتظت خزائنها بخيرات أنحاء البلاد ، وكانت الصوامـع تعلـو حتـى

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٢٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٢٨ .

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٥٧ .

(٤) Vandier, Manuel d'Archéologic II, p. 754 – 790 .

السماء ، وكانت القطعان أكثر عددا من حبات الرمال ، وكانت هناك الحظائر الخاصة بالأضاحى اليومية ، ومزارع لتربية الأوز والدواجن ، وأنشئت حدائق الكروم والفواكه وزرعت الخضراوات وكل أنواع الأزهار ، وقد عد كل مبنى مخصص للمعبود امون رع ، كزخرف خالد على مر الزمان " .(١)

وتحدثنا النقوش عن أبواب من الجرانيت وأعتاب من الذهب ، وموائد قرابين من الفضة مطعمة بالذهب ، وحوامل لأوانى مطعمة بالذهب والفضة ، وتماثيل من الذهب مزينة بالحلى ، وقوارب مطعمة بالذهب أعدت من أجل المواكب الدينية ومقاصير مغطاة بالذهب ويقول الملك أيضا : " لقد خططت الميادين الفسيحة ، المملوءة بالحدائق والأزهار وأشجار النخيل من كل الأنواع و (خصصت) أماكن للتنزه وشوارع فسيحة تحفها أشجار الفاكهة وأزهارا تجذب الأنظار جئ بها من جميع البلاد (لقد زرعت) أشجار الزيتون والكروم ومساحات واسعة من الحدائق المحاطة بأسوار وبها أشجار بالغة الطول مصطفة بطول كل هذه الممرات العديدة " .(٢) وقام بأعمال مشابهة في معابد منف وايونو ، وكرم المعبودات فى كل مكان فى البلاد وذلك بالهدايا الثمينة ، وقام بتشييد وترميم المعابد وملحقاتها من الحدائق ويقص علينا الملك كذلك : " كيف أنه ملأ الصوامع التى كانت خاوية أثناء فترة الفوضى

----

(١) خصص رمسيس الثالث ٢٧٠٧ من أسراه لأملاك المعبود أمون ، و ٢٠٩٣ لأملاك رع و ٢٠٥٠ لأملاك بتاح ، راجع : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٤٠ . وتذكر وثيقة من عهده أن دخل معابد امون في طيبة وحدها بلغ ٦٢ كيلو جرام من الذهب ، ١١٨٩ كيلو جرام من الفضة ، و ٢٨٥٥ كيلو جرام من النحاس ، راجع : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٢٤٩ .

(٢) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 174 .

والاضطرابات التى تفشت فى أعقاب الأسرة التاسعة عشرة . ويحدثنا عن إعادة بناء المعابد التى تهدمت ، وتطهير البحيرات المقدسة وإعادة الاحتفال بالأعياد الدينية التى كانت قد أهملت ، وطرد الموظفين المهملين ، وقام بتدريب صغار الكهنة ، ويذكر أيضا استغلاله إلى حد كبير لمناجم النحاس والأحجار الكريمة فى سيناء ، ومحاجر الذهب فى الصحراء والتى تقع إلى الشرق من النوبة السفلى ، وأمر بحفر الآبار فى عدة نقاط من الصحراء ، وزرع الأشجار فى كل البلاد لكى يستظل الناس بظلها .(١) وحاول إعادة تنظيم طبقات المجتمع ، فقسم طبقات الموظفين إلى مشرفين على القصر ، أمراء كبار ، مشاة ، قواد مركبات حربية ، قوات مساعدة وخدم ووظائف متعددة .

ولكننا لا نعلم الكثير عن المعنى الحقيقى لهذه التقسيمات الإدارية ومدى دلالة هذه الإصلاحات .(٢) ويبدو أن القدر لم يكافئه على نشاطه وعلى كل هذه الإنجازات . فقد ساءت الحالة الاقتصادية فى نهاية حكمه حتى اضطر عمال الجبانة فى غرب طيبة إلى الإضراب عن العمل لأن مقرراتهم لم تصرف لهم لمدة شهرين فى العام التاسع والعشرين من حكم هذا الملك .(٣) ومن ثم توقف العمال عن عملهم ، وفى اليوم التالى تجمعوا وهاجموا مخازن معبد الرمسيوم وهم يصيحون بأنهم جائعون ، وعندئذ تدخل أحد كبار الموظفين فى محاولة لتهدئتهم وتكرر الاضطراب بعد ذلك حتى اضطر وزير الجنوب أن يتدخل لإعطائهم ما يستحقونه .(٤) وفى العام الثانى والثلاثين من حكمه ، كان رمسيس الثالث قد قرب من السبعين عاما واختار لنفسه وريثا من أبنائه يسمى رمسيس ، ويبدو أن صحته تدهورت وأحس أن أيامه

---

(١) Id., op. cit., p. 174 .

(٢) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 98 .

(٣) Edgerton, JNES 10 (1951), p. 137 – 145 .

(٤) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٤٢ – ٢٤٣ ؛ د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٧٦ .

أصبحت معدودة ولكن قبل وفاته بقليل اكتشف فى القصر مؤامرة ، كان الغرض منها الإسراع بوضع نهاية لحياة الملك وإعطاء الحكم لأحد الأمراء الآخرين الذى كان ابنا للملك من إحدى زوجاته من الطبقة المتوسطة وتسمى تى ، والتى أرادت أن تصل بولدها بنتاؤرة إلى العرش .(١)

ولدينا ملخص قصة هذه المؤامرة ونفهم منه أن مجموعة من موظفى البلاط ونسائهم قد قرروا أن يحدثوا انقلابا فى داخل القصر فى اللحظة التى تشتعل فيها ثورة فى المدينة .

وكان الملك يعيش فى آخر أيامه ولذلك تمكن من تتبع القصة ، وقد اختار بنفسه رجال القضاء لتولى هذا الأمر وقد أعطاهم التعليمات الآتية كتابة : " أما بالنسبة للكلام الذى سوف ينطق به المتهمون فأننى لا أعرفه أبدا ، اذهبوا واستجوبوهم ، وعندما يتم ذلك ، سوف تجعلونهم يموتون بأيديهم ودون أن أعلم أنهم يستحقون الموت ، وسوف يلقى الآخرون عقوبتهم على أيديكم ، دون أن أعلم أى شئ أيضا ، احرصوا على ألا تهملوا شيئا ولا تمتهنوا العدالة ، وأقولها لكم حقيقة ، أما بالنسبة لكل ما حدث وبالنسبة لما فعلوه ، فإن كل ما حققوه سوف يقع على عاتقهم ، أما بالنسبة لى فإننى دائما فى مأمن عن كل خطر ، لأننى أعد بين الملوك الموتى الذين سوف يبعثون أمام آمون رع ملك المعبودات واوزير سيد الأبدية " .(٢)

---

(١) Sauneron – Yoyotte, BIFAO 50 (1952), p. 107 – 111; Gardiner JEA 42 (956), p. 8 – 20; Bedell, Criminal law in the Egyptian Ramesside Period (1973), p. 10,

وأيضا د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٣٧٧ – ٣٧٨ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٤٠ .

(٢) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 177 .

ومن الملاحظ إن البردية لم تتحدث طويلا عن تى أول الخائنين ، واكتشف إن بعض المتآمرين قد لجأوا إلى السحر وعمدوا إلى صنع تماثيل من الشمع تحمل أسماء بعض أعدائهم وذلك لكى يقضوا عليهم بالسحر والقوى الخفية . ولكى يعطوا أنفسهم الشجاعة فقد استخدم المتآمرون أيضا البرديات السحرية وقد ثبت أن أكثر من أربعين شخصا وجه إليهم الاتهام ، من بينهم الأمير بنتاؤرة الذى كان يطمع فى أن يتوج ملكا على العرش ، وقد أجبر بعض المتهمين على الانتحار . ونجهل ماذا كان مصير الملكة تى – أم الأمير ؟ وقد توفى الملك المسن قبل الحكم النهائى فى القضية ، وقد حوكم هؤلاء المتآمرون بواسطة خليفة رمسيس الثالث ، مما يدل على أن هذا الأخير قد توفى من مدة قريبة . ولا نعرف هل توفى الملك مقتولا ؟

وربما عوقب من قاموا بالمؤامرة بواسطة ولده وذلك قبل أن يجد المتآمرون الوقت الكافى للاستيلاء على السلطة ، وربما أيضا أن الملك توفى وفاة طبيعية وذلك فى نفس اللحظة التى كشف فيها عن المؤامرة ، وهكذا تركت لولده مسئولية معاقبة المتهمين الذين قبض عليهم أثناء حياة أبيه .

إلى جانب هذه المؤامرة فقد وقعت فى إقليم أتريب ثورة أو أزمة عزل على أثرها الوزير من منصبه .(١) وعلمنا أن أباه " ست نخت " قد هجر المقبرة التى حفرها لنفسه ، لأنها تداخلت مع مقبرة أخرى أكثر قدما ، لكن رمسيس الثالث أكمل الأعمال الناقصة وحول الممر ، ونجح فى إضافة بعض الممرات والقاعات حتى عمق مائة وثلاثين مترا ، ودفن هناك بواسطة ابنة الملك الجديد رمسيس الرابع ، وهى تختلف عن المقابر الأخرى فى مناظرها وهى تحمل الآن رقم ١١ (٢)، إذ زينت

---

(١) Erichen, Pap . Harris I (BAe V), Bruxelles 1933, p. 59, 1. 10 – 11; Erman, Zur Erklarung des Pap. Harris, dans Sitzungberichte d. kgl. Preuss. AK. P. Wissen Schaften (Berlin 1903), p. 456 – 474; Breasted, ARIV (151 – 152
وأيضا : د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٣٧٧ .

(٢) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٠٤ شكل ١٨٠ .

بعض جدران المقبرة بمناظر تمثل أماكن الطهى الملكية وصورة تمثل عازف القيثارة المشهور ، وقد قدس رمسيس الثالث فى بداية حياته .[١]

ومن أهم رجال عصره ثانفر الكاهن الثالث لآمون (المقبرة رقم ١٥٨) وحقا ماعت نخت الكاهن الأول لمونتو والذى كان معاصرا أيضا لرمسيس الرابع (رقم ٢٢٢) وإن حرخع رئيس عمال الملك فى مكان العدالة وكان معاصرا أيضا لرمسيس الرابع (رقمى ٢٩٩ و ٣٥٩) وامن خعو رئيس نجارى معبد مدينة هابو (رقم ٣٧٢) .[٢]

وجاء ذكر تاريخ وفاة رمسيس الثالث على بردية هاريس ، تلك الوفاة التى حدثت فى العام الثانى والثلاثين من حكمه وذلك قبل نهاية العام بسبعة أسابيع أو ثمانية . وطبقا للطريقة التى استخدمها المصريون لكى يجعلوا سنين الحكم تطابق سنوات التقويم نجد أن بضعة الأسابيع الباقية من السنة الأخيرة لحكم رمسيس الثالث قد احتسبت ضمن العام الأول لحكم رمسيس الرابع الذى حرص أن يعلن أكثر من مرة ، أن أباه قد أختاره ليكون وريثا للعرش . وإذا قارنا بين كل من تحوتمس الثالث ورمسيس الثالث ، نجد أن الأول قام بعدد أكبر من الحملات وأعد جيشا بريا قويا ، على حين كان الثانى أقل عددا من حملاته ولكنه أعد أسطولا بحريا قويا ، وكان هدف تحوتمس أن يجعل لمصر مكانة سياسية مرموقة فى الخارج ، أما الثانى فهدفه هو الزود عنها وحماية حدودها الغربية ، وكان الأول محبا للظهور وإبراز قوته ، أما الثانى فكان ذا طابع إنسانى ، ففى حديثه للقضاة يوضح أنه لا يريد إلا نشر العدالة ، وقد شهد عصر الأول نهضة فى الفن المعمارى وتميز عصر الثانى ببناء المعابد الضخمة .

---

(١) Schulman, JNES 22 (1963), p. 177 – 184 .

(٢) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٧٢ ، ٣٧٦ ، ٣٨٢ ، ٣٨٧ .

حقا ماعت رع – ستب ان آمون – رعمسسو الرابع حقا ماعت مـــرى آمـــون(١)
(١١٦٦ – ١١٦٠ ق. م)(٢) :

توج الملك الجديد بعد فترة المراسيم الجنائزية للملك السابق ، أى بعد حوالى أسبوعين تقريبا من بداية ما يسمى بالسنة الثانية من الحكم ، أى فى اليـــوم الخـــامس عشر من الشهر الأول لسنة التقويم المدنى ، التى تقابل فى هذه الفترة السادس عشـــر من شهر يونيو .

وهذه التفاصيل لها أهميتها ، فهى تبين أنه قد مضى اثنان وسبعون يوما مـــا بين تاريخ وفاة الملك المسن وتتويج الملك الجديد ، مما يؤكد أن مـــا قالـــه الرحالـــة اليونان الذين نقلوا إلينا فيما بعد أن فترة الحداد كانت ما يقرب من اثنين وسبعين يوما. وفى الوقت نفسه كانت قضية المتآمرين التى تحدثنا عنها آنفا قـــد انتـــهت وعوقـــب المدانون ونفذ الحكم . ولكى يعمل رمسيس الرابع على نشر شعبيته لجأ إلى إصـــدار عفو عام عن كل من كانوا موضع شك وشبهات وعن كل من لاذ بالفرار .

وهذا بعض ما جاء فى قصيدة قيلت فى مناسبة احتفالات التتويج : " يا لـــه من يوم سعيد ، فالأرض والسماء مبتهجتان لأنك أنت سيد مصر العظيم فقد عاد مـــن فر إلى دياره ، وظهر كل من توارى عن العيون ، وأصبح الجائعون سعداء بعـــد أن شبعت بطونهم ، ومن كانوا ظمأى رووا ظمأهم ، ومن كانوا عرايا ارتـــدوا الثيـــاب الفخمة ، ومن كانوا عرضة للأمراض ، أصبحوا يتزينون بالملابس البيضاء ، وأطلق سراح من كان فى السجون ، وقرت نفوس من كانوا فى حزن ومن كانوا يتصارعون فى البلاد ساد الصلح بينهم ، وبدأ النيل يفيض بـــالخير ، وأصبحـــت قلـــوب النـــاس مغتبطة ".(٣) وتشير الجملة الأخيرة إلى أن تاريخ التتويج يطابق إلى حد كبـــير أول

---

(١) Wolf, DasAlte Agypten, Munchen (1971), p. 233; Gauthier, LR III, p. 178 – 185; James, op. cit., p. 264 .

(٢) عن هذا الملك ، راجع : Helck, LA V, p. 120 – 123

(٣) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 179 .

ارتفاع لمنسوب مياه النيل الذى يحدث دائما فى ١٧ يونيو .

وفى أقل من شهر فيما بعد – فى أشد فترات الصيف حرارة – ظن الملـــك أنه رأى حلما مقدسا ، فأمر بإرسال حملة إلى محاجر وادى الحمامات فى الصحـــراء الشرقية ، لكى تختار المكان المناسب للحصول من تلك المنطقة على أجـــود أنـــواع الأحجار الملونة من الاردواز التى تستجلب بكميات كبيرة إلى مصر لصنـــع تمـــاثيل المعبودات ، وكانت هذه الحملة مكونة من ثمانية آلاف رجل ، وترك هنـــاك نصـــا طويلا مؤرخا بالعام الثالث من حكمه . وأمضى الملك ثلاثة أيام فـــى السـير عـــبر الصحراء المحرقة .(١)

وهذا لا يمكن أن يعلل إلا بضرورة ملحة ، ورغبة شديدة شعر بها لتحقيـــق أمنية تساوره بالذات ، أو استجابة فورية لأوامر هذا الوحى المقدس .

ومهما يكن من أمر فبعد زيارته هذه أرسل بعثة أخرى هامة إلى المحـــاجر بقيادة كبير كهنة آمون نفسه . وكانت هذه البعثة تحتوى على ثلاثة أو أربعـــة آلاف عامل وخمسة آلاف جندى ، واجهوا النكبات سواء بـــالتعرض للـــهجوم مـــن بـــدو الصحراء أم نتيجة لانتشار الأمراض لندرة الماء ، فقد توفى من أفراد هـــذه البعثـــة حوالى تسعمائة رجل. وكمكافأة على ذلك – وربما لأنه أطاع أوامر الوحى المقدس – تلقى الملك وحى المعبود اوزير فى أبيدوس ، الذى أكد له أنه لـــن تحـــدث كـــوارث أخرى أثناء فترة حكمه ، وقد عثر على لوحتين كبيرتين فى ابيدوس توضحان مـــدى حبه للمعبودات ، منها نص مؤرخ بسنتين من هذا الحدث ، ويطلب فيـــه رمســيس الرابع من المعبود اوزير أن يمنحه حكما طويلا وأن يمتعه حتى النهاية بنعمة البصـــر وأن يهبه دائما الإحساس بجمال الحياة وهو يقول : " هبنى الرضا فـــى كـــل يـــوم ، واسمع صوتى فى كل طقوس أخصصها لك ، وأعطنى ما أتمناه بقلب يفيض بالحب ،

---

(١) Piankoff, BIFAO 43 (194), p. 1 – 50 .

امنحنى فيضانا عاليا غنيا ... لكى يعيش الشعب ، وأيضا ماشـيته وأشـجاره التـى خلقتها يداك ، لأنك أنت خالق كل شئ ولا ترضى أن يكون غير ذلك ، لن يصبح من العدل .... هبنى حياة جديدة وحكما طويلا لأنك وعدت بذلك وبلسانك وهذا الوعـد لا يمكن أن يكون محلا للتأجيل " .(١)

وعثر على اسمه فى سرابية الخادم فى شبه جزيرة سيناء ، وفى بوهن وقـام ببعض الترميمات فى معبد خونسو بالكرنك ، وعندما ارتقى العرش كان يبلـغ مـن العمر خمسة وأربعين عاما تقريبا ، علما بأنه لم يحكم إلا ست سنوات فقط ، وطبقـا لفحص موميائه فقد توفى بعد أن جاوز الخمسين من عمره .

وعثر على وثيقة من عصره فى منطقة الفنتين تتضمن اتهامات وجهت إلـى بعض الأشخاص من بينهم كاهن معبد المعبود خنوم الذى قام باختلاسـات وتقـاضى رشاوى وانتهاك لحرمة المعابد . وتوجد هذه البردية فى متحف تورين ، وكان هنـاك أراضى وقف لصالح المعبد فى الدلتا تجلب له كل عام كميات من مقـادير الحبـوب كان يشترك فى اختلاسها أيضا قائد السفينة المكلف بنقلها . وحدث هذا فـى السـنة الأولى من حكم رمسيس الرابع .(٢)

.ويحتفظ متحف تورين أيضا ببردية طولها ٨٦ سم عليها تصميـم لمقـبرة رمسيس الرابع (٣) والتى تقع فى وادى الملوك وتحمـل الآن رقـم ٢ وقد تعرضـت للسرقة ، وقام الكهنة فيما بعد بنقل موميائه إلى مقبرة امنحتـب الثـانى وهـى الآن بالمتحف المصرى .

---

(١) Weigall, op. cit., p. 136 .

(٢) Peet, JEA 10 (1924), p. 116 – 127 .

(٣) Carter, Gardiner, JEA 4 (1917), p. 130 – 149 .
وأيضا : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٨٠ ؛ د. أنور شـكرى : المرجع السابق ، ص ٤٩٤ شكل ٢٤ .

وهكذا لم تحقق المعبودات أمنياته وتوفى رمسيس الرابع عام ١١٦٠ ق.م ، وكان من أهم رجال عصره " رعمسسونخت " كبير كهنة آمون الذى أشرف على بعثـــة وادى الحمامات التى تعرضت لمخاطرة كثيرة وذلك بسبب نقص المياه وتعـــرض بعـض رجالها للأمراض .[١] وهو صاحب المقبرة رقم ٢٩٣ . وامن حتب رئيـس سـيدات الحريم الملكى للعابدة المقدسة تانت اوبت (رقم ٣٤٦) وان حرخع رئيس عمال الملك فى مكان العدالة والذى بدأ حياته المهنية فى عصر الملك رمسيس الثالث (رقـم ٣٥٩ و هو صاحب المقبرة رقم ٢٩٩ وأيضا) وهو الذى أشرف علـــى أعمـــال الرســم والتلوين فى المقابر الملكية . وتمتاز مقبرته فى جبانة دير المدينة بألوانـــها الجميلـة الزاهية.[٢] وحقا ماعت رع نخت الكاهن الأول بمونتو والذى كان معاصرا لعـــهدى رمسيس الثالث والرابع (رقم ٢٢٢).[٣]

وتحت حكم الملك رمسيس الثالث والرابع عاش أحد الكهنة ويدعى با ان عنقت الــذى ذاعت شهرته لاتهامه بالاعتداء على مخصصات معبد المعبود خنوم وبيع الحيوانـات المقدسة المخصصة للمعبد .[٤]

النصف الثانى من الأسرة العشرين :

خلف رمسيس الرابع سبعة ملوك يحملون جميعــهم اســم رمســيس حتــى رمسيس الحادى عشر ، وقد حكموا فى الفترة من ١١٦٠ – ١٠٨٥ ق.م ولا نعــرف عنهم الشيء الكثير سوى أن فترة حكمـــهم قــد تمــيزت بالاضطرابــات الداخليـة

(١) فى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العـدد ٢٦ ، ١٩٧٩ ، ص ١٢ . R. el Sayed, Quelques hommes célèbres.

(٢) Bruyer, Fouilles de Deir el Medineh (1922-1923),.67-68.

(٣) د. سيد توفيـق : المرجـع السـابق ، ص ٣٧٦ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦.

(٤) المرجـع السـابق ، ص ٢٣ ، ٢٤ ؛ R. el Sayed , Quelques hommes célèbres .

والمجاعة . كظاهرة للعصر ، نجد أن المقابر الملكية لم تعد فى مأمن فقد جاء اللصوص لينهبوا التوابيت الملكية ولكى يستولوا على الحلى الثمينة ، ولم يعد أمام الملوك الحاكمين إلا طريقة واحدة لكى يحافظوا على بقايا أسلافهم ، إلا وفى إخراج هذه البقايا من مقابرها الأصلية لكى يدفنوها بطريقة سرية فى مقابر أخرى جماعية .

وعندما نفكر فى المنزلة التى كان يتمتع بها الملك فى نفوس المصريين فى عصر الدولة القديمة والوسطى وأيضا خلال الدولة الحديثة ، فقد عدوه معبودا وفى الوقت نفسه ملكا ، نرى إلى أى مدى فقدت الملكية هيبتها وبالتالى قوتها ، ونرى مظاهر ضعف الملكية فى تلك الثورات التى قامت خاصة فى مصر الوسطى ، وهى ثورات أشعلتها بالتأكيد عناصر ليبية انتشرت بكثرة فى هذه المنطقة .

وأزداد من ناحية أخرى نفوذ كهنة آمون فى طيبة ولنا أن نتخيل مدى سلطتهم عندما نتفهم حقيقة الدور الذى قاموا به فيما بعد .

ولا نعرف ما هى طبيعة العلاقات الأسرية التى كانت تربط بين هؤلاء الملوك الرعامسة ولكن نعرف إنه كان لبعض منهم مقابر فى وادى الملوك ولدينا بعض الوثائق عن حكمهم وأعمالهم ، وهؤلاء الملوك هم :

- وسر ماعت رع سخبر إن رع – رعمسسو الخامس مرى آمون .(١)
- نب ماعت رع مرى آمون – رعمسسو السادس (أو آمون حرخبش إف) نثر حقا ايون .(٢)
- وسر ماعت رع ستب إن رع مرى آمون – رعمسسو السابع ايت آمون نثر حقا إيون .(٣)

---

(١) Gauthier, LR III, p. 198 .

(٢) Id., op. cit., p. 199 .

(٣) Id., op. cit., p. 198.

وسر ماعت رع آخ إن آمون – رعمسسو الثامن مرى آمون ست .(١)

نفر كارع ستب إن رع – رعمسسو التاسع خع ام واست مرر آمون.(٢)

خبر ماعت رع ستب إن رع – رعمسسو العاشر مرى آمون .(٣)

من ماعت ستب أن بتاح – رعمسسو الحادى عشر خع ام واست مرر امون نثر حقا ايون .(٤)

رمسيس الخامس (١١٦٠ – ١١٦٥ ق.م) : (٥)

لا نعرف عن رمسيس الخامس الشيء الكثير ، فقد عثر فى جبال السلسلة على لوحة تفيد إرساله بعثة لقطع الأحجار من هناك ومن الجائز أنه حكم أكثر من أربع سنوات وكشف عن موميائه فى مقبرة أمنحتب الثانى وبفحصها وجد انه كان مريضا بالجدرى ، وتوفى متأثرا بمرضه .

وقد اتصلت مقبرته بوادى الملوك بمقبرة رمسيس السادس ، واهم آثار عهده ، بردية فى متحف بروكلين وهى مؤرخة بالعام الرابع من حكمه ويبلغ طولها عشرة أمتار ، وتسمى الآن بردية ولبور Wilbour (٦) وهى تقدر الضرائب على

---

(١) Gauthier, op. cit., p. 205 .

(٢) Id., op. cit., p. 207 – 216 .

(٣) Id., op. cit., p. 218 – 219 .

(٤) Id., op. cit., p. 220 – 221 .

(٥) عن هذا الملك ، راجع : Kitchen, LAV, p. 124 .

(٦) Menu, Régime Juridique des Terres et du Personnel attaché à la terre , d'apres, le papyurs Wilbour, lille (1970),p. 34 ; Gardiner, Wilbour Papyrus II (1948), p. 112 – 113 ; Vittmann , LAIV , p. 747 .
وأيضا:د.أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص٣٨٠ حاشية(٢) .

مساحة من الأراضي تمتد من مدينة الفيوم حتى مدينة المنيا لصالح المعابد . وكانت الضرائب تحصل بالحبوب وتقدر على كل أرض حسب جودة إنتاجها وكان ملاك الأراضي من أصحاب الحرف المختلفة [١] . وكان قد عثر على البردية في الأقصر حوالي عام ١٩٢٩ في جهة الخوخة أثناء أعمال التنظيف التي قامت بها مصلحة الآثار لبعض المقابر هناك .

رمسيس السادس (١١٥٦ – ١١٤٨ ق.م) : [٢]

كان رمسيس السادس يقيم في الدلتا ، عثر على اسمه في معبد الرديسية الذي شيده سيتي الأول في منطقة بئر وادي عباد بالقرب من وادي الحمامات . وعثر على اسمه أيضا على أناء عثر عليه في تل بسطة .[٣]

وعثر على اسمه كذلك في ناحية مناجم الفيروز بسرابية الخادم بشبه جزيرة سيناء ، وأيضا على بعض الآثار الأخرى المتفرقة .

وقام الملك بنحت مقبرة في البر الغربي في طيبة وهي تحمل ألان رقم ٩ . وتعد هذه المقبرة من أضخم المقابر الملكية وأغناها بالنقوش والرسوم التي تتحدث عن العالم الآخر . ويبدو أن هذه المقبرة قد أعدت لدفن والده الملك رمسيس الخامس ، ولكن اسم رمسيس الخامس استبدل باسم رمسيس السادس .ويؤدي مدخل المقبرة إلى ممر وعلى الجدارين الأيمن والأيسر مناظر تبين الملك أمام حور آختي واوزير ومجموعة من النصوص هي عبارة عن فصول من كتاب الأبواب .[٤]

وكان بننوت حاكم واوات وعمدة عنيبه في عهده ، وفي أثناء أقامه هذا

---

(١) Gardiner, op. cit., p. 110 .

(٢) عن هذا الملك ، راجع :. Kitchen, LAV, p. 124 .

(٣) Naville, Bubastis, p. 46 pl . 25 .

(٤) د. صبحي بكري : دليل آثار الأقصر ، ص ٦٢ – ٦٣ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٤٢ .

الحاكم فى بلاد النوبة صنع تمثالا للملك رمسيس السادس فى معبد الدر [١] وقد كافأه الملك بآنيتين من الفضة .

رمسيس السابع (١١٤٨ – ١١٤١ ق.م) : [٢]

حكم هذا الملك حوالى سبع سنوات ، أما عن اثاره فهى قليلة جدا ، فقد عثر له على مقصورة للعجل منيفس فى قرية الأطاولة شمال عين شمس حيث كانت توجد مقابر العجول المقدسة لهذا المعبود . وقد عثر على مقبرة رمسيس السابع فى وادى الملوك وهى تحمل الآن رقم ١ .

رمسيس الثامن (١١٤٧ – ١١٤٠ ق.م) : [٣]

ربما كان هو وسلفه من أبناء رمسيس السادس . عثر على اسم رمسيس الثامن على لوحة لأحد موظفيه اكتشفت فى ابيدوس ومحفوظة الآن فى متحف برلين [٤] ولم نعرف بعد أين تقع مقبرة رمسيس الثامن . ولم يعثر على أى تماثيل لرمسيس الخامس والسابع والثامن والعاشر والحادى عشر [٥] . ومن عصر رمسيس الثامن نعرف كى نبو رئيس أسرار ممتلكات آمون فى معبد تحوتمس الرابع (صاحب المقبرة رقم ١١٣) .[٦]

---

(١) Breasted, ARIV (474) .
وأيضا : وولتر إمرى : مصر وبلاد النوبة (ترجمة د. حندوسة) ، ١٩٧٠ ، ص ٢٤٢ .

(٢) عن هذا الملك ، راجع : Kitchen, LAV, p. 124 .

(٣) عن هذا الملك ، راجع : Kitchen, LAV, p. 124- 125 .

(٤) AIB II ,p. 186 .

(٥) Vandier, Manuel d'Archéologie III, p. 402 .

(٦) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٦٨ .

رمسيس التاسع (١١٤٠ – ١١٢٣ ق.م) : [١]

أدى الفقر فى عصر رمسيس التاسع إلى كثرة حوادث السرقة والاعتداء على حرمة المقابر ، ففى حوالى عام ١١١٥ ق.م وتحت حكم هذا الملك ، كان الوضع الاقتصادى فى حالة تدهور وأيضا الحالة السياسية كانت فى توتر مستمر . وفى نهاية حكم رمسيس التاسع حاول اللصوص آن ينهبوا المقابر الملكية لأول مرة ، والقضية التى أقيمت ضد المدنيين تبين مدى انهيار الإدارة الداخلية وأشير إليها فى برديتين ، بردية ابوت Abbott بالمتحف البريطانى وهى مؤرخة من السنة السادسة عشرة من هذا الحكم [٢] . والأخرى بردية امهرست Amherst وهى ترجع للتاريخ نفسه تقريبا [٣] والبرديتان تتناولان موضوع سرقات المقابر فى البر الغربى فى طيبة .

كشف عن الحادث " باسر Pasar " عمدة البر الشرقى فى طيبة [٤] حيث أبلغ عن سرقة مقبرة أمنحتب الأول وشكلت لجنة من موظفين رسميين لفحص مقابر الملوك وغيرها من مقابر البر الغربى .. وقد قامت هذه اللجنة بعملها بناء على تقرير رفعة باور Paourعمدة البر الغربى فى طيبة بالاشتراك مع رئيس شرطة الجبانة فى ذلك الوقت الذى أفاد بأن اللصوص دخلوا بعض هذه المقابر ، وفى أعقاب ذلك ذهب الوزير – خع ام واست – إلى وادى الملكات للتحقيق الموضوع بنفسه ، وقد عثر باور بسرعة على المتهمين مما يدعو – بدون شك – إلى الاعتقاد بأنه هو نفسه كان من بين المنتفعين من السرقات وأصطحب معه أحد اللصوص القدامى ، وطلب منه أن يرشد عن المقبرة التى سرق منها ولم يعترف إلا بعد تعذيبه . وفى اليوم

(١) عن هذا الملك ، راجع : Kitchen , LAV, p. 125 .

(٢) Brunner, LAIV, p. 672 – 673 .

(٣) Id , LAIV, p. 673 – 674 .

(٤) يعتبر ثالث شخصية تحمل هذا الاسم عند بعض المؤرخين ، راجع : Bierbrier, LAIV ,p. 912 – 913 .

الحادى والعشرين انعقدت المحكمة وبدأ الوزير يناقش أقوال باسر وادعى الوزير أنه قام بنفسه بفحص المقابر ووجدها سليمة ، وأن ما ذكره باسر غير صحيح وخسر باسر دعواه أمام المحكمة التى كان عضوا فيها ، ويتضح من محاضر التحقيق والمحاكمة أن الوزير خع ام واست عمدة البر الغربى كانا مسرورين من قرار المحكمة .

ويبدو آن الوزير نفسه كان متورطا فى القضية لأنه اصدر العفو عن كل من أتهمهم باسر [١] وأدى هذا الحكم بالبراءة إلى قيام بعض المتهمين بعد ذلك إلى الاعتداء على مقبرة الملكة إيزيس زوجة رمسيس الثالث وعلى مقابر أخرى من بينها مقبرة سيتى الأول ورمسيس الثانى وقد عوقبوا بشدة ولكن محاولات السرقة استمرت بعد ذلك أيضا كما سوف نرى فى عصر ملوك الأسرة الحادية والعشرين .[٢]

وعثر على تصميم مقبرة رمسيس التاسع التى تحمل الآن رقم ٦ على قطعة صغيرة من الحجر الجيرى محفوظة الآن بالمتحف المصرى [٣] ، وكان الكاتب يقوم بتسجيل عدد ما نقل من زكائب الرديم ، وأسماء العمال الذين تخلفوا عن العمل وأسباب تخلفهم وكان يرفع تقريرا إلى مكتب الوزير ويستمر العمل طوال العام ، وكانوا يستخدمون أدوات من النحاس توزع عليهم لزوم أعمال النحت [٤] وكانوا

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٢٨٣ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٤٣ ؛ عن هذه الشخصية ، راجع : Bierbrier, LAIV, p. 912 .

(٢) Drioton – Vandier, L'Egypte (éd. 1952), p. 362, 514, 519 . 557 ; Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, p. 175 – 175; Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 100 .

(٣) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٨٣٠ ، وعن تصميم المقبرة راجع : د.أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٠٥ شكل ١٨١.

(٤) كانت أدواتهم من الحجر والنحاس والبرونز والخشب ، راجع : د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٩ .

يستخدمون مصابيح تصنع من القراميد وتملأ بزيت نباتى وقد أشار شـــرنى Cerny أن العامل كان يعمل ثمانى ساعات يوميا ، وكان نحت المقبرة يستغرق أكـــثر مـــن عامين وخاصة المقابر الملكية ذات المساحات الكبيرة وعلى عمق كبير فـــى بـــاطن الصخر وحكم رمسيس التاسع سبعة عشر عاما أو أكثر .(١)

رمسيس العاشر (١١٢٣ – ١١١٤ ق.م) :(٢)

وجاء بعد ذلك رمسيس العاشر الذى حكم لمدة ثمانية أعوام ، وكانت مـــدة حكمه حافلة بالأحداث الهامة ، ففى هذه الفترة ، أصبحت قوة كهنة آمون تفوق الحد ، وعندما كان هذا الملك أميرا صغيرا ووريثا شرعيا للعرش ، كان موضوعـــا تحـــت رعاية أحد أبناء كبار كهنة المعبود آمون ، الذى كان يعمل فى خدمة معبد آمـــون . وقد ازداد نفوذ كبير الكهنة هذا ، الذى كان يسمى أمنحتب لدرجة انه فى العام العاشر من الحكم أرغم الملك على التخلى عن جزء كبير من الأوقاف التى كانت تخص التاج لمصلحة كهنة آمون ، وهناك إشارة غامضة إلى " ثورة كبير الكهنـــة " توضـــح أن هناك بعض العقبات التى نشأت بينه وبين الملك ولكنها انتهت بتنازل الملك .

وتمثل لنا المناظر على جدران معبد الكرنك كبير الكهنة أمنحتب ورمســـيس العاشر – على قدم المساواة – وذلك كان على عكس ما قضت بـــه التقـــاليد ، ومـــن المحتمل ان أمنحتب قد تزوج من أبنه ووريثة رمسيس السادس وكان يرى فى نفســـه انه أحق بالجلوس على العرش .

وعلى أية حال كان من الواضح أن الملك أصبح مجرد أداة بسيطة فى أيـدى كبير الكهنة ، وقبل نهاية الحكم ن تعرض بعض الأشخاص للمحاكمة ، واتهموا بأنهم تسللوا إلى المقابر للملوك واستولوا على الذهب والحلـــى الأخـــرى المدفونـــة مـــع

---

(١) Cerny, Egpt from the Death of Ramesses III to the End of the Twenty – First Dynasty , Cambridge Anc . Hist. (1965),p. 17 – 23 .

(٢) عن هذا الملك ، راجع : Kitchen, LAV, p. 125 .

المومياوات .[١]

ووردت إلينا تفاصيل القضية ، ونعرف منها مدى عمليات التخريب التى قام بها اللصوص ، وهناك نص عن إحدى القضايا التى تخص مقبرة على شكل هرم لملك وملكة من الأسرة الثامنة عشرة ، وها هو ما صرح به بعض المتهمين فى أقوالهم :

" لقد دخلنا عبر المبانى والجدران المشيدة للمقبرة ووجدنا الملكة ترقد هناك ، فتحنا التابوت وغطاءاته ، ثم وجدنا بعد ذلك مومياء الملك المبجل . وكان يوجد حول عنقه العديد من التمائم والزينات والحلى الذهبية ، وكان رأسه مغطى بقناع من الذهب ، وكان كساؤه مصنوعا من الذهب والفضة من الداخل والخارج ، وكان (الكساء) مطعما بالأحجار الكريمة الثمينة ، فقمنا بنزع الذهب الذى وجدناه على مومياء الملك المبجل ، وأيضا التمائم والحلى التى تزين رقبته وكذلك الأغطية التى كان يرقد عليها الملك ، وعثرنا أيضا على مومياء الملكة وانتزعنا من عليها كل ما تحمله أيضا ، ثم أشعلنا النيران بعد ذلك فى التوابيت وحلمنا معنا المتاع الجنائزى الذى وجدناه بالقرب منها ، وهو مصنوع من الذهب والفضة والبرونز ، وقمنا بتقسيم الغنيمة إلى ثمانية أنصبة من الذهب وكذلك فعلنا بالتمائم والحلى والملابس .

وتبين أيضا أن مقبرتين ملكيتين من عصر لاحق كانت قد تعرضتا للنهب وأيضا العديد من مقابر النبلاء والإشراف، ويقول التقرير : " لقد تبين أن اللصوص قد دخلوا كل هذه المقابر ، وأخرجوا جثث أصحابها من توابيتهم مع مختلف الأغطية التى ألقوا بها على الأرض ، وسرقوا المتاع الخاص بالموتى وأيضا حليهم الذهبية والفضية .[٢]

وأجبر اللصوص على الاعتراف " عن طريق الضرب فوق أقدامهم وأيديهم بهراوتين " . وبإرغامهم على مصاحبة الموظفين حتى المقابر التى اعترفوا بنهبها . وقد استمرت هذه القضية سنوات عديدة ، وتوفى الملك قبل الانتهاء من البت فيها

---

(١) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 180 .
(٢) Id., op. cit., p. 181 .

ولسوء الحظ فإننا لا نعلم ما تم فيها . ودفن الملك فى مقبرته فى وادى الملوك وهى تحمل رقم ١٨ . وهذا ولم يحكم رمسيس العاشر إلا سبع سنوات وتوفى عام ١١٢٩ ق.م .

رمسيس الحادى عشر (١١١٤ – ١٠٨٥ ق.م) : [١]

قام الملك رمسيس الحادى عشر بالإشراف على مراسم دفن الملك السابق ، ويعد رمسيس الحادى عشر آخر سلالة الرعامسة وأيضا آخر من دفنوا فى هذا الوادى الشهير . ويعد حكمه الذى استمر ثمانية وعشرين عاما بداية لتدهور السلطة الملكية وزيادة نفوذ كهنة آمون ، وذلك بفضل نشاط كبير الكهنة " حريحور " الذى كان خليفة وربما كان أيضا أبنا لكبير الكهنة السابق أمنحتب الذى تحدثنا عنه سابقا . وكما أسلفنا فإنه من المحتمل أيضا أن تكون زوجة أمنحتب أميرة ملكية وأن حريحور كان أبنا لها . وعلى أية فقد عد نفسه سيدا لمصر على الرغم من أن رمسيس الحادى عشر كان يعتلى العرش من الناحية الرسمية .

وحاول رمسيس الحادى عشر أن يعزل كبير كهنة آمون لفترة وأحتفظ لنفسه طوال فترة من الزمان بالحق فى اختيار خليفة له ، وسرعان ما تغير الموقف لأنه وجد نفسه غير قادر على أن يحكم بمفرده أو ان بقية الكهنة قد مارسوا ضغطا كبيرا عليه ، أو أنه لم يكن ذكيا بالقدر الكافى وأراد ببساطة أن يفضل أحدهم ، ولذلك نجد إن رمسيس الحادى عشر قد عين حريحور كبيرا لكهنة آمون ، وكان حريحور رجلا عسكريا بلا شك [٢] وهذا الاختيار الذى تم بدون حذر قد ساعد على التعجيل بنهاية

---

(١) لكل هذه التواريخ لفترة الرعامسة ، راجع : . James, op. cit., p. 264
وعن هذا الملك ، راجع : Kitchen, LAV, p. 125 .

(٢) R.el Sayed, Quelques hommes célebres :
مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢٦ ، ١٩٧٩ ، ص ١٤ – ١٥ .

الأسرة العشرين .

وتزوج حريحور من نجمت ، وقد اكتسب شيئا فشيئا كل الصفات الملكية ، وقد عمل فى أول الأمر على أن يظهر الرجل المخلص – وبفضل التقرب إلى الملك – نجده بعد أن كان يشغل وظيفة كبير كهنة آمون ، أضاف إلى هذه الوظيفة ألقابا أخرى : " نائب الملك لكوش " الذى يكفل له السلطة على بلاد كوش ثم لقب " وزير الجنوب " الذى يسمح له بحكم مصر العليا بالفعل وإن لم يصبح فى بداية الأمر سيدا لمصر كلها فعلى الأقل أصبح سيدا لجنوب البلاد ، وهذا يجعلنا نفترض انه اعتمد على مساندة بعض الكهنة الذين وقفوا بجواره .

ويقال أنه أثناء حكم رمسيس الحادى عشر ، استعان الملك بنائبه لكوش بانحسى [١] واستعان أيضا بمرتزقة من النوبيين لكى يقضى على بوادر ثورة قامت فى الإقليم السابع عشر ، وإذا صدقنا ما قاله مانيتون فى قصة طويلة مخصصة لهذا العصر – ونقلها يوسيفوس – نجد أن حربا أهلية قد اندلعت – ربما – لسبب دينى يؤيدها أنصار المعبود ست فى الشمال ضد المعبود آمون فى الجنوب فى طيبة ، ولكن هزم أنصار المعبود ست وقضى عليهم .[٢]

ووصلت إلينا من هذا العصر بردية ماير رقم أ – Mayer A وهى محفوظة بمتحف ليفربول ومؤرخة بالسنة التاسعة من حكم رمسيس الحادى عشر [٣] ، وفيما استجواب لشخص يدعى موت نفر الذى كان حارسا وسأل عن بعض السرقات التى حدثت فى أحد المعابد فى البر الغربى ، وقام رمسيس الحادى عشر بإتمام معبد خونسو فى الكرنك ، وصور فى بهو الأعمدة وهو يقدم القرابين للمعبودات المحلية ، وفى مناظر أخرى شوهد حريحور يقدم للمعبودات أيضا .

---

(١) عن دور بانحسى فى بلاد كوش ، راجع : د. محمد بكر : تاريخ السودان القديم ، ١٩٧١ ، ص ٨٠ – ٨٢ .

(٢) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique,p.100-101.

(٣) Simpson, LAIV, p. 723 .

وزاد مركز ونفوذ حريحور فنجد أنه بعد ذلك بعام أو عامين قام ببناء فناء أمامي يقع إلى الجنوب . وهنا كشف حريحور النقاب عن نواياه فصور وعلى جبهته الصل المقدس الخاص بالملوك وفي أماكن أخرى ظهر واضعا التاج المزدوج وأنتهى الأمر بان اتخذ ألقاب الملوك [١] . وقد جاء على لوحة عثر عليها في ابيدوس ان رمسيس الحادى عشر قد عمر حتى السنة السابعة والعشرين من حكمه ، وفي الخطابات التي ترجع إلى نهاية الأسرة العشرين ، جاء ذكر لقب " فرعون " دون ذكر الملك المراد بهذه التسمية وذلك على أكثر من ثلاثة عشر خطابا ولكن أن المقصود بهذه التسمية هو رمسيس الحادى عشر [٢] وأثناء ذلك الوقت ، كان هناك في شرق الدلتا في تانيس ، أمير يسمى : "ني – سو – جدت = سمندس " الذى كون له في هذه المنطقى سلطة مواليه له إلى حد ما .

وفي تلك الفترة المضطربة نجد أن نفوذ مصر في آسيا قد أنهار ، وليس هناك ما هو أدل على انهيار هذا النفوذ مما حدث لموظف كبير في دائرة أملاك المعبود آمون ويسمى " ون آمون " الذى أرسله كبير الكهنة حريحور إلى شواطئ فينيقيا ليحصل على أخشاب الأرز اللازمة لتجديد القارب المقدس لآمون في طيبة [٣] والذى كان تعرض للسخرية والإهمال من حاكم جبيل الذى رفض مساعدته بعد أن نهبه اللصوص ، وأخذوا الأشياء التي كانت معه والتي جاء بها من مصر ليقدمها ثمنا للأخشاب التي كان يود الحصول عليها .[٤]

---

(١) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٧٨٥ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٤٤ .

(٢) Wente, late Ramesside letters, p. 4 n. 15 .

(٣) عن توقيت قصة ون – آمون بنهاية عصر الأسرة العشرين ، راجع : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٤٥ حاشية (١٣١) ؛ د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٣٨٨ .

(٤) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٨٩ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٧٩٠ – ٧٩٧ .

===

وقد عثر على بردية ون آمون في بلدة الحيبة التي تقع على الضفة الشـرقية للنيل تجاه بلدة الفشن محافظة بني سويف وهي محفوظة حاليا بمتحف موسكو .

حدثت القصة في العام الخامس عندما كان حريحور كبيرا للكهنة على حيـن كان يحكم سمندس في شرق الدلتا ، وقد تسلم ون آمون الفضة وخطابـات التوصيـة وأعطاه حريحور تمثالا صغيرا آمون رع له قداسة كبـيرة يسـمى " آمـون فـاتح الطرق " الذي قام بهذه الرحلة من قبل ويستخدم كدليل على حسن نية " ون آمـون" . وفي تانيس قدم ون آمون خطابات التوصية إلى سمندس الذي جعله يرحل من الميـناء الشمالي في سفينة مع بضائع سورية ، ويبدو أنه رحل بسرعة حتـى أنـه نسـى أن يطلب إعادة خطابات التوصية التي كان يحملها لأمراء سوريا العليا والتي عرضـها على سمندس بالإضافة إلى ذلك أنه عندما رسا إلى أول ميناء على الشاطئ الفينيقـي ، سرق أحد البحارة كل فضته ، وكان رجلا من " التشكر – Tcheker " (أو صقليـة Thaklt والذين عرفوا أيضا باسم الثككر) .

وقد أبلغ ون آمون حاكم المدينة عن السرقة قائلا : ان هذه الفضـة تخـص سمندس وحريحور ، سيديى ، وتخص أيضا كل نبلاء مصر " ، ويلاحظ أنه لم يذكـر اسم رمسيس الحادي عشر ، ولكنه لم ينل أي نوعا مـن رد الاعتبار أو شيئـا مـن

=== Lefebvre, Romans et Contes Egyptiens, p. 204 – 220 ; Golenischeff , Voyage de l'Egyptien Ounou- Amon en Phenicie (1899),p. 3-30 ; leclant, les Relations enter l'Egypte et la Phenicie du Voyage d'Oun Amon a' l'expedition d'Alexandre (extr. The Role of the Phoenicians in the Interaction of Mediterraneen Civilisation, Beirut (1968), p. 9 – 31; Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 183 –185 ; Helck, LAVI, p. 1215 – 1217 .

التعويض المناسب ، لذلك لجأ هو وبعض معاونيه إلى الاستيلاء على كمية معينة من الفضة فى الميناء التالى ، والتى كانت تخص أحد التجار من التشكر ، وأعطى كمبرر ، انه طالما إن أحد البحارة من التشكر هو الذى سرق منهم الفضة ، فمن حقهم أن يحتفظوا بكمية من الفضة التى تخص أحد مواطنى السارق ومن نفس جنسيته حتى يرد إلى ون آمون ما سرق منه ، أى أن ون آمون أراد أن يحتفظ بهذه الفضة كنوع من الضغط حتى يرد إليه ما فقده .

وعندما وصل ون آمون إلى بيبلوس وقبل وصول السفينة بفترة ، كانت السلطات على علم بموضوع السرقة ، لذلك احتجز لمدة معينة لعمل قضية له . وبعد عدة أيام من الانتظار ، أصطحب إلى قصر أمير بيبلوس الذى استمع إلى قصته وقال له " إن كان ما تقوله هو الحقيقة ، فأين خطابات كبير كهنة آمون التى يجب ان تحملها إلى ؟ وأجاب ون آمون انه أعطاها لسمندس ، ولذلك تضايق الأمير بعض الشىء وقال : " أين يوجد إذن ذلك القارب الجميل الذى خصصه لك سمندس ؟ فإذا كان صحيحا ، فلماذا وضعك سمندس أنت والمهام الموكلة إليك ، تحت إمرة ضابط وبحارة سوريين ، الذين كانوا قادرين على أن يقتلوك ويلقوا بك فى البحر " وأجاب ون آمون : " انه يقوم فى خدمة سفن سمندس بحارة مصريون ولكن ما من أحد منهم كان قد فرغ من عمله فى تلك اللحظة " . وأجاب الأمير ان هناك عشرة آلاف سفينة تربط بين مصر وشواطئ فينيقيا ، ولابد وأن يكون من هذا العدد بالتأكيد سفينة مصرية تتناسب مع شخصية هامة مثل ون آمون . وطلب مه مرة أخرى أن يحدد طبيعة مهمته الحقيقية ، فأجاب ون آمون انه جاء ليحصل على كمية من أخشاب الأرز ، ومن ثم فقد بحث الأمير فى وثائقه ووجد أن المصريين الذين جاءوا لشراء مثل هذه الأخشاب من قبل كانوا يدفعون ثمنا باهظا ، وفى النهاية اتفق معه على إرسال مبعوث إلى مصر للتحرى عن صحة أقوال ون آمون . وعاد الرسول فى الوقت المحدد ، حاملا من طرف حريحور الهدايا ، وخمس من أوانى الذهب ، وخمس أخرى من الفضة ، وعشرين كساء من القماش الأملس ، وخمسمائة لفة من البردى ، وخمسة آلاف جلد ثور ، وخمسة آلاف لفة من الحبال ، وعشرين وزنا من العدس وخمسة موازين من الأسماك المملحة . وأعلن الأمير رضاءه وبدأ فى قطع

أشجار الأرز من غابات لبنان ، وبعد ثمانية أشهر من رحيل ون آمون من تانيس ، كانت كتل الأخشاب مكدسة كلها على الشاطئ استعدادا لتصديرها إلى مصر . ولكن جاء أسطول من إحدى عشرة سفينة تخص شعب التشكر ودخلوا الميناء ، وأعلن بحارة الأسطول أنهم يطلبون محاكمة ون آمون بسبب السرقة ويجب القبض عليه . وعندئذ أجابهم أمير بيبلوس أنه لا يستطيع أن يقبض على مبعوث لآمون رع ولكنه منحهم الحق فى الاقتصاص منه كما يحلو لهم عندما يصبحون جميعا فى عرض البحر . ويبدو أن ون آمون قد قبل التحدى . ولكن هبت عاصفة فرقت السفن التى كانت تطارده ودفعت به الرياح إلى بلاد " آلاسيا – Alasia " (قبرص) فخرج عليه أهل الجزيرة وقبضوا عليه ومثل أمام ملكة الجزيرة ووجد هناك من يتكلم اللغة المصرية وقد خلصته من يد رجالها الذين أرادوا أن يفتكوا به ، وللأسف تنقصنا نهاية القصة لأن البردية غير كاملة ولكن نستطيع أن نستنتج أن ون آمون قد عاد إلى أرض الوطن سالما وقد روى هذه القصة بكل تفاصيلها .

لم يبق لرمسيس الحادى عشر الكثير من السلطة ، وعندما توفى أعلن الكاهن الأكبر لآمون حريحور نفسه ملكا فى الحال ، وفى تانيس – ابان ذلك الوقت – كان الأمير المحلى سمندس يمارس سلطته مواليا للملك منذ بداية حكم رمسيس الحادى عشر ولكنه اتخذ أخيرا ألقاب الملوك ، وقد عثر على مقبرة رمسيس الحادى عشر فى البر الغربى وهى تحمل الآن رقم ٤ .

وهكذا تنتهى الأسرة العشرون ويؤول العرش إلى الكهنة وتنتهى بذلك سلالة الملوك الذين يحملون اسم رمسيس وانقسم حكم مصر من جديد إلى جزأين – فى الشمال يحكم سمندس وكان قويا للغاية ، وذلك بفضل زوجته التى منحته حق التربع على العرش .

وفى الجنوب حريحور – وزير الجنوب القديم – الذى إتخذ الألقاب الملكية . ومن الملاحظ أن أيا منهما لم يبد للآخر أية عداوة ظاهرة ويبدو فى الوقت نفسه أن حريحور عد نفسه مواليا لسمندس – وهو ولاء ظاهرى فقط – لأنه كان

يحكم كملك لمصر العليا فى طيبة من ناحية وكسيد فعلى لكهنة آمـــون مـــن ناحيـــة أخرى . وعين ولده بعنخى فى طيبة كبير كهنة آمون بدلا منه .[1]

وقبل أن ننهى الحديث عن الأسرة العشرين نذكر أن هناك العديد من مقـــابر كبار الشخصيات والعمال لم نستطع تحديد فى عصر أى ملك عاش هؤلاء الأشـــخاص أو العمال ولكنها مقابر ترجع إلى عصر الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين ، وهـــى حوالى ١٢٤ مقبرة .[2]

---

(١) Lefebvre, Histoire des Grands Prêtres, p. 205-213; Gauthier, LR. III, p. 241; kees, Hohenpriester, p. 16; Nims, JNES 7 (1947), p. 161, Petrie, History III, p. 203 fig. 80; Černy, Egypt from the Death of Ramesses III p. 32; Gardiner, Egypt of the Pharaohs, p. 305; Id., A Political Crime in Ancient Egypt (1912-1913), p. 57- 58; Daressy, ASAE 17 (1917), p. 29-30; Wente, JNES . 26 (1967), p. 162-163; I d., Was Paiankh Herihor's son in Drevie Vostok (Mel-Koroslovstsev I) (1975), p. 36-38 .

عن دور بعنخى راجع دراستنا فى R. el Sayed, BIFAO 78 (1978), p. 459 – 476 pl. 95 .

(٢) راجع : د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٦٠ – ٣٩٠ .

العصر الوسيط الثالث

من الأسرة الحادية والعشرين حتى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين

(من عام ١٠٨٥ إلى عام ٦٦٤ ق. م)

عصر الضعف السياسى واليقظة المؤقتة ثم المحنة والغزو الآشورى للبلاد

الفصل الخامس

الأسرتان الحادية والعشرون والثانية والعشرون

(١٠٨٥ – ٧٣٠ ق. م)

عصر التخبط والضعف السياسى

الأسرة الحادية والعشرون (١٠٨٥ – ٩٥٠ ق. م) : [١]

ترتيب أسماء ملوك الأسرة :

- حدج خبر رع – ستب ان رع – نى – سو– با – نب – جدت – سمندس مرى —

---

(١) عن ملوك هذه الأسرة، راجع: د.عبد العزيز صالح:المرجع السابق،ص ٦٠٧ Young, JARCE II (1963), 8. 99- 100; Wente, JENS 26 (1967), p. 167- 172; Černy, Egypt from the death of Ramesses III, (1965), p. 40- 54; Gauthier, LR II, p. 235 et p. 288; James, An Introduction to Ancient Egypt, p. 265; Von Beckerath, LA IV, p. 552 – 553 .

ويعطى فون بكرات كتاريخ لهذه الأسرة ١٠٨٥ أو ١٠٧٠ إلى ٩٤٧ أو ٩٤٠ ، راجع : LA I, p. 970

— آمون (١٠٨٥ – ١٠٥٤ ق.م) : [١]

- تبى حم نثر إن آمون – حريحور سا آمون [٢] :

تقابل فترة حكم سمندس فى الشمال فترة حكم حريحور فى الجنوب أيضا ، وكان حريحور فى سن الشخوخة عندما تولى السلطة فى الجنوب ، ولم يكن حريحور من عائلة كهنوتية بل اكتسب وظيفة كبير الكهنة عن طريق الانخراط فى السلك العسكرى ، وكانت توليته للعرش نتيجة لوفاة رمسيس الحادى عشر ، أو أنه عزل الملك عن العرش وتولى السلطة بدلا منه – على الأقل فى الجنوب – إذا كان لدى حريحور النية فى ضم الشمال تحت سلطانه فإنه لا يملك الوقت الكافى لتحقيق أهدافه ، وعقب وفاته ظلت مصر مقسمة بين سلطة فعلية فى مصر العليا كان على رأسها " حريحور " وملك شرعى فى الشمال هو سمندس وبالتالى نظرا لتلك الظروف سوف نجد أن سمندس هو الذى أصبح مؤسسا للأسرة الحادية والعشرين ، التى سوف تتخذ عاصمتها فى تانيس فى شرق الدلتا .[٣]

---

(١) عن هذا الملك ، راجع : Von Beckerath, LA V, p. 991 .

(٢) وعن حريحور ، راجع : Redford, LA 11, p. 1129 – 1133 .

(٣) ظهر اسم تانيس منذ الأسرة الحادية والعشرين ، راجع : د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٧٥ حاشية (١) وكانت تقع فى موقع استراتيجى على أحد فروع النيل مناسب للتجارة مع آسيا ، تحميها من جهة البحر بحيرة كبيرة ، وقد زينها رمسيس الثانى وشيد فيها المعابد ، راجع : المؤلف نفسه ، ص ٧٦ – ٧٧ وتحدث عن أصل تسميتها وتاريخها ومعبوداتها وأهم آثارها ، والملوك الذين حكموا فيها : Romer, LA VI, p. 194-209 .

كان سمندس من بلدة مندس وتزوج من – تانوت أمون – التى كـــان لـــها الحق فى ارتقاء العرش ونحن لا نعرف أصله تماما ، إذ ربما كان وزيرا فى البدايـــة .[١] وفى الواقع ان كلا من سمندس وحريحور قد توفيا دون أن يغيرا شيئا مـــا مـــن الوضع السياسى الداخلى فى مصر . ويبدو أنه كان هناك نوع من التفاهم بينهما علـى اقتسام المملكة بين الملكين ولذلك لم تقع خلافات تذكر .

واعتمد مانيتون فى تاريخه على أسرة تانيس ، لذلك يبدأ الأســـرة الحاديـــة والعشرين بالملك سمندس وتجاهل حريحور على الرغم من أن الوثـــائق ونصـــوص تبين لنا بوضوح أن مصر العليا قد قبلت بعين الرضا حريحور ملكـــا شـــرعيا لـــها ومنحته بهذه الصفة كل الألقاب الملكية المعروفة ، وعند اعتلائه العرش اتخذ الاســـم الاضافى " سا آمون " (ابن آمون) وكان يستخدم أيضا لقب كبير كهنة آمون كجـزء من اسمه الفعلى [٢] وجعله يظهر فى الخانة الملكية التى تعبر عن الاسم الملكى .

وفى أثناء هذا كان حريحور رجلا مسنا ، وأنجب من زوجاتـــه العديـدات ثمانية عشر ولدا وتسع عشرة بنتا ، وسجل أسماءهم جميعا على جدران معبد المعبود خونسو فى الكرنك [٣] ذلك المعبد الذى كان قد بدأ فى تشييده رمسيس الثالث والـــذى انتهى منه فى ذلك العصر .

وتولى من بعده ابنه الأكبر – بعنخى – وظيفة كبير كهنة آمـــون[٤] ، ممـــا يدل على إنه فى تلك الفترة لم يستطع أن يمارس أعماله ككبير لكهنة آمـــون منـــذ أن أصبح ملكا .

---

(١) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٨٤٤ .

(٢) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 186 .

(٣) Maspero, ZAS 21 (1883), p. 62-74; Gauthier, LR III, p. 237 (XIX) .

(٤) عن هذه الشخصية ، راجع : Kitchen, LA IV, p. 1052; R. el Sayed, BIFAO 78 (1978), p. 197-218 pl. 66 .

ولم يعثر حتى الآن على مقبرة حريحور ولا على مومياته ، ولكـــن علـــى العكس عثر على مومياء زوجته الملكة نجمت حيث توجد الآن فى المتحف المصـرى ولقد توفى ابنهما بعنخى بعد وفاة والده حريحور مباشرة ، وتولى من بعـــده وظيفـة كبير الكهنة ابن ابنه باى نجم الذى يعد فى الوقت نفسه حفيد حريحور وعـن قريـب سوف يختفى حريحور بدوره .

واستمر سمندس يحكم فى الوجه البحرى ، ويبدو أنـــه قبيـل نهايـة حكـم حريحور استولى على السلطة فى البلاد فى كل البلاد أى فى الدلتا وفى مصر العليـا أيضا ، لأننا نراه فى نهاية حياته يقوم بعمل ترميمات فى معبد الكرنك ، وعــثر لــه على عمود فى قرية الديابية تجاه جبلين تقص علينا نقوشه انه كان يعيش فـــى منــف وكان يذهب إلى طيبة من حين إلى آخر ، وبينما هو فى قصره فى منف إذ أخذ يفكـر فى بعض الأعمال الدينية ، فبلغه أن أحد منشآت تحوتمس الثالث فى معبـد الأقصـر غمرتها مياه الفيضان فأرسل بعثة من ثلاثة آلاف رجـل لقطــع الأحجـار الرمليـة اللازمة للترميم من منطقة جبلين[١] وقد أشار ولده بسوسينس أنه حكم البلاد كلـــها . وكان يسمى فى هذه الفترة " حدج خبر رع " ، وكان هذا الجزء الأول مـــن الاسـم يعنى " (معبود) الشمس صانع التاج الأبيض " (تاج الوجه القبلى) ربما كان فـــى هذه التسمية إشارة إلى سيطرته على مصر العليا . ويبدو أنه بدأ يؤرخ سنوات حكمـه منذ اللحظة التى استولى فيها على عرش تانيس مع بقائــه أمــيرا مواليـا . وتوفـى سمندس بعد حريحور ببضع سنوات وتمتع بفترة حكم طويلة لأنها استمرت أكثر مـن ثلاثين عاما ، على الرغم من ذلك فإن سمندس لم يكن ملكا بالفعل علـــى تـانيس إلا لمدة واحد وعشرين عاما ولم يحكم مصر كلها إلا أربع سنوات أو خمس فقط .[٢]

لم يكشف عن مقبرة سمندس حتى الآن . أما عن مخلفاته المعماريـــة فـــى تانيس فأكثرها قد تعرض للهدم .

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٤٦ .

(٢) Young, JARCE II (1963), p. 99- 100 .

وكان لطيبة تأثير قوى من الناحية الدينية على تانيس فأصبح لثالوث طيبة مكان الصدارة فى تانيس .

- عا خبر رع – ستب إن آمون – باسبا خع إم نيوت " بسوسينس الأول " مرآمون (١٠٥٤ – ١٠٩٩ ق.م) : (١)

- خع خبر رع ستب إن آمون – باى نجم الأول مرى آمون : (٢)

اسند سمندس سلطاته – قبل وفاته – إلى ابنه (؟) بسوسينس الأول الذى حكم البلاد كلها سبعة عشر عاما (٣) على حين استمر حفيد حريحور – باى نجم – يشغل وظيفة كبير كهنة آمون فى طيبة .

وفى نهاية حكمه حدث فيما يبدو ثورة فى طيبة ، ربما كان الغرض منها وضع باى نجم على العرش ، ولكن قضى على هذه الحركة ونفى أنصارها إلى إحدى الواحات فى الصحراء الغربية . وانتهى العداء بين العائلتين فى أعقاب التبادل الدبلوماسى الذى نتج عن المصاهرة بينهما ، ولم ينجب بسوسينس الأول أولادا ذكورا ، لذلك زوج ابنته ماعت كارع التى كانت تملك طبقا للتقاليد المصرية الحقوق الشرعية فى العرش ، التى نقلتها إلى ابن بعنخى ، باى نجم .

وتبعا لذلك سوف نرى باى نجم قد ورث السلطة فى الجنوب خلفا لأبيه والملكية فى الشمال عن طريق زوجته ، فهى التى منحت زوجها الجديد لقب الوريث الشرعى لعرش البلاد ، وعندما توفى بسوسينس الأول عام ١٠٣٧ ق.م . تولى كبير

---

(١) عن هذا الملك ، راجع : Kitchen, LAIV, p. 1176 – 1177 .

(٢) Gauthier, LR III, p. 248 et p. 289 .

(٣) يذكر مانيتون بعد اسم بسوسينس الأول اسم ملك آخر يسمى نفر كارع – حقا واست – آمن وهم نسوت ، راجع : Wolf, Das Alte Agypten (1971), p. 233, Černy, op. cit., p. 42 – 43 ؛ وأيضا : د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٨٥١ ، وعن هذا الملك راجع : Kitchen, LAIV, p. 1053 .

الكهنة باى نجم مهام العرش .

عثر على مقبرة بسوسينس الأول فى تانيس ، وتقع بين المعبد الكبير والسور المشيد من الطوب وكشف عنها " مونتيه Montet " عام ١٩٤٠ ، ووجدها سليمة ، ولم تسرق [١] وأقام بسوسينس الأول حائطا سميكا من الطوب اللبن حول المعبد الكبير بتانيس .

تولى باى نجم السلطة بعد وفاة بسوسينس واتخذ اسم خع خبر رع وأصبحت زوجته ماعت كارع ملكة . وكنا نظن أن وحدة مصر سوف تتحقق من جديد ولكن عوامل الانفصال كانت من القوة بحيث تعثرت بسببها خطوات تنفيذ هذه الوحدة ، وأصبح من الصعب قيامها . وقد حاول باى نجم الأول على الرغم من استقراره فى الشمال أن يحافظ على سلطته فى الجنوب ، وذلك بفضل تعيين أبنائه بصفة شخصية فى وظيفة كبير كهنة آمون ، وعقب وفاة ابنه الأكبر يبدو أن ثورة ما قامت فى طيبة ونتيجة لذلك عين باى نجم الأول على الفور ، ابنه الثانى على رأس كهنة آمون فى طيبة ولكن هذا الأخير الذى كان يسمى منخبر رع استولى على السلطة لصالحه ، وقضى نهائيا على طموح أبيه وخططه التى أثمرت نتائج سلبيه للغاية .

ومن أهم أعمال باى نجم الأول [٢] ومنخبر رع [٣] هو ذلك السور الكبير الذى مازالت معالمه باقية بقرية الحيبة إلى الجنوب من الفشن .

كما قام منخبر رع ببناء برج للمراقبة إلى الجنوب قليلا من الحيبة . ونعلم

---

(١) شيد بعض ملوك الأسرتين الحادية والعشرين والثانية والعشرين مقابرهم فى حرم المعبد فى تانيس وكانت مقبرة بسوسينس تتألف من دهليز وردهة وثلاث قاعات وجد فى إحداها التابوت ، راجع :د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٣٠ . عن تانيس بوجه عام ، راجع : Romer, LAVI, p. 194- 209 .

(٢) Kitchen, LAIV, p. 1053 .

(٣) عن أعماله ، راجع : Redford, LAIV, p. 42 – 43 .

أن باى نجم الأول قد أتم بوابة معبد خونسو فى الكرنك ، ووجد أسمه أيضـــا علـــى مقصورة أوزير – بى – عنخ فى الكرنك .(١)

وقد رأينا فيما سبق أن رمسيس الحادى عشر كان آخر ملك دفن فــى وادى الملوك ، ولم يعثر على مقبرة حريحور . ولذلك يبدو أن سمندس وبقية ملــوك هــذه الأسرة قد دفنوا فى تانيس – مدينة أجدادهم – ولم يتعرف على أمـــاكن مقــابرهم . وكان نتيجة ترك الجبانة الملكية القديمة فى وادى الملوك فى طيبة حيــث دفــن كــل ملوك الأسرة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشــرين ، هــو الانطــلاق الحقيقــى والتوسع فى نهب المقابر فى الجبانة التى أصبحت منعزلة تماما . وتسلل اللصــوص إلى المقابر الواحدة بعد الأخرى ، وعلمنا عن طريق البرديات أن ملوك هذه الأســرة اضطروا إلى إعادة دفن مومياوات أسلافهم التى تعرضت للنهب والســلب . وأثنــاء حكم بسوسينس الأول وباى نجم مثلا ، كان يجب إعــادة دفــن موميــاوات الملــك أحمس ، أمنحتب الأول ، تحوتمس الثانى ، سيتى الأول ، رمسيس الثــالث ، وعــثر على مومياواتهم خارج توابيتها وقد أعيدت إلى مقابرها أو نقلت بعيدا فى مكان آخــر أكثر أمنا .(٢)

وتمتع باى نجم بحكم مستقر مملوء بالرخاء لمدة تقرب من الأربعين عامــا ، وكان له ولد يسمى " ماساهرتا " (٣) شغل لفترة ما وظيفة كبير كهنة آمـــون ولكنــه توفى قبل أبيه ولاتزال مومياؤه بالمتحف المصرى حتى الآن ، تبين لأنه كان يبلغ من العمر أوسطه لحظة وفاته .

وتولى وظيفة كبير كهنة بعد ذلك ابنه الثانى الذى يسمى منخبر رع وكـــان قد ولــد بطيبة ولكنــه استقر فى تانيس ، وتقص علينا النقوش أنه فى العام الخــامس

---

(١) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٨٤١ .

(٢) عن هذه الشخصية ، راجع : Kitchen, LAIII, p. 1195 .

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٦١٠ .

والعشرين من حكم باى نجم ، جاء منخبر رع إلى طيبة بين الاحتفالات العامة لكـــى يتولى وظائفه الكبرى ، ولكى تلتئم الجراح عفا الملك عن كل المذنبين الذيـــن نفــوا وتشردوا ولاقوا العذاب منذ عدة سنوات فى واحات الصحراء .

وفى بداية العام الجديد ، الذى يطابق أو يوافق نهاية الخريـــف فـــى العــام نفسه ، نجد إن منخبر رع لجأ إلى إعداد الصيغ التى يطلـــب فيـــها مـــن آمـــون رع السماح بإعادة هؤلاء المنفيين والطريقة المتبعة بالنسبة لسؤال المعبودات ، فى مثــــل هذه المناسبات كانت غريبة بعض الشيء :

فنجد أن الكهنة كانوا يحملون فوق أكتافهم محفة عليها تمثال المعبــود ، وإذا كان من الضرورى الرد بالإيجاب على أسئلة كبير الكهنة فى الصفوف الخلفية يميلون إلى الأمام ويبدو التمثال مائلا لكى يجود برضاه وموافقته وتصف لنا النصوص هـــذه الاستشارة بالألفاظ الآتية :

" خرج جلالة المعبود آمون رع – ملك المعبودات – فى موكب ، ووصــــل إلى البهو الكبير لمعبد آمون وتوقف أمام قدس الأقداس . وذهب إليه كبـــير الكهنـــة منخبر رع ، مرتلا الأناشيد الطويلة على عدة مراحل ، ثم تحدث إليه ، قائلا : " يــــا سيدى الطيب ، هناك موضوع ما : هل يجب أن نتحدث عنـــه – وعندئــذ – مـــال المعبود الكبير بعمق إلى الأمام على حين رفع الكاهن الأكبر يديه شاكرا معبوده الـذى يتحدث – كأب يتكلم مع ابنه – وبعد ذلك قال الكاهن الكبر "هل ترغب فى العفو عـــن عبيدك وتسمح لهم بالعودة إلى مصر ، ومال المعبود بعمق إلى الأمام " .(١)

وكان يخشى عودة المذنبين من منفاهم من أن يوقـــدوا آتـــون الصراعـــات القديمة مما يدفع بعضا منهم إلى الأخذ بالثأر من بعضهم الآخر مما يؤدى إلى ســقوط ضحايا جدد، عندئذ قال الكاهن الأكبر إلى المعبود : " وإذا قيل عن أحدا قتل رجـــــلا حيا هل ترغب فى أن يعدم ، وعندئذ مال المعبود بعمق " .

وسرعان ما اتخذ منخبر رع لقب الملك ، وهكذا على الرغم من مجــهودات

---

(١) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne ,p. 189 .

بـاى نجـم ، فـــــإن مصـر ظلـت مقسـمة إلـى جزأيـن ، علـى حسـاب تدهور الأوضاع السياسية فى البلاد كلها ، لأن كبير كهنة امون لم يكن يمتلـك فـى ذلك الوقت تلك القوة المادية التى كان يتمتع بها فى عصر الأسـرة الثامنـة عشـرة والتاسعة عشرة ، وتبعا لتلك الأحداث ، نجد أن الدولة أصبحت فى حالـة اقتصاديـة يرثى لها نظرا لقلة العائد من الجزية الأجنبية الذى يصب فى خزانتها ، والتى كـانت نتيجة للحروب المتتالية التى قام بها الملوك الكبار فيما سبق . ومن الآن أصبح مـن الصعب الاعتماد على أوقاف أرض المعابد ولنا أن نفترض أن تلك الأراضى كـانت فى جزئها الأكبر فى حيازة كهنة آمون أنفسهم . وبعد وفاة بـاى نجـم ، اسـتمرت الأسرة فى حالة من الانفصال . ويقال أنه فى عصر منخبر رع حدثت ثورة وأضطر إلى إرسال الزعماء المتهمين إلى المنفى بالواحات الخارجة .[١]

وسر ماعت رع – ستب ان آمون – آمن ام اوبت (١٠٠٩ – ١٠٠٠ ق.م) :[٢]

بعد وفاة باى نجم الأول جاء ملك يسمى امن ام اوبت ، ولا نعرف العلاقـة بين هذا الملك وعائلة بسوسينس ، وحكم هذا الملك تسع سنوات ، ولا نعرف شـيئا ذا أهمية عنه ، ومن الواضح أنه اهتم بعض الشيء بطيبة حيث كان منخبر رع كبـير كهنة آمون لا يزال يتمتع بنفوذ هناك لعدة سنوات طويلة تالية ، وأخيرا أولاها لأبنائه نس – بانب – جدد (سمندس) وباى نجم الثانى اللذيـن أصبحـا بدورهمـا كبـارا للكهنة[٣] ، ودفن أمن ام اوبت فى مقبرة بسوسينس .

---

(١) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 101 .

(٢) عن هذا الملك ، راجع : Von Beckerath, LAI, p. 195 – 196 .

(٣) يعطى د. عبد الحميد زايد فى كتابه " مصر الخالدة " ص ٨٣٢ قائمة بتتابع كبار الكهنة بيانها كـالآتى : حريحـور ، بعنخـى ، بـاى نجـم الأول ، ماساهرتا ، نس بانب ،جدد، منخبررع ، باى نجـم الثـانى ، باسـباخع إم نيوت .

نثر خبر رع – ستب ان آمون – سا آمون مري آمون[١] (١٠٠٠–٩٨٤ ق.م):[٢]

تولى من بعد امن اوبت في عام ١٠٠ ق.م (؟) سا آمون ، الذى ترك اسمه فى مختلف المعابد فى المدن الكبرى فى تانيس [٣] ، منف ، هيلوبوليس وطيبة . فقد أعاد بناء بوابة وأسوار معبد عنات فى تانيس ، كما قام بترميمات فى مقصورة المعبد الكبير . وجدير بالذكر أن باى نجم الثانى كان كاهنا اكبر فى السنوات الأخيرة لحكم أمن أم اوبت والسنوات الأولى لحكم ساآمون وقد عثر على نقش صور عليه سا آمون بالصورة التقليدية المعروفة للملوك وهم يعاقبون آسيويا .

ومن الجائز أن ذلك كان تخليدا لانتصار ساآمون على جماعة البلستى والاستيلاء على مدينة جزر فى فلسطين . وقد جاء ذكر ذلك فى سفر الملوك الجزء الأول ، الإصحاح التاسع ، ١٦ أن الملك منح ابنته كزوجة للملك سليمان ، وتعاهد الملك سليمان مع الملك المصرى عن طريق المصاهرة ، واصطحب ابنه ملك مصر فى مدينة داود حتى انتهى من بناء منزله " منزل الأبدية " وانتهى من بناء المعبد بعد إتمام الزواج ، الذى من المحتمل أنه حدث فى عام ٩٨٠ ق.م . ويقال أن هذه الأميرة

---

(١) Gauthier, LR III, p. 296 .

(٢) عن هذا الملك ، راجع : Von Beckerath, LAV, p. 921 .

(٣) وفى الواقع عثر بها على آثار من جميع العصور بأسماء ونيس وببيى الأول والثانى ومنتوحتب الثانى (؟) وأمنمحات الأول والثانى وسنوسرت الأول والثانى والثالث وسبك حتب الثالث ، وبعض ملوك الهكسوس وبقايا تماثيل ضخمة باسم رمسيس الثانى ومرنبتاح وسيتى الثانى ، ورمسيس الثالث وششنق الأول والثالث وطهرقا وبسماتيك الثانى ونختنبو الأول والثانى وبطلميوس الثانى والثالث وارسنوى ، راجع :
Petrie, Tanis I 1883-4, London 1885 ,p. 4-43 ; second edition 1889, p. 4-43; les Guides Bleus : Egypte , Paris 1956 , p. 225; Montet, la Necropole Royale de Tanis I – III Paris 1947-60; PMIV,p. 13-26 .

جزر مصداق . ولكن من الصعب معرفة ما إذا كانت هذه الأحداث قد وقعت أثناء حكم سا أمون أو إبان حكن خليفته بسوسينس الثانى [١] وقد حكم ساآمون حوالى ستة عشر عاما .

تيت خبرو رع ستب إن رع حور باسباخع إم نيوت (بسوسينس الثانى) مرى آمون [٢] أو حدج حقارع (٩٨٤ – ٩٥٠ ق.م) : [٣]

تولى من بعد ساآمون ، بسوسينس الثانى ، ويبدو أن كبير كهنة طيبة قد قرر فى إثناء هذا الحكم ، نزع مومياوات الملوك من مقابرها المسروقة وإعادة دفنها فى مكان سرى ، تفاديا لاستمرار اللصوص فى عملية سلب مقابر وادى الملوك على أمل أن يعثروا أيضا على بعض الأشياء الثمينة .

واختير لهذا المشروع مقبرة قديمة تقع فى جبانة طيبة إلى الجنوب من معبد الدير البحرى ، وكان من السهل إخفاء معالمها والوصول إليها عن طريق أسفل الوادى حيث يوجد المدخل فى نهاية بئر عميق طوله حوالى اثنى عشر مترا ، وفى نهايته نجد سردابا طويلا يبلغ ستين مترا ويؤدى إلى حجرة الدفن .

وفى تلك الفترة كان معبد الدير البحرى لا يزال مستخدما وكان يوجد فى تلك المنطقة العديد من الكهنة والحراس لحماية المومياوات الملكية . وكانوا بلا شك على علم بما حدث لأغلب المومياوات .

وضعت فى هذه المقبرة السرية ، معظم مومياوات الملوك القدامى ، بعض منها فى توابيتها الأصلية وبعضها الآخر وضع فى توابيت الذين فقدت مومياواتهم أو حطمت . وكان كبير الكهنة باى نجم هو الذى نفذ المشروع وأشرف

---

(١) Daumas, op. cit., p. 101.

(٢) هذا هو الاسم الفعلى لبسوسينس الثانى كما ذكر ولف فى كتابه :
Wolf, Das Alte Agypten (1971),p. 233,
وليس كما ذكر جوتيه عن هذا الملك : Gauthier, LR III,p.299.

(٣) عن هذا الملك ، راجع : Kitchen , LAIV,p. 1177 .

عليه [١] وأشرف أيضا على علاج بعض المومياوات .[٢]

كان الوصول إلى مدخل تلك المقبرة سهلا حتى نهاية حكم والحكم الذى يليه نظرا لدفنهم مكن حين إلى آخر بعض المومياوات المعروضة للسلب والتلف . ولكن نظرا لتكدس هذا البئر بالأحجار والزلط فقد نسى مدخل هذه المقبرة لمدة تقرب – ثلاثة آلاف عام حتى عثر عليها فى عام ١٨٧١ بطريقة الصدفة بواسطة ثلاثة أخوة من اسرة عبد الرسول أشهر مهربى الآثار والمتعاملين فيها فى قرية القرنة ، والذين كانوا قد احتكروا سر هذه البئر ونزلوها خفية ثلاث مرات خلال نحو عشر سنوات [٣] . وعندما تم الكشف عن سر هذه المقبرة فى شهر يوليو ١٨٨١ عثر فيها على مومياوات الملوك الآتية أسماؤهم :

- سقنن رع من الأسرة السابعة عشرة ، وأحمس ، أمنحتب الأول ، تحوتمس الثانى والثالث من الأسرة الثامنة عشرة ، سيتى الأول ورمسيس الثانى من الأسرة التاسعة عشرة ورمسيس الثالث من الأسرة العشرين ، وكبار الكهنة ماساهرتا ، باى نجم والملكات نجمت (زوجة حريحور) وماعت كارع (زوجة باى نجم) وأيضا أميرتان من الأسرة الحادية والعشرين .

ونقلت هذه المومياوات فى شهر يناير عام ١٨٨٢ تحت إشراف ماسبرو مدير مصلحة الآثار فى ذلك الوقت .وفى يوليو ١٨٨٦ جرى فى القاهرة حفل كبير بسبب هذا الحدث [٤]. أما عن مومياوات ملوك الأسرة الحادية والعشرين فى تانيس، فقد لاحظنا من قبل أن معظم هؤلاء الملوك قد دفنوا فى تانيس فى الدلتا.وفى عام

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٣٩٠ – ٣٩٢ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، فى ٦٠٩ .

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، فى ٢٤٧ ، ص ٦٠٩ .

(٤) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٦٠٩ ؛ د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ١٩٨٤ ، ص ١٨٩ – ١٩٩ . وكان اكتشاف هذه المومياوات هو الذى عجل بإنشاء المتحف المصرى الذى وضع حجر أساسه فى أول إبريل من عام ١٨٩٧ وافتتح رسميا فى ١٥ نوفمبر من عام ١٩٠٢ .

١٩٣٩ عثرت البعثة الفرنسية التى كانت تعمل فـــى صان الحجر (تانيس) علـــى بعض المقابر الملكية التى وجدت سليمة لم تمسسها يد اللصوص ومنها مقابر الملـــك بسوسينس الأول ومقبرة الملكة موت نجمت زوجته . كما عثر إلى جانب مقبرة الملك مقبرة كبير الكهنة ورئيس الرماه فى عهده واسمه " اوند باندد " .وعثر كذلـــك علـــى مقبرة الملك آمن ام اوبت .(١) أما عن بقية ملوك الأسرة فقـــد اختفـــت مومياواتـــهم ومقابرهم ، وأغلب هذه المقابر تغطيها الحقول الآن ، ولم يعثر لـــهؤلاء الملـــوك إلا على بعض المقابر الصغيرة فى الدلتا .

على حين ان كبار كهنة آمون وأيضا بعض الملكات والأميرات قد دفنوا فى طيبة . ولهذا السبب وضعت مومياواتهم فى الخبيئة العامة .

ولم يعثر حتى الآن على المقابر المسروقة التى انتزعت منـــها مومياواتـــهم ولاتزال هذه المقابر مجهولة الموضع حتى الآن تحت الصخور المتراكمة منـــذ آلاف السنين فى جبانة طيبة ، أو تحت الرمال فى المناطق الصحراوية فى وادى الملـــوك . وفيما يخص كبار الكهنة ماساهرتا وباى نجم وأيضا الملكات اللاتى ذكرناهم ســـلفا – الذين وجدت مومياواتهم فى المقبرة العامة – فأنه يمكن القول بأنه إذا فرض وعـــثر على مقابرهم ، فمما لاشك فقيه أنها تعرضت أيضا للنهب المنتشر بصورة واسعة منذ العصور القديمة . أما عن مقابر حريحور وكبار الكهنة أمثال بعنخى ومنخـــبر رع ، سمندس وبسوسينس ، فلم يعثر عليها حتى ألان . وإذا قدر لنا العثـــور علـــى هـــذه المقابر سليمة فإن ذلك سوف يثير دهشة العالم وإعجابه فى يوم من الأيام ، كما حدث بالنسبة لاكتشاف مقبرة توت عنخ آمون .(٢)

– وتم أيضا نقل العديد من المومياوات الملكية إلـــى مقـــبرة نـــس خونســـو وزوجها كبير الكهنة باى نجم الثانى فى البر الغربى فى طيبة(٣) ومن المحتمل أيضـــا

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٩٢ .

(٢) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 190 .

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٦١٠ .

أنه خلال حكم نفس الأسرة – فى تاريخ سابق بقليل – نزعت مومياوات ملكية أخرى من مقابرها التى سرقت ووضعت فى مقبرة امنحتب الثانى .

– ففى الواقع عند الكشف عن مقبرة امنحتب الثانى ١٨٩٨ ، عثر عليها بالإضافة إلى مومياء الملك على مومياوات الملوك : تحوتمس الرابع ، امنحتب الثالث من الأسرة الثامنة عشرة ، مرنبتاح من الأسرة التاسعة عشرة ، رمسيس الرابع ، والخامس ، والسادس من الأسرة العشرين [١] ويبدو أن مكان هذه الخبيئة قد نسى أيضا فى العصر الذى وضعت فيه مومياوات أخرى فى خبيئة الدير البحرى ، ولحسن الحظ أنها نجت من أيدى اللصوص الذين هددوا وادى الملوك على مدى قرون متعاقبة .

– وفى عام ١٨٩٨ أبلغ أحد أفراد أسرة عبد الرسول مدير مصلحة الآثار حينذاك وهو مسيو جريبو بوجود خبيئة هائلة أخرى ، إلى الشمال من معبد الدير البحرى ، وهى عبارة عن مقبرة من عصر الأسرة الحادية عشرة حيث عثر فى دهاليزها وحجراتها بواسطة دارسى على حوالى ١٥٣ تابوتا لكبار كهنة الأسرة وكاهنات آمون واتباع من الموسيقيين والمنشدين من أسلاف كبار كهنة الأسرة الحادية والعشرين .[٢]

وانتهت الأسرة الحادية والعشرون بوفاة بسوسينس الثانى فى عام ٩٥٠ ق. م. ونشأت سلالة ملكية جديدة[٣] – من عائلة ليبية قوية – كانت تقيم فى إقليم

---

(١) د. محمد بكر : المرجع السابق ، ص ١٨٦ – ١٨٨ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٦١٠ .

(٣) يرى بعض المؤرخين أن هناك ملك آخر يحمل اسم بسوسينس الثالث مثل: Gauthier, LR III, p. 301-302; Daressy, RT 21 (1899), p. 9 – 12 . ، ولكن الذى اختتم هذه الأسرة بالفعل هو بسوسينس الثانى ، راجع : Wolf, op. cit., p. 233; Drioton – Vandier, L'Egypte (éd. 1952), p. 517; Černy, Egypt from the Death of Ramesses III, p. 44 .

هيراقليوبوليس . وعندما توفى باى نجم الثانى تولى وظيفة كبير الكهنة من بعده ولـده باسبا خع ام نيوت .

وفى نهاية الأسرة – استقر أحد الرؤساء الليبيين ويسمى ماواسن بن بـــوى واوا فى مدينة هيراقليوبوليس – على حدود الصحراء الغربية إلى الجنوب من منف . وأصبح ذا قوة ونفوذ وكذلك ابنه نب نحسى وحفيده باتوت ، الذين لعبوا دورا هامـــا فى تلك المنطقة من مطر . ويبدو أن هذا الأخير قد تزوج مـــن الوريثـــة الشـرعية للأسرة ، التى جاءت أصلا من ليبيا . ونعلم ان هؤلاء الليبيين كانوا قد تمصروا تماما واعتنقوا الديانة المصرية والعادات المصرية وأصبحوا كغيرهم مـــن ســكان البـلاد الأصليين ، لأن ابنها كان يحمل اسم – شوشنق – الذى أطلق عليه المصريون اســم شَشَنق " .

وكان ششنق هذا أقوى رجال المملكة ، وكان من الحكام الأوائـــل لــهؤلاء الذين لقبوا أنفسهم بلقب " رؤساء الماشواش" وهم اختصار للقب " رؤسماء المـــا " أى " رؤساء الأجانب " [1] وهم أقرباء الليبيين الذين قضى عليـــهم مرنبتـــاح ورمســـيس الثالث ، وقد ذكر يويوت فى مقال له أن عائلة ششنق لم تستقر فى هيراقليوبوليس ولم تقم أصلا فى هذه المدينة وإنها كانت تقيم فى بوباسطة منذ أوائـــل الأســـرة الحاديـــة والعشرين وكان لها نفوذ فيها، وكان لششنق والد توفى أثناء حكم سا آمون ودفن فـــى احتفال كبير فى أبيدوس حيث خصصت الهبات تكريما لروحه . وقد اكتشف ششـــنق أن هذه الهبات قد بددت بطريقة غير مشروعة ، وتقدم ششنق فـــى نهايـــة الأســـرة الحادية والعشرين إلى ملك مصر طالبا منه معاقبة المتهمين والمســـئولين عـــن هـــذا التبديد وإقامة لوحة جنائزية لوالده فى أبيدوس .[2]

وعلى هذه اللوحة المخصصـــة لنمـــرود والـــد مؤســـس الأســـرة الثانيـــة

---

(١) Gardiner, Onom. I, p. 120 .

(٢) Yoyotte, Melanges Maspero I fasc. 4, Paris (1961), p. 60
وأيضا د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق : ص ٢٦١ ؛ د. عبد الحميـد زايد : مصر الخـــالدة ، ص ٨٥٢ ، ٨٥٥ ؛ د. أحمـــد فخـــرى : مصـــر الفرعونية ، ص ٣٩٤ – ٣٩٥ .

والعشرين[١] لم يأت ذكر هيراقليوبوليس أو معبودها المحلى حرى شف ، مما يؤيد رأى يويوت فى أنها استقرت فى تانيس [٢] . وبالفعل قام شِشنق بتتبع المتهمين وقد حدث أن تعرض العديد من الأشخاص للمحاكمة وعلى رأسهم المشرف على الأوقاف الجنائزية – تحتمس – وحدث ذلك في منتصف حكم الملك سا آمون . على حين كان باى نجم كبيرا لكهنة آمون رع .

وعقدت المحاكمة فى معبد المعبود آمون فى الكرنك ، وقد شهدها ، الملك وكبير الكهنة أيضا مما يدل على مدى تأثير ششنق وقوته ، وعلى الرغم من أن أسلافه كانوا أصلا من ليبيا ، إلا أن أسرته أصبحت مصرية كلية ذات نفوذ وكان المتهمون هم الموظفون والمراقبين والكتبة الذين استخدمهم المشرف الأول تحوتمس ، واتهموا بأنهم استغلوا منتجات الضياع الجنائزية وقاموا بترويجها لمصلحتهم الشخصية ، وكانت تلك المنتجات تستخدم كموارد للقرابين المخصصة لروح نمرود وأيضا كموردً للمشرفين على المقبرة والكهنة . وأعلن تحوتمس أنه برئ حتى تثبت أدانته ، ولعقد المحاكمة لجأوا إلى الوسيلة الآتية كما تقص علينا النصوص التى وردت إلينا :

" كان تمثال المعبود الكبير يحمل على الأكتاف فى الصباح ويخرج به الكهنة من قدس الأقداس حتى بهو الأعمدة فى معبد الكرنك ، ويأتى كبير الكهنة باى نجم أمام هذا المعبود الكبير وينحنى أمامه باجلال تحية له ، وعندئذ يضع كبير الكهنة وثيقتين أمام المعبود الكبير أحدهما تقول : " يا آمون رع ، هناك بعض الاتهامات التى يجب التحرى عنها الخاصة بحالة تحوتمس ، المشرف الأول " . والثانية تقول : يا آمون يقال أنه ليس هناك اتهامات يجب التحرى عنها بشأن تحوتمس " المشرف

---

(١) فى الواقع هناك ثلاثة أشخاص يحملون اسم نمرود ، والد مؤسس هذه الأسرة وابن ششنق الأول وابن اوسركون الثانى ، راجع :

Kitchen, LA III, p. 911 (A- C).

(٢) Yoyotte, Histoire Universelle I, p. 121 .

الأول " . ويقول كبير الكهنة لهذا المعبود : " يا سيدى الفاضل سوف تحكم " وينحنى بشدة هذا المعبود ثم يختار الوثيقة الثانية التى يقال فيها : " ليس هناك اتهامات يجب التحرى عنها بشأن تحوتمس " المشرف الأول " ويبعد الأخرى . ويطوف كبير الكهنة حول هذا المعبود الكبير ويضع الوثيقتين أمامه ويختار المعبود الكبير الوثيقة نفسها التى اختارها من قبل . أما بالنسبة للموظفين المساعدين الذين اتهموا ففى هذه المرة كان الملك نفسه هو الذى يتحدث إلى المعبود الكبير ويطلب منه إذا كان هؤلاء الأشخاص يستحقون العقاب بالموت " ويميل المعبود الكبير بشدة " وعندئذ " ينحنى جلالته على الأرض أمامه " ويطلب من آمون رع أن يؤيد كل أعمال شثنق وقد أجاب المعبود على ذلك بالإيجاب .(١)

وقد اغتنى شثنق تحت حكم بسوسينس الثانى ، اخر ملوك هذه الأسرة وذهب ليعيش فى بوباسطة فى الدلتا حيث تزوج ولده اوسركون من الأميرة ماعت كارع ابنة الملك الوريثة الملكية للعرش ، وبفضل هذه المصاهرة ونفوذه العريض ضمن وراثة عرش مصر . وعقب وفاة بسوسينس اعتلى العرش ولم يقابل شثنق أية معارضة لأنه كان يحتل مكانة مرموقة فى المملكة ، وكان يبلغ فى ذلك الوقت حوالى الخمسين من عمره . وحتى عائلته التى كانت فى الواقع من أصل ليبى قد استقرت منذ أكثر من مائة وخمسين عاما تقريبا فى مصر ، واصبح هو أيضا مصريا صميما . ووصلتنا من عصر هذه الأسرة نسخة من تعاليم الحكيم أنى إلى ابنه خونسو حتب وبها فقرات تذكرنا تماما بتعاليم بتاح حتب من آداب السلوك وتبجيل الوالدين(٢). وجاء بخصوص الأم ما يأتى :

---

(١) Leclant, Elments pour une étude de la divination dans L'Egypte Pharaonique (études recueillis par A. Caquot I) Paris (1968), p. 1 – 23; Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 194 .

(٢) Suys, la Sagesse d'Ani, An. Orient II (1935), p. XV – XIX; Brunner, les Sagesses du Proche Orient Ancien, Paris 1963, p. 105; Id., LA III, p. 975 – 976 .

" أطع والدتك واحترمها ، فإن المعبود هو الذى أعطاها لك ، ضاعف الخبز الذى يجب أن تعطيه لأمك ولحملها كما حملتك ، وهى كم من مرة اعتنت بك ، ولم تتخل عنك . وعندما وضعتك بعد شهور من حملك أعطتك ثديها فى فمك لمدة ثلاث سنوات بصبر وأرسلتك إلى المدرسة ، وبينما كانوا يعلمونك الكتابة كانت تنتظرك أثناء غيابك كل يوم بالطعام (حرفيا بالخبز) والشراب من منزلها . والآن وأنت فى زهرة العمر واتخذت لك زوجة وصار لك بيتا تذكر الطريقة التى تربيت بها والتى تغذيت عليها . فإن كل (هذا) من عمل أمك فلا تجعلها تلومك (فى يوم ما) حتى لا ترفع يديها نحو المعبود (شاكية) فيستجيب المعبود لشكواها " .

كما أوصاه بأن يعامل زوجته معاملة حسنة وألا يتحكم فيها وفيما تفعله ولا يصدر الأوامر إليها وأن يحاول أن يدرك مزايا الزوجة ويتجنب أسباب الشقاق فى البيت ، وأن يرعاها فى صمت :

" كن كريما مع من فى منزلك " .

" لا تكثر من إصدار الأوامر إلى زوجتك فى منزلها إذا كنت تعرف أنها ماهرة فى عملها ولا تسألها عن شئ أين موضعه ؟ إحضريه إلى ، إذا كانت قد وضعته فى مكانه المعهود . لاحظ بعينيك والزم الصمت حتى تدرك جميل مزاياها ، يا لها من سعادة عندما تضم يدك إلى يديها . تعلم كيف تمنع أسباب الشقاق فى بيتك ، إذ لا مبرر لخلق النزاع فى البيت ، وكل رجل قادر على أن يتجنب إثارة الشقاق فى بيته ، إذا تحكم سريعا فى نزعات نفسه " .

ويقول له أيضا محذرا من التورط مع النساء فى الخطيئة :

" لا تذهب وراء امرأة حتى لا تتمكن من سلب لبك "

" كن على حذر من امرأة تأتى من مكان بعيد ، وليست معروفة فى بلدها ، لا تطل النظر إليها عندما تمر بك ، ولا تتصل بها اتصالا جسديا ، إنها ماء عميق الغور لا يعرف الإنسان حناياه ... وهى تحاول إيقاعك فى فخها ، إن ذلك (أى

الزنا) لجرم عظيم يستحق (صاحبه) الإعدام إذا ارتكبه ، ثم يعلم بذلك الملأ ، لأن الإنسان بعد أن يرتكب تلك الخطيئة يسهل عليه ارتكاب أى ذنب (آخر) " .

ودعى آنى ابنه إلى احترام بيوت الآخرين ، وها هو يقول له :

" لا تدخلن بيت غيرك حتى يأذن لك ويؤدى لك التكريم (الواجب) ولا تنظر باستغراب فى بيته (ولكن) انظر والزم الصمت " .

وترجع إلى أواخر هذه الأسرة أو بداية الأسرة التى تليها تعاليم امنمؤبت الذى كان يشغل وظيفة رئيس شون الغلال فى أبيدوس . وقد أثارت هذه النصائح انتباه العلماء على أساس أن جزءا من سفر الأمثال لسيدنا سليمان منقولا عنها نقلا يكاد يكون حرفيا . وينصح امنمؤبت ابنه بعدم مصاحبة الأحمق وحذره من الاندفاع ودعاه إلى احترام كبار السن ، واحترام الرئيس وعدم التملق ، وحثه على اتباع العدالة ، وعدم الحكم على الناس بمظهرهم ، ويقول فى إحداها :

" لا ترقد اثناء الليل خائفا مما يأتى به الغد

(متسائلا) عما سيكون عليه (هذا) الغد عندما يشرق النهار

فالإنسان يجهل ما عسى أن يكون عليه الغد

والمعبود يحقق دائما ما يريد (أو يشاء) ... ."[1]

الأسرة الثانية والعشرون (٩٥٠ – ٨١٧ ق. م)[2] :

ترتيب أسماء ملوك الأسرة :

ترجع هذه الأسرة إلى أصل ليبى أيضا وتمثل إلى حد ما- الدكتاتورية العسكرية. وإذا كان العنصر العسكرى قد تدخل فيها بنسبة قليلة، إلا أننا نجد أن المرتزقة

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٥٣ – ٣٥٤ ؛ Grumuch, .
LA III, p. 971 – 974 .

(٢) يعطى فون بكرات كتاريخ للأسرات من الثانية والعشرين حتى نهاية الأسرة الرابعة والعشرين ٩٤٧ أو ٩٤٠ إلى ٧١٤ أو ٧١١ ق. م ، راجع :
LA I, p. 970 .

الليبيين والماشواش قد نجحوا فى أن تكون معظم وحدات الجيش قاصرة عليهم وحدهم . وكان رؤساؤهم يتمتعون بنفوذ كبير نظرا لأن البلاد كانت فى حالة انهيار سياسى وعسكرى واقتصادى وهى منقسمة إلى عدة ممالك . وأصبحوا يمثلون القوة العسكرية واستغلوا هذا التفوق لكى يسلبوا عرش البلاد .[(١)]

وكنا نعتقد أو نتوقع أن وحدة البلاد السياسية سوف تتحقق فى ظل حكمهم – كما هو الحال عامة عندما تستولى أقلية عسكرية على السلطة – ولكن لم يحدث شئ ما من هذا القبيل . فقد كانت الأسرة الثانية والعشرون مفككة أيضا وضعيفة مثل الأسرة التى سبقتها . ويضاف إلى ذلك أن المرتزقة الليبيين استقروا فى مصر منذ بداية الأسرة العشرين ، وفى خلال القرون وفى خلال القرون السابقة حاولوا أن يتمصروا ففقدوا بذلك وحدتهم وخصائصهم وتقاليدهم التى تعد جزءا من قوتهم وذلك عن طريق زواجهم المتكرر من المصريات . وإلى جانب هذا ، نجد أنهم كانوا فى الواقع أقل تطورا من المصريين لذلك اعتنقوا حضارة البلاد ولم يصبح لهم أى تقاليد شخصية خاصة بهم ، تلك الخصائص والتقاليد التى كانت تميزهم أو بمعنى آخر كانت تعزلهم عن المصريين ، وهى التى سمحت لهم بأن يسيطروا بسهولة على المصريين فقد اصبحوا مصريين من أصل أجنبى وليسوا غرباء على الإطلاق واعتنقوا الديانة والعادات المصرية وتكلموا اللغة المصرية . وهذا أيضا حال فئات من شعوب البحر من أمثال الماشواش[(٢)] الذين نزلوا سواحل ليبيا منذ أواخر القرن الثالث عشر ق. م . وعجزوا عن دخول مصر بالقوة أكثر من مرة فاكتفوا بالتسلل إليها مرتزقة حينا ، ومدنيين رعاة وتجارا ورقيقا حينا آخر . ثم ما لبثوا أن تمصروا عن اختيار وتدينوا بديانة المصريين وعبدوا معبوداتهم ومقدساتهم .[(٣)]

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٦٠ .

(١) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 101 .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٦٠ .

وهكذا كانت عهودهم أقرب فى بعض مجالاتها إلى عهود الملوك المتمصرين ، فلم يعدهم التاريخ أجانب بقدر ما عدهم مغتصبين كما لم يستطيعوا أن يؤثروا فى مظاهر الحضارة المصرية بقدر ما تأثروا بها .

وأخيرا فإن الانفصال المتوقع من الشمال والجنوب ، كان يمثل فجوة هامة فى البناء السياسى ، وعدم التوازن أو التوافق بين الجنوب والشمال كان له آثار أكثر عمقا . ففى مصر الوسطى فى هيراقليوبوليس ، نجد أن تلك الأسرة التى من أصل ليبى قد استولت على السلطة المحلية وحلت محل ملوك تانيس وأسست الأسرة الثانية والعشرين فيما بعد .

وقد ذكر مانيتون أن ملوك الأسرة الثانية والعشرين كانوا تسعة ملوك من بوباسطة [١] ، وأمدتنا الآثار بأسماء ما لا يقل عن خمسة ملوك يحملون اسم ششنق ، وأربعة باسم اوسركون[٢] ، وثلاثة باسم تاكيلوت .

حدج خبر راع – ستب إن رع – ششنق الأول (٩٥٠ – ٩٢٩ ق. م.) [٣] :

تمثل عائلة ششنق الأول التى ينتمى إليها ملوك هذه الأسرة ، المثل الحى لطريقة التمصر التى تعرض لها الليبيون فى مصر ، فنعلم أنهم قد استقروا فى منطقة هيراقليوبوليس ، منطقة الحدود الليبية ، وفى بوباسطة. وكانت عائلة ششنق الأول من اصل ليبى نقى ، ومن ناحية أخرى نعلم أن اسم ششنق لم يكن من أصل مصرى،

---

(١) عن ملوك هذه الأسرة ، راجع قائمة بكرات :

Von Beckerath, LA 111, p. 553 – 554 .

(٢) يذكر يويوت فى دراسة حديثة له أن هناك ملكا غير معروف يدعى أيضا اوسركون ابن " مهيت اونش " وكان والدا لششنق الأول ، وذلك بالإضافة إلى الأربعة اوسركون المعروفين ؛ راجع : Yoyotte, Osorkon fils de Mehytonshe, dans BSFE 77-78 (1977), p. 48-49 .

(٣) عن هذا الملك ، راجع : Bierbrier, LA V, p. 585 .

ونراهم أيضا قبل أن يستولوا على السلطة فى هيراقليوبوليس قد اصبحوا مصريين بالفعل ، وبعد أن كانوا رؤساء عسكريين فقط ، اصبحوا كهنة للمعبود حرى شف [١]، وبهذا اللقب اصبح لهم الحق فى أن يدفنوا فى ابيدوس مثل بقية المصريين .

وسوف تزداد سلطة العائلة فيما بعد ومن هيراقليوبوليس سوف يبسطون سلطتهم حتى بوباسطة فى وسط شرق الدلتا .[٢]

وقد استقرت هذه المجموعات فى تل بسطة وكان رئيسهم يحمل اللقب الأجنبى " ما " أو " الملك الكبير ما " ، وهو اختصار لماشواش ، وامتد سلطانهم فى الجنوب حتى أسيوط وعقب وفاة بسوسينس الثانى ، اتخذ ششنق الألقاب الملكية ولكى يعطى الحق الشرعى لأسرته زوج ابنه اوسركون إلى ابنة بسوسينس الثانى .

ويمكن القول أيضا إن الدكتاتورية العسكرية الليبية قد أثارت الاضطرابات فى البلاد ، ولا نعرف إلى أى مدى امتدت الثورة ضدهم .

ويبدو أن تلك الثورة قد اعتمدت على تأثير طيبة بوجه خاص ، ومن المحتمل إنه فى هذه اللحظة بالذات لجأ بعض كهنة آمون للهرب إلى بلاد النوبة السفلى . وكانت أنظار ملوك هذه الأسرة تتطلع بصفة دائمة نحو الشمال الذى أصبح من الآن مركزا للثقل الحقيقى لمصر ، لذلك نجدهم تركوا منطقة هيراقليوبوليس لكى

---

(١) Mokhtar, Ihnasya el-Medina, BdE 40 (1983), p. 199 . وعن هذا المعبود ، راجع : Altenmuller, LA II,p. 1015 – 1018 .

(٢) عثر فى تل بسطة على آثار عديدة فى معبد المعبودة باستت ، فقد عثر على كتل باسم خوفو وخفرع وبيبى الأول ، وأمنمحات الأول وسنوسرت الأول والثانى والثالث وسبك حتب الأول وأبوفيس وخيان من ملوك الهكسوس وأمنحتب الثانى والثالث والرابع ورمسيس الثانى والثالث والرابع واوسركون الأول والثانى ، راجع : Les Guides Bleus: Egypte, Paris 1956, p.223 –224; L.Habachi, Tell Basta, Cairo1957; PM IV , p. 27 – 35 ؛ وأيضا : Habachi, LAI , p. 874 .

يستقروا فيما يبدو في شرق الدلتا . وابدوا فـــى البدايـــة اهتمامـــا واضحـــا بمدينـــة هيراقليوبوليس لماضيها العريق ، تلك المدينة التى ازدهرت فـــى العصـــر الوســـيط الأول ، أخذت تنتعش فى العصر الوسيط الثالث . وكان لششـــنق الأول ولـــد ثـــالث يدعى " ايوبوت " الذى عين كبيرا لكهنة آمون ، محتفظا بالعلاقة التى كـــانت تربـــط هذه الوظيفة بالتاج متبعا هكذا سياسة الأسرة السابقة . وكان كهنة أمون لا يزالـــون يمثلون القوة الكبرى فى البلاد وكان معبد آمون المركز الرئيسى للحياة الدينية .

ومن أهم أحداث حكم ششنق الأول غزو سوريا العليا وفلسطين وقـــد جـــاء ذكر هذه الحملة فى الكتاب المقدس ، فنجد فى سفر الملوك الأول ، الفصـــل الرابـــع عشر ـــ، والجزء الثانى من التأريخ ، الفصل الثالث عشر أنه : " فى السنة الخامســـة من الحكم ير بعام جاء ششنق.(هكذا كان يسمى ششنق فى الكتاب المقـــدس) ملـــك مصر ليهاجم القدس بألف ومائتى مركبة حربية وستين ألف فـــارس ، وخـــرج مـــن مصر ومعه شعب لا يمكن حصره من الليبيين والسوقيين والأثيوبيين ، واستولى على المدن المحصنة التى كانت ملكا ليهوذا ووصل حتى القدس ، واستولى على خزائـــن بيت الأبدية وخزائن بيت الملك ، واخذ كل الـــدروع مـــن الذهـــب التـــى صنعـــها سليمان " .(١)

وتتطابق السنة الخامسة ممن حكم يربعام – ملك إسرائيل – الـــذى خلـــف سليمان فى العام ٩٢٩ ق.م . مع السنة الحادية والعشرين من حكم ششـــنق ، وكـــان الجيش المصرى ، يضم فى تلك الفترات قوات مرتزقـــة مـــن الليبييـــن والســـوقيين الذين – ربما – قد يكونون قبائل من شرق الدلتا ، أما الأثيوبيين فهم قبائل زنوج مـــن بلاد النوبة السفلى الذين أطلق عليهم من قبل أسم (الكوشيين) والذين أمدوا فى كـــل الأوقات الجيش المصرى بأفضل وأقوى عناصره المقاتلة .

---

(١) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 102; Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 195.

وأيضا : د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٣٩٧ – ٣٩٨ ؛ د. عبـــد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٦٣ – ٢٦٤ .

ولا يجب فهم كلمة فارس التى جاءت فى الكتاب المقدس على أنه خيال ، لأن المصريين لم يكن لديهم فرسان [١] ، ومن المحتمل جدا أن هؤلاء الستين ألف رجل كانوا من مشاة الجيش العاديين .

وتنقصنا التفاصيل العديدة عن هذه الحملة ، وعندما عاد شُشنق منتصرا إلى مصر ، سجل بالنقوش قصة انتصاره على الجدران الجنوبية الخارجية لبهو الأعمدة الكبير فى معبد الكرنك [٢] ويظهر منظر فوق رؤوس الأسرى ، الذين يمثلون أهالى مائة وست وخمسين مدينة فى فلسطين والتى تقع على الحدود الجنوبية لأرض يهوذا وشمال الجليل ، ومن بينها نجد أسماء عديدة معروفة فى الكتاب المقدس ، من بين هذه الأسماء "حقل إبراهيم " الذى لم يتعرف عليه ولكنه يمثل أول ذكر تاريخى لاسم سيدنا إبراهيم . ولكى يصبح من السهل الاقتراب من هذه النقوش على الجدران شيد الملك بوابة رئيسية بالكرنك تقع بين الصرح الثانى ومعبد رمسيس الثالث ، أطلق عليهم اليوم اسم " بوابة بوباستت " [٣] التى يمر من أسفلها طريق مرصوف يؤدى إلى هذه النقوش ، حتى يمكن ملاحظة قوائم مناطق آدوم ويهوذا، ويقوم الملك فى هذه

---

(١) عرف المصريون ركوب الخيل وكانوا يستخدمونها فى الحروب ، فقد عثر فى مقبرة حور محب التى عثر عليها فى سقارة على نقش يمثل فارس يمتطى جوادا ، وعثر على رسم اوستراكا يمثل فارسة مصرية تمتطى جوادا ، راجع : ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى – المجلد الأول) ، ص ٢ شكل ١٨ .

(٢) Barguet, le Temple d'Amon- Ré a'Karnak (1962), p. 48 – 49 ; legrain, Karnak, p. 54 – 62 ; University of chicago, Oriental Institute publ. 74, Relief and Inscriptions at Karnak III, The Bubastite Portal, p. 74 .

(٣) PM, Theban Temples, p. 34 – 35 .

وأيضا د. سيد توفيق : تاريخ العمارة فى مصر القديمة : الأقصر ، ص ١٤٤ – ١٤٥ .

المناظر بتقديم الأسرى إلى آمون (١) وتحمل أعمدة هذه البوابة حتى اليوم ، آثار ثقوب المسامير التى كانت تستخدم لتثبيت صفائح الذهب أو الفضة فى الأحجار . وقد فكر فى بناء فناء ولكنه لم ينجزه .

وخلف الصرح الأول بمعبد الكرنك يوجد فناء مكشوف طوله ٨٠- مترا وعرضه ١٠٠ مترا وقد أقيم على جانبيه صف واحد من الأساطين ذات التيجان المبرعمه . ويرجع هذا الفناء إلى عصر الملك ششنق الأول .(٢)

وفى محاجر جبال السلسلة التى أخذت منها أحجار البناء ، نجد نقشا مؤرخا بنهاية العام الواحد والعشرين من الحكم (٣) . ويبدو أن الحملة نفسها قد حدثت بالفعل فى خريف هذا العام نفسه . وكان من نتيجة هذه الحملة تزويد المعابد المصرية بالغنائم العديدة .

وعلى أية حال كان من الصعب إنجاز كل مشروعات البناء التى ذكرتها هذه النقوش ، وربما كانت المحاولة التى قام بها ششنق هى عبارة عن أحياء للنفوذ والسيطرة المصرية على تلك المناطق .

ولا نعلم هل قام ششنق بحملة أخرى بعد ذلك فى شمال فلسطين أو لا ؟ وبلغ ششنق فى ذلك الوقت سن السبعين ، وتوفى فى العام التالى ، ومازلنا نجهل حتى الآن المكان الذى دفن فيه وأين حفرت مقبرته ؟ وقد حاول ششنق الأول إتباع سياسة أسلافه فى الحد من نفوذ كهنة آمون ولهذا وضع على رأس الكهنوت أحد

---

(١) Breasted, ARIV (709 – 722), Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, p. 267; Muller, Egyptological Researches I, p. 51 – 54.

(٢) د. محمد عبد القادر : آثار الأقصر ، الجزء الأول : معابد آمون ، ص ٣١ – ٣٤ ؛ د. سيد توفيق : تاريخ العمارة فى مصر القديمة : الأقصر ، ص ١٤٠ .

(٣) Camions, JEA 38 (1952), p. 46 – 61, pl. 10 – 13.
وأيضا : د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٨٥٧ .

أبنائه . وحاول خلفاؤه أن يقلدوه ، ولكن كما حدث سابقا لكل ملوك الأسرة الحادية والعشرين ، نجد أن مجهوداتهم قد باءت بالفشل ، لأن الأبناء الذين عينوا على رأس كهنة آمون فى طيبة ، كانوا يحاولون بصفة دائمة أن يقيموا فى الجنوب أسرات متشابهة للفرع الأكبر القائم فى الشمال . وللقضاء على هذا الاتجاه حاول الملوك أن يحدوا من نفوذ كبار كهنة آمون ، وذلك بإنشاء وظيفة دينية جديدة وهى : " الزوجة المقدسة " أو " العابدة المقدسة أو الحرم المقدس لآمون " [١] . وكانت هذه العابدة المقدسة أميرة من الأسرة المالكة ، وكان من نتيجة هذا ، أن هؤلاء المتعبدات قد انتزعن سلطة كبار الكهنة دون أن يكن مخلصات للسلطة المركزية على الإطلاق مثل كبار الكهنة . ومازالت خلافة شَشنق الأول موضع نقاش بين علماء الدراسات المصرية القديمة حتى الآن وذلك لندرة ما وصل إلينا من آثار ووثائق عن هذه الفترة . وكل ما نعرفه هو إن استيلاء الليبيين على السلطة لم يغير شيئا ما فى التقسيم الإدارى الظاهر لمصر إلى جزئين أو مملكتين .

عثر على اسم هذا الملك على حوالى خمسين أثرا كما عثر على أسماء عائلته على آثار عديدة .[٢] ونعرف من نصوص هذه الآثار أن جده الأكبر كان يدعى ششنق وجدته تدعى مهيت – إن – وسخت وأبيه يدعى نامارتى [٣] ، وأمه تدعى تنت – سب – بنر وزوجته تدعى كارعمع ، وكان له ثلاثة أولاد أكبرهم يدعى اوسركون ونامارتى (على اسم جده) وأصغرهم ايوبوت . وكانت له ابنة واحدة هى : تاشبت – إن – وباستت .

---

(١) Drioton – Vandier, L'Egypte (éd. 1952), p. 449 ; Gitton, L'Epouse du Dieu, Paris (1976), p. 87 – 89 .

(٢) Gauthier, L R 111, p. 307 – 324 .

(٣) يرى يويوت أن شخص آخر يدعى اوسركون بن مهيت او نشى كان والدا لششنق الأول ، راجع : د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، ص ٣٠٣ حاشية (١) .

سخم حبر رع – ستب إن رع – اوسركون الأول(٩٢٩ – ٨٩٣ ق.م) :(١)

تولى من بعد ششنق الأول – ابنه اوسركون الأول – الذى أسرف فى الاهتمام بمعابد المعبودات ، ولا نعرف الكثير عنه فقد حكم حوالى ستة وثلاثين عاما ، وكان فى ذلك مثل رمسيس الثالث ، فنجد أنه ترك لنا قائمة بالهبات الضخمة التى خصصها لمختلف الكهنة خلال الثلاث السنوات أو الأربع الأولى من حكمه ، وتتكون هذه الهبات فى معظمها من أوان وكؤوس من الذهب أو الفضة ، وعندما يذكر وزن المعدن ، فإن العدد يرتفع إلى آلاف الأوزان . وقد ورد جزء كبير من هذه الثورة من معبد سليمان بالقدس . كما ترك لنا مقاييس لارتفاع منسوب مياه النيل التى كانت تسجل على جدران مرسى معبد الكرنك (٢) . وشيد اوسركون أو والده فى قرية الحيبة فى مصر الوسطى معبدا للمعبود آمون الذى كان يعبد على هيئة الكبش ويسمى آمون الصخرة ويوصف بآمون صاحب الزئير الكبير .(٣)

وكان اوسركون يبلغ عند توليته العرش كوريث شرعى ، الخمسين من عمره تقريبا وفى العام العشرين من حكمه ، وفى عام ٩٠٩ عندما بلغ سن السبعين أشرك معه ابنه الأكبر تاكيلوت فى الحكم طبقا للتقاليد المصرية المتبعة وذلك بصفته ملك المستقبل . وقد استمرت هذه المشاركة فى الحكم سبعة عشر عاما .

وسر ماعت رع (٤) تاكيلوت الأول (تكرتى)(٨٩٣ – ٨٧٠ ق.م) : (٥)

وعندما توفى اوسركون الأول فى عام ٨٩٣ ق.م . كان يبلغ من العمر

---

(١) عن هذا الملك ، راجع : Bierbrier, LAIV, p. 635 .

(٢) Von Beckerath, JARCE 5(1966) ,p. 44 – 49 ; Traunecker, la Tribune du Quai de karnak , dans karnak V (1970-1972), le Caire (1975),p. 58 – 59 .

(٣) Kamal, ASAE 2 (1901), p. 88 – 89 ; Gauthier, LR III, p. 329 (x) ; Kitchen, The Third Intermediate Period, p. 467 .

(٤) يذكر كيتشن أن الجزء الأول من اسم هذا الملك غير معروف .

(٥) عن هذا الملك ، راجع : Bierbier, LAVI, p. 186 .

حوالى سبعة وثمانين عاما ، ويقى ابنه تاكيلوت الأول كحاكم وحيد وكان يبلـــغ مـــن العمر ثمانية وستين عاما [١] ، وبعد سنتين تقريبا ، أى فى سن السبعين أشرك معـــه ولده اوسركون الثانى فى الحكم . وقد عثر على اثر باسم تاكيلوت فى بيبلوس .[٢]

ويضع فوت بكرات اسم :

حقا – خبر رع – ستب ان رع – ششنق الثانى قبل اوسركون الثانى [٣] . ودفن فى تانيس [٤] ولا نعرف عنه الشيء الكثير .

وسر ماعت رع – ستب إن آمون – اوسركون الثانى وأحيانا سا – باستت (٧٨٠-٨٤٠ ق.م) :[٥]

وعندما تولى اوسركون الثانى الحكم وأصبح منفردا بعرش مصر كان يناهز الخمسين من عمره ، وقد قام هذا الملك بعدة ترميمات هامة فى معبد بوباستت، وقـــد عثر فى الحفائر التى اجريت فى المنطقة ، على بقايا بوابة مـــن الجرانيـــت الأحمـــر وعليها تمثيل مراسم عيد سد فى السنة الثانية والعشرين من حكم اوسركون الثانى .

وأعلن الملك فى نقوش هذه البوابة أنه أعفى طيبة كلها من الضرائب لأنـــها (أرض) طاهرة [٦] .

وعندمـــا بلـــغ اوســـركون الثـــانى ســـن الســـبعين أشـــرك معه فـــى الحكـــم ولـــده حقـــا خبـــر رع – ستـــب إن رع ششنـــق الثانى [٧]

---

(١) Gauthier, LR III , p. 334 (V) .

(٢) Leclant, les Relations entre L'Egypte et la Phenicie , Beirut (1968),p. 13 .

(٣) Von Beckerath, LA II, p. 553 (2a) .

(٤) عن هذا الملك ، راجع : Bierbier, LAVI , p. 585 .

(٥) وعن هذا الملك ، راجع : Bierbier, LAV , p. 635 .

(٦) Naville, Festival Hall of Osorkon II (1892),p. 188 – 19 , pl. 2 – 10 .

(٧) وعن هذا الملك ، راجع : Bierbier, LAVI , p. 585 .

فى عام ٨٤٧ ق.م [١] . ولكن هذا الأخير توفـــى بعـد أربع سـنوات [٢] واختــار اوسركون الثانى ولدا آخر هو تاكيلوت الثانى لكى يخلفه على العرش .

وكشف – مونتيه – عن مقبرة اوسركون الثانى فى تانيس ووجـــد بجانبـــه تابوت كبير كهنة آمون رع حرنخت[٣] الذى ربما كان ابنا له ، وكان له أبناء كثيرون منهم الكاهن الأكبر اوسركون الذى قام بتسجيل بعض الأحداث فـــى نقـوش بوابـــة بوباستت التى أقامها شِشنق الأول فى الكرنك ، وابن آخر يسمى نمرود وكان كبـــيرا للكهنة أيضا . وبعد حكم اوسركون الثانى يضع كيتشن اسم الملك :

حد خبر رع – ستب ان رع – حورسا إيزه[٤] لا نعرف عنه أى شئ .

حدج خبر رع – ستب ان رع – تاكيلوت الثانى (٤٨ – ٨٢٣ ق.م) : [٥]

اشترك تاكيلوت الثانى مع والده فى الحكم لمدة ستة أعوام وأنفرد بالحكم بعد

---

(١) يضع كيتشن شِشنق الثانى بعد اوسركون الأول ، راجع :
Kitchen, The Third Intermediate Period p. 467 .

(٢) Drioton-Vandier, L'Egypte (éd. 1952), p. 529 n. (1); Gauthier, LR III, p. 361 n. ؛ وأيضا د. عبد الحميد زايــد : مصــر الخالدة ، ص ٨٥٨ .

(٣) Montet, la Necropole Royale de Tanis I, Paris (1947), p. 61-63, Fig- 18-19 .

(٤) Kitchen , op. cit., p. 467 ؛ ولا يذكر جيمس هذا الاســم ، راجــع : James, An Introduction to Ancient Egypt , p. 265 .

(٥) يذكر بير بريه أن هذا الملك كان ابنا لاوسركون الثانى وجـــد مـــوت إيس. عنخ ، وأنه حكم حوالى خمسة وعشرين عاما من عـــام ٨٥٠ – ٨٢٥ وإن أحد عجول أبيس نفق فى عهده ودفن فى السرابيوم وأن تاكيلوت بعد وفاتـــه دفن فى تانيس وخلفه شِشنق الثالث ، راجع : Bierbier, LAVI, p. 186

وفاة أبيه عام ٤٨٧ ق.م ، وفى العام الحادى عشر من حكمه عين نجله الذى يسمى اوسركون أيضا كبيرا لكهنة أمون . وفى ذلك الوقت وقعت اضطرابات عنيفة فى طيبة وانتشر لهيب الثورة إلى مصر الوسطى ، واستطاع اوسركون أن يقضى على هذه الثورة [1] وعاد إلى طيبة حيث استقبل استقبالا حارا . وفى السنة الخامسة عشرة اندلعت ثورة أخرى ولا نعرف نتيجتها . وفى السنة الرابعة والعشرين من حكم تاكيلوت الثانى توجه أحد أهالى طيبة إلى اوسركون لعرض الصلح .

وبعد فترة قليلة توفى تاكيلوت الثانى ولم يكن قد بلغ فى ذلك الحين سن السبعين ، ولم يختر بعد شريكا له فى الحكم ، ولم يتول العرش ابنه الأكبر اوسركون . وقام الملك تاكيلوت الثانى ببعض الأعمال المعمارية فى معبد المعبودة باستت [2] وفى الكرنك .

وسر ماعت رع – ستب إن رع (أو آمون) ششنق الثالث [3] (٨٢٣-٧٧٢ ق.م) : [4]

خلف تاكيلوت الثانى حفيده (؟)- ششنق الثالث – الذى كان شابا صغيرا يبلغ من العمر حوالى ثمانية عشر عاما . وفى طيبة احتفظ اوسركون بوظيفته ككبير لكهنة آمون لمدة سنوات ، واختفى فترة ، وحل محله حورسا ايزه الثانى ، وعاد مرة أخرى فى السنة التاسعة والثلاثين من حكم ششنق الثالث وباشر وظيفته ، وظل مخلصا للملك الشرعى .

وعن عصر ششنق لدينا بعض الحوليات عن الأحداث عن حكمه منقوشة

---

(١) Drioton- Vandier, op. cit., p. 528 – 529 .
وأيضا : د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٨٥٩ .

(٢) Gauthier, LR III, p. 351 – 354 (I-xIII) ؛ وأيضا د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٦٨٥ .

(٣) Gauthier, op. cit., p. 369; Kitchen, op. cit., p. 467 .

(٤) عن هذا الملك ، راجع : Bierbier, LAV, p. 585 .

على بوابة معبد بوباستت فى الكرنك وهى تقص علينا أنه فى العام الخامس عشر من الحكم ، ثارت طيبة ضد الملك شَشنق ويبدو أن أثناء هذه الثورة اضطر كبير الكهنة اوسركون للفرار إلى الجنوب البعيد ، وفى النهاية – قضى على هذه الثورة – وعاد كبير الكهنة ، وعفا آمون عن كل الثائرين .

وابتداء من عصر هذا الملك كان اللقب " برعا " اى فرعون يستخدم أمام اسم الملك .(١)

تولى بعد شَشنق الثالث ملكان هما بامى وشَشنق الخامس .(٢)

وسر ماعت رع – ستب إن رع (أو آمون) – بامى (٧٧٢ – ٧٦٧ق.م) : (٣)

فى العام الثانى والخمسين من الحكم ، كان الملك شَشنق الثالث قد بلغ حوالى السبعين من عمره ، لذلك أشرك معه فى الحكم ولده بامى الذى يعنى اسمه " القط " ولكن فى العام التالى توفى كلاهما وآل العرش إلى آخر يدعى شَشنق أيضا .(٤)

عاخبر رع – ستب إن رع شَشنق الخامس (٧٦٧-٧٣٠ ق.م) : (٥)

يرى – فانديه وبيربريه – وضع شَشنق الرابع فى الأسرة الثالثة والعشرين (٦) ، لأن بعض ملوك الأسرة الثانية والعشرين قد عاصروا بالفعل ملوك

---

(١) وليس من ابتداء من عصر الملك شَشنق الأول كما هو معروفا من قبل راجع : J-Gordon, Hommages Sauneron I,p. 180 – 182 .

(٢) Drioton – Vandier, op. cit., p. 512 et 631 .

(٣) عن هذا الملك ، راجع : Kitchen, LAIV, p. 659 .

(٤) Id., op. cit., p. 512 – 514 .

(٥) وعن هذا الملك ، راجع : Bierbier, LAV, p. 586 .

(٦) Gauthier, LRIII, p. 403 (B); Wolf, Das Alte Agypten (1971), p. 233; Drioton – Vandier, op. cit., p. 601; Bierbier, LAV, p. 586 .

الأسرة الثالثة والعشرين ، والـذى انـهى عـهد الأسـرة الثانيـة والعشـرين هـو شـشنق الخامس وكان ابنا لبامي وحكـم حوالـى ٣٨ عامـام . ودفـن فـى عـهده عجلين أبيس . وجاء ذكر تاريخ ملوك هـذه الأسـرة علـى لوحـة كشـف عنـها فى السرابيوم لأحد كهنة – هيراقليوبوليس – الذى كان يدعى " حاربسـون " وهـى مؤرخة بالعام السابع والثلاثين من حكم ششنق الخامس ويذكر على اللوحة أن اصـل سلالة أسرته يرجع إلى ستة عشر جيلا ، وهو مـن سـلالة كـان رئيسـها ليبيـا ويسمى بويوواوا ، ويذكر أيضا أن سلالته عاصرت ششنق الأول حتـى اوسـركون الثانى .[١]

ويذكر جيمس فى نهاية قائمته لملوك الأسرة الثانيـة والعشـرين الملـك : اوسركون الرابع ويعطيه كتاريخ حكم الفترة من ٧٣٠ إلى ٧١٥ ق.م [٢] ، وفى نهاية الأسرة الثانية والعشرين ، نرى طيبة تثور مرتين بطريقة علنية ضد ملوك الشـمال مما يجعلنا نعتقد انه كان فى الوسط الليبى سلطة مستقلة متزايدة ضـد الملكيـة فـى الشمال .

ويرى البعض أن الصرح الأول أمام معابد الكرنك مـن عصـر نختنبـو الأول [٣] . ويرى البعض الآخر أنه يرجع إلى عصر الأسرة الثانية والعشرين . مثلـه فى ذلك مثل الفناء المكشوف الذى يقع خلفه . ولم يتم ملوك هذه الأسرة بنـاء هـذا الصرح ولم يقوموا بتزيينه بالنقوش أو المناظر . ثم أكمل بعض ملوك البطالمة تكملة بناء الأجزاء الناقصة حتى تم بناؤه ولكنهم تركوه دون تسجيـل أيـة نقوش علـى

---

(١) Mariette, la Serapeum de Memphis (1857), p. III, p. 1.31 ; Breasted, AR IV (785- 792); Montet, le Drame d'Avris (1940), . p. 197 ; Drioton- Vandier, op. cit., p. 540 – 559 et p. 566 .

(٢) James, An Introduction to Ancient Egypt, p. 265 .

(٣) د. سيد توفيق : تاريخ العمارة فى مصر القديمة : الأقصـر ، ص ١٣٨ – ١٤٠ .

سطوحه [١] . ويبلغ طوله ١١٣ مترا وارتفاعه ٤٠ مترا وسمكه ١٥ مترا . ويمكـن الصعود إلى سطحه عن طريق سلم فى البرج الشمالى .

ونذكر هنا بعض أسماء أصحاب المقابر فى الـبر الغربـى مـن عصـر الأسرتين الحادية والعشرين والثانية والعشرين ، جدموت ايوف عنخ كبير الرسـامين لآمون (رقم ١١٧) ، ان حعبى صاحب المقبرة التى وجدت بها خبيئة الموميـاوات عام ١٨٨٠ (رقم ٣٢٠) ، ومقبرة قن التى اغتصبها نس خونسـو (رقـم ٣٣٧) ورقم ٣٤٨ اغتصبها نعا – موت فاتح باب بيت الذهب الخاص بآمون ، وامن مـس المشرف على صناع آمون (رقم ٧٠) .[٢]

---

(١) Les Guides Bleus: Egypte, p. 336 .
د. محمد عبد القادر : آثار الأقصر ، الجزء الأول : معابد آمـون ، ص ٢٩ – ٣١ .

(٢) د. سيد توفيـق : المرجـع السـابق ، ص ٣٦٥ ، ٣٦٩ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ .

الفصل السادس

الأسرتان الثالثة والعشرون والرابعة والعشرون وأهم أعمال ملوكهما

(٨١٧ – ٧١١ ق.م)

استمرار عصر الضعف السياسي ثم اليقظة المؤقتة

الأسرة الثالثة والعشرون (٨١٧ – ٧٣٠ ق.م) :

زادت معوّمات الفوضى والاضطرابات إبان حكم ملوك الأسرة الثانية والعشرين ، خاصة أثناء حكم الملوك شسنق الثالث ، بامى ، وششنق الرابع .

وبدأ الانقسام يسود مصر أكثر فأكثر ، خاصة فى الدلتا . وهكذا تأسست أو قامت الأسرة الثالثة والعشرون قبل أن تنتهى الأسرة الثانية والعشرين ، لذلك نجد أن الأسرتين كانتا متعاصرتين لفترة ما ، خاصة أيام ششنق الثالث الذى استمر حكمه حوالى تسعة وثلاثين عاما وأيضا بامى الذى استمر حوالى سبع سنوات .

ولقد أعطى مانيتون – الأسرة الثالثة والعشرين أسماء أربعة ملوك على رأسهم بادى باست ، ومن فحص بعض الأسماء والألقاب التى كان يحملها ملوك الأسرة الثالثة والعشرين مثل : بادى باست ، ششنق الخامس ، اوسركون الثالث ، وتاكيلوت الثالث ، نجد أن هذه الأسرة كانت تربطها بالأسرة الثانية والعشرين صلة قرابة .

وظهرت فى تلك الفترة أهمية بوباست أو وبوباستت كعاصمة للأسرة الجديدة [1] حيث استقرت فيها عائلة ششنق منذ فترة قبل أن تستولى الأسرة الثانية

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٠١ – ٤٠٢ وقد وصفها ---

والعشرين على السلطة .

وهكذا نتج عن تقسيم البلاد إلى جزأين جنوبا وشمالا إلى وجود فرع أخـــر في شرق الدلتا . لم يتوقف هذا التفكك عند هذا الحد ، فإلى جانب هـــاتين الأســرتين المتعاصرتين اللتين تقاسمتا السلطة ، يبدو أنه ظهرت في الشمال الغربي مـــن الدلتـــا أسرات محلية صغيرة ، وعلى الرغم من أن هؤلاء الملوك الصغار لم يظهروا العـداء لبعضهم بعضا على الإطلاق إلا أن هذه التجزئة للسلطة كانت ذات نتـــائج خطـيرة بالنسبة لوحدة مصر السياسية التي وجدت نفسها في حالة من التمزق والانهيار وكـان من الصعب في مثل هذه الظروف تكوين جيش وطني قوي للدفاع عن البلاد وأيضـــا غدت عاجزة عن تنفيذ المشروعات الاقتصادية الهامة والضرورية لرخاء البلاد .

وفي حوالي عام ٧٣٠ ق. م. اصبح الموقف العام غامضا للغايـــة . فمـن ناحية كانت السلطة في الدلتا بين ملوك الأسرة الثانية والعشرين ومؤســـس الأســرة الثالثة والعشرين ، ومن ناحية أخرى كانت هناك الأسرات التي اغتصبت الســـلطات المحلية في الأقاليم ، وكان أغلب هؤلاء الحكام من أصل عسكري ليبي ، وفي مصـــر الوسطى كان من المستحيل تحديد ما يخص كلا من ملوك الأسرة الثانية والعشـــرين والثالثة والعشرين ، دون أن يؤدي ذلك إلى نوع من الصراع بينهما .

ونجد في مصر العليا أن كبير الكهنة وخاصة كاهنة الحرم المقدس لآمـــون والتي كانت تنتمي بصلة قرابة إلى الملك الذي يحكم في الشمال ، كانت تتمتع بنفـــوذ في منطقة طيبة ، وكانت مستقلة تماما عن الحكومة المركزية .

=== هيرودوت بأنها كانت من أبهج ما يرى من مدن مصر كلها ، وأن أرضـــها مرتفعة وأن معبد المعبود باستت من وسطها حيث يرى من جميع الجهات . وكان يؤدي إليه طريق مرصوف بالحجارة وعرضه أربعمائة قدم ، وتكتنفه أحجار عالية ، راجع : د. أنور شكري : العمارة في مصر القديمـــة ، ص ٧٧ .

أما فى بلاد كوش فنجد أن عناصر كهنة آمون الذين هـاجروا فـى بداية الأسرة الثانية والعشرين أخذوا يتجمعون فى مملكة مستقلة واتخـذوا نباتـا عاصمـة لهم .

ترتيب أسماء ملوك الأسرة :

يعطينا فون بكرات قائمة بأسماء سبعة ملوك لهذه الأسرة[١] وهم :

وسر ماعت رع – ستب إن آمون – بادى باست (٨١٧) (؟)- ٧٦٣ ق. م)[٢] :

كان رجلا قويا فى تلك الفترة ، ويبدو من اسمه أنه كان من عائلة جـاءت من بوباست[٣] ، وطبقا لما أورده مانيتون كانت هذه العائلـة أصـلا مـن – مدينـة تانيس – واستولى على السلطة وتوج ملكا ، ويبـدأ بـه مـانيتون الأسـرة الثالثـة والعشرين . وكان يبلغ من العمر نحو ستة وخمسين عاما عند توليه مهام العرش .[٤]

وفى السنة الرابعة عشرة من حكمه أى عندما بلغ سن السبعين ، أشرك معه فى الحكم أميرا يسمى ايوبوت ، وهو اسم كان شائعا فى هذه العائلة الملكية ، وفـى الأسرة السابقة ، مما يبعث على الاعتقاد بان بادى باست ، كـان مرتبطـا بالسـلالة الملكية القديمة عن طريق المصاهرة ، لكن هذا الشريك لم يتمتع بالعمر الطويل ، ولم يذكر عنه شىء ما بعد ذلك ، ويقال أنه فى عام ٧٤٩ ق. م. أقـام بعض التجـار

---

(١) Von Beckerath, LA 111, p. 554 .

(٢) Kitchen, The Third Intermediate Period, p. 467

وعن هذا الملك ، راجع : Kitchen, LA 1V, p. 998

(٣) Yoyotte, RdE 24 (1972), p. 216 – 223 .

(٤) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 199 .

الآيونيين من جزيرة – Milet – فى آسيا الصغرى ، مركزا تجاريا فى غرب الدلتا وكان لهذا الحدث أهميته لأنه يمثل أول خطوة في سلسلة العلاقات العميقة بين اليونان ومصر التى يمكن تحديدها ابتداء من هذا التاريخ . ولكن المصريين ركزوا جهودهم فى هذه الفترة نحو الشرق ، ففى عام ٧٣٤ – ٧٣٢ ق. م. تدخل الآشوريون تحت قيادة الملك " تيجلات بلاصر الثالث " فى سوريا العليا وفلسطين ، وشعر المصريون – فى هذه اللحظة – بضرورة خوض الصراع ضد هذه الدولة المعتدية وأن يضعوا حدا لأطماعها . ويعد بادى باست يذكر كيتشن اسم الملك :

- وسر ماعت رع – ستب إن آمون – ايوبوت الأول [١] :

- وسر ماعت رع – مرى آمون – ششنق الرابع (٧٦٣ – ٧٥٧ ق. م)[٢] :

ولكن فانديه يضع اسم الملك السابق : كخليفة لبادى باست[٣] وجاء ذكر اسمه على اللوحة التى أقامها حاربسون فى السرابيوم [٤] . وقد حكم هذا الملك حوالى ستة أعوام ولا نعلم عن حكمه الشيء الكثير . وجاء ذكر اسمه أيضا على بعض الجعارين [٥] وعلى نقش يبين مقياس ارتفاع مياه النيل فى العام السادس من حكمه .

---

(١) Kitchen, op. cit., p. 467 ؛ وعن هذا الملك ، راجع : Helck, LA 111, p. 214 – 215 .

(٢) وعن هذا الملك ، راجع : Bierbrier, LA V, p. 586

(٣) وعن السرابيوم بوجه عام ، راجع : Vercoutter, LA , p. 868 – 87
Drioton – Vandier, L'Egypte (éd. 1952), p. 507, 511

(٤) Gauthier, LR III, p. 373 – 374 .

(٥) Id., op. cit., III, p. 375 (x) .

وسر ماعت رع – ستب إن آمون – اوسركون الثـــالث [١] واحيانـــا ســـا- إيـــزه (٧٥٧ – ٧٤٨ ق. م) [٢] :

توفي ششنق الرابع في عام ٧٦٣ ق. م. وتولى من بعده اوسركون الثـالث ، الذى ربما كان ابنا لايوبوت الذى ذكرناه ، وهو نفسه اوســـركون الثـــالث الـــذى لا نعرف على وجه التحديد هل من الأفضل وضعه بين ملوك الأسرة الثانية والعشـــرين أو الأسرة الثالثة والعشرين ؟[٣] وفى نهاية حكم بادى باست كان كبير كهنة آمون فـــى طيبة يسمى تاكيلوت ، والذى قد يكون أخا لاوسركون هذا ، وفى أثناء هـــذا الحكـــم الجديد ، تولى ثلاثة أبناء لهذا الملك وظيفة كبير الكهنة بالتوالى ، مما يدل علـــى أن اوسركون كان يتمتع بنفوذ كبير فى طيبة .

وقد فكر اوسركون بمنح إحدى بناته كزوجة مقدسة إلى آمون طيبة ، وهـــى محاولة لجعل قوة الملكية مرتبطة بقوة معبود طيبة ، وقـــد خلـــف ابنـــة اوســـركون الثالث – شوب ان اوبت الأولى – سلسلة عديدة من العابدات المقدسات اللاتى لعبـــن دورا هاما فى السياسة أكثر فاعلية من دورهن فى الحياة الدينيـــة .[٤] وقـــام لكـــلان Leclant ببحث الروابط بين العابدة المقدسة والمعبودة تفنوت .[٥]

---

(١) أحيانا يضاف إلى اسم اوسركون الثالث : سا ايزه ، راجع :
Id., op. cit., III, p. 382 – 386 .

(٢) وعن هذا الملك ، راجع : Bierbrier, LA IV, p. 635

(٣) يضعه جوتيه فى الأسرة الثانية والعشرين ، راجع : Id., op. cit., III, p. 383 ؛ وفى الواقع أن جيمس لا يذكر سوى ملكيـــن فـــى الأســـرة الثالثـــة والعشرين وهما : بادى باست واوسركون الثالث ، راجع : James, An Introduction to Ancient Egypte, p. 265 .

(٤) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 102 .

(٥) Leclant, MDIAK 15 (1957), p. 166- 167; Verhoeven, LA VI, p. 296 – 304 .

وهناك نقش هام مؤرخ من هذا الحكم يقص علينا أن معبـد الأقصـر قـد تعرض للغرق بمياه فيضان النيل الذى جاء مرتفعا جدا حتى أن المنطقة أصبحت مثل البركة ، وتسبب عن ذلك أضرارا بالغة ، وأجرى الملـك بعـض الترميمـات فـى المعبد . وقد اضطروا إلى إخراج تمثال المعبود آمـون رع علـى أمـل أن يخفـف المعبود حدة الأزمة ويظهر معجزاته .(١) وكان المعبد عرضة دائمـا للغـرق بميـاه فيضان النيل فى العصور التى تعاقبت ولكن مجرى النيل اصبح الآن أكثر اتساعا عن ذى قبل ولم يعد يمثل أية خطورة .

الموقف الداخلى فى مصر وقيام مملكة نباتا فى الجنوب وحملة بعنخى على مصر :

كانت البلاد فى حالة من التفكك والانهيار الشديد وكان الأمـراء المحليـون لمختلف الأقاليم يعدون أنفسهم ملوكا مستقلين ، حتى أنه فى العام التاسع أو العاشـر من حكم اوسركون الثالث ، كان هناك فى مصر الكثير من الرؤساء . وكانت الدلتـا ومصر الوسطى فى أيدى هؤلاء الرؤساء ، وكان الوضع كالآتى كما بينه- يويـوت – فى دراسة له (٢) كان نمرود يحكم فى هرموبوليس ، ويـن نـف دى باسـت فـى هيراقليوبوليس ، واوسركون الرابع (؟) من سلالة بادى باسـت فـى بوباسـت ، وايوبوت فى ليونتوبوليس ، وكان بعض منهم يحمل لقب أمير ، وبتى ايزه (او ايسه)

(١) يوجد هذا النقش فى الركن الشمالى الغربى لبهو الأعمدة فى معبد اوسركون الثانى ، راجع : Darssy, RT 18 (1896), p. 181 – 184; Vandier, La Famine, Le Caire (1936), p. 123; Breasted, AR 1V (743) et p. 369.
يعتقد بعض العلماء ان ذلك الحدث وقع فى عصر الملك اوسركون الثـانى ، راجع : Legrain, RT 28 (1906), p. 154; Daressy, ASAE 26 (1926), p. 7 n. (3); Id., RT 18 (1896), p. 108 .

(٢) Yoyotte, Melanges Maspero, Fasc, 4, p. 120 - 159؛ وأيضـا : د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ١٨٨ ، ٨٨٦ .

فى اتريب ، وكان هناك أيضا أربعة حكام يحملون لقب " رؤساء الما " وهم أمـــراء : مندس وسبتنيتوس وبوزوريس ، وبيزبتيس وفى وسط الدلتا كانت اسرات بوزوريــس ومندس من أقوى العائلات .

أما فى الغرب فكان حاكم سايس – تف نحت – يحمل لقب " الرئيس العظيـم للغرب " . وكان هناك " رئيس الما " فى بيس ابتى (صفط الحنة حاليا) .[١]

أما فى بلاد النوبة العليا (كوش) ، فقد تطورت الأمور فى نباتا خلال هـذه الفترة خاصة بالقرب من الجبل المقدس[٢] ، أى جبل برقل ، فقد تكونت مملكة متحـدة قوية واعتنق ملوكها الديانة المصرية ، التى انتشرت بقوة فى بلادهم ، وقد شيدوا فـى سفح الجبل المقدس معبدا للمعبود آمون زين على الطريقة المصرية وكانت المنــاظر التى تزين الجدران لا تختلف فى شىء عن المناظر فى المعابد المصرية .[٣]

كان هناك ملك يدعى وسرماعت رع – بعنخى وكان ابنـــا للملـك كاشـــتا ويحكم جزءا كبيرا من المنطقة الجنوبية متخذا عاصمته فى نباتا التى تبعد كثيرا عــن الجندل الثالث .[٤] ولكن لم يكن من أصل زنجى[٥] ، ولكن ربما من ســلالة بعـض الأمراء المصريين أو نواب الملك حكام كوش فى الوقت الذى كانت فيه النوبة السفلى جزءا من الممتلكات المصرية .

---

(١) Yoyotte, op. cit., p. 130 .

(٢) Leclant, Sur la Nubie Ancienne, quelques publications recentes (extrait Revue Historique no. 489 (1969), p. 163 – 178, Bietak, Ausgrabungen in Sayala – Nubien 1961 – 1965, Denkmaler der c, Gruppe, Wien (1966), p. 5؛

وأيضا : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق، ص ٢٦٥ .

(٣) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 102.

(٤) Wenig, LA 1V, p. 342 – 343 .

(٥) عن هذا الملك ، راجع : Leclant, LA 1V, p. 1045 – 1052

وهذا الاسم لا يدل بالضرورة على أنه من أصل مصرى ، فمنذ قرنين نجد أن العناصر المصرية التى هاجرت واستقرت فى بلاد النوبة قد اندمجت بالتأكيد مع سكان النوبة السفلى ، ومن الجائز أيضا أن بعض كهنة طيبة قد هاجروا إلى بلاد النوبة ومارسوا نشاطهم عندما تولى شيشنق الأول السلطة .

وهكذا كان يحكم بعنخى – شعبا من اصل نوبى نقى – ولهذا أطلق على هذه الأسرة التى أسسها بعنخى اسم " الأسرة الكوشية " .[١] وهو وأن كان لا يدين بأى شىء على الإطلاق لمصر فنجد أنه قد طبق فى بلاطه كل نظم الحكم والإدارة المصرية واعتنق الديانة المصرية وكان هو وبعض أمرائه يتحدثون اللغة المصرية .

واتخذ لنفسه الألقاب المصرية مثل الملوك مثل لقب " ملك مصر العليا والوجه البحرى ، الاسم الحورى ، ابن رع " .[٢] وكان يحمل التاج الأبيض للوجه القبلى والتاج الأحمر للوجه البحرى ، وكان يتعبد إلى ثالوث طيبة وكان يعد أمون رع ملك المعبودات كلها وقد زين مدنه بالمعابد على طراز المعابد المصرية . وكانت جدرانها مزينة بالنقوش ، وكان بعنخى على درجة كبيرة من الثقافة ، وكان جيشه يماثل الجيش المصرى فى فترات عصر الدولة الحديثة وكان بين قواته ، بعض القوات الزنجية ، وقد أثرى نتيجة لاستغلاله مناجم الذهب فى الصحراء الجنوبية الشرقية ، وبفضل تجارته مع مصر التى جلبت عليه الرخاء الكبير وطبعت حياة مجتمعه بالطابع المصرى ، وقد قص علينا الأحداث التى وقعت فى نص رسمى عثر

---

(١) Yoyotte, Histoire Universelle I, p. 231 ؛ وأيضا : د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ص ٢٦٥ ؛ د. محمد بكر : تاريخ السودان القديم ، ص١٩٧١ ، ص ١١٠ – ١٣٧ .

(٢) يرى البعض ان الاسم ينطق " بى " وليس بعنخى ، على اعتبار ان علامة عنخ التى كتبت بجوار الاسم هى مجرد إضافة وضعت للتمنى بدوام الحياة لصاحب الاسم ، راجع : د. محمد بكر : تاريخ السودان القديم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، طبعة ١٩٨٤ ، ص ١١٦ .

عليه فى نباتا ، بأسلوب واضح . فبعد أن حكم بعنخى لمدة تقرب من العشرين عاما ، بدأ يتدخل فى شئون مصر ، وكانت الظروف متاحة له لكى يوسع نفوذه ولكى يظهر بمظهر المنقذ لطيبة التى كانت بالنسبة له – المدينة المقدسة للمعبود الكبير آمون رع – ولم ينشغل بعنخى كثيرا بأمر الملك الحاكم – اوسركون الثالث – وكان يرغب فى حماية طيبة ومعابدها المقدسة وكذلك كهنة آمون رع من الاضطرابات التى سببها لهم ملوك الدلتا الصغار لذلك كان الأمر بالنسبة له ، واجبا دينيا .

وفى تلك الأثناء نجح تف نخت حاكم مدينة سايس فى إخضاع مختلف أقاليم قرب الدلتا واكتفى باعتراف أقرانه الأمراء له كحاكم على المناطق التى أخضعها وأصبح سيدا على معظم أجزاء الدلتا وبدأ فى غزو مصر الوسطى وأراد الصمود فى وجه قوات بعنخى وتوحيد قوى المصريين (١) ، وجمع من حوله كل الأمراء والحكام ، وقد زاده قوة ، التحالف الذى عقده مع نمرود أمير هرموبوليس .(٢)

كان بعنخى يقيم فى نباتا عندما تقدم تف نخت إلى مصر الوسطى ، وتبدأ رواية الأحداث بوصول رسل جاءوا من طيبة إلى نباتا ربما كان ذلك فى حوالى عام ٧٤٨ ق. م . – أى فى السنة العاشرة من حكم اوسركون الثالث – وقد أبلغ هؤلاء الرسل بعنخى ان تف نخت ، قد أعلن نفسه حاكما على سايس فى غرب الدلتا ، وأنه استولى على منف ، وتقدم نحو الجنوب وحاصر مدينة هيراقليوبوليس ، الموطن الأصلى للعائلة الملكية فى الأسرة الثانية والعشرين ، وعندما علم بعنخى بهذا النبأ لم يجد أمامه سوى الضحك والسخرية ، وبعد قليل جاء رسل ومبعوث عن الأمراء والضباط العسكرين فى طيبة ، ليخبروه أن غزوات تف نخت قد امتدت ثلاثمائة كيلو متر إلى الجنوب من منف ، وأنه تحالف مع نمرود حاكم هرموبوليس .

---

(١) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٨٨٦ .

(٢) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 103 – 104؛ وأيضا : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٦٦ – ٢٦٧ .

ويبدو أن أمير سايس ، قد بدأ فى إعادة توحيد البلاد من حوله ، ويبدو أنــه نجح على الأرجح فى مهمته هذه عن طريق الاقتناع عوضا عن الغزو المفاجئ ، وقد اعترفت بسلطته الأسرات المحلية . ونظير هذا الاعتراف – تركــهم فــى وظائفــهم كموالين له ، وعندما نجح تف نخت على هذا النحو فى توحيد بعض أجــزاء الوجــه البحرى ، تغلغل فى مصر الوسطى حيث تقابل مع جيش بعنخى الــذى رحــل مــن الجنوب . وعندما جاء مبعوث طيبة إلى بعنخى ، أرسل بدوره مبعوثا آخر إلى قــواد طيبة يطلب منهم إعلان حالة الحرب ، واستدعاء الكثير من الرجال لكى يكونوا علــى أهبة الاستعداد حتى وصول جيش . وقد أعد بنفسه جيشه على وجه السرعة وخــاطب قواده لحظة الرحيل قائلا : " لا تتلكئوا بالليل أو النهار ، كما لو كان الأمر نوعا مــن النزهة ، ولكن حاربوا من أجل الهدف ، وافرضوا على العدو القتال مــن بعيــد " . لأنكم لا تعرفون أن آمون هو الذى أرسلكم ، وعندما تصلون إلى طيبة أمــام معبــد الكرنك ، اغتسلوا فى النهر المقدس ، وضعوا الملابس النظيفــة وارخــوا أقواســكم واركعوا على الأرض أمامه قائلين : " أرشدنا الطريــق لكــى نحــارب فــى ظــل سيفك " .(١)

ونزل جيش بعنخى النيل فوق أسطول ضخم ، ووصل إلى طيبة ، وبعــد أن تلقى بركة آمون تابع طريقه في النيل وعن قريب سوف يقابل أسطول تف نخت الذى كان يصعد النيل تجاه طيبة ، واندفعت قوات بعنخى حتى هيراقليوبوليس حيث يوجــد تف نخت على رأس جيش متحالف مكون من الأمراء نمرود أمــير هرموبوليــس ، وايوبوت من ليونتوبوليس واوسركون من بوباست ، ومن الجائز أنه كان يمت بصلــة لاوسركون الثالث ، والأمير ششنق من بوزوريس ، والأمير جد آمون اوف عنخ مــن مندس ، وآخرين انضموا إليهم .

---

(١) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 201 – 202.

وأيضا : د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٠٧ – ٤٠٩ .

وكان القتال برا وبحرا ، وتلقى المتحالفون من الشمال أول هزيمة لهم في منطقة بحر يوسف ، واضطر تف نخت وحلفاؤه للانسحاب إلى الدلتا ، فيما عدا نمرود الذى هرب نحو مدينة هرموبوليس ، وعندما وصل بعنخى إلى هذا الحد ترددوا ورأوا أنه من الأفضل لهم العودة نحو الجنوب ، وعندما وردت هذه الأنباء إلى بعنخى فى نباتا ، أظهر نوعا من الضيق لأن جيشه لم يواصل انتصاراته وطارد الحلفاء وغزا الدلتا ، وعلى الرغم من أنه كان من ذلك الوقت متقدما فى السن ، إلا أنه قرر على التو الذهاب بنفسه إلى مصر وصاح قائلا :

" بحق حب أبى آمون لى ، فأننى سأذهب بنفسى إلى مصر ، وأجعل الدلتا تشعر بمذاق أصابعى ".[١] وعندما وصل بعنخى أمام هرموبوليس وذلك فى العام العشرين من حكمه، خرج من مقصورة مركبته ، وصعد على مركبة حربية ثائرا كالفهد وصاح فى جنوده : " هل من واجبكم كجنود أن تهملوا شئونى ، يجب إنزال الضربة النهائية بالعدو ". وأقام بعد ذلك معسكره بالقرب من هرموبوليس وبعد عدة أسابيع : " أصابت المدينة العدوى ، وخرج كبارها وسجدوا على وجوههم أمام الملك ، وطلبوا منه العفو ، وأحضروا له الهدايا من الذهب والأحجار الكريمة وصناديق مملوءة بالملابس وأيضا التاج الذى كان يحمله نمرود على رأسه . ثم أرسلوا زوجة نمرود وابنه لكى يلتمسا منه العفو ، وأخيرا رضى بعنخى بإصدار عفو عام ، وخاطب نمرود قائلا : " من أضلك ، من أضلك حقا لكى تعرض حياتك للهلاك فى محاربتك لى ، أننى أرغب فقط فى أن ينحنى أمامى شعب مصر العليا ، وأن يقبل شعب الوجه البحرى حمايتى ".[٢]

وكان بعنخى قد استولى على البهنسا وطهنا قبل وصوله إلى أسوار هرموبوليس وعمل نمرود على المقاومة ، ولكنه استسلم فى النهاية ، وعفا عنه بعنخى وسلم كل خزائنه إلى معبد الكرنك ، وبعد ذلك دخل بعنخى المدينة ، وقام

---

(١) Weigall, op. cit., p. 202 .

(٢) Id., op. cit., p. 202 .

بتأدية الطقوس الدينية فى معبد المعبود تحوتى – المعبود المحلى – وبعد ذلك توجه إلى قصر نمرود ، ولفت نظره عدد نساء الحريم ، وطلب أن يرى اصطبل الخيل ، فقد كان يهتم كثيرا بالخيل ولكن عندما رأى أن الخيول تتألم قال : " بحق حب المعبود لى ، أقسم أننى أشعر بألم شديد أمام هذه الخيول الجائعة أكثر من كل الأخطاء التى ارتكبها ضدى نمرود " .

واتجه بعد ذلك إلى اللاهون – المركز الإدارى القديم لملوك الأسرة الثانية عشرة – التى أوصدت أبوابها عند اقترابه منها وقد أرسل رسولا إلى الحامية ، الذى قال لهم : " أيتها المخلوقات الغبية ، البائسة أتبحثون عن هلاككم ، فإذا مضت ساعة ولم تفتحوا لى هذه الأبواب ، فستصبحون فى عداد الموتى ، وهذا ما سوف يؤلمنى " .(١)

وبناء على ذلك استسلمت المدينة ، ولم يقتل أحد ، واستولى على الخزائن التى خصصها أيضا لمعبد آمون بالكرنك . وقد حضر إلى بعنخى بعض الأمراء لتقديم فروض الطاعة ، منهم أمير هيراقليوبوليس بف تف دى باست ولم يمتنع إلا أمراء الفيوم وأطفيح ، وأخيرا وصل بعنخى أمام مدينة منف حيث كان يتولى القيادة فيها تف نخت . وأرسل إنذارا إلى المدينة التى امتنعت عن الاستسلام ، وقاومت الحامية بشدة ، ولكن المدينة تعرضت لهجوم كبير وتبع ذلك قتال عنيف ، وكان تف نخت قد فر ليلا بدعوى أنه ذاهب للبحث عن قوات مساعدة ، ولما وصل بعنخى منف فى الصباح وجدها محصنة بالمياه ولكنه استطاع أن يدخلها ، وتم تحقيق السيطرة فى النهاية . ثم اشترك بعنخى فى الطقوس الدينية فى معبد المعبود بتاح ، وأعاد الكهنة إلى مناصبهم ، وطهر المدينة من مظاهر الحرب ، وقسم الخزينة بنصيب متساو بين المعبودات المحلية والمعبود آمون رع فى الكرنك .

واستسلم الأمير ايوبوت وبعض الأمراء الآخرين ، ثم اتجه بعد ذلك إلى هليوبوليس حيث قام بالتطهير فى البحيرة المقدسة ، غامرا وجهه فى الماء المقدس

---

(١) Weigall, op. cit., p. 203.

وقام بنحر الأضاحى المعتادة إلى المعبود رع ، ثم دخل وحده قدس الأقداس حيث اعترف به كهنة المعبود رع ملكا . وبعد ذلك خضع له الأمير اوسركون من بوباست ، وبعدها تقدم إلى اتريب ، على بعد قريب من رأس الدلتا واستسلم أميرها بتى إيسه الذى كان يحكم هناك ، ووهب كل خزائنه لبعنخى ودعاه لزيارة الإصطبلات وأن ينتقى الخيول التى تحوز إعجابه ، وحاولت مدينة – مسد – أن تثور عليه وذلك بواعز من تف نخت .

كان تف نخت قد لجأ إلى مستنقعات الدلتا ، وبعد مرور عدة أيام تلقى بعنخى رسالة منه قائلا : " اننى لا أستطيع أن أقاومك فترة أطول من ذلك ، إننى فقير بائس ويتخلل الخوف عظامى ، إننى لم أستطع أن أمكث فى مكان لأرتوى ، ولم أستمع إلى الموسيقى ، إننى جائع وظمآن ، عظامى تؤلمنى ، رأسى عارية ، وملابسى رثة " . ويبدو أن هذا الكلام به شيء من المبالغة لأنه جاء فى نص أمر بكتابته بعنخى .

عند ذلك عفا عنه بعنخى ، وبناء على ذلك أعلن كل أمراء الوجه البحرى خضوعهم وأحضروا الجزية وقدموا فروض الطاعة والولاء للملك المنتصر ، فيما عدا اثنين أو ثلاثة لم يستسلموا وعدهم بعنخى من الخارجين على طاعته ، وبذلك اصبح بعنخى سيدا للبلاد كلها من البحر المتوسط حتى الجندل الرابع ، وعندئذ أمر بعنخى بنقش لوحة فى معبد نباتا لكى يخلد ذكرى هذه الانتصارات العسكرية . وهى بالنسبة تعد تصورا هاما للمعلومات التاريخية والمواقع والمدن فى مصر فى تلك الفترة .[١]

---

(١) توجد الآن بالمتحف المصرى تحت رقم JE . 48862 وقد عثر عليها فى جبل برقل عام ١٨٦٢ ، راجع: Grimal, la Stèle Triomphale de: Pi- (Cankh) – y, (1978), p. 24, Drioton – Vandier, L'Egypte (éd. 1952), p. 537 (III); Breasted, ARIV (796-883) et p. 406 n. (9); Schafer, Urk I, p. 1 – 56; Gauthier, LRIII, p. 400 et. 1. 1V, p. 2 (1)

وأيضا : وولتر امرى : مصر وبلاد النوبة (ترجمة د. تحفة حندوسة) ص ٢١٨ – ٢٢٩ .

كان بعنخى تقيا ومحاربا قويا ، ولكنه لم يكن سياسيا فقد ترك الفوضى تنتشر كما هى الحال فى العهود السابقة وفجأة عاد إلى عاصمته البعيدة نباتا ، ولم يكن من السهل عليه مراقبة البلاد بحزم وحكمة .[١] وعلى الرغم من رحيل بعنخى عن مصر ، إلا أن الشعب لم يتردد على الإطلاق فى منحه الألقاب الملكية المختلفة .

وقد دفن بعنخى فى كورو فى أول هرم حقيقى لمجموعة من المقابر من هذا الطراز . ويبدو أنه عندما مر بعنخى بطيبة عام ٧٣٦ ق. م. أرغم العابدة المقدسة لآمون ابنة اوسركون الثالث – شوب إن اوبت الأولى[٢] – ان تتبنى أختـه – أمـن أردس الأولى [٣] – كعابدة مقدسة وبعد ذلك بقليل شغلت ابنة بعنخى التى كانت تدعى شوب ان اوبت الثانية الوظيفة نفسها .

أما عن بقية ملوك الأسرة ، فنعلم أنه ثبت اوسركون الثالث على عرش مصر ، وتوفي اوسركون الثالث فى عام ٧٤٨ ق. م. بعد أن حكم تسعة أعوام أو عشرة وطبعا للنقوش التى تركها فى الكرنك والتى يتحدث فيها عن أعماله التى حققها فى طيبة فى العام الخامس والثامن والعاشر من حكمه [٤] ، ويفهم منها أيضا أنه على الرغم من إهماله من قبل بعنخى فإن سلطته الرسمية لم تتعرض للانهيار وأن ظلت سلطته الفعلية غير موجودة أو غير ممارسة .

أما عن الملوك الأواخر للأسرة فنعرف منهم :

- **وسرماعت رع – ستب إن آمون – تاكيلوت الثالث** (سا ايزه)[٥]

---

(١) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 103.
وأيضا : د. محمد بكر : تاريخ السودان القديم ص ١١٠ .

(٢) عن هذه الشخصية ، راجع : Graefe, LA V, p. 581

(٣) عن هذه الشخصية ، راجع : Leclant, LA I, p. 196-199

(٤) Gauthier, LRIII, p. 383 – 384 .

(٥) Id., op. cit., III, p. 387 – 390 .

- **وسرماعت رع – ستب إن آمون – آمون رود (مرى آمون)**[١]

- **ستب إن آمون – ايويوت الثانى** [٢]

ويذكر كيتشن فى نهاية الأسرة كلا من : ايويوت الثانى ولا نعرف الجـزء الأول من اسمه ويذكر أيضا واس نثر رع – سـتب ان رع – ششـنق السـادس ، ويشك فى وجود هذا الأخير .[٣]

وقد حكم هؤلاء الملوك ثمانية عشر عاما من ٧٤٨ – ٧٣٠ ق. م. (طبقـا لفاندية)[٤] ، ولا نعلم عنهم الشىء الكثير ؛ فتاكيلوت الثالث ربما كان كبيرا للكهنـة قبل أن يتولى الحكم .[٥] أما خليفته آمون رود فكان أحد أبناء اوسركون الثالث، وجاء

---

(١) Gauthier, LRIII, p. 392 .

(٢) يذكر جوتيه ان آخر ملك هذه الأسرة هو عا خبر رع – ستب ان آمـون – اوسركون الرابع ، راجع : Gauthier, op. cit., 111, p. 399 – 400 .
بينما يذكر فون بكرات فى قائمة لملوك هذه الأسرة ان آخر ملك هو ايويوت الثانى ، راجع : Von Beckerath, LA 111, p. 554 (7)

يضع كيتشن الملك اوسركون الرابع كآخر ملوك الأسرة الثانية والعشـرين ، راجع : Kitchen, The Third Intermediate Period, p. 467؛
بينما لا يذكر لنا بيربرية سوى ثلاثة ملوك تسموا باسم اوسركون ، راجع : LA 1V, p. 635 .

(٣) Id., op. cit., III, p. 467 .

(٤) Drioton – Vandier, L'Egypte (éd. 1952), p. 601 .

(٥) يذكر بيربريه ان تاكيلوت الثالث كان ابنا لاوسركون الثالث وتنت ساى وأنه حكم مع أبيه فى معبد اوزير حقا جدت فى الكرنك ، راجـع : Bierbrier, LA V1, p. 186 .

بعد ذلك ايوبوت الثانى (؟) الذى حكم فى بوباست أثناء حملة بعنخى على الدلتـــا ، وقد أقام الملوك الثلاثة مقصورة فى الكرنك عليها أسماؤهم وقد انتهى من تشييدها فى عصر الأسرة الخامسة والعشرين .(١)

الأسرة الرابعة والعشرون (٧٣٠ – ٧١١ ق.م) :

تتكون الأسرة الرابعة والعشرون من ملكين فقط هما : تف نخـت ، باك ان رن إف – وقد حكمت هذه الأسرة فى غرب الدلتا فى سايس ، على حين حكم بعنخـى من الأسرة الخامسة والعشرين فى الجنوب فى كوش ، ويعتقد أن نفوذه أمتـد حتـى منف . ونعرف تفاصيل الصراع الذى حدث بين الشـمال والجنـوب عـن طريـق المصدر نفسه – لوحة بعنخى – التى تعطينا صورة لما دار مـن أحـداث ، وهـذا المصدر غير واقعى لأنه لا يقص الأحداث إلا من جانب واحد ، لأن بعنخى يدعـى فى هذا النص أنه قضى تماماً على تف نخت وغزا مصر كلها ، حتى حـدود الدلتـا الشمالية ، ومن المحتمل جدا أنه طرد تف نخت وأتباعه من مصـر الوسـطى كمـا استولى على منف ، ومن المشكوك فيه أنه استولى على مناطق أبعد من ذلك فنجد فى الواقع أنه بعد انتصاره المزعوم ، ترك مصر فجأة ووصل إلى عاصمته نباتا ، وهـو أمر غريب للغاية ، وبالإضافة إلى ذلك فلدينا ما يثبت أن تف نخت ظل سـيدا فـى الدلتا لعدة سنوات بعد الغزو الأثيوبى لها ، وأنه كون الأسرة الرابعة والعشرين فـى الدلتا وليس كما ذكر مانيتون أن مؤسس الأسـرة هـو بـاك ان رن رف . وكـانت الأسرتان الرابعة والعشرون والخامسة والعشرون متعاصرتين ، ولكن وحدة البلاد لـم تكن قائمة بالقدر الكافى .

---

(١) Id., op. cit., III, p. 537; Gauthier, op. cit., III, p. 392 (II) .

شبسس رع – تف نخت (٧٢٤ – ٧١٦ ق. م) [١] :

لم يذكر مانيتون شيئا ما عن تف نخت ، وكل ما نعرفه عنه فى البداية أنـــه كان أميرا لمدينة سايس فى غرب الدلتا وأنه نجح فى تجميع أغلب أمراء الدلتا حولـــه أثناء غزو بعنخي لمصر ، وأنه حاول الوقوف أمامه ولكنه فشل . والأثر الأول الـذى تركه لنا تف نخت وذكر عليه كملك هو لوحة محفوظة الآن فى متحف أثينـــا . وقـــد قمنا بدراسة هذه اللوحة فى رسالتنا عن مدينة سايس .[٢] ولا تمدنا هذه اللوحة بأيـــة معلومات تاريخية سوى أن تف نخت قد خصص وقفا من الأراضى لصــــالح معبـد المعبودة نيت معبودة سايس وحامية الأسرة . وعليها نرى تف نخت مصـــورا فـــى المنظر الذى يعلو النص ويحمل الألقاب الملكية ويقوم بتقديـــم علامـــة الحقـــل إلـــى المعبودة نيت معبودة سايس وإلى المعبود أتوم ، والنص كالآتى :

" فى السنة الثامنة ، تحت حكم ملك مصر العليا والوجــه البحـــرى ، ســـيد الأرضين ، حورس سياخت[٣] ، ملك مصر العليا والوجه البحرى ، المنتســـب إلـــى المعبودتين ، المبجل ، حورس الذهبى ، شبسس رع ، ابن رع من صلبه ، محبوبــه ، المولود من نيت ، الأم المقدسة ، تف نخت . (فى) يوم عيد ، صدر مرسوم ملكـــى فى مدينة معبد رمسيس التى (تقع) على فرع النيل ، لإعطاء أرض مـــن ١٠ أرورة

---

(١) عن هذا الملك ، راجع : Spalinger, LA VI, p. 295 – 296

(٢) R. el Sayed, Documents Relatifs `a Sais (BdE 69) (1975), p. 44 – 45, pl. VII ؛ وأيضا د. أحمد فخرى : مصر الفرعونيـــة ، ص ٤١٠ حاشية (١) ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع الســـابق ، ص ٢٦٨ – ٢٦٩ .

(٣) هذه هى القراءة الصحيحة لهذا اللقب وليس سيا ايب كما ورد فى كتابنـــا : R. el Sayed, op. cit., p. 44 .

لمعبد المعبودة نيت سيدة سايس ، على عاتق حارس أبواب معبد نيت ايرإف عـــانيت ابن رئيس حراس بوابة نيت ، سيدة سايس ، ايرى ... " . أما عن الأثر الثانى فــهو عبارة عن لوحة فى مجموعة خاصة (١) ، ليس عليها ذكر لسنة الحكم ، ولكنها تذكـر هبة منحها الملك :

" حورس ، سياخت(٢) ، ملك مصر العليا والوجه البحرى ، شبســس رع ، ابن رع ، تف نخت ، بن نيت ، إلى المعبود حورس وواجيت " .

واح كارع – باك إن رن إف (٧١٦ – ٧١١ ق. م)(٣) :

ذكر مانيتون – عن خطأ – أنه مؤسس الأسرة ، حكم حوالى ســتة أعـوام وكان رجل قانون ومشرعا وصاحب حكم يقتدى بها . وقد نسب إليه ديودور الصقلـى مجموعة من الإصلاحات الاجتماعية والقضائيـــة الهامـــة التـــى وجـد لـــها رفيـو Revillout إشارات فى الوثائق الديموطيقية (٤) ولا نعرف عن حكمـــه إلا الشـــىء القليل ، وعلى الرغم أن فترة حكمه على الدلتا كانت قصيرة ، فإن طيبة لم تعترف به كملك ، على الإطلاق ، وذكر اسمه على أحد لوحات السرابيوم التى سجلت دفن أحـد العجول المقدسة فى عامه السادس وهو آخر سنوات حكمه .(٥) ويرى بعض منهم أنه

---

(١) R. el Sayed, op. cit., p. 35 – 53 pl x; dans Vestus Testamentum, Vol xx, I, leiden (1970), p. 118 .

(٢) هذه هى القراءة الصحيحة لهذا اللقب وليس سيا ايب كما ورد فى كتابنـــا : R. el Sayed, op. cit., p. 35 .

(٣) عن هذا الملك ، راجع : De Meulenaere, LA I, p. 846

(٤) Revillout, Notice des Papyrus Demotiques Archaiques, (1896), p. 213 – 218 .

(٥) Gauthier, LRIII, p. 410 – 411; Moret, De Bocchori Rege, p. 7, Petrie, History III, p. 316; Breasted, AR 1V & 884; Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 205 .

قد أشعل ثورة فى فلسطين ضد الآشوريين وأنه ساعد على هذا التمرد بواسطة إرسال قوة مصرية ، ولكنها هزمت على الفور بواسطة الجيش الآشورى .[(١)] ويرى دوما Daumas أن – باك إن رن إف – قد أرسل إلى الملك سرجون الثانى ملك آشور الهدايا لأن آشور بدأت تهدد مصر بعد استيلائها على السامرا . ولكنه لم يستطع القيام بهجوم مضاد لأنه كان مهددا من القبائل الزنجية فى الجنوب .[(٢)] ويرى د. عبد الحميد زايد أن الذى أرسل الهدايا إلى سرجون الثانى هو شاباكا .[(٣)]

فى خلال هذه الفترة ، دعى الأمير شاباكا إلى نباتا فيما يبدو بسبب وفاة جده الأكبر بعنخى ، وعند عودته إلى مصر فى عام ٧١٥ ق. م. وجد على عرشها باك إن رن إف فقرر فى هذه اللحظة أن الفرصة مواتية لكى يعلن نفسه ملكا ويوحد مصر ومملكة نباتا فى مملكة واحدة كبيرة ، ويبدو ان باك ان رن إف حاول التصدى لغزو شابا كا للدلتا ولكنه لقى حتفه ، ويعد ذلك هو الغزو الثانى لجيش نباتا لمصر ، ثم أصبحت البلاد كلها خاضعة تحت لواء حكمه .

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤١١ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٦٨ .

(٢) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 103.

(٣) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٤٩٤ .

الفصل السابع

الأسرة الخامسة والعشرون وأعمال ملوكها
(٧٤٨ – ٦٦٤ ق. م)[١]

عصر المحنة والغزو الآشوري للبلاد ثلاث مرات

وسرماعت رع – سنفرورع – بعنخي (أوبي) (٧٤٨ – ٧١٢ ق. م) [٢] :

يعد مؤسس الفرع الرئيسي للأسرة الخامسة والعشرين في مصر والتي امتد سلطانها حتى منف ، وذلك بعد هزيمة تف نخت وهروبه إلى مستنقعات الدلتا ، ولا نعرف حتى الآن السبب في عودة بعنخي المفاجئة إلى نباتا ، وحكم بعنخي على عرش نباتا ومصر حوالي خمسة وثلاثين عاما .[٣]

---

(١) يعطي فون بكرات كتاريخ لهذه الأسرة ٧١٤ أو ٧١١ إلى ٦٥٦ أو ٦٥٥ ق. م ، راجع : LA I, p. 970

(٢) عن هذا الملك ، راجع : Leclant, LA V, p. 1045 – 1052

(٣) Yoyotte, Biblica 37 (1956), p. 457 – 476

وطبقا للدراسة التي قام بها جريمال للوحة بعنخي : Grimal, la Stele Triomphale de Pi (ankh) y, IFAO CV (1981), p. 224 – 226 (B) . ؛ نجد أنه ناقش تاريخ بدء عمليات بعنخي الحربية في مصر ، فهو يذكر أنها بدأت عام ٧٣٦ ق. م . وأنها استمرت من ثلاث إلى أربع سنوات أي حتى عام ٧٣٢ ثم عاد بعدها إلى نباتا . فإذا كان قد تولى الحكم في نباتا عام ٧٤٨ وبعدها باثنى عشر عاما دخل مصر واستمر بها لمدة أربع سنوات وغادرها عام ٧٣٢ وحكم في نباتا بعد هذه الأحداث لمدة عشرين عاما أي حتى عام ٧١٢ ق. م. يصبح عدد سنوات حكمه خمسة أو ===

وعثر على اسمه على كتل صغيرة فى معبد المعبودة موت بالكرنك وعلى تمثال من البرونز للمعبودة باستت .[١]

نفركارع – واح ايب رع – شاباكا (٧١٢ – ٦٩٨ ق. م)[٢] :

فى عام ٧١٢ ق. م. تولى شاباكا عرش البلاد ، وحكم فى طيبة وربما امتد نفوذه حتى منف ، وكانت الأمور أثناء حكمه مستقرة فى مصر العليا ، فقد أصبح حكام نباتا من عبدة آمون المخلصين ، وجعلوا عاصمتهم فى نباتا ، المركز الثانى لعبادة آمون رع . وقد أغدق – بعنخى – كل الثروات التى استولى عليها من الأمراء المحليين ومن حكام الشمال ، على خزائن معبد الكرنك ، وكان شاباكا معروفا بورعه وكان يذهب لتأدية كل واجباته المقدسة فى حضرة معبود طيبة الكبير فى معبده الكبير فى الكرنك ، وأضاف من جانبه الكثير إلى خزائن معابده ، وإلى معابد المعبودات الأخرى التى كانت مكتظة من قبل بالذهب والفضة ، التى حرص الملوك السابقون على تخصيصها على التوالى ، ولا سيما الملك شِشنق الذى أغدق على معابد آمون الثروات والكنوز التى استولى عليها من معبد الملك سليمان فى القدس منذ قرنين مضيا .[٣]

ولم يكن شاباكا بالنسبة للطيبيين ، أجنبيا أو مجرد حاكم من نباتا نجح فى إخضاعهم ، ولكن كان يعد الابن المخلص لآمون ، وكل ما حدث أنه عاد إلى وطنه

=== ستة وثلاثين عاما كما ذكر يويوت فى مقاله . ولما كانت اللوحة مؤرخة بالعام الحادى والعشرين من حكمه (Grimal, op. cit., p. 8) فيبدو أنه أقامها عام ٧٢٧ ق. م. أى بعد عودته إلى نباتا وسجل عليها أنه " ملك مصر العليا والوجه البحرى " .

(١) Gauthier, LR IV, p. 2 n. (2) .

(٢) عن هذا الملك ، راجع : Leclant, LA V, p. 499 – 513

(٣) Gauthier, LR IV, p. 4 (VI – VIII) .

القديم طيبة ، وأصبحت حدود مصر ونباتا حدودا مشتركة ، كما كان الوضع فيما سبق إلى حد ما فى عصر الملوك الأقوياء عندما كانت حدود مصر تمتد حتى الجندل الرابع أو فيما وراءه .

ويبدو أن عائلة شاباكا كانت قد حضرت معه إلى مصر وكان هو نفسه مصريا قلبا وقالبا على الرغم من أنه كان يحمل فى دمه الأصل الزنجى ، ومنذ وقت بعيد كانت مصر تستعين بجنود من الزنوج فى جيشها ، ولم تكن القوات ورجال البلاط من الزنوج الذين يحيطون بشاباكا أمرا جديدا .

وفى كل المدن المصرية الهامة إلى الجنوب من طيبة حتى الفنتين عند الجندل الأول ، كانت تلك المنطقة فى كل العصور مجالا للتسللات بين المصريين والأجناس الزنجية الذين كانوا يستقرون بكثرة على ضفاف النيل ، وشعر سكان مصر العليا وخاصة الطيبيين ، أنهم قريبون من الجنس المسيطر على مصر ، لكن هذا الأمر كان مختلفا فى منف وفى الدلتا .

وكان مصريو الشمال يتمتعون حتى اليوم بالبشرة البيضاء ويجرى بعروقهم خليط من الدم الآسيوى والأفريقى والبحر المتوسط ، يعدون أنفسهم أفضل من سكان الجنوب أو على الأقل أفضل من أهالى نباتا ولهذا تحمل أهل الشمال سيطرة ملوك نباتا بنوع من الصبر والقلق والضيق لأنهم كانوا يدركون أن الدلتا كانت مهددة بغزو الآشوريين لها ، وقد زادت دوافع الغزو بسبب وجود جيش مصرى وأخر من نباتا متحدين معا تحت قيادة شاباكا وكانوا على علم بالثورات والاضطرابات التى حدثت فى فلسطين وسوريا ضد غزو الآشوريين ، وكانوا لا يجهلون أن مصيرا مماثلا كان فى انتظارهم إذا لم يتدخل جيش الجنوب لحمايتهم ، واستمروا فى الوقت نفسه فى حالة الولاء لذكرى تف تحت وابنه باك ان رن اف على الرغم أنهم كانوا يفضلون بطبيعة الحال ملكا من الشمال ، وكانت الخلافات تسود كل مكان فى الدلتا بين مختلف أسرات الأمراء المحليين ولكن الذى أوقفهم عن الصراع فيما بينهم هو

الخوف من اشور والهيبة التى كانت تفرضها حكومة شاباكا .[١]

وكان اسحاق رجل الدولة فى القدس ، يراقب بنوع من الاهتمام – الوضع العالمى – وكان يشعر بالاضطرابات التى تسود الوجه البحرى ، وقد ترك شاباكا نباتا نظرا للظروف الخارجية واستقر فى طيبة ، ومن هذه اللحظة بدأ يعمل على إعادة غزو الوجه البحرى والتى حاول غزوه بعنخى من قبل ، ويبدو أنه نجح فى هذه العملية ولكننا لا نملك أى تفاصيل عن هذا الغزو الذى قتل خلاله باك ان رن اف .

وتتميز فترة حكم شاباكا بالأعمال المعمارية الكبرى التى قام بإنجازها وخاصة فى معبد الكرنك ، الأقصر ، ومدينة هابو فى البر الغربى .[٢]

وإذا صدقنا الروايات فى العصور المتأخرة ، فقد كان شاباكا رجلا شديد التقوى ورعا حتى أنه كان يأبى عادة الحكم بالإعدام على المتهمين . وبعد أن أخضع الدلتا ، لم يظهر أى ميول للحرب ، ولكن فى عام ٧٠١ قرر أن يرسل حملة إلى فلسطين لكى يحد من تقدم الآشوريين ، ولم يقدها بنفسه بل أسند القيادة إلى ابن أخيه – طهرقا – الذى جاء إلى مصر منذ عام ٧١٤ ق. م. وكان شابا يبلغ من العمر حينذاك – العشرين ، ويسمى الكتاب المقدس طهرقا " تيرهاقا " ملك أثيوبيا ، (سفر الملوك ، الجزء الثانى ١٩ ، ٩) على الرغم من أنه لم يكن ملكا فى ذلك الوقت بل كان قائدا ، وقد أنذر الآشوريون اليهود بعدم الاعتماد على ملك مصر لأنه كان ضعيفا .[٣]

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٦٨ – ٢٦٩ .

(٢) Leclant, Recherches Sur les Monuments Thebains (BdE 36, le Caire 1965), p. 160 – 205; Gauthier, LRIV, p. 13 (1), 14 (VIII), 15 (IX – XII) .

(٣) طبقا للتعبير " بوصة محطمة " سفر الملوك الجزء الثانى : ١٨ ، (٢) ربما كان إشارة إلى اللقب الملكى نسوت (المنتسب إلى نبات السوت أى ملك مصر العليا) والذى كان يكتب بعلامة البوص أو الأثل أو الخيرزان ، راجع : د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤١٤ .

وبالفعل أعلن " اسحاق " فى يهوذا أنه لا يمكن الاعتماد على مساندة مصر وقرر ملك يهوذا - حزقيا - أن يهاجم اشور وقام بتكوين تحالف ضد ملـك اشـور سـنحاريب ولكن نجد أن هذا الأخير بعد أن وطد دعائم حكمه بحزم وقوة بعـد مـرور خمـس سنوات ، قرر أن يعاقب فلسطين ، وبدأ سنحاريب حملته لإخضـاع مـدن السـاحل الفينيقى ووصل حتى عسقلون وحدود مصر ، وتقدم المصريون للذود عن حدودهـم فأرسل سنحاريب فرقة من جيشه إلى القدس وقامت معركة فى التكـه - El-Tekeh وأوقف تقدم المصريين ، وقضى على الثوار فى فلسطين وحاصر حزقيا فى القـدس ولم يقض سنحاريب على القدس ولكنه أصابها بشيء من الدمار ، واضطر حزقيا إلى دفع تعويض كبير ، وتنازل عن جزء كبير من خزائنه علاوة على بعض حريمه فـى مقابل أن يحتفظ بعرشه ويقوم بدفع الجزية .

واضطر سنحاريب[١] إلى مغادرة فلسطين بسبب الطاعون الذى انتشر فـى معسكره . وهكذا أنقذ الجيش المصرى بأعجوبة ، وخرجت مصر سليمة مـن ذلـك الموقف الحرج وعاد طهرقا إلى مصر دون أن يحقق أهدافه وطموحه .

وتوفى شاباكا فى عام ٧٠١ ق. م.[٢] وأصبحت الزوجة المقدسة لآمون فـى طيبة من الآن من العائلة الملكية فى نباتا ، وكانت زوجة شاباكا التى كانت تسـمى - امون اردس الأولى " زوجة مقدسة لآمون"[٣] ، وشيدت المقاصير باسمها .[٤]

---

(١) عن هذا الملك ، راجع : Spalinger, LA V, p. 383 – 384

(٢) لا تزال مدة حكم شاباكا موضع خلاف بين العلمـاء ، إذ أن بعضـا منـهم يعطى تاريخيا هو ٧١٥ - ٧٠١ ق. من راجع :

Drioton – Vandier, L'Egypte (ed. 1952), p. 571 .

(٣) عن هذه الشخصية ، راجع : Leclant, LA I, p. 196 – 199

(٤) Gauthier, LR IV, p. 20 (C); Mariette, Karnak (1875), pl. 45 (C) .

جد كاورع – من خبر – شاباتاكا [١] (٦٩٨ – ٦٩٠) [٢] :

توفى شاباكا ، وخلفه ولده شاباتاكا الذى اتصفت فترة حكمه بعدم الاستقرار لأنه لم يستطع توحيد البلاد من جديد وذلك بسبب وجود حالة صراع دائم فى الدلتا ، وقد حاول أن يتبع سياسة أكثر نشاطا فى أسيا وذلك بتشجيع الثورات ضد الأشوريين فى فلسطين ، لكن هذه السياسة لم تحظ بأكثر مما أثمرته سياسة أسلافه .

وعثر له على تمثال يمثله جالسا بالقرب من معبد بتاح فى منف [٣] وشيد مقصورة فى الكرنك بالقرب من البحيرة المقدسة .[٤] وعثر على اسمه منقوشا على عدة جعارين .[٥]

نفرتم – خورع – طهرقا [٦] (٦٩٠ – ٦٦٤ ق. م) [٧] :

جاء من بعد شاباتاكا ، وكان يبلغ من العمر حينذاك خمسة وأربعين عاما وهو لم يترك مصر منذ بلوغه سن العشرين ، لذلك فقد تمصر كلية واتخذ التسمية

---

(١) Wolf, Das Alte Agypten (1971), p. 232 .

(٢) عن هذا الملك ، راجع : Leclant, LA V, p. 514 – 520

(٣) Mariette, Monuments Divers, pl. 29 (e) .

(٤) Gauthier, op. cit., IV, p. 29 (11) .

(٥) Id., op. cit., IV, p. 30 (V) .

(٦) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 237; Gauthier, LR V, p. 31 (6) ؛ وأيضا : د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤١٤ – ٤١٦ .

(٧) عن هذا الملك ، راجع : Leclant, LA VI, p. 156 – 184

" فرعون " أمام اسمه .[١] على الرغم من أن النقوش والمناظر تمثله ذا ملامح زنجية واضحة ، وكان باكورة أعماله هو إرساله فى طلب والدته التى كانت تسمى- ابار - من نباتا لكى تأتى لزيارته فى تانيس فى شرق الدلتا حيث كان يقيم . ويصف لنا هذه الزيارة كالآتى :

" لقد انفصلت عنها عندما كنت شابا صغيرا فى العشرين ، لأننى أصطحبت صاحب الجلالة (شاباكا) عندما غزا الدلتا " وهكذا بعدما انقضت هذه السنوات ، جاءت إلى تانيس حيث كنت أقيم ، ووجدتنى متوجا ملكا ، فسعدت كثيرا ، وكان الناس ينحنون إلى الأرض أمام والدتى " .[٢]

وقد أدرك أنه لا يمكن مراقبة التهديد الآشورى من عاصمته البعيدة فى الجنوب ، لذلك أقام فى الشمال واستقر أغلب الوقت فى تانيس وفى منف أيضا [٣] وذلك لتتبع تطور الموقف فى فلسطين وفى البحر المتوسط وخاصة فى الجزء الغربى منه ، ونظرا لاستقراره فى الشمال فى تانيس نجد أنه كان بعيدا كل البعد عن مصر العليا لكى يستطيع أن يحكمها بنشاط وجزم ولكنه بذل مجهودا كبيرا لكى يضمن على الأقل ولاء الجنوب له .

وخرج عن التقاليد ولم يترك على الإطلاق كل السلطة لكهنة آمون ولكن تنازل عن جزء من هذه السلطة إلى " حاكم الجنوب " منتومحات .[٤] وحكم طهرقا

---

(١) Gauthier, op. cit. 1V, p. 441 .

(٢) Weigall, op. cit., p. 209; Petrie, Tanis II, London (1888), p. 12, pl. 9; Breasted, AR 1V (892 – 896), p. 445 n(a); Gauthier, LR 1V, p. 38 (28) .

(٣) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 103 .

(٤) Leclant, Montouemhat (BdE 35), le Caire (1961), p. 259 – 279, Graefe, LA 1V, p. 204 – 205; R. el Sayed, Quelques hommes célèbres
مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد ٢٦، ١٩٧٩، ص ١٥- ١٧ .

أثناء الخمسة عشر عاما الأولى من حكمه فى سلام تام ، قام خلالـــها بعـــدة أعمـــال معمارية هامة فى تانيس ومنف وطيبة وغيرها [١] وشيد فى معبد الكرنك فى وســـط الفناء الأول الكبير بهو أعمدة ضخما يؤدى إلى الصرح الثانى[٢] وإلى الجنوب مـــن المعبد الرئيسى ، شيد معبدا مخصصا للمعبود بتاح واوزير وأمر فى الوقـــت نفســه بنحت معبد فى الأودية الصخرية فى نباتا يشبه فى طرازه معبد رمسيس الثانى فـــى أبى سمبل .[٣] ومن المحتمل أنه كان يقوم أحيانا بزيارة أقاليمه فى الحبشة ، وحفـــر لنفسه مقبرة فى نباتا مثل سابقيه .

وفى طيبة نجح فى فصل السلطة الدينية للحكومة عن السلطة المدنية وذلـــك لأسباب سياسية ، فأحداهما كانت تحت سيطرة المتعبدة المقدسة آمون اردس الثانية[٤] ابنة الملك ، التى أصبحت مساوية للملك فقد كتب اسمها داخل خانة ملكية ، وكـــانت تحتفل بالأعياد الثلاثينية ، والأخرى كانت فى أيدى رابع كهنة آمـــون منتومحـــات – أمير طيبة وحاكم الجنوب . وكانت المشكلات فى الشمال أكثر تعقيدا ، ولـــم يتمكـــن ملوك نباتا من القضاء على العائلات القديمة التى كانت له أطماع ونفـــوذ فـــى كـــل مكان .[٥]

---

(١) Gauthier, LR 1V, p. 36 – 40 .

(٢) Leclant, BIFAO 53 (1953), p. 113 – 172; Id., Recherches Sur les Monuments Thebains, p. 200 – 265 .
وأيضا : د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمـة ، ص ٢٢٨ – ٢٢٩ ؛
د. سيد توفيق : تاريخ العمارة فى مصر القديمة : الأقصـــر ، ص ١٤٥ .
كان هذا البهو يحتوى على صفين من الاساطين ولكن تهدمت معظم أجزاؤه ولم يبق غير اسطون واحد .

(٣) Breasted, AR 1V (879 – 889); Gauthier, op. cit. 1V, p. 35 (G); Maspero, Histoire III, p. 364 .

(٤) عن هذه الشخصية ، راجع : Leclant, LA I, p. 199 – 201

(٥) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 103.

تعرضت البلاد فى نهاية حكم ملوك نباتا للغزو الآشورى ثلاث مرات [١]

- **الغزوة الآشورية الأولى (٦٧١ ق. م) [٢] :**

فى عام ٦٧٤ ق. م. -- أى فى السنة السادسة عشرة من الحكم – بدأ الملك الآشورى ، اسرحدون سلسلة من الهجمات ضد مصر أدت فى النهاية إلى سقوط أسرة ملوك نباتا[٣] ، وكان اسرحدون قد تولى من بعد سنحاريب ، ورأى من الأفضل إعادة سياسة الغزو فى فلسطين واستولى على صور ، ولم يمنع الفشل الذى منى به طهرقا فى فلسطين من قبل فى أن يحول لأنظاره عن آسيا بل على العكس نجده يتابع سياسة التحريض . وإشعال الثورات ضد الآشوريين فى سوريا أثناء إقامته فى تانيس ، فهو بدون شك ولا أحد سواه الذى أثار التمرد فى صيدا ، فقرر اسرحدون فى ٦٧١ ق. م. مهاجمة مصر مباشرة ونجح فى عبور صحراء سيناء ووصل إلى وادى الطميلات ، وقد تفادى الدلتا ، حيث تجمعت فيها بالتأكيد القوات المصرية ، ودمر الحاميات المصرية ووصل فى خلال خمسة عشر يوما إلى منف واستولى عليها كما أسر الحريم وعائلة طهرقا وقال : " أنه انتزع بذور كوش من مصر ". [٤]

واتجه بعد ذلك نحو الدلتا التى هاجمها من الخلف وأخضعها لسيطرته . أما عن طهرقا فقد نجح فى الهرب فى البداية إلى طيبة ، ثم هدد اسرحدون هذه المدينة ، وسار بمحاذاة الوادى نحو الجنوب ، على حين أسرع منتومحات بالاعتراف بالسيطرة الآشورية حتى يتجنب سقوط طيبة ، وأرسل منتومحات الجزية لكى يتفادى لقاء الفتح القوى ، ويرى بعض المؤرخين أنه فى بداية الأمر نجح طهرقا والمصريين الذين معه فى مطاردة الغزاة إلى ما وراء الحدود الشرقية للدلتا .

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٧١ – ٢٧٤ .

(٢) Dietrich, LA I, p. 496 - 497 .

(٣) Weigall, op. cit., p. 209 .

(٤) Daumas, op. cit., p 103

ولكن فى عام ٦٧١ ق. م . هزم طهرقا بالفعل ، وانسحب إلى مصر العليا بعد سقوط منف ، وأدرك اسرحدون أن السبيل الوحيد للاحتفاظ بالبلاد المنهزمة هو تقسيمها إلى ممالك صغيرة متشابهة مثلما كان الحال عند غزو بعنخى لها ، وتبعا لذلك قسمت البلاد إلى عشرين مقاطعة منفصلة ، ويحكم فى كل منها أمير أصلى من المقاطعة ، وسمحوا للأسرات المحلية بأن تبقى فى أماكن نفوذها ، وتولى مهام الحكم فى سايس ومنف الأمير – نكاو[١] – الذى كان فيما يبدو من سلالة تف نخت المنافس السابق لبعنخى ، وحفيد باك ان رن إف . وفى تانيس كان يوجد أمير يسمى بادى باست . وفى مندس أقام هناك على العرش الأمير بامى الذى ربما كان ابنا للحاكم الذى سلم هذه المدينة لبعنخى ، واتبع اسرحدون نفس هذه السياسة فى بعض الأقاليم الأخرى .

ولأسباب ما غادر اسرحدون مصر بسرعة – ربما – بسبب مرض مفاجى ولم يترك وراءه غير قوات قليلة ، واستغل طهرقا رحيله لكى يحرض حكام الأقاليم الذين خضعوا له أثناء الغزو الآشورى .

- **الغزوة الآشورية الثانية (٦٦٦ ق. م) :**

لم يعد طهرقا نفسه منهزما ، فقد عاد فى عام ٦٦٩ ق. م . إلى منف وبدأ يبحث عن حليف جديد فى آسيا الصغرى ، وحاول أن يؤلب الأمراء ضد الاحتلال الآشورى ، وعقد هؤلاء الأمراء معاهدة مع طهرقا فى مصر العليا ، الذين فضلوا سيطرته على سيطرة أسرحدون ، وكان هذا التحالف سببا فى عودة الآشوريين مرة ثانية فى عام ٦٦٦ ق. م، وكان طهرقا قد استطاع أن يسترد منف ولجأ اسرحدون إلى القيام بحملة لكنه توفى فى الطريق وبعد قليل أخذ ابنه وخليفته آشور بانيبال فى تنفيذ مشاريع أبيه فأرسل قائده الأعلى الذى جمع قوات الإمبراطورية من فينيقيا وسوريا وفلسطين ، ولم يكن قد مضى أكثر من ثلاثة أعوام على نجاح طهرقا فى

---

(١) Redford, LA IV, p. 368 – 369 .

جمع المصريين من حوله ، وأرسل آشور بانيبال جيشا إلى مصر ، ودارت المعركة في شرق الدلتا وهزم الجيش المصري في كاربانيه Karbanit ثم تقدم الغزاة إلى منف ، واستولوا عليها مرة أخرى وفر طهرقا للمرة الثانية إلى طيبة وعندئذ تتبعه الغزاة بصعودهم النيل والاستيلاء على طيبة التي تعرضت للسلب والنهب من جانبهم ونجت من التخريب ، مما خفف من وقع الكارثة . وبعد ذلك نزل الآشوريون إلى الوجه البحري ، وأقاموا الحاميات في المدن الرئيسية ، وعما قريب نجد أن نكاو أمير سايس واثنين أو ثلاثة أمراء اخرين قد بدأوا في التفاوض مع طهرقا ، الذي استقر من جديد في طيبة أملا منهم في التخلص من الآشوريين .

لكن هذه المحاولة باءت بالفشل وقبض على نكاو ومؤيديه وأرسلوا مقيدين بالحديد إلى نينوى – عاصمة الآشوريين – ونجح نكاو في النهاية في كسب ود الآشوريين وحصل على العفو ، وكان آشور بانيبال ذكيا أكثر مما يجب ، ولذلك عفا عن نكاو ، وسمح له بالعودة إلى سايس محملا بالهدايا وحكم كموالي للآشوريين ، وظلت طيبة وكل الجزء الجنوبي من مصر العليا مخلصا لطهرقا ، ولم يحاول الآشوريون التوغل إلى هذه المناطق مرة أخرى .

وكشفت الحفائر التي أجراها جريفيث – Griffith – في منطقة كاوا – بين الجندلين الثالث والرابع – عن خمس لوحات كبيرة تقص علينا أهم الأعمال التي قام بها طهرقا في السنوات الأولى من حكمه . وقد أقام في تلك المنطقة معبدا مخصصا للمعبود امون على طراز المعابد المصرية ، وأوقف الكثير من العمال والصناع الذين جئ بهم من منف للعمل في هذا المعبد(١) وفي السنة السادسة من حكمه حدث ارتفاع كبير في منسوب مياه فيضان النيل وتسبب ذلك في خسائر فادحة في بعض المعابد على الرغم أن طهرقا حاول أن يقلل من ضخامة هذه الخسائر.(٢) وفي عام ٦٦٥

---

(١) Dunham– Macadam, JEA 35 (1949), p. 139–149; Leclant – Yoyotte, BIFAO 51 (1951), p. 1 – 39; Macadam, The Temples of Kawa I, The Inscriptions, London (1949), p. 15-36 .

(٢) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٨٩٠ .

ق. م ، كان طهرقا يبلغ من العمر عندئذ حوالى السبعين ، ففضل الإقامة فـــى نباتـــا وأشرك معه ابن أخيه شاباكا وكان يحمل اسم تانوت أمون ، وتوفى طهرقا فى عـــام ٦٦٣ ق. م . ودفن فى نورى .[١] وعثر فى البر الغربى فى جبانة المقبرة رقـم ١٣٢ الخاصة برع موسى الكاتب الكبير للملك وهى من بين المقابر النادرة من هذا العصـر فى البر الغربى .

باكارع – تانوت آمون (٦٦٤ – ٦٦٣ ق. م) [٢] :

توج تانوت أمون كملك على كل من نباتا وطيبة فى عام ٦٦٤ ق. م ، ولـم يتردد فى الذهاب للإقامة فى طيبة لكى يحاول غزو البلاد كلها ، وقد عثر فى منطقـة جبل برقل على لوحة من عهده تسمى لوحة الحلم .[٣] ويذكر عليها أنه فـــى الســنة الأولى من حكمه ، شاهد رؤيا عبارة عن ثعبانين أحدهما عن يمينـــه والآخـر عـن يساره ، وقد فسرت هذه الرؤيا على أنه سوف يصبح ملكا على مصر العليا والوجـــه البحرى ، ويحلى رأسه رمز المعبودتين نخبت وواجيت .

ووصل إلى طيبة وتقدم إلى منف ، وظل نكاو وفيا لأشور بانيبال وقتل أثناء الصراع ، وسقطت منف فى أيدى مؤيدى وجنود تانوت أمون ، وقدم القربان للمعبود بتاح ثم أبحر بعد ذلك ليقاتل أمراء الدلتا الذين فضلوا السلام على الحـــرب ، وتقبـل ولاء أغلب الأسرات المحلية فى الدلتا ، وفيما بعد نجد أن الدلتا كلها بدأت تثور ضـــد

---

(١) Goossenes, CdE 22 (1947), p. 239 – 244 .

(٢) Leclant, LA VI, p. 211 – 215 .

(٣) توجد الآن بالمتحف المصرى تحت رقم JE. 48863 وكان قد عثر عليـها فى جبل برقل ، راجع : Grimal, Quatre Stèles Napateennes au Musée du Caire, le Caire (1981), t. II, p. 3 – 19 . Mariette, Monuments Divers, pl. 7-8; Schafer, ZAS 35 (1897), (1905), p. 57-77; Breasted, AR IV (919-934); Gauthier, LR IV, p. 43 (b) ؛ وأيضا : د. محمد بكر : تاريخ السودان القديـم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، طبعة ١٩٨٤ ، ص ١٢٥ ، ١٣٦ .

الآشوريين وتتحالف مع تانوت أمون الذى كان قد دعا أمراء الدلتا إلى قصره وكان المتحدث بلسانهم هو أمير سوبد - باخروى - وفى هذه الأثناء كان منتومحات يتولى شئون طيبة ، وطغى سلطانه على نفوذ كبير الكهنة واكتشف له آثار عديدة تبين أنه كان مواليا لطهرقا وتانوت أمون .[١]

- الغزوة الآشورية الثالثة (٦٦٤ ق. م) :

على الرغم من أن الآشوريين قد طردوا من مصر للمرة الثانية فأنهم لم يترددوا فى العودة إليها مرة أخرى ، وأصبح ممهدا أمام آشور بانيبال لدخول مصر ، وتقدم بجيشه دون أن يقوم بمعركة فعلية ، وقد فر تانوت أمون إلى طيبة . وجاء حكام الدلتا الموالون للآشوريين لتقديم فروض الطاعة للفاتح . وفى هذه المرة أراد آشور بانيبال أن يعاقب بشدة عدوه وتتبعه حتى طيبة واستولى على المدينة التى نهبها ودمرها ودخلها عام ٦٥٩ ق. م. على الرغم من مقاومة أهلها بزعامة حاكم طيبة منتومحات ، وذاع نبأ سقوط المدينة الكبرى فى جميع أنحاء العالم القديم . وقد أشير إلى هذا الكتاب المقدس فى سفر ناحوم الجزء الثالث ، ٨ ، الذى ذكر أيضا أن أطفالها قتلوا فى كل مكان فى أنحاء المدينة وحكم على نبلائها بالنفى والأسر وقيد كل كبار نبلائها بالسلاسل[٢] أما عن تانوت أمون فقد أرغم على الفرار فيما وراء الحدود الجنوبية إلى نباتا ، وهكذا عاد تانوت أمون إلى كوش ، حيث لم يعد هناك على الإطلاق وتوفى هناك ودفن فى كورو . وهو يعد آخر ملك فى سلالة ملوك نباتا الذين حكموا مصر ، ولن نرى أى ملك من هذه السلالة يحكم مصر بعد ذلك[٣] ، ولكن

(١) Leclant, Montouemhat (BdE 35), p. 275 – 276

(٢) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 103 .

(٣) استمر حكم ملوك نباتا فى مصر لمدة ٨٤ عاما تقريبا ، من عام ٧٤٨ إلى ٦٦٤ ق. م . ويرى وولتر إمرى : مصر وبلاد النوبة (ترجمة تحفة حندوسة) الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠ ، ص ٢٣١ أن سيادة ملوك نباتا على مصر امتدت حوالى سبعين عاما . ولكن فون بكرات يرى أن حكم هؤلاء استمر حوالى ٥٨ أو ٥٦ عاما من عام ٧١٤ أو ٧١١ إلى ٦٥٦ أو ٦٥٥ ق. م، راجع : LA I, p. 970

هذه السلالة استمرت و عاشت لعدة قرون فى منطقة نباتا ومروى وحكمت هناك شعبا لا ينتمى بأية روابط سياسية مع شعب مصر ، وأصبحت اللغة الكوشية نقية وكذلك الكتابة و هى تختلف عن الهيروغليفية على الرغم من أن التأثير المصرى كان لا يزال واضحا ، وتسمى هذه اللغة باللغة المروية [١] ، وأغلب ما كشف عنها من التأثير المصرى كان عبارة عن نصوص دينية ، كتبت على لوحات قبور أو موائد قرابين ، وفيها نصوص سجلت على جدران معبد كلابشة من العصر الرومانى [٢] ومعبد ايزيس فى فيلة من العصر الرومانى .[٣]

ومن الملاحظ أن المقابر هناك أخذت شكلا هرميا[٤] وسنرى الدولة تحافظ على استقلالها حتى عام ٣٥٠ بعد الميلاد .[٥]

وفى نقش عثر عليه فى الكرنك يذكر لنا منتومحات الأعمال التى قام بها فى محاولة لإعادة بناء ما دمره الغزاة فهو يقول : " لقد طهرت كل المعابد ، وهذا ما يجب عمله لأنها سرقت بعد غزوة قام بها أجانب أنجاس "[٦] ويتحدث عن الكارثة كما لو كانت " عقابا إلهيا " وكان يبحث دائما عن وسائل جديدة يعيد بها إلى المعابد هيبتها

---

(١) G. Mokhtar, General History of Africa II, p. 288 – 289 .

(٢) Id., op. cit., p. 209 .

(٣) Id., op. cit., p. 292 .

(٤) G. Mokhtar, op. cit., p. 322 pl. II 1; Macadam Kawa I, p. 125; Drioton – Vandier, L'Egypte (éd. 1952), p. 570 – 571, وأيضا : د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ١٩٦٣ ، ص ٣٠٦ – ٣٦٢ .

(٥) G. Mokhtar, op. cit., p. 292 – 293 .

(٦) Leclant, Montouemhat, p. 202-204; Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 212; Breasted, AR IV (901 – 916); Mariette, Karnak, p. 42 .

وكان " يمضى أيامه ولياليه فى البحث " . وقد شيد قاربا جديدا للاحتفالات خاصة بآمون وكذلك مقاصير جديدة وأقام التماثيل للمعبود ، وقد شيد من جديد معبدا للمعبودة موت (زوجة آمون) فى الكرنك وقام بتنظيف البحيرة المقدسة ، وأصلح تماثيل المعبود خونسو المحطمة ورمم من جديد مقاصير المعبودات الأخرى فى طيبة وفى قفط فى شمال الأقصر ، واصلح تمثالا للمعبود مين ، المعبود المحلى ، وقد ترك نقشا فى أبيدوس يدل على مروره بها وقد رمم المعبد وشيد قاربا مقدسا للمعبود اوزير ، وفى النهاية حفر لنفسه مقبرة ضخمة فى جبانة طيبة (١) تمتاز بطرازها الفريد وبحجراتها العديدة ، ولكن كل هذه الأعمال قد قضى عليها بسبب الصعاب والاضطرابات التى حلت بالبلاد فيما بعد .

وبعد انتهينا من الحديث عن أحداث نهاية الأسرة الخامسة والعشرين يجب أن نشير هنا إلى ما ذكره د. صالح عن الغنائم التى حملها أشور بانيبال معه بعد دخوله طيبة . فيتحدث الملك الآشورى فى نصوصه قائلا : " غنمت من طيبة غنائم تجل عن الحصر ، ونزعت مسلتين ضخمتين من قواعدهما ، وكانتا مغطيتين بالبرونز المذهب ، وتبلغ زنة كل منهما ٢٥٠٠ تالنت وأمرت بنقلهما إلى أشور " .(٢) كما يحدثنا فى نص آخر عن انتصاراته وانتصارات أبيه اسرحدون وأنه سجل هذه الانتصارات على خمسة وخمسين تمثالا من تماثيل ملوك مصر (وربما أمر بنقلها أيضا إلى آشوز) (٣) ، لأننا لم نعثر عليها (حتى الآن) ولا نعلم هل أمر بتسجيل أخبار هذه الانتصارات بالخط الهيروغليفى أو بالخط المسمارى ؟ لأن ذلك يذكرنا

---

(١) Leclant, Montouemhat, p. 171 – 238 .

(٢) ترجمة د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٢٧٤ حاشية (٤١ – ٤٢) ؛ وأيضا : وولتر إمرى : مصر وبلاد النوبة (ترجمة تحفة حندوسة) الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ ، ص ٢٣٠ ؛ Daumas, op. cit., p. 105

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٤ حاشية (٤٣) .

بالتمثال الخاص بالملك دارا والذى عثر عليه فى العاصمة القديمة سوس بواسطة بعثة فرنسية . وسجل عليه دارا أخبار انتصاراته فى مصر وفى بلاد الشرق القديم بـــالخط الهيروغليفى . مما يدل على أن هذا التمثال نحت ونقش فى مصر ونقل بعدهـــا إلـــى سوس .(١)

وفى البر الغربى لدينا أربع مقابر من عصر هذه الأســـرة ، مقــبرة كـــارا باسكن عمدة طيبة (رقم ٣٩١) ورع مس الكاتب الملكـــى الكبــير (رقــم ١٣٢) ومنتومحات الكاهن الرابع لآمون وحاكم طيبة (رقـــم ٣٤) واخ امـــن راو رئيــس استقبال العابدة المقدسة (رقم ٤٠٤) .(٢)

---

(١) راجع : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، ص ٢٤١ حاشية (٢) . ونفـس هذا الجزء الثانى ص ٤٥١ حاشية (٢) .

(٢) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٦٢ ، ٣٧٠ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ .

الفصل الثامن

العصر المتأخر
من بداية الأسرة السادسة والعشرين حتى
نهاية الأسرة الحادية والثلاثين
(من عام ٦٦٣ إلى عام ٣٣٢ ق. م)

عصر النهضة والغزو الفارسي للبلاد ثم اليقظة والتحرر
الأسرة السادسة والعشرون وأعمال ملوكها
(٦٦٣ - ٥٢٥ ق. م)[١]
عصر النهضة والمجد والرخاء

تطور الوضع السياسى الخارجى ، وأخذ يتحدد أكثر فأكثر ، وأخذ الدور الذى اضطرت شعوب البحر المتوسط أن تلعبه فى ظل القوى الجديدة تتبلور معالمه بوضوح ، تلك القوى التى ظهرت جليا منذ الغزوة الأولى لشعوب البحر ، وأصبحت مصر أضعف من أن تحرر نفسها بمفردها من سيطرة الآشوريين ولذلك سوف نراها تعتمد على المرتزقة اليونانيين الذين جاءوا إلى مصر وعملوا بها ، ولم تستمد مصر قوتها على الإطلاق من مصادرها الذاتية ولكن بالاستعانة بالمرتزقة الأجانب الذين كانوا قادرين بمفردهم على حمايتها من الإمبراطوريات الآسيوية القوية من ناحية ، والعمل على القضاء على مصادر الشغب وضمان الولاء والطاعة من جانب رعايا الملك المصرى من ناحية أخرى .

لكن هذه المساندة المؤقتة لم تكن كافية لحمايتها من قوة الفرس فى أسيا ، لذلك نجدها تتقبل عن طواعية إن لم يكن برحابة صدر الغزو النهائى للإسكندر

---

(١) يعطى فون بكرات كتاريخ لهذه الأسرة : ٦٦٤-٥٢٥ ق. م، راجع :
LA I, p. 970 .

الأكبر – لينقذها من فترة قاسية من الخضوع للفرس مرة ثانية . وهكذا تعرض مصر عن ماضيها العريق وقبل أن يصبح فقدانها لحريتها أمرا واقعا عرفت مصر أيضا فترة من المجد والرخاء بفضل ملوك الأسرة السادسة والعشرين .[١]

حور عا إيب – واح إيب رع – بسماتيك الأول (٦٦٤ – ٦٠٩ ق. م)[٢] :

كان بسماتيك قد عاد من سوريا حيث كان قد لجأ إليها بعد عودة تانوت أمون إلى مصر ، وسوف يتبع السياسة الحكيمة لأبيه ، وكان على يقين أنه ليس بإمكانه الصمود أما جيش اشور ، وأعلن فى البداية بصفة مؤقتة نوعا من الخضوع الظاهرى . وكان اشور بانيبال قد كافأ نكاو المتوفى على إخلاصه وذلك بتعيين ابنه بسماتيك ، ومعنى الاسم فى مجموعه يدل على أنه مصرى [٣] ، ملكا على مصر وبه تبدأ الأسرة السادسة والعشرون ، وهكذا توج بسماتيك الأول على عرش مصر وهو ينحدر فى الوقت نفسه من سلالة الملك تف نخت حاكم سايس فى الأسرة الرابعة والعشرين ، وبهذا أصبح له الحق فى تولى العرش .

ونظرا لأن أباه قد لقى مصرعه منذ عامين سابقين ، فأنه أرخ صعوده على العرش بتاريخ ٦٦١ ق. م. الذى يعادل السنة الثالثة من حكمه ، ووضع لقب " فرعون " أمام اسمه .[٤]

وأصبحت مدينة سايس- مدينة أجداده- عاصمة لمصر وتقع فى شمال غرب الدلتا ، على الشاطئ الأيمن للفرع الكانوبى للنيل وهى لا تبعد كثيرا عن مدينة كفر الزيات الحالية ، وكانت تعد من أقدم مدن مصر ومركزا لعبادة المعبود نيت ، وكانت

---

(١) Vercoutter, L'Egypte Ancienne, p. 111 – 112 .

(٢) عن هذا الملك ، راجع : Spalinger, LA IV, p. 1164 – 1169

(٣) وربما يعنى " الرجل المنتمى إلى الشراب المخلوط P3 - S – mṯk " لهذا المعنى لكلمة مثك ، راجع : Meeks, Alex. I, p. 178

(٤) Gauthier, LR IV, p. 441 .

عامرة فى هذا الوقت بالكثير من المبانى وكان معبد المعبودة نيت من أجمل المعابد وأكبرها .(١)

ويبدو أن بسماتيك قد تعرض فى السنوات الأولى من حكمه لبعض الاضطرابات ، وقد جاءت المعارضة من جانبين مختلفين ، فمن ناحية كانت مصر العليا لا تزال تحت سيطرة منتومحات ، الذى ظل وفيا لملوك نباتا ، ومن ناحية أخرى نجد أن عددا من أمراء الوجه البحرى قد انحاز إلى جانب الآشوريين .

وكان بسماتيك متحفزا للتخلص من هذه السيطرة بمجرد أن تسنح له الفرصة المناسبة . ويذكر هيردوت أنه أثناء الاحتفال بأحد الأعياد الدينية فى معبد المعبود بتاح فى منف ، لوحظ أن الكاهن المسئول عن أعمال التطهير ، لم يحضر كما هى العادة إثنا عشر كوبا من الأوانى الذهبية بل أحضر منها أحد عشر فقط ، ولما كان بسماتيك حاضرا فى هذه المناسبة فقد استخدم قلنسوته البرونزية فى أعمال التطهير وطبقا لأسطورة الوحى ، إن من يسكب له الماء فى إناء من البرونز سوف يصبح ملكا على مصر .(٢)

ولم يحاول زملاؤه الذين كانوا معه أثناء هذه الطقوس النيل منه لأنهم كانوا يعرفون أنه تصرف بحسن نية ، ولذلك قرروا أن ينفوه فى مستنقعات الدلتا المجاورة لبوتو ، التى احتمى فيها من قبله تف نخت أثناء صراعه مع بعنخى . وكان يوجد فى مدينة بوتو تمثال للوحى ، فذهب بسماتيك يوما من الأيام إلى معبد بوتو ليسأل تمثال الوحى هناك عما يخبئه له القدر ، فأجابه تمثال الوحى " بأن الانتقام سيأتى من البحر عند ظهور رجال يرتدون البرونز " الذين سيخرجون من البحر أو يعبرون البحر فى يوم ما لكى يساعدوه على ارتقاء العرش .

---

(١) R. el Sayed, Documents Relatifs `a Sais (BdE 69), le Caire (1975), p. 5 – 217 .

(٢) Drioton – Vandier, L'Egypte (éd. 1952), p. 575 – 576

أيضا : د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٤٢٠ – ٤٢١ .

وبعد ذلك بقليل تحققت المعجزة فبالقرب من المكان الذى كـــان يقيـــم فيـــه بسماتيك نزل قراصنة آيونيون وكاريون يغطى أجسادهم أردية من الجلود ويلبســـون دروعا وخوذات من البرونز . فعرف فيهم الرجال الذين تحدثـــت عنـــهم النبـــوءة ، فأغراهم بالوعد والمال وعلى الرغم من الخسائر التى أنزلوها بالبلاد إلا أن بســـماتيك أقنعهم بالتحالف معه .

واستطاع بمساعدة هؤلاء الرجال الأجانب الانتقام من أقرانه الأمراء القدامى وتحقيق وحدة البلاد . وفى البداية استطاع بسماتيك التفاوض مع إحدى عشرة عائلـــة قوية فى الدلتا وللسيطرة على الآخرين استعان بهؤلاء المرتزقة الذين أرسلوا بواسـطة جيجس ملك ليديا وحليف بسماتيك .(١)

وبالفعل نجح بسماتيك فى القضاء على سلطان بعض الأمراء الأقوياء فـــى السنوات الأولى من حكمه . ويبدو أيضا أن الصراع قد استمر عشرات السنين لكنـــه نجح أخيرا فى القضاء على تلك الأسرات الإقليمية التى كانت تتقاسم الســـلطة فيمـــا بينها فى الوجه البحرى ، ومنذ ذلك الوقت أخذ على عاتقه عمليـــة تنظيـــم المملكـــة إداريا .

ففى مصر العليا كان منتومحات لا يزال حاكما لطيبة ، وقد لجـــأ بســـماتيك بكل السبل إلى تجنب الصراع مع ملوك نباتا ، وقد ثبت منتومحات فى مكانـــه لأنـــه كان مواليا لملوك نباتا . وأرسل فى السنة التاسعة من حكمه ابنته نيتوكريس إلى طيبة لكى تصبح زوجة مقدسة لآمون(٢) ، وبعد عدة مفاوضات ، نجح بسماتيك فى إقنـــاع

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١، ص ٤٢٠ – ٤٢١؛ وأيضـــا : Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 106; Drioton – Vandier, op. cit., p. 546 – 54 .

(٢) Leclant, Montouemhat, p. 239; Barguet, le Temple d'Amon- Rê a'Karnak, p. 52 (4); Vandier, ZAS 99 (1972), p. 29; Caminos, JEA 50 (1964), p. 71-100, p. 8-10; Drenkhahn, MDIAK 28 (1968), p. 115; Gauthier, LR IV, p. 84 (f); PM, Theban Temples II, p. 11 .

العابدة المقدسة لآمون بأن تتبنى ابنته ، مقابل أن يدعـــها فـــى منصبـــها الكـــهنوتى الرفيع ، والذى كان يشغله أميرة من أصل أثيوبى وهى شوب إن اوبت الثانية[١] ابنـــة بعنخى والتى كانت متقدمة فى السن ولا تزال تعيش حتى ذلك الوقت فـــى الكرنـــك حيث كانت تحظى بالتكريم " كحرم مقدس لآمون " وأطلق على نيتوكريس اسم شـوب إن اوبت الثالثة ، وأصبحت ثالثة زوجة مقدسة تحمل هذا الاسم .[٢]

وجاءت ابنته الوريثة الشرعية إلى طيبة فى موكب مكون من عدة مراكـــب تحت إمرة القائد البحرى سماتاوى تف نخت حاكم مدينة هيراقليوبوليس . وقد وصلت إلى طيبة فى ستة عشر يوما ، كان يصحبها عدد كبير من التابعين من رجال البـــلاط والكهنة والضباط ، وخصص لها المنح التى شملت ممتلكات فعلية وأوقافا ، وأعطاهـا أغلب الهبات التى كانت مخصصة لها ، وكان سن نيتوكريس فى ذلك الوقت أقل مـــن عشرين عاما وقد أعد لها قصرا فى طيبة[٣] حيث حملت فى محفة من الخشب مغطـاة برقائق الذهب والفضة ، وهكذا نجح بسماتيك بطريقة ذكية فى ضمـــان ولاء كهنـــة آمون ، وفى خلال السنوات التالية عمل كل جهده لإصلاح ما أفسده الآشوريون فـــى طيبة ومعابدها .

وعلى الرغم من كل هذه المجهودات فلم تحظ المدينة بأهميتـــها الســـابقة ، وأصبح معبد الكرنك الذى نهبت خزائنه مجرد مكان مقدس هادئ بعد أن كان مركـزا للديانة الرسمية ومجالا للنشاط السياسى فيما سبق .

ثم نراه بعد ذلك بقليل يقوى من نفوذه ، ويعين حاكمين جديدين أحدهمـــا فى

---

(١) عن هذه الشخصية ، راجع : Graefe, LA V, p. 581

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٢٢ ؛ وأيضا Graefe, op. cit., p. 582 .

(٣) Ranke, ZAS 44 (1908), p. 42 – 54 ;
وأيضا د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصـــر والعراق ، ص ٢٧٤ ؛ د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٩٢١ .

الجنوب فى أدفو وكان من الموالين له وهو – نسى ناوا ياو – وذلك لكى يحد من نفوذ الطيبيين لأنه كان فى حاجة إلى الجيش فى الشمال .(١)

وحاكم أخر فى مصر الوسطى فى هيراقليوبوليس ، وهو – سماتاوى تف نخت – الذى كان من أبرز الشخصيات وكان يسيطر على طرق المواصلات النهرية .(٢) وكان يهدف من وراء هذه المحاولة وضع حد لاستمرار الفوضى فى مصر العليا تجاه السلطة المركزية ، وهكذا عادت إلى مصر وحدتها السياسية مرة أخرى ، ومن المحتمل أن الغزو الآشورى هو الذى مهد لهذه الوحدة وساعد على تحقيقها مرة أخرى ، وأن استقرار السلطة المركزية ساعد من ناحية أخرى على إقامة هذه الوحدة ، وعلى الرغم من أن هذه الوحدة لا تقارن بتلك الوحدة التى شهدتها مصر فى الفترات المجيدة من تاريخها مثل عصر الدولة الوسطى ، وكان الأجانب هم الذين يعضدون قوة بسماتيك وخاصة المرتزقة الإغريق وذلك ضد رعاياه المقربين ، وكان لهم الفضل المباشر فى إعادة تنظيم القوة العسكرية المصرية ضد الآسيويين ، وتزويد الجيش المصرى بدماء جديدة وخبرات مؤهلة ، حتى الأسطول المصرى أعيد تنظيمه على غرار النظام اليونانى ، وتعرض النظام الاقتصادى الداخلى نفسه للبلاد للتغير بسبب قيام المستعمرات اليونانية ، وهكذا نرى إنه عندما بدأت مصر تتخلى عن تقاليدها الموروثة ، استطاعت أن تتكيف مع مطالب الحياة الجديدة للعالم القديم .(٣)

---

(١) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 215 .

(٢) R. el Sayed, Quelques hommes célèbres
مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢٥ ، ١٩٧٨ ، ص ٣٣-٣٤ ؛ وعن هذه الشخصية ، راجع : Limme, LA V, p. 1081-1082 .

(٣) Daumas, Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 106 .

وقام بسماتيك بتحصين الحدود الشرقية والجنوبية ، لكن الموقف الخـــارجى بدأ يتطور بسرعة فقد دخل اشور بانيبال فى صراع مع بابل وعيلام وأعلن ملك ليديا عدم خضوعه لآشور بانيبال وفى عام ٦٥٢ ق. م . وجد الملـــك الآشــورى نفســه متورطا فى حرب أهلية داخلية وأدت إلى الانشغال تماما بها ، مما أتـــاح لبســماتيك الفرصة لإعلان استقلاله عن آشور دون أن يضطر إلى الدخول فى حـــرب معـــها ، وبمساعدة هؤلاء المرتزقة ، تمكن من أن يعزز مكانته فى الداخل والخارج .[١]

فقد انتشرت القبائل السكيثية[٢] فى الشرق واستطاع بسماتيك أن يبعدهم بمنحهم العطايا وبتهديده لـــهم بجيشـــه القـــوى الـــذى طـــرد الحاميـــات الآشـــورية حتـــى " أخدود " فى فلسطين كما بدأ يمد العون إلى بابل وعيلام حتى يأمن خطرهم ، وهكذا أصبح سيدا للموقف داخليا وعلى حدود بلاده .[٣] اهتم بسماتيك أساسا بعلاقاتـــه مـــع اليونان ، التى بدأت أهميتها تتضح فى هذا العصر ، وأخذت الحضارة اليونانية تـــزداد أهمية بصفة عامة فى أثينا ، وكورنث ، واسبرطة ، وجزر بحر إيجة ، وفى المـــدن المستقلة للشاطئ الغربى لآسيا الصغرى وفى أماكن أخرى أيضا .

وكانت سياسة الملك هى إقامة علاقات تجارية وتوطيد أواصر الصداقة مـــع هذه الشعوب أكثر من شعوب الشرق ، وأصـــبح المرتزقة اليونانيين يمثـــلون القاعدة

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٧٦ – ٢٧٧ .

(٢) شعب من أصل إيرانى ، جاء من غربى اسيا من جنوب روسيا عن طريـــق القوقاز . وقد جاء ذكرهم فـــى النصـــوص الآشـــورية وذكرهـــم أيضـــا هيرودوت . وكانوا بداه رحل ، على هيئة قبائل محاربة وكانوا يرتزقـــون من القتال فعملوا مع الميديين ومع الآشوريين ، ويؤرخ تسللهم إلـــى بـــلاد الشرق القديم بالقرن السابع ق. م، راجع : د. رمضـــان عبـــده : تـــاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته، مكتبة زهراء الشرق ، القـــاهرة ٢٠٠٠ ، ص ٧٥ – ٧٦ .

(٣) Weigall, op. cit., p. 215 .

الرئيسية فى دفنة ، وتسمى اليوم " تل الدفنة " على الفرع الدمياطى للنيل ، على بعد خمسة عشر كيلو مترا غرب مدينة القنطرة الحالية بالقرب من بورسعيد . وقد أقيم هناك حصن قوى لا تزال بقاياه موجودة حتى الآن وكان يعد مركزا للتجمع العسكرى اليونانى ، ووضعت بقية القوات اليونانية فى نقراطيس على بعد عشرين كيلو متر فى جنوب غرب سايس ، بالقرب من دمنهور الحالية ، وهناك أقيم أيضا حصن ومعسكر حربى .

وتبعا لذلك نشطت التجارة مع المدن اليونانية ، وكان المرتزقة اليونانيون يعودون إلى بلادهم يحملون معهم إلى الشاطئ الآخر من البحر المتوسط قصصا عجيبة عن رخاء مصر ويروجون لصناعتها وديانتها ولفنها حتى أن الرحالة اليونانيين بدأوا يتوافدون على مصر ، وبدأ الطلبة اليونانيون فى الاختلاط بدور العلم المصرية ، وخير شاهد على رقى الحياة الفكرية فى مصر هو وفود الكثيرين من الشخصيات اليونانية من أهل الفكر على مصر لينهلوا من مواردها وليرتادوا مكتباتها .(١)

وكانوا يسمون الملك – بسمايتخوس – وكان الاسم محل تقدير كبير حتى إنه كان شائعا فى بلاد اليونان ، ونرى مثال ذلك فى البيت الحاكم فى كورنث حيث كان ابن أخى الملك برياندر الشهير كان يطلق عليه اسم بسمايتخوس أيضا ، وقد تعلم كثير من المصريين اللغة اليونانية ، وبدأ اليونانيون من جانبهم فى دراسة فلسفة الديانة المصرية وقواعد الرسم والنحت والعمارة والسلم الموسيقى ، وكان بسماتيك تاجرا ماهرا ، وتظهره النقوش كرجل أعمال ذكى ، واستمرت فترة حكمه حوالى أربعة وخمسين عاما زاد معها الرخاء المصرى وقد شجع ذلك الفنانين على البحث والتطور فى الفن والحرف والمهن والصناعات القديمة ، مما أدى إلى جذب إعجاب اليونانيين بالنسبة لقدم عادات شعب مصر وتاريخه العريق .

---

(١) د. إبراهيم نصحى : تاريخ التربية والتعليم فى مصر (الجزء الثانى – عصر البطالمة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ ، ص ٢٠٠ .

كان هناك اتجاه إلى إعادة وإحياء التراث القديم[١] ، وبدأ الفنـانون يقلـدون أفضل النماذج لفن النحت فى الأسرتين الرابعة والخامسة ، وكذلك فـى فـن الرسـم والعمارة ، وأخذت هذه النهضة أبعادا كبيرة حتى أن أساليب الكتابة قد تأثرت بصيـغ وألقاب الدولة القديمة ، وذادت أهمية الشعائر الدينية والعبادات فى غمرة هذا التطـور الجديد .

عثر على آثار عديدة لبسماتيك الأول فى منفس والإسكندرية ودفنة وطيبـة وادفو ، كما جاء ذكر اسمه على لوحات سرابيوم منف[٢] ، وقام أيضا بمنح وقف من الأراضى لصالح معبد المعبودة نيت .[٣]

ومن عصر بسماتيك الأول نعرف مقبرة أبا التى تحمل الآن رقـم ٣٦ فـى العساسيف وكان مشرفا على الطقوس الدينية فى الـبر الغربـى ، ومقـبرة باباسـا المشرف على عبادة العابدة المقدسة وتحمل رقم ٢٧٩ وتقع فى المنطقة نفسها .

قام الباحث مالك بحصر عدد الجبانات التى ترجـع إلـى عصـر الأسـرة السادسة والعشرين حتى الأسرة الثلاثين وأمكن حصر ٤٢ جبانة موزعة بيـن قبـة الهوا والواحات البحرية .[٤]

حور سيا ايب – وحم ايب رع – نكاو الثانى (٦٠٩ – ٥٩٤ ق. م)[٥] :

توفى بسماتيك الأول عام ٦٠٩ ق. م. وتولى من بعـده العرش ابنه نكاو

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٢٣ .

(٢) Gauthier, LR 1V, p. 65 – 80 .

(٣) R. el Sayed, les Activités des Rois de la XXVI dynastie a'Sais (Revue d'Etudes Historiques 21 1974), p. 27 .

(٤) Malek, LA 1V, p. 440 – 449 .

(٥) Redford, LA 1V, p. 369 – 371 .

الثانى ، وكانت الأحوال السياسية قد تغيرت فى شـرق العـراق ، فـأخذت تتكـون الإمبراطورية الميدية تحت حكم سياكسر – Cyaxare ومن عاصمتهم – اكباتـان – نجحوا من هزيمة شعوب السكيث وبدأ صراعهم مع آشور ، وفى عـام ٦١٤ ق. م . تقدم نابو لاصر البابلى نحو اشور وعندما وصل إلى هناك كانت المدينة قد سـقطت فى ايدى – سياكسر – وفى عام ٦١٢ ق. م. تحالف الملكان واستوليا علـى نينـوى وبعد ذلك بثلاث سنوات ساعد الجيش المصرى آخر ملوك آشور " آشور باليط " فـى منطقة هاران .[١]

وقام – يويوت – بدراسة عهد نكاو الثانى[٢] ، وعقب تولى نكـاو نجـد أن الأشوريين قد فقدوا الزعامة التى دانت للفرس ولبابل اللتين اتحدتا فيما بينهما ، وقـد استغل نكاو فرصة الصراع بين الفرس والبابليين والآشوريين وقـام – أثـر توليـه الحكم – بحملة إلى سوريا مكونة من قوات مصرية ويونانية وذلك لاستعادة السـيطرة من جديد على هذه البلاد .

وفى هذه الفترة كان يوشيا ملكا على يهوذا ، ومواليا لآشور ، ولكنه كـان ينشد شرا ما من وراء تحالفه مع حكام الإمبراطورية الآشورية ، وحاول جـاهداً أن يحد من تقدم نكاو . وجاء فى الكتاب المقدس ، السفر الثانى للملوك ٢٣ ، ٢٩ – سفر التأريخ الثانى ٢٥ ، ٢٠ – ان الملك المصرى " أرسل إليه قائلا ما الذى حدث بينـى وبينك ، يا ملك يهوذا ، إننى ما جئت اليوم لأعمل ضدك ! ولكن ضد بيت فى حـرب معى (أى آشور) لا تعارض المعبود الذى هو فى جانبى ، وإلا فإنه سيحطمك " .

وعلى الرغم من هذا فقد هاجم يوشيا المصريين فى مجدو التـى كـان قـد أحرز فيها تحوتمس الثالث – منذ حوالى تسعة قرون – النصر الكبير ، لكن هـزم

---

(١) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 106 – 107 .

(٢) Yoyotte, Dictionnaire de la Bible, Supplement V1 (1958), col. 365 – 370 .

يوشيا وقتل وتقدم نكاو حتى نهر الفرات وبعدها بحوالى ثلاثة اشهر عين على مملكة يهوذا ملكا جديدا يحمل اسم يهويقيم [١] ، وكان اليهود قد اختاروا عقب وفاة يوسياس ، ملكا هو جواشاز وعزله نكاو عن العرش وأخذه كأسير إلى مصر حيث توفى هناك .[٢]

وبعد أن أخضع فلسطين وسوريا وصل إلى الفرات ، تلك المنطقة التى كانت تمثل آخر مدى لحدود مناطق النفوذ المصرى فى فترات مجدها التاريخى الغابر. ، عاد نكاو إلى مصر وأهدى درعه إلى ابللون فى معبده الشهير فى – برانشيدس – بآسيا الصغرى ، اعترافا بما يدين به للمرتزقة الأيونيين وبما قاموا به.[٣] وفى عام ٦٠٧ ق. م. اختفت القوة الآشورية من مسرح الأحداث ، وكان نابولا صر ملك بابل قد وصل إلى الفرات ، وفى عام ٦٠٥ ق. م. تقدم نكاو من جديد حتى الفرات وتقابل البابليون والمصريون الذين كانوا يتحكمون بقوة فى قرقميش ، وكان نابو خذ نصر الأمير الوراثى هو الذى يقود كل هذه العمليات بدلا من أبيه الذى ضعف لكبر سنه ، ونجح فى الاستيلاء على قرقميش وتتبع المصريين الذين انهزموا بالقرب من حماه ، وأصبحت فلسطين تحت النفوذ البابلى ولكن وفاة أبيه اضطرته إلى العودة إلى بابل ، ولم يفكر فى أن يستغل نجاحه وتفوقه على المصريين واستطاع نكاو أن يعود إلى مصر بدون مشقة ، واستغل الاضطرابات الداخلية فى بابل لكى يعد تحالفا ويتدخل فى شئون فلسطين ضد نابو خذ نصر ، ولذلك قرر نابو خذ نصر ، من ناحيته أن ينتهى من كل هذا وفى عام ٦١٠ ق. م. تقدم ضد الملك المصرى وكانت المعركة بين الملكين لم تنته بنصر حاسم لصالح أى من الطرفين بعد أن فقد نابو – خذ نصر الكثير من رجاله فى محاولته الهجوم على مصر ، ولم يخرج الملك المصرى من حدوده بعد ذلك وعاد نابو خذ نصر إلى بلاده ولم يستطع أن يشن أى

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٢٤ ؛ Daumas,op. cit., p. 107 .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٧٨ .

(٣) Mallet, lès Premiers Etablissements des Grecs en Egypte, Paris (1893), (MMIFA 12), p. 88 – 101 .

هجوم مباشر ضد مصر ، وإذا كان الخطر قد أبعد فإن مصر قد فقدت نهائيا كل نفوذ فى اسيا واستولى البابليون على فلسطين مرة أخرى وقضوا بسهولة على التحالف الذى كونه الملك المصرى .(١)

ويصف جريمى هزيمة المصريين الأولى فى قرقميش بنوع من السخرية بالنسبة لجيشها والمرتزقة اليونانيين (Jeremie, X1,V1) . واستولى نابوخذ نصر على كل ما كان يخص ملك مصر (سفر الملوك الثانى ، ٢٤ ، ٢٧) وعادت القدس من جديد إلى نابوخذ نصر ، وبين عام ٥٩٨ و ٥٩٦ ق. م. اصطحب الرؤساء اليهود إلى الأسر فى بابل .

لم يعد هناك ما يزعج الملك المصرى بعد ذلك وتفرغ نكاو فى الفترة الباقية من حكمه إلى العمل على ازدهار ورخاء البلاد وتنمية اقتصادها – خاصة بعد أن تجمدت السياسة العسكرية فى تلك الفترة . فقد حاول تنفيذ مشروع يربط بين البحر الأحمر والنيل ، وذلك بحفر قناة تبدأ من مكان على مقربة من الزقازيق الحالية حتى تصل إلى البحيرات من نقطة قريبة من مكان مدينة الإسماعيلية الحالية . وهو مشروع صورة طبق الأصل من مشروع قناة السويس فى العصر الحديث مع اختلاف بسيط . وقام بوزنر بدراسة موضوع حفر القناة ، وذكر انه كان فى بداية الأمر كان خليج السويس ممتدا حتى منطقة الإسماعيلية حيث كان يوجد فرع للنيل الذى يأتى من الدلتا ويجرى يمينا نحو الشرق ، ولكن المياه تراجعت وتركت آثار سيرها على الأرض ممثلة فى وادى الطميلات ، وبحيرة التمساح والبحيرات المرة كانت من الآثار الأخيرة الباقية .(٢)

---

(١) Daumas, op. cit., p. 107 .

(٢) Posener, CdE 26 (1938), p. 259 – 273; Id., Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, p. 40; Id., la Première Domination Perse en Egypte, p. 94 – 87 et p. 180 – 181; Newberry, JEA 28 (1942), p. 64-66; Drioton – Vandier, L'Egypte (éd. 1952), p. 584, 602 – 603; Butzer, LA 111, p. 312-313; De Meulenaere, LA I, p. 992 .

وكل هذه الآثار أوحت للإنسان بخط سير القناة التى سوف يقوم بحفرها ، وكان لصالح المصريين أن ربطوا بين النيل وخليج السويس لأن عدم وجود هذا الاتصال يضطرهم إلى عبور الصحراء الغربية للوصول إلى البحر الأحمر ، البحر الأحمر ، ويضطرون أيضا إلى حمل المواد من الوادى حتى شواطئه لبناء السفن التى تذهب إلى بلاد بونت وإلى محاجر سيناء على أنهم لم يهتموا كثيرا بربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر ، لأنهم كانوا يرغبون فقط فى أن يبحروا بأسطولهم من النيل إلى البحر الأحمر بسهولة مثلما يحدث فى البحر المتوسط .

ولكن تحقيق مثل هذا المشروع كان يتطلب استعدادات كبيرة . ويذكر هيرودوت ان حوالى ١٢٠ ألف مصرى قد هلكوا أثناء محاولة حفر هذه القناة ، إلى جانب هذه الصعوبة كان هناك عامل آخر هو الخوف من ان تغرق مصر كلها بالمياه لأن المصريين كانوا يعتقدون ان منسوب مياه البحر الأحمر أكثر ارتفاعا من منسوب مياه نهر النيل والبحر المتوسط .

وكان أول من فكر فى هذا المشروع من قبل هو الملك سنوسرت الأول أو الثالث[١] (؟) ولكن نكاو كان أول من شرع فى تنفيذه وطبقا لأقوال هيرودوت فإن عبور القناة كان يستغرق أربعة أيام ، لكن القناة ردمت بواسطة عواصف الرمال ولم تستخدم أثناء غزو الفرس لمصر ، وتوقف العمل قبل انجازه لأن نبوءة " بوتو " أفادت الملك بأن فى إتمام هذا المشروع مصلحة للبرابرة ، ولذا فقد عدل عن تنفيذه وسوف نرى فيما بعد أن الملك دارا هو الذى قام بتنفيذ حفر هذا الممر المائى .[٢]

أرسل نكاو بعثة للاكتشافات البحرية حول الشواطئ الأفريقية – وربما أيضا – بغرض التجارة ، وقد تمت هذه الرحلة بنجاح خلال ثلاثة أعوام ، فقد رحلت السفن من ميناء على البحر الأحمر ، وعادت عن طريق مضيق جبل طارق بعد ان قطعت فى رحلتها أكثر من ١٣ ألف كم . ويبدو أن هذا المشروع قد نفذ بمساعدة

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٧٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧٩ – ٢٨٧ .

بعض البحارة الفينيقيين .[١]

ولم يحاول نكاو تجديد السياسة المصرية التقليدية تجاه آسيا مرة أخرى ، لأنه رأى أن الظروف قد تغيرت ، وأن مصر لم تعد لها القوة المطلوبة لتدعيم مركزها وتجعلها قادرة على التعرض لإمبراطوريات آسيا ذات القوة العسكرية الضخمة ، ومن المعتقد أيضا ان نكاو قد حول أنظاره عن الصراع ضد بابل على الأقل من ناحية البر - لأنه أراد تكوين أسطول بحرى قوى بمساعدة الإغريق حتى يتمكن من العودة إلى القتال ولكن عن طريق البحر ، وربما كان يريد التريث قليلا حتى يستطيع أن يثرى عن طريق ممارسته للتجارة ومن ثم يستطيع أن يجند قوات أخرى .

وقد حافظ على علاقاته مع اليونانيين وأصبح ضمن قواته إلى جانب المرتزقة الكوشيين والليبيين ، يونانيين من أسيا . لكن القدر لم يمهله حتى يكمل تنفيذ مشروعاته العديدة . عثر على آثار باسمه فى محاجر طرة وتل بسطة ودفنه وتل الفراعين .[٢] وقام بتشييد العديد من الآثار للمعبودة نيت .[٣]

حور منخ إيب - نفر إيب رع - بسماتيك الثانى (٥٩٤ - ٥٨٨ ق. م)[٤] :

ففى عام ٥٩٤ ق. م . ترك نكاو العرش لابنه بسماتيك الثانى ، ولا نعلم

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٢٥ ؛ Drioton-Vandier, L'Egypte (éd. 1952), p. 584 .

(٢) Gaûthier, LR IV, p. 86 – 91 .

(٣) R. el Sayed, les Activités des Rois de la XXVI^{eme} dynastie `a Sais, Revue d'Etudes Historiques 21 (1974), p. 27; Habachi, ASAE 42 (1943) p. 379 fig 100 .

(٤) عن هذا الملك ، راجع : Spalinger, LA IV, p. 1169 – 1172

عن حكمه إلا القليل ، فهو لم يحكم سوى ست سنوات[(١)] ، ووضع لقب " فرعـــون " أمام اسمه .[(٢)]

وفى البداية كانت بلاد كوش تتبع سياسة أكثر حذرا ولكن فـــى عـــام ٥٦٤ ق. م. أخذت تعد العدة من جديد للهجوم على مصر ، وأحس بسماتيك بذلك الخطـــر وأرسل جيشه الذى كان يشمل كاريين ودورنيين وفينيقيين ، عبروا منطـــاق النوبـــة العليا والجندل الثانى ووصلوا إلى نباتا وربما تتبعوا العدو حتى الجندل الرابع وكـــانت هذه الحملة بقيادة " بوتاسيمتو " [(٣)] الذى كان يقود أولئك " الذين يتحدثون لغة أجنبية " وكان يقود القوات المصرية آمازيس ، وسجلت نتائج هذه الحملة على لوحتين عـــثر عليهما فى تانيس وفى الكرنك .[(٤)] وعند عودة هؤلاء المرتزقة نقشوا على ركبة أحـــد تماثيل رمسيس الثانى فى أبى سمبل النقوش اليونانية الشهيرة لبوتاسيمتو ، ويبـــدو ان بعض المرتزقة الذين اشتركوا فى هذه الغزوة كانوا يهودا من الذين أقاموا فى مصـــر منذ مدة طويلة .[(٥)] وبعد هذه الحملة قام بسماتيك الثانى بمحو كل أسماء ملوك نباتـــا مثل بعنخى وطهرقا من على كل الآثار .

ويذكر – يويوت – أنه قام بحملة فى اسيا فى العام السادس من حكمـــه .[(٦)] وكان يعلم أنه لا يستطيع الصمود ضد الإمبراطورية البابلية وكان يـــرى أن قـــوة

---

(١) Gauthier, op. cit., IV, p. 96 .

(٢) Id., op. cit., IV, p. 441 .

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٨٠ .

(٤) Sauneron – Yoyotte, BIFAO 50 (1950), p. 157; Montet, Kemi 8 (1946), p. 39 – 40 .

(٥) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٢٦ .

(٦) Id., Vetus Testamentum I (1951), p. 140 – 144 .

الميديين اخذة فى النمو ولهذا اتبع سياسة أكثر حرصا مع ذوى النفوذ فى سوريا وفى اسيا .(١)

عثر على آثار له فى هليوبوليس وتل بسطة وأسوان(٢) كما قام بعمل ترميمات فى معبد المعبودة نيت ومعبد اوزير فى سايس .(٣)

حور واح إيب رع – عح إيب رع (ابريس) (٥٨٨ – ٥٦٨ ق. م) (٤) :

بعد فترة حكم قصيرة تولى من بعد بسماتيك الثانى ابنة – ابريس – الذى خلفه عام ٥٨٨ ق. م. واتخذ هو أيضا لقب " فرعون " أمام اسمه .(٥)

وقد جاء ذكر اسمه فى الكتاب المقدس (هوفرا Hophra) وقد أسماه الإغريق ابريس . لم يكن ابريس حكيما واعيا ، فقبل أن يحكم هو بعشرة أعوام كان نابوخذ نصر قد حاصر القدس واستولى على المدينة واصطحب معه الملك الصغير " يواقين " إلى بابل وعين مكانه عمه الذى كان يسمى سدسياس وقام هذا الأخير بلا وعى أو روية بالاصطدام ببابل فى السنة نفسها التى ارتقى فيها ابريس العرش ، وذهبت محاولات " جريمى " هباء منثورا ، عندما أراد أن يمنع هذا التصرف الخاطئ ولم يتوقف نابوخذ نصر للاستيلاء على صور وصيدا ، اللتين كانتا ضده وطلبتا المساعدة من الملك المصرى ، عن طريق البحر وذلك بفضل الأسطول الذى شيده نكاو من قبل ، بل اتجه نابوخذ نصر مباشرة إلى مملكة يهوذا وحاصر القدس

---

(١) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharonique, p. 108 .

(٢) Gauthier, LR IV, p. 92 – 99 .

(٣) R. el Sayed, Documents Relatifs `a Sais, p. 107 – 108

(٤) عن هذا الملك ، راجع : De Meulenaere, LA I, p. 358 – 360

(٥) Gauthier, LR IV, p. 441 .

وصمدت مدينة لاكيش وطلبت العون من مصر ، وبالفعل دعا سدسياس – ابريس – لكى يرسل جيشه فى سوريا ضد نابوخذ نصر ، وحاول ابريس أن يساند أهل يهوذا فقام بإرسال جيش يشمل قوات مرتزقة يونان ، ولكن الجيش البابلى كان يفوق فى العدد الجنود المصريين ، ودخل الملك المصرى فى صراع ضد الفينيقيين .[١] وقام بمحاصرة صور ولكنه لم يحرز أى تقدم وانسحب الجيش المصرى أمام البابليين ، وسقطت مدينة القدس وتعرضت للنهب والسلب ، وقد تنبأ جريمى بالمأساة ، فقد حوصرت القدس مرة أخرى وأعدمت العائلة الملكية[٢] تحت سمع وبصر سدسياس ، ثم فقئت أعينهم بعد ذلك ، ثم حدث بعدها عملية اضطهاد اليهود فى بابل ونفيهم .[٣]

وعهد نابوخذ نصر إلى جودلياس بالحكم فى القدس لكنه قتل بعد عام واصطحب القتلة جريمى على الرغم منه إلى مصر ومعه اثنان أو ثلاثة من بيت يهوذا الملكى وكثير من النبلاء . واحتموا مع القوات اليونانية فى حصن دفنه الذى أسمته التوراة " تاشبانس " ، وتنبأ جريمى بموت ابريس . وفى هذه الفترة استقرت بعض الجاليات اليهودية فى مصر بعد أن فرت من أمام الغزاة ومن بينها جالية استقرت فى الفنتين ، وأصبحت معروفة بفضل مجموعة من البرديات كتبت بالآرامية .[٤] وصمدت مدينة صور التى كان يساعدها المصريون من قبل ولم يستول عليها نابوخذ نصر وخشى هذا الأخير قوة الميديين لذلك لم يحاول غزو مصر .

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٢٧ .

(٢) Daumas, op. cit., p. 108 .

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٨٠ – ٢٨١ .

(٤) Meyer, Der Papyrusfund von Elephantine, leipzig (1912); Vincent, la Religion des Judeo – Arameens d'Elephantine, Paris (1937) .

أنشأ الإغريق مستعمرة كبيرة فى قورينة ، وكان الليبيون يخضعون فى قورينة لحكم مملكة باتيدس الصغيرة . وكانت هذه المملكة تقوم بسلب أراضى بعض الليبيين ، ولما لم يستطع أحد الرؤساء الليبيين " اديكران المقاومة ، طلب العون من ابريس ، لذلك أرسل ابريس جيشا مكونا من قوات مصرية فقط لأنه لا يستطيع أن يجعل مرتزقة من اليونانيين يحاربون ضد أبناء جنسهم .(١) لكن هذا الجيش وقع فى كمين بحكم خبرته الجالية اليونانية ، ويرى بعض العلماء أن ابريس أرسل هذه القوات إلى الموت المحتم لكى يتخلص من بعض الضباط المصريين الذين كان لهم تأثير سياسى واضح وقامت على أثر ذلك حركة تمرد بين صفوف القوات .

وأرسل ابريس أحد قواده – امازيس – لتهدئة الأمور فى ليبيا ولكى يتفاوض مع المتمردين ، وكان امازيس معروفا بأنه مرح ذكى ومحب للشراب ، وقد تخرج فى صفوف الجيش ، وكان يتمتع بشعبية كبيرة فى الجيش وعندما عرض عليه الثوار أن يجعلوا منه ملكا ، انضم إلى جانبهم (٢) ، ووضع نفسه على رأس هذا التمرد ضد – ابريس – ولما علم ابريس بذلك ضم إلى جانبه الجنود المرتزقة من الاغريق وقام بتسليحهم ، وقادهم ضد القوات المتمردة وكان معه ثلاثون ألف جندى من المرتزقة الكاريين والآيونيين ، وأسرع أتباع ابريس بالهجوم على القوات المتمردة وأتباع امازيس من الأجانب ، والتقى الخصمان عند مدينة مومفيس (كوم الحصن) وانهزم ابريس ، وقد عثر فى القاهرة على لوحة من الجرانيت الوردى تقص علينا انتصار امازيس وأخذ ابريس أسيرا الى مدينة سايس التى كانت مقرا له وأصبحت من الآن مقرا لامازيس الذى كان يشمل ابريس بالرعاية والمعاملة الطيبة فى البداية ولكنه أسلمه إلى عامة الشعب عندما حاول الفرار ، وتوفى ابريس ودفن فى سايس داخل سور معبد المعبودة نيت .(٣)

---

(١) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p 217 .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٢٨ ؛ Daressy, RT 22 (1900) p. 109 .

(٣) Herodate II, 169 = trad. Legrand, P. 185 .

أما عن آثار ابريس فقد ترك آثارا عديدة فى سايس وعين شـــمس وميـت رهينة منها اللوحة التى اقامها فى منف وهى تمثل بعض القرارات لضمان اســتمرار تقديم القرابين للمعبودات . وأقام قصرا فى منف وكان قصره الملكـــى فــى مدينــة سايس ، ضخما وجديرا بالمشاهدة والإعجاب ، وحكم ابريس حوالــى تســعة عشــر عاما .[١]

حور سمن ماعت – خنم إيب رع – إعح مس سانيت (امازيس) (٥٦٨ – ٥٢٥ ق.م)[٢] :

بعد أن قضى امازيس على القوات المرتزقة التى كانت فى خدمة ابريـس ، توج ملكا تحت اسم " أحمس " أما امازيس فهى – تسمية يونانيـــة – ووضــع لقـب " فرعون " أمام أسمه .[٣] وكان ابريس فى الأسر ونجده بعد مضى عامين ، يــهرب من أسره ليقوم بمحاولة لاستعادة العرش ، ولكنه هزم وقتل على ظهر السفينة التـــى حاول الفرار عليها . وتعد فترة حكم امازيس الطويلة من فــترات الرخـاء الكـبرى لمصر .

وهو على الرغم من اغتصابه للعرش ، فإنه كان يتمتع بتأييد الــرأى العــام المناهض للأجانب ، وكان من عامة الشعب كما ذكر هيرودوت فى الفصل ١٧٥ فــى الجزء الثانى من كتابه . وتحدثنا الوثائق الديمقراطية عن قــوة شــخصيته ، وكــان امازيس يترك أعباء الدولة من أجل أن يجالس رفاق الشراب ، ويقال أن ملــك نباتـا كان يتحدى الملك المصرى لشرب البحار من النبيذ .

---

(١) Gauthier, LR IV, p. 104 – 112 .

(٢) عن هذا الملك ، راجع : Otto, LA I, p. 181 – 183

(٣) Gauthier, LR IV, p. 441 .

كان حريصا على توثيق علاقات الود مع اليونانيين [١] ، فــهؤلاء يكونــون القاعدة الأساسية فى جيشه ، كما حدث تحت حكم الملوك السابقين . وكان يعلم أنـه لا يستطيع الاستغناء عن وجودهم أو أهميتهم العسكرية . ويبدو أن نابوخذ نصر قـــرر استئناف الصراع ضد مصر ، ودخل امازيس معه فى معركة ، التى يبدو أن نتيجتــها لم تكن حاسمة . ولكن لم يعقبها غزو لمصر . ويؤكد المؤرخون الإغريق أن امازيس قد استولى على جزيرة قبرص ، وليس لدينا أية وثيقة مصرية تؤكد هذا الغزو . ولــم يحاول شيئا ما فى سوريا وفلسطين على الرغم من ضعف خلفــاء نــابوخذ نصــر . واتجه امازيس إلى الاهتمام بالوضع الداخلى ، وأقام الآثار فى كل مكان مــن شــمال الوادى وجنوبه لكنها تركزت فى سايس وفى منف ، وفى ابيدوس ، وبلغــت الفنــون أوج مجدها فى ذلك الوقت ونستطيع أن نحكم على ذلك من خلال تأمل بعض الفنــون الزخرفية التى كانت تحاكى النماذج الفنية فى العصور السابقة .[٢]

ويذكر هيرودوت فى الفصل ١٧٥ فى الجزء الثانى من كتابه قائلا : " وفــى مدينة سايس شيد هذا الملك رواقا رائعا لاثينا (= المعبودة نيت) .. وأقـــام أيضــا الشوامخ من التماثيل وتماثيل كباش بالغة الطول . وأحضر حجارة أخرى للـــترميم ، هائلة الحجم ، جلب بعضها من مناجم الأحجار التى فى منف وبعضها الآخر ، وهــو ذو ضخامة منقطعة النظير ، من مدينة الفنتين وهى على مسافة إبحار عشرين يومـــا من سايس . على أن أكثر ما أثار فى نفسى أبلغ العجب من بين كل ذلك ما يـــأتى : أمر باحضار محراب (مشيد) من صخرة واحدة من الفنتين ، واســتغرق إحضـــاره ثلاث سنوات ، وكلف عشرين ألف رجل بنقله وكلهم كانوا من الملاحين . وطول هذا المحراب من الخارج واحد وعشرون ذراعا ، وعرضـــه أربعــة عشــر ذراعــا ، وارتفاعه ثمانية أذرع .. ويؤكدون أنه لم يسحب إلى داخل المعبد لأن المشرف علــى أعمال البناء قد أرهقه ذلك العمل الشاق الطويل الأمد ، فأشفق عليه امازيس من ذلــك

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٨٢ – ٢٨٣ .

(٢) Id., op. cit., p. 113 – 129 .

ولم يسمح بدفعه إلى الأمام أبعد مما وصلوا اليه (١)

وقد جاء فى حديث هيرودوت فى الفصل ١٧٧ ما ياتى

" ويقال أن مصر كانت تحت حكم امازيس على درجة عظيمة من الازدهار وذلك نتيجة لما جاء به فيضان النيل على الأرض من طمى ، وجاءت به الأرض على الناس من خير ، وكان بمصر على الجملة فى ذلك العهد ألف مدينة اهلة بالسكان كما كان امازيس هو واضع القانون الذي يفرض على كل مصرى أن يبين سنويا مورد عيشه لحاكم الإقليم . ومن لم يفعل ذلك ، ولم يثبت انه يعيش عيشة مشروعة ، كان عقابه المحاكمة والمساءلة ولقد نقل سولون الإثينى هذا القانون عن المصرين ووضعه للأثينيين " (٢)

وتأثرت الروح الوطنية فى كبريائها بسبب وجود الأجانب ، وحدثت اضطرابات هامة من جانب الجنود المصريين ضد التجار اليونانيين المتفرقين فى الدلتا . وكان أول عمل قام به الملك لتجنب تدهور الموقف وارضاء للشعور الوطنى أن طلب من اليونانيين بأن يستقروا فى أراضى محدودة لكى لا يدخلوا فى صراع مفتوح مع رعاياه من المصريين . وقد اختار لهذا المكان – مدينة نقراطيس (٣) – إحدى المناطق القديمة لاستقرار المرتزقة اليونانيين ، وسمح للتجار اليونانيين هناك ببناء مدينة خاصة لهم ، والتى أصبحت مركزا لعلاقاتهم التجارية مع مصر . فقد كانت البضائع تاتي من البحر المتوسط الي هذه المدينة عن طريق البحر ومن بين أشهر سكان نقراطيس ، تذكر " دوريشا رودبيس التى كانت من أجمل نساء عصرها . والتى تزوجت أثناء هذا الحكم من شاركوس

---

(١) عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ص ٩٣٠

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٣٠ – ٩٣١ ؛ ويذكر بوزنر أن أول من فرض إقرار ضريبة الدخل هو امازيس ، راجع Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, p. 8 .

(٣) د. احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٢٩ .

(٢)

وقد أرسل أمازيس الهدايا إلى بلاد اليونان وإلى كورينى أرسل تمثالا للمعبودة اثينا مغطى بالذهب مع صورة مرسومة ، وإلى ليندوس تمثالين من الحجر .

وقد جاء ذكر كل هذا فى الكتاب الثانى لهيرودوت ، الفصل ١٨٢ " ولقد ارسل امازيس الهدايا ايضا إلى بلاد اليونان ، فالى كورينى ارسل تمثالا لاثينا مغطى بالذهب مع صورة مرسومة ، وإلى ليندوس تمثالين من الحجر ومشدا للصدر جديرا بالمشاهدة ، ووهب ايضا لهيرا فى ساموس تمثالين لنفسه من الخشب ، لا يزالون حتى وقتنا هذا قائمين فى المعبد الكبير خلف الأبواب . وبعث الهدايا إلى ساموس لتوثيق صلات الود والكرم بينه وبين بولكيراتيس (طاغية ساموس) فى اياكيس .[١]

وكان امازيس ماهرا جدا فى السياسة ، فقد قاد دفة الأمور بنوع من الحرص والذكاء الشديدين ، ولذلك نجد انه اثناء العواصف التى هبت على السياسة الخارجية ، حافظ على علاقات الود والصداقة مع اليونانيين وحرص على المحافظة على مصالح شعبه وكان محبا لليونانيين لدرجة ان هيرودوت لقبه - بالمحب لليونانيين وعقد معاهدة مع قورينة وتزوج سيدة تنتمى إلى هذه المدينة .[٢] وشجع امازيس إقامه الناس فى الواحات وتعميرها . وبدا فى تشييد معبد للمعبود امون فى الخارجة[٣] ولكن الذى أتمه فيما بعد هو الملك دارا

وبدات تظهر فى ذلك الوقت قوة جديدة فى الشرق ، وعما قريب سوف يجد المصريون واليونانيون أنفسهم مضطرين للدفاع عن وجودهم .

ففى نهاية حكم امازيس ، نجد ان الفرس لم يتوقفوا عن توسعاتهم عند حد معين ، وبداوا يهددون كل بلاد الشرق القديم ، ولتجنب الخطر الفارسى المرتقب اضطر امازيس إلى التحالف مع كريزيس ملك ليديا ومع اسبرطة وأيضا مع برقة وبوليكرات من سموس ، وبابل .

---

(١) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٩٣١ - ٩٣٢ .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٠

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٣٠ ، ص ٤٣٥ .

فقد تولى عرش مملكة فارس – قورش الثانى فى عام ٥٥٨ ق. م ـ
مرور خمسة أعوام ثار ضد الملك " استياج " ملك الميديين وهزمه فـــى عـــا
واستولى على عاصمته اكباتان ، فقد كان قورش محاربا عظيما ، وفـــى عـــا
ق. م. هاجم كرويسوس ملك ليديا الجديد الذى كان متحالفا مع امازيس ، وسار
ليديا وغزا اسيا الصغرى بعد معركة – بتريا Pteria – واستولى على عاصمـ
الميديين – سارد – ومن عام ٥٤٥ إلى ٥٣٩ ق. م. غزا عدة بلاد وبعد ذلك
إلى بابل وبعد معركة فى " اوفيس – Opis " فى شمال بغداد وصل قورش إلى
واستولى عليها بسهولة على الرغم من أسوارها الثلاثة التى كانت تحيط بها ويـ
هو الذى حرر اليهود وسمح لهم بالعودة إلى القدس وتشييد الهيكل المزعوم (:

لم يكن لدى الملك المصرى الوقت الكافى لكى يساعد حلفاءه ، وأحس
نفسه بالخطر ، وبدأ الفرس يتجهون بأنظارهم نحو مصر ، ومن المحتمـــل أن
أنقذ مصر من هذا الخطر هو وفاة قورش فى عام ٥٢٨ ق. م. أثناء قتاله ضد
التورانيين – Touraniens . وكان امازيس يتمتع بالذكاء فقد أرسل ابنة ابريـ
ملك الفرس لكى يهبه كزوجة – أميرة من دم ملكى . ومهما كان ذكاء هذا الملـ
لم ينجح فى الحد من خطورة الفرس .

وطبقا لأقوال هيرودوت فإن البلاد كانت أمنة والأوضاع الداخلية مسـ
تحت حكم امازيس .

وتوفى فى عام ٥٢٥ ق. م. بعد أن حمل التاج أربعة وأربعين عاما .
الشعور العام السائد هو أن الفرس سوف يجتاحون عن قريب الدلتـــا مـــن الشـ
وبالفعل بعد وفاته بستة أشهر غزا – قمبيز – مصر .

---

(١) nas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 110 .

عنخ كا إن رع – بسماتيك الثالث (٥٢٦ – ٥٢٥ ق. م) [(١)] :

خلف والده امازيس ، الذى توج على العرش فى الوقت المناسب لكى يحاول أن يوقف الغزو المرتقب الذى لا يمكن تجنبه بقيادة قمبيز خليفة قورش .

وقد ترك امازيس لولده بسماتيك الثالث بلدا يفيض بالرخاء والخـير ، لكـن المخاطر كانت تلوح فى الأفق ، فبعد قليل من توليه العرش ، هاجمه قمبيز وقد خانـه " فانس " وهو أحد رؤساء المرتزقة اليونانيين وهزم الجيش المصرى فـى بلوزيـوم (تل الفرما) وسقطت منف [(٢)] ، بعد أن قاوم المصريون بقوة . وكانت هذه الهزيمـة كفيلة بتقرير مصير مصر ، وترك بعض اليونانيين خدمة الملك المصرى وانضمـوا إلى معسكر قمبيز ، وعزل بسماتيك الثالث عن العرش وحكم عليه بالموت ، وتـوج قمبيز ملكا على مصر . وخضع له الليبيون وأهل برقة وأصبحت مصر ولاية فارسية وهكذا خضعت مصر للفرس كما خضع غيرها من بلاد الشرق القديم .

وهكذا تنتهى الأسرة السادسة والعشرون بالهزيمة فى بلوزيوم ، تلك الأسـرة التى نجحت فى جعل مصر دولة موحدة تتمتع بنوع من الرخاء فى الداخل ، نجـد أن ملوك الأسرة نجحوا أيضا فى السيطرة التامة على معظم أقاليم البلاد وذلـك بحسـن تصرفهم وذكائهم فى توزيع موظفى الدولة ونشر العدالة بين الناس ، واستفادت مصر من هذا الرخاء الذى تجدد وانعكس ذلك على الفن فى شتى مجالاته .

وأصبحت هناك نهضة فنية حقيقية . والأعمال التى حققها ملوك هذه الأسرة فى معبد سايس تستحق أن نتحدث عنها قليلا .

فنعلم أنه خلال الأسرة السادسة والعشرين أصبحت مدينة سايس العاصمـة ، والمكان المفضل لهؤلاء الملوك الذين زينوها بآثار جميلة .

---

(١) عن هذا الملك ، راجع : Spalinger, LA IV, p. 1172 – 1173

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٣١ .

ونعلم أن معابدها وخاصة معبد المعبودة نيت كان موضع اهتمـام ملحـوظ سواء بالترميم أو بالإضافة كما يتضح ذلك فى الكتل التى عـثر عليـها هنـاك فقـد خصص الملك بسماتيك الأول أرضا فى صالح معبد المعبودة نيت ، وهنـاك بعـض الاثار من عصر نكاو الثانى ، ومن عصر بسماتيك الثانى لدينا قـاعدة تمثـال أبـى الهول . ونعلم أيضا من نقوش التمثال رقم ٦٥٨ بالمتحف المصرى أن هـذا الملـك اكمل أعمال اسلافه وأقام مقاصير جديدة للمعبودة نيت منها مسلات صغـيرة ورمـم القارب المقدس الخاص بالمعبودات . أما عن الملك ابريـس فقـد خصـص بعـض الأعمدة فى معبد المعبودة نيت وشيد المسلات وأيضا ناووس لتمثال المعبودة . لكـن الملك امازيس كان أكثر الملوك نشاطا ، فهل أراد أن يخص سايس بذلك النشاط لكـى يستميل إليه حب الشعب ويجعلهم ينسون ابريس ؟ فطبقاً لهيرودوت أقام أمازيس فـى سايس للمعبودة نيت البوابات الضخمة ورواقا رائعا لنيت (آثينا) والتماثيل الجميلة ، واستعان بذلك بأحجار من الجرانيت من الفنتين . وأمر بأن تحفر بحـيرة مقدسـة ، وهى البحيرة التى تقع فى داخل الحائط الخارجى للمعبد .

ويمكن اضافة أن بعض ملوك سايس كانوا يدفنون فى الحـائط الخـارجى للمعبد مثل بسمانيك الأول ، ونكاو الثانى ، وامازيس .(١)

قامت د. زكية طبوزاده باعداد رسالة دكتوراة عن أوجـه نشـاط ملـوك الأسرة السادسة والعشرين فى مصر وذلك تحت إشرافنا عام ١٩٨٣ وهى رسـالة غير منشورة . وقامت الباحثة بحصر الآثار التى تخص ملوك هذه الأسرة . فنعلـم

(١) R. el Sayed, les Activites des Rois de la XXVI^ème dynastie a Sais, p. 27 – 29 .

وكانت عبارة عن رواق كبير من الحجر مزدان بأساطين تحـاكى النخيـل وبداخل هذا الرواق بابان بينهما التابوت ، راجع : د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص

مثلا أنه هناك حوالى ٧١ أثرا للملك بسماتيك الأول (١) و ٣٩ لنكاو الثانى (٢) و ٥٩ لبسماتيك الثانى (٣) و ٧٦ لأبريس (٤) و ٩٢ لأمازيس (٥) و ٣ لبسماتيك الثالث .(٦) (وهناك آثار أخرى لم تنشر ولا زالت مجهولة)

وبفضل وجود الجنود المرتزقة والتجار الإغريق خلال الأسرة السادسة والعشرين الذين كانوا يأتون إلى مصر والذين كثر توافدهم عليها فى هذه الفترة للعيش فيها، هؤلاء روجوا لحضارتها عند عودتهم إلى بلادهم ..ولهذا السبب نجد أنه فى أعقاب نهاية الأسرة السادسة والعشرين زار مصر كثير من الرحالة والفلاسفة اليونان الذين سمعوا عنها وعن حضارتها من بنى جنسهم ، وكانت آثار ملوك الأسرة السادسة والعشرين لا زالت قائمة ومحتفظة برونقها وجمالها ، وكانت أعمال هؤلاء الملوك لا زالت عالقة فى الأذهان ، ولهذا حضروا وشاهدوا وتعلموا وكتبوا . ويعد ما كتبوه من مشاهداتهم مصدرا هاما لدراسة تاريخ مصر القديم ومظاهر حضارتها .

وهناك أكثر من واحد وعشرين مقبرة من عصر هذه الأسرة لمعاصرين لملوك هذه الأسرة ودفنوا بالبر الغربى منهم ششنق الرئيس الأول لاستقبال العابدة المقدسة عنخ نس نفر إيب رع (رقم ٢٧) وايبي الرئيس الأول لاستقبال العابدة المقدسة امن اردى إس الأولى (رقم ٣٧) وحور مس القائد الأكبر لجنود آمون (رقم ١٢٦) وباثنفي عمدة طيبة وادفو (رقم ١٢٨) وبس ان موت كبير الكتبة الملكيين (رقم ١٦٠) ونس بانب جد الأب المقدس (رقم ١٩٠) واح إيب رع نب

---

(١) Z. Topozada, les activités des Rois de la XXVIème dynastie en Egypte, le Caire (1983) (non publiee), t. I, p. 1 – 59 .

(٢) Id., op. cit., p. 60 – 93 .

(٣) Id., op. cit., p. 94 – 141 .

(٤) Id., op. cit., p. 142 – 199 .

(٥) Id., op. cit., p. 200 – 269

(٦) Id., op. cit., p. 270 – 273

بحتى رئيس الاحتفالات (رقم ١٩١) وبادي حرر سنت الرئيس الأكبر لاستقبال امون (رقم ١٩٦) ، وبادي نيت الرئيس الأكبر لاستقبال الأميرة عنخ نس نفر ايب رع (رقم ١٩٧) واوسر ام حات رخبت الأمير الوراثي والصديق الوحيد (رقم ٢٠٩) وكار اخي أمون الكاهن الأول للروح (رقم ٢٢٣) .

واح ايب رع خادم العابدة المقدسة (رقم ٢٤٢) وبامبو عمدة طيبة (رقم ٢٤٣) وباباسا رئيس مراسم الزوجة المقدسة (رقم ٢٧٩) ونس باك شوتي العمدة وحاكم الوجه القبلي والوزير (رقم ٣١٢) وباسا عمدة طيبة (رقم ٣٨٩) وارت راو الكاتبة والتابعة الأولى للعابدة المقدسة نيتو كريس (رقم ٣٩٠) وبنتي دوا نثر المسئول عن العابدة المقدسة (رقم ٤٠٧) وموت اردس رئيسة أتباع العابدة المقدسة (رقم ٤١٠) وبسماتيك ددي نحح الكاهن الجنائزى للعابدة المقدسة (رقم ٤١١) .[1]

---

(١) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٢٦٢ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ .

الفصل التاسع

الفترة من الأسرة السابعة والعشرين حتى نهاية الأسرة التاسعة والعشرين وملوك هذه الفترة وأهم أعمالهم الغزو الفارسي للبلاد ثم التحرر واليقظة

الأسرة السابعة والعشرون (٥٢٥ - ٤٠٥ ق. م) [١]

مسوت رع - قمبيز (كمبيث) (٥٢٥ - ٥٢٢ ق. م) [٢] :

هزم الجيش المصرى فى بلوزيوم، وتقدم الفرس بعد ذلك وكانوا يستخدمون جنودا مرتزقة من اليونان كالمصريين تماما ، وقد مهد القائد البحرى وقائد الأسطول " وجاحر رسنت " السبيل للفرس للاستيلاء على مدينة سايس [٣] ، ثم حوصرت هليوبوليس حتى استسلمت ، وفر بسماتيك الثالث ليعتصم فى منف ، وظهر ضعف

---

(١) يعطى فون بكرات كتاريخ لهذه الأسرة ٥٢٥ - ٤٠٤ ق. م ، راجع : LAI, p. 970 .

(٢) عن هذا الملك ، راجع : Krauss, LA 111, p. 303 – 304

(٣) R. el Sayed, Quelques Personnages célèbres : مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد ٢٤، ١٩٧٧، ص ٤٢-٤٤ . فى الواقع نحن لا نعرف ما هى الدوافع التى أدت بوجا حررسنت أن يتصرف مثل هذا التصرف ربما لمعرفته الجيدة بمدى قوة الفرس وأسطولهم الحربى وأحس بأن مقاومتهم سوف لا يكون فى صالح معدات الأسطول المصرى ومدن الساحل الشمالى وخاصة مدينة سايس العاصمة . والدليل على ذلك ما جاء فى نقوش تمثاله المحفوظ بمتحف الفاتيكان وقام بترجمته بوزنر وجاء فيها : ===

الجيش المصرى ولم يستطع الدفاع عن المدينة ، واستولى عليـــها قمبــيز ، وذكــر هيرودوت أنه عامل بسماتيك الثالث معاملة طيبة فى أول الأمر وأبقــاه علــى رأس الحكومة ، ولكن سرعان ما حاول الملك المصرى القيام بتمرد ضـــد الغــزاة ولكــن الثورة فشلت وأرغم على الانتحار أو توفى [١]

قدمت التماسا إلى جلالته ملك مصر العليا والوجه البحرى قمبيز يتضمـــن ثبتا بجميع الأجانب الذين سكنوا معبد المعبودة نيت ، ليرحلوا من هنـــاك وأن يعود معبد نيت إلى عظمته الكاملة كما كان فى الزمن الماضى . وأمــر جلالته بطرد الأجانب الذين أقاموا فى معبد نيت ، وهدم منازلهم جميعـــا وكذلك كل ما زاد عن حاجتهم ، ونقل كل أمتعتهم خارج حائط هذا المعبد وأمر جلالته أن يطهر معبد نيت ويوضع فيه كل رجاله ، ومعـــهم كهنـة المعبد . وأمر جلالته بضرورة اعطاء الدخول إلـــى نيـت العظيمـة ، أم المعبودات . وإلى معبودات سايس الكبرى (المعروفة) من قديم الزمـــان . وأمر جلالته أن تقام أعيادهم ومواكبهم كما كان يتم عملها قديما وما فعـل جلالته ذلك إلا لأننى عملت على تعريف جلالته بعظمة سايس ، إنها مدينـــة كل المعبودات "

ويتضح من النص أن وجاحر رسنت قد نجح فى التأثير علـــى قمبــيز لحماية معابد مدينة سايس مما يدل على أنه كان وفيا نحو وطنـــه ولا أحـــد يستطيع أن ينكر ذلك ، وخاصة وأنه كان يتحدث إلى ملك أجنبى منتصـــر لا يدين ديانة المصريين القدماء ، راجع : د. عبـــد الحميـد زايـد : مصـــر الخالدة ، ص ٩٣٩ – ٩٤٠ ؛ وعن هذه الشخصية ، راجـع Spalinger, LÄ VI, p 822 - 821

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٣١ .

ويبدأ مانيتون تاريخ هذه الأسرة بعام ٥٢٥ ق. م ، أى فى اللحظة التى توج فيها قمبيز ملك الفرس – ملكا على مصر ، وتكونت الأسرة السابعة والعشرون من ملوك الفرس ، وأثناء هذه الفترة ، كان المصريون ينمتعون برخاء عظيم ، بعد فترة النهضة التى عاصروها خلال الأسرة السابقة ، وكانوا واثقين من تفوقهم فى جميع المجالات حتى أنهم أصيبوا بدهشة واختلط عليهم الأمر عندما غزاهم الفرس .(١)

وقد رفضوا أن يعدوا انفسهم تحت سيطرة ملك أجنبى ، ولكنهم أعلنوا أن قمبيز ملك من اختيارهم وهو بذلك الملك الشرعى . وقد تمسكوا بأن يتوجوه ملكا للوجهين القبلى والبحرى ، بالاسم الحورى ، والنبتى أى المنتمى إلى المعبودتين (نخبت وواجيت) وابنا لرع وأنعموا عليه بكل الألقاب الأخرى المتوارثة والخاصة بالملوك المصريين ومنحوه أيضا اسما مصريا - مسوت رع (أى نتاج أو نسل رع) وحرصوا على أن يصوروه وهو يتعبد إلى المعبودات المصرية

وتأثر قمبيز كثيرا بثراء وثقافة هذا البلد العريق ، وشعر بنوع من الفخر وهو يرى نفسه متوجا كملك على الطريقة المصرية .(٢) ونرى فى هذا أن - حيث مصر الذى كان معروفا فى كافة أنحاء العالم القديم كمهد للحضارة – قد عاش على الرغم من كل الكوارث التى حلت بها

(١) Posener. la Premiere Domination Perse (BdE II), le Caire (1936), p. 1-26; Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p.

(٢) صور قمبيز على لوحة للعجل ابيس كملك مصرى ، راجع :

Posener, op. cit., p. 5 – 6, pl. 3; Parker, Persian and Egyptian Chronogy, dans American Journal of Semitic languages, 58 (1941), p. 286 .

(٣) عن كتابة أسماء الملوك الفرس بالمصرية ، راجع : Posener, op. cit., p. 161 – 163

وكان قمبيز أبعد ما يكون عن أن يفكر فى نهب البلاد ، فبعد أن تحقق لـــه غزو مصر حاول الحد من أساليب السلب والنهب التى اتبعها الجيش الفارسى والتـــى قاست منها البلاد ، ومن المؤكد أن استيلاء الفرس على البلاد لم يمر هكذا بســـلام إذ أن نار الحمية الوطنية المغلوبة على أمرها لم تخب تماما تحت الرماد ، فقــد قــامت الثورات فى بعض الأنحاء وتؤكد ذلك الوثائق المحلية والمعـــابد التـــى أقــام فيــها الأجانب . وقد شاهد سترابون أيضا كثيرا من الآثار -- فى عين شمس خاصة – التى تدل على حرائق الفرس فى المقاصير .

وتؤكد البرديات الآرامية التى عثر عليها فى الفنتين هــذه المعلومـــات [١] ، وهكذا أصبح التاج المصرى من الآن جزءا من العائلة المالكة فى فارس ، وأصبحـت مصر جزءا هاما من الإمبراطورية الفارسية وأصبحت العاصمة منف بعد أن كـــانت مدينة سايس .

وقد رغب قمبيز فى إخضاع كل العالم القديم مثل اليونان وقرطاجـــة وأراد أن يستولى على الواحات ، وواصل طريقه حتى طيبة ، وأرسل حملـــة هامـــة إلـــى الصحراء الغربية لكى تحتل الواحات ولكى تحطم معبد آمون فى واحـــة ســيوة [٢] ، وذلك لأن شعوب العالم القديم كانت تؤمن فى هذه الفترة إيمانا شديدا بنبوءات الوحـــى التى تأتى من بعض المعابد الكبرى ، ومن بينها نبوءة معبد آمون فى سيوة ، الـــذى كان يأتى إليه بعض الزوار من بلاد اليونان . فلما سألوا كهنة آمون فى ســـيوة عــن مصير جيش قمبيز وغزو الفرس لمصر ، فجاء الجواب بأن الفرس سوف يرحلـــون وأن قمبيز سوف يلاقى سوء المصير . ولهذا السبب أرسل قمبيز جيشه للانتقام مـــن كهنة هذا المعبد ولهدمه ، وليثبت للمصريين واليونانيين الذين كانوا يؤمنون بوحـــى آمون أن نبوءة كهنة سيوة ليس لها أى نفع . ويذكر هيرودوت الذى زار مصر بعــد

---

(١) Cowley, Aramic Papyri of the Fith Century B. C., Oxford (1923), p. 15 .

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٣١ ، ٣٣٤ .

خمسة وسبعين عاما تقريبا من هذا الحدث أن قمبيز عندما وصل إلى طيبة فى طريقه إلى النوبة جرد جيشا قوامه ٥٠ ألف جندى ومعهم معداتهم . وأن الجيش تحرك من طيبة ومعه المرشدون ووصل إلى الواحة الخارجة التى تبعد عن طيبة مسيرة سبعة أيام . وبينما كانوا يتناولون طعام الغذاء هبت ريح جنوبية بالغة العنف فأهالت الرمال أكواما عليهم فهلكوا جميعا ولم يصل جندى واحد سالما إلى سيوة . ومـا زال هذا الجيش مطمورا تحت رمال الصحراء الغربية حتى الآن . ويؤكد هيرودوت أن كهنة آمون فى سيوة ذكروا أن آمون أرسل عليهم لعنته وغضبه وانتقامه .(١)

لقد انتقم آمون لنفسه ممن كانوا يريدون تدمير معبده والتنكيل بكهنته . ومـا حدث لجيش قمبيز زاد فى الوقت نفسه من أهمية تلك النبوءة .(٢) وهكذا طمر جيش قمبيز تحت رمال الصحراء الغربية فى مكان ما فى منتصف الطريق بين الخارجة وسيوة . ولا يزال أمل العثور على بقايا هذا الجيش حلم يراود العديد من الباحثين والمنقبين . ومن المعروف أن العواصف الرملية فى الصحراء خاصة فـى مناطق الكثبان تسبب الكوارث ، ففى عام ١٨٠٥ دفنت نفس الرمال قافلة مكونة من ألفين رجل ومعهم إبلهم بينما كانوا فى الطريق من غرب السودان إلى أسيوط.(٣)

وفى ذلك الحين قاد قمبيز بنفسه الجيش ، وصعد النيل بغرض ضم مملكة نباتا الكبيرة التى خرج منها ملوك الأسرة الخامسة والعشرين ، وكان يطمع كذلك فى ثروتها وذهبها(٤) لكن حلت المتاعب بهذه الحملة أيضا – بسبب قلة المؤن .

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٣٤ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٨٦ ؛ د. أحمد فخرى : واحات مصر ، المجلد الأول : واحة سيوة (ترجمة د. جاب الله على جاب الله) ، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية العدد ٢٠ ، ١٩٩٣ ، ص ١١٠ .

(٢) د. جاب الله على : المرجع السابق ، ص ١١٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١١١ .

(٤) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٣٤ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٨٦ .

وبعد أن فقد الكثير من الرجال بسبب صعوبة الطريق وقلة الـــزاد والظمـــأ اضطر إلى العدول عن مشروعه هذا ، أو أنه أصيب بهزيمة كبيرة على يدى ملـــوك نباتا[١] وبعد هذه السلسلة من الحملات الفاشلة – غير سياسته تجاه مصر – وبدأ يفقـد صوابه . ونقص علينا الروايات التى انتشرت فيما بعد فى العصور التاليـــة ، مـــدى القسوة التي عومل بها المصريون ، وينسب هيرودوت هذه القســوة – إلـــى قمبـيز نفسه – ويبدو أن ذلك قد بنى على حقيقة موكدة ، ومن المحتمـــل أيضـــا أن الملـــك الفارسى كان مسئولا عن بعض هذه الأعمال المهينة ، على الرغم من أن الأمر لـــم يكن كذلك فى بداية حكمه . ويقال أنه أصيب بلوثة عقلية . وذلك ما يبرر إلي حد مـــا مثل هذه التصرفات القاسية . فقد كره المصريين فيما بعد ، واحتقر معبوداتهم الدينيـة ويقال ايضا أنه طعن بخنجره العجل أبيس المقدس ، لكى يبين إلى أى مدى كان يكـره عبادة الحيوانات ، على أنه بهذا التصرف ظهر بمظهر المتعصب أكثر من أن يكـــون مختل العقل

وكان يقيم في منف والفنتين في ذلك الحيـــن عـــدد كبـــير مـــن المرتزقـــة اليهود .[٢] ويقص علينا – وجاحر رسنت – كيف كانت سياسة قمبيز معتدلة – فـــى بداية حكمه – وعمل قائد الأسطول – وجاحر رسنت – على إظهار عظمـــة مدينـــة سايس [٣] وزار قمبيز بنفسه مدينة سايس ودخل المعبـــد وأدى الطقـــوس للمعبـــودة نيت وقدم القرابين كما كان يقدمها كل الملوك من قبل ، ويذكر بعد ذلك أنـــــه بعـــد وفاة قمبيز حاول خليفته – دارا – اتباع السياسة التقليدية للملوك الوطنيين ، فـــأعطى الأوامر بترميم المعابد المتهدمة ، وأعاد للكهنة كافة الحقوق التى كانت قد ألغيت وأن نجدد القرابين المقدسة التي توقفت فى ذلك الوقت . ووصلت إلينا بعـــض البرديـــات الديموطيقيه من – إقليم اسيوط – منها ما يشير إلى أنه فى السنة الثامنة مـــن حكـــم قمبيز ، كانت هناك قوائم بكميات شهرية من النبيذ والزيـــوت مخصصـــة لكل رئيس

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٣٣ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٩٢٧

(٣) Posener, op. cit., p. 164 – 171

كهنة الأقاليم وحاكمه .(١)

وانتهى الأمر ، بأن كره المصريون قمبيز ، وشعروا بارتياح كبير عندما غادر البلاد وعهد بحكم مصر إلى " ارياندس " وهو أحد أقربائه الذى استقر فى منف(٢) وأثناء عودته إلى بلاده تلقى خبرا بالقرب من جبال الكرمل ، بأن أخاه " بارديا " قد اغتصب العرش فى فارس ، ويقال أنه انتحر فى هذا المكان عام ٥٢٢ ق. م.

ستوت رع – دارا الأول (تاروشا) (٥٢٢ – ٤٨٥ ق. م) (٣) :

خلف قمبيز ولده – دارا الأول – الذى حكم مصر بدون صعوبة ، وفى بداية حكمه اضطر ارياندس إلى القضاء على ثورة فى قورينة وتوج دارا ملكا عن طريق التفويض وعند مجيئه إلى مصر ، استقبل بحفاوة كبيرة ، فوصل إلى منف واستطاع أن يستميل الشعب إليه . ودعا إلى ضرورة إعادة تنظيم البلاد من الناحيتين الإدارية والقانونية . وقد حاول أيضا أن يظهر تقديره للديانة المحلية فأمر بدفن – العجل أبيس – على الطريقة التى كان يتبعها ملوك مصر ، ووضع لقب " فرعون " أمام اسمه .(٤)

وكان أول أهدافه فى مجال السياسة الداخلية هو العمل على – إعادة حفر القناة بين البحر الأحمر والنيل – وكان من دوافع هذا المشروع ، تيسير وصول سفن الجزية إلى فارس . ومساهمة تلك القناة فى تنشيط التجارة البحرية مع بلاد الشرق القديم . ذلك المشروع الذى بدأه نكاو لتنظيم الاستغلال الاقتصادى لموارد البلاد . وحاول إبراز أهمية النيل التجارية . وفى الواقع أن دارا كان أكثر من ملوك مصر

---

(١) Sottas, ASAE 23 (1923), p. 34 – 46 .

(٢) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 111 .

(٣) عن هذا الملك ، راجع : De Meulenaere, LA I, p. 992

(٤) Gauthier, LR IV, p. 441.

حاجة إلى هذا الممر المائى الذى يسمح له بالاتصال بالعاصمة التى تقع على الخليج الفارسى .

وهكذا قام دارا بإعداد هذا الممر المائى فى حوالى عام ٥١٨ ق. م. كما يدل على ذلك نصوص خمس اللوحات الكبريات التى أقامها بطول القناة تخليدا لذكرى هذا العمل .(١)

وتحدثنا نقوش هذه اللوحات عن كيفية شق القناة وكيف تم تنفيذها :

" أنا ، الفارسى من بلاد الفرس – لقد استوليت على مصر – وأعطيت الأمر لحفر هذه القناة من عند النهر المسمى بالنيل ، والذى يجرى فى مصر حتى البحر الذى يخرج من فارس ، وعندما انتهى من (هذا) العمل كان هناك أسطول من ثمانين (؟) (أو اثنتين وثلاثين) سفينة محملة بالجزية سارت فى النيل ، وعبرت القناة ، واتجهت نحو البحر الأحمر لكى تصل إلى فارس " .(٢) وظهرت هذه

---

(١) Kent, Old Persian Texts, dans JNES I (1942), p. 415 – 423; Cameron, JNES 2 (1943), p. 307 – 313; Posener, La Premiѐre Domination Perse, p. 48 – 48 et p. 180 – 181 .
– قام بوزنر بترجمة ثلاث لوحات من هذه اللوحات ، راجع أيضا :
د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٢٥ – ٤٢٦ ، ٤٣٥ ؛
د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٩٢٢ – ٩٢٣ ، ٩٤٤ – ٩٤٥ ؛
د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٨٧ . تحدثنا بالتفصيل عن هذه القناة فى الجزء الأول من مؤلفنا هذا " تاريخ مصر القديم " ص ٦٧٦ – ٦٧٧ . (وراجع أيضا فيما سبق ص ٤١١ – ٤١٢) .
– وكان من دوافع هذا المشروع تيسير وصول سفن الجزر إلى بلاد فارس وكانت تبلغ أربعا وعشرين سفينة سنويا .

(٢) Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, p. 40.
وتستطيع السفن التى تجوب البحر الأبيض أن تواصل طريقها فى النيل حتى منف، ثم تأخذ طريقها فى الفرع البوباسطى، ومنها ===

القناة عدة مرات ولكنها ردمت مرة أخرى ولم يتم تطهيرها ثانيـــة إلا فـــى عصـــر البطالمة .

وأثناء حكم دارا كان الرخاء والازدهار يعم البلاد عندما زارها هـــيرودوت وقام دارا بعدة مشروعات ، فقد حاول اتباع سياسة أكثر مرونة فى مصر ، ويبدو أنه أراد أن يستأنس برأى وجاحر رسنت فاستدعاه إلى فارس فأشار عليه بعدة اشياء أمر بتنفيذها ، ومنها إعادة النظر فى القوانين الصارمة وإلغاء ما أصدره قمبيز من قوانين تقضى بمصادرة أملاك أكثر معابد مصر . وأمر بتقديم القرابين للمعبودات المصريـة وبخاصة العجل أبيس الذى كان لعبادته فى ذلك العصر أهمية كبرى فى منف .[١] فقد وجد الناس يضعون اثواب الحداد على وفاة العجل أبيس ، فأمر دارا بمنح كبيرة مـن الذهب لكل من يكتشف عجل أبيس جديد ، وبذلك العمل استطاع أن يســـتميل حـب الناس إليه . وتم دفن العجل السابق علـــى الطريقـة التـــى كـــان يتبعـــها الملـــوك المصريون ، وتمت موارة مومياءه فى نوفمبر عام ٥١٨ ق. م .

وفى نهاية حياته اهتم دارا بدفن أحد عجول أبيس فقطع لـــه حجـــرا مـــن الجرانيت الأسود . وقد صقلت صفحة التابوت الخارجى صقلا جميـــلا لدرجـــة أن لمعانه اصبح كالزجاج . ونقشت جوانب التابوت بنصوص الأهرام المعروفـــة مـــن نهاية الأسرة الخامسة . ولما انتهى نقش التابوت كان دارا قد غادر الدنيـــا . ومـــن المحتمل أنه مات قبل وفاة العجل .

=== تخرج إلى هذه القناة فتصل إلى مياه البحر الأحمـــر ، راجـــع : د. أحمـــد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٢٥ – ٤٢٦ ؛ د. عبد العزيـــز صـــالح : المرجع السابق ، ص ١٧٠ ، ٢٨٧ .

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٣٥ ؛ د. عبـــد الحميـــد زايـــد : المرجع السابق ، ص ٩٤٣ ، ٩٤٩ .

كما أعطى الأوامر بترميم المعابد والمقاصير ، وسار على سنة ملوك مصر فى إقامة المعابد ، كما قام بإرسال البعثات لقطع الأحجار من وادى الحمامات ، ويذكر المهندس المعمارى – خنوم إيب رع – الذى خدم تحت حكم آمازيس حتى دارا ، أن تلك الأحجار كانت مخصصة لمعابد مين ، حورس ، وايسه بمنطقة قفط ، وأمون وموت وخونسو فى طيبة .[1] وقام دارا بإصدار أوامره لترميم دار الحياة المتهدمة فى معبد المعبودة نيت فى سايس – الذى كان أشبه بمركز طبى ومدرسة للطب – وقد صدر هذا الأمر إلى وجاحر رسنت القائد البحرى وكان فى ذلك الوقت فى فارس فأمر دارا بالعودة إلى مصر للإشراف على إنجاز هذه الأعمال . فقد جاء على تمثال وجاحر رسنت ما يأتى [2] :

بينما كان جلالته دارا فى عيلام – كان ملكا عظيما على كل الأقطار الأجنبية وحاكما عظيما على مصر – أصدر أوامره لى بالعودة إلى مصر وذلك لترميم دور الحياة المهدمة والتى ترعى الطب " ، " لقد جاء بى الأجانب من بلد إلى أخرى حتى وصلت إلى مصر ، كما أمر سيد الأرضين ، وقد نفذت كل ما أمر به الملك . لقد زودتها بكل الموظفين ، من أبناء الرجال البارزين ، ولم يوجد بينهم ابن رجل فقير " ، " لقد جعلتهم مشرفين على كل رجل متعلم ، حتى يتعلموا كل المهن . وأمر جلالته أن يعطى له كل شئ حسن ، ويتدربوا على كل مهنهم . وقد قدمت لهم كل شئ مفيد ، وكل الأدوات التى أشير إليها فى الكتابات ، كما كان يجرى من قبل . وقد فعل جلالته ذلك لأنه يعرف فضل هذا العلم لإنقاذ الناس المرضى ... .

---

(١) Posener, la Premiere Domination Perse, p. 99 – 100; Couyat- Montet, les Inscriptions d'Ouadi-Hammammat, no 14.

(٢) Posener, op. cit., p. 170; lefebvre, Essai sur la Medecine, Paris (1956), p. 19; Gardiner, JEA 24 (1938), p. 157 – 158; Daumas, BIFAO 56 (1957), p. 50; Jonkheere, les Medecins de L'Egypte Pharaonique, Bruxelles (1958), p. 32 – 33.
وأيضا : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٨٨ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٩٤٤ .

وكان دارا يحمل لقب " ابن نيت " معبودة سايس ، وذلك مما يدل علـــى أن الفرس قد تلقبوا بألقاب ملوك الأسرة السادسة والعشرين . وجاء هذا اللقب على لوحة " تل المسخوطة " وهي الآن بالمتحف المصرى وهى تسـجل اجتمـاع دارا ببعـض النبلاء وشق القناة بين النيل والبحر الأحمر .[١]

وأتم معبد المعبود آمون فى الواحات [٢] من الحجر الرملـى علـى غـرار المعابد المصرية[٣] ذلك المعبد الذى بدأ فى تشييده أمازيس وقد زينت جدرانه بمنـاظر تمثل دارا يقدم القرابين للمعبودات المصرية وثالوث المنطقة وعلـى رأسـه آمـون وموت وخونسو . وقد زينت الحوائط بالكثير من نقوش استعيرت من كتاب الموتـى . وعثر على آثار أخرى لدارا فى أبى صير بالدلتا (وهى غير أبو صير الملق)، كمـا عثر علي اسمه على بعض الكتل المعمارية فى الكاب .[٤] وجاء اسمه فى نقوش معبد أدفو فى نقش يذكر الهبات التى قدمها الملوك بين أعوام ٥٠٧ – ٥٠٤ ق. م. وعـثر له فى عام ١٩٧٢ على تمثال فى سوس (خوستان) بواسطة البعثة الفرنسـية التـى تعمل هناك ، وهو تمثال مغطى بنقوش هيروغليفية يحدثنا فيها عن حكمـه لمصـر وعن شعوب الإمبراطورية الفارسية ، ويوجد هذا التمثال الآن فى متحف طهران .[٥]

---

(١) Posener, op. cit., p. 55, pl. 4 et p. 60 n. f, p. 179; PM 1V, p. 52.

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٨٧ .

(٣) Davies, Hibis, p. 17, pl. 13; Winlock, Temple of Hibis at Khargeh Oasis I, p. 20; PM VII, p. 282 (71);
د. أنور شكرى : العمـارة فـى مصـر القديمـة ، ص ٢٤٧ – ٢٤٨ ؛
د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٩٤٦ .

(٤) Naville, Mound of the Jew and the City of Onias, London (1890), p. 27; Clarke, JEA 8 (1922), p. 27 – 28 .

(٥) Yoyotte, Inscriptions Hieroglyphiques Egyptienne de la Statue de Darius, C. R. Academie des Inscriptions et Belles lettres, Paris (1973), p. 256 – 259; Id. Journal Asiatique (1972), p. 253 – 266 et p. 235 – 239; Vernus – Yoyotte, les Pharaons, Paris (1988), p. 112 .

وكتب اســم كل بلد داخل خرطوش ملكى ، ومثل كل شعب من شعوب هذه البــلاد بشخص راكع يرفع يديه إلى أعلى فوق كل خرطوش . ويلاحظ أن كل شخص اتخــذ ملامح الشعب الذى يمثله . وكان دارا أصدر أوامره لإصلاح القوانين وكتب نســخة من هذه الإصلاحات بالديموطيقية ونسخة أخرى على البردى بالخط المســمارى .(١) فقام بإصدار تشريع يقول فيه : " تحت رعاية اهورامزدا .. أننى أحب الحق وأكــره ما ليس بحق . فلن يحدث أن اسئ لأى مواطن أو لأى عبد أننى أحب الحق وأكــره كل من يقر الكذب أننى لا أغضب وأكظم غضبى وأننى لا أثق فى كل من يتحــدث ضد العدالة " .

وكتب دارا قبل ٣٠ ديسمبر عام ٥١٨ ق. م. بعد عودته إلى بلاده :

" دعهم يحضروا لى حكماء الرجال من بين المحاربين والكهنــة ، وكتبــة مصر ، الذين اجتمعوا فى دور العبادة ، ودعهم يكتبوا الشرائع الأولى لمصر حتــى العام الرابع والأربعين لحكم الملك آمازيس . دعهم يحضروا لى هنا شريعة الملــك ، وشرائع المعبد والناس " .(٢)

وكان لدى الجالية اليهودية بردية تحمل تاريخ حياة دارا بالآرامية .(٣)

ومن الوثائق الهامة فى ذلك العصر بردية بالديموطيقية عثر عليها فى قريــة الحيبة مركز الفشن بمحافظة بنى سويف ، تتضمن شكوى كتبت فى السنة التاسعة من حكم الملك دارا بواسطة أحد كتبة بيت الحياة وهو " بتزيس " الذى يشكو من ظلم وقع عليه وعلى عائلته من كهنة آمون بالحيبة ، وعرض فيها سلالته خلال أربعة أجيــال مليئة بالاغتيالات والسجن والتعذيب ، فهو يرجع الأحداث إلى أيام بســماتيك الأول ، وكان يشكو من أن أعداءه كانوا من مختلف الشخصيات ، وكانوا على صلة ببعــض

---

(١) Spiegelberg, Die Sogenannte Demotische Chronik (1914), p. 30 .

وأيضا : د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٩٤٣ ، ٩٤٥ .

(٢) Spiegelberg, op. cit., p. 30 .

(٣) Cowley, Aramaic Papyri of the fifth Century B. C., p. 248.

ذوى السلطة و النفوذ فى الدولة وكان هؤلاء يحاولون تجريد عائلة بتزيس من حقوقها .(١)

وقد نما إلى علم دارا أن ارياندس – الذى كان حاكما على مصر – قد قام بصهر العملات الذهبية باسم دارا وباع سبائكها فاضطر دارا إلى عزله ، وعين مكانه فراندیس .(٢)

ويذكر ديودور الصقلى أنه على الرغم من المعاملة الحسنة من حكام الفرس الجدد إلا أن المصريين قد تحملوا بنوع من الصبر الملوك الفرس ، فقد لاحظوا أن ثروات البلاد تنقل إلى فارس(٣) ففى نصوص محاجر الحمامات ذكر أن الأحجار التى كانت تقطع هناك تستخدم لصالح الاحتلال الفارسى(٤) وقام المصريون بثورة فى الدلتا فى حوالى عام ٤٨٦ ق. م ، وكان سبب الثورة هو فداحة الضرائب وهناك إشارة فى بعض الخطابات إلى استيلاء الثائرين على شحنة سفينة محملة بالغلال .(٥) لكن دارا توفى قبل أن يستطيع القضاء على هذه الثورة ، وكان يبلغ من العمر أربعة وستين عاما ، حكم خلالها ستة وثلاثين عاما .

---

(١) Griffith, Demotic Papyri in the John Rylands library, vol 3, p: 60; R. el Sayed, Quelques personnages célèbres .
مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٢٥ ، ١٩٧٨ ، ص ٣٥ – ٣٦ ؛ د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٩٤٨ .

(٢) Milne, JEA 24 (1938), p. 245 – 246 .

(٣) Diodore XI, 46, 4 = Trad. Goukowkys (Paris 1976).

(٤) Couyat- Montet, les Inscriptions d'Ouadi- Hammamat, no 146 .

(٥) Cameron, JNES II (1943), p. 310; Drioton – Vandier, L'Egypte (éd. 1952), p. 619 ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٩٤٨ .

اكسركسيس الأول (خشايارشا) [١] **(٤٨٥ – ٤٦٤ ق. م)** [٢] **:**

ابن دارا ، الذى جاء إلى مصر ، كخليفة له فى عام ٤٨٤ ق. م . ونجح فى القضاء على الثورة بسهولة ، ومن ناحية أخرى لم يستسلم المصريون لليأس . وانشغل " اكسركسيس " كثيرا بحملاته الشهيرة ضد اليونان ولم يول مصر الرعاية المطلوبة ، على الرغم من أنه كان يستخدم فى حروبه السفن والفضة والرجال من مصر ، ويحكى أن مصر قد تعرضت طوال فترة حكمه لاضطهاد كبير . وفى عصره ثار يهود بيت المقدس ، وتحركت قوات اكسركسيس إلى فلسطين لإخماد ثورتهم ، وأعيد استغلال محاجر وادى الحمامات بواسطة ايتى واهى[٣] ، وفى هذه الفترة أيضا قتل الحاكم – فرانديس – وعين اكسركسيس أخاه اخمينس بدلا منه[٤] وقام اكسركسيس بفرض الضرائب الباهظة على مختلف الولايات التى كانت خاضعة للإمبراطورية الفارسية ومن بينها مصر .

ولم يعثر له على نقوش رسمية فى مصر وذكر اسمه على بعض أوان من المرمر وصف فيها بأنه " الفرعون العظيم " .[٥]

---

(١) Gauthier, LR IV, p. 150 – 152 .

(٢) عن هذا الملك ، راجع : Bianchi, LA VI, p. 1301 – 1302

(٣) Posener, la Première Domination Perse, p. 120; Couyat – Montet, op. cit., no 52 .

(٤) Id., op. cit., no 45 – 77 .

(٥) Burchardt, ZAS 49 (1911), p. 76 – 77; Gauthier, op. cit., IV, p. 152 .

أرتاكسركسيس الأول (إرتاخشاشا) (٤٦٤ – ٤٢٤ ق. م) [(١)] :

في عام ٤٦٤ ق. م . تولى الحكم – أرتاكسركسيس الأول – وهو الابن الثاني لاكسركسيس الأول وعثر على اسمه منقوشا على أربع أوان وصف عليها بلقب " الفرعون العظيم " [(٢)] ، ولم يترك إلا آثارا قليلة تخلد سيطرته على وادى النيل ، ولا نعرف الحالة العامة التي وصلت إليها البلاد .

وفي هذه الفترة زار الكثير من الرحالة والمؤرخين الإغريق مصر ، وأقام اناروس [(٣)] وهو من سلالة ملوك سايس في غرب الدلتا مملكة على الليبيين من ماريا ، وقام المصريون بثورة جديدة بقيادة اناروس وطبقا لنص من محاجر وادى الحمامات نجد أن الذى ساعد على إشعال الثورة هو " اميرتى " وهو أمير من سايس أيضا .[(٤)] وكان أميرتى حليفا لليونانيين ، وقام اناروس بإعداد المرتزقة لحمل السلاح ضد المستعمر ، واشعل آتون الثورة في مصر كلها ، واستطاع أميرتى أن يحصل على العون من أثينا في عام ٤٦٠ ق. م. وقد استغل اليونانيون تلك الفرصة للنيل من عدوهم اللدود ، فأمدوا الثوار بأسطول كبير كان متجها إلى قبرص[(٥)] ، ثم عدل مساره إلى مصر ، وقضى الثوار على الحاكم أخمينس وأرسلت جثته إلى الملك ، واستولى الثوار على منف ، وهزم الفرس الذين تحصنوا فيها .[(٦)]

---

(١) عن هذا الملك ، راجع : De Meulenaere, LA I, p. 453

(٢) Couyat – Montet, op. cit., no 89 et p. 61.

(٣) عن هذا الأمير ، راجع : Kitchen, LA 11, p. 152

(٤) Id., op. cit., no. 89 et p. 61.

(٥) كان هناك الأسطول يتكون من السفن ذات الثلاث طبقات ووصلت من البحر المتوسط حتى منف ، راجع : د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٣٦ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٨٩ .

(٦) Cowley, Amramic Papyri, no. 11.

وقام اناروس كذلك بطرد بعض اليونانيين الموالين للفرس من منف إلى الإقليم الرابع من أقاليم الوجه البحرى بروسوبيت – Prosopites وحدد إقامتهم فى هذا المكان لمدة عام ونصف ، وفر القليل منهم إلى برقة واستسلم الباقون وخضعوا لأناروس ، وكان أميرتى يدير الثورة من جزيرة صغيرة وهى " اليو " فى مستنقعات الدلتا .

وهكذا نجح المصريون فى هزيمة الجيش الفارسى بفضل مساعدة اليونانين والأسطول اليونانى . لكن هذا النصر لم يستمر طويلا ، فبعد ثمانية عشر شهرا من هذا الانتصار المحلى ، جاء حاكم جديد هو ارسامس ومعه قوات كبيرة من سفن فينيقية وقوات واستأنف الفرس القتال ، ونجحوا فى هزيمة المصريين ، وأخذ اناروس إلى سوس وكذلك بعض القادة اليونانيين وحكم على اناروس بالإعدام ، وهزم أسطول الإمدادات اليونانى بواسطة الفينيقيين ، واضطرت العناصر الإغريقية إلى الانسحاب ، فى حين نجد أن أميرتى قد نجح فى الاستمرار فى ثورته والبقاء فى الدلتا .

وسقطت بقية مصر من جديد تحت قبضة الفرس ، ولكن ظلت بعض الاضطرابات موجودة فى البلاد ، فقد عين هيدرانس محافظا لألفنتين ، ووجد أن الفرصة سانحة للثورة ، وعاونه بعض الجنود المصريين والكهنة وقاموا بهدم معبد اليهود الذين استغاثوا بحاكم يهوذا باغوسس لكنه لم يهتم بعمل أى شئ فى معبدهم ، ولم يهتم ارسامس بفعل شئ ما أيضا . وجاء بعض زعماء الجالية اليهودية ليقدموا إلتماسا إلى الحاكم المحلى فى طيبة فقبض عليهم وألقوا فى السجن .(١)

---

(١) Cowley, op. cit., no. 30- 31, 36.

وأيضا : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٩١ .

دارا الثانى (انتروشا) – مرى آمون رعم (٤٢٤ – ٤٠٤ ق. م)[١] :

تولى الحكم فى عام ٤٢٤ ق. م – دارا الثانى – وتوج ملكا على مصر ، ولم ينجح فى إعادة الهدوء النسبى إلا عندما بدأ يطبق سياسة أكثر مرونة تجاه المصريين ، وفى عام ٤١٤ ق. م. حدثت ثورة وطنية جديدة وكان يرأسها شخص يدعى أميرتى ربما كان حفيد أميرتى السابق ، لكن قوة الجيش الفارسى بدأت فى الضعف فى تلك الفترة ودخلت مرحلة أخرى من التدهور ، وبموت دارا الثانى ، تنسمت مصر الحرية وتمتعت بالاستقرار النسبى لفترة ما من الزمان ، فبعد عشر سنوات أى فى عام ٤٠٤ ق. م . نالت مصر استقلالها وتوفى دارا الثانى بعد حكم أكثر من سبعة عشر عاما .[٢]

ويعد دارا الثانى آخر ملوك الأسرة السابعة والعشرين ، وكان عددهم يبلغ طبقا لقائمة اوسب والأفريقى ، ثمانية ملوك[٣] ، لم نذكر منهم سوى خمسة لأننا لا نعلم شيئا عن رابع ملوك السرة (ارتامانوس) وأيضا عن سادسها (اكسركسيس الثانى) .

جاء ذكر اسم الملك دارا الثانى على البرديات الآرامية التى عثر عليها فى خرائب الفنتين وتذكر أن حرق المعبد اليهودى فىالفنتين حدث فى العام الابع عشر من حكم هذا الملك .[٤]

---

(١) عن هذا الملك ، راجع : De Meulenaere, LA I, p. 992 – 993

(٢) Parker, Persian and Egyptian Chronology, p. 290.

(٣) د. عبد العزيز زايد : مصر الخالدة ، ص ٩٤٢ .

(٤) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٤٣٩ ؛ د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٦٢٠ – ٦٢١ وأيضا : Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 111 .

وفى العهد الفارسى حفر الأشراف مقابرهم فى اسفل ابار واسعة ، وتتألف من غرف مبنية بالحجر الجيرى بسقوف مقبية . وكانت البئر تردم برمل نظيف وبجانبها بضر صغيرة تتصل بغرفة الدفن بدهليز صغير ، وكانت تفتح فى السقف بعد الدفن فتحات صغيرة فيملأ الرمل المدخل . ومن طراز المقابر مقبرة بادى أمنحتب فى طيبة ، وتشتمل على إحدى وعشرين قاعة تحت سطح الأرض .(١)

الأسرة الثامنة والعشرون (٤٠٤ – ٣٩٨ ق. م) (٢) :

آمن حر – آمن رود – مر آمون (أميرتى) (٣) :

يقص علينا مانيتون أن الملك الذى توج فى ذلك الوقت كان أصلا مدينة سايس ، ويسميه " اميرتايوس " وهو الملك الوحيد فى هذه الأسرة التى كان مقرها فى مدينة سايس (٤) وكان حكمه قصيرا جدا ، وليس لدينا معلومات كافية عن هذا الملك فقد كان يحمل اسم جده السابق – أميرتى – الذى قاد نضال اناروس عقب القبض على هذا الأخير ، فهل كان بالفعل حفيد الثائر السابق أميرتى الذى ظهر فى عام ٤٦٠ ق. م ، أو أنه كان صهرا له ؟ وفى الواقع نحن لا نعرف حقيقة العلاقة بينهما .(٥) وكل ما نعرفه أن أميرتى الثالث كان أميرا من سايس أو قد يكون من سلالة ملوك الأسرة السادسة والعشرين ، وعن طريقهم اصبح له الحقوق الشرعية للحصول على السلطة والعرش .

---

(١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٤٤ .

(٢) يعطى فون بكرات كتاريخ لهذه الأسرة نفس هذا التاريخ ، راجع : LA I, p. 970 .

(٣) عن هذا الملك ، راجع : Helck, LA I, p. 252 – 253

(٤) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٣٩ .

(٥) Gauthier, LR IV, p. 158 – 159 .

وعلى الرغم من أن آخر الولاة الفرس قد اتبع سياسة أكثر مرونـــة وأقــل رعونة فى مصر ، إلا أن المصريين لم يجدوا غير سبيل الكفـــاح بديـــلا ، ونـــرى أميرتى يقوم بثورة ضد الفرس ، انفجرت فى عام ٤١٠ ق. م . ولا نعرف تفـــاصيل الصراع الذى قام به ضد الفرس .(١)

وثارت الدلتا مرة أخرى وامتد لهيب الثورة إلى الصعيد غير أنه فى عام ٤٠٤ ق. م. وبعد صـــــراع دام ست سنوات ، نالت مصر حريتها ، واستقلالها من جديد وتوج أمير سايس علـــى مصر كلها ، وجاء ذكر أميرتى على بعض البرديات الديموطيقية .(٢)

الأسرة التاسعة والعشرون (٣٩٨ – ٣٧٨ ق. م) (٣) :

كانت الأسرة التاسعة والعشرون أسعد حظا من الأسرة التى سبقتها ، كـانت تتضمن أربعة ملوك فقط ، وهى أصلا من مندس (تل الربع وتمـــى الأمديـد فـــى الدلتا) .(٤)

با إن رع مرى نثرو – نايف عاورود (نفريتس الأول)(٥)(٣٩٨ – ٣٩٢ ق. م) :

كان نفريتس مثل ملوك الأسرة السادسة والعشرين ، فقد اعتمد على صداقــة ومساعدة اليونانيين فى توطيد سلطانه . ولذلك قام فى عام ٣٩٨ ق. م. بتوقيع معاهدة أو تحالف مع اسبرطة ، وضم إلى قواته مرتزقة يونانيين كما كان يحدث من قبــل ،

---

(١) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 223 .

(٢) Gauthier, op. cit., IV, p. 159 .

(٣) يعطى فون بكرات كتاريخ لهذه الأسرة : ٣٩٩ – ٣٨٠ ق. م ، راجـــع : LA I, p. 970.

(٤) De Meulenaere - Mackay, Mendes II, Bruxelles (1976), p. 183 ؛ وأيضا : د. عبد العزيز صـــالح : المرجـــع الســـابق ، ص ٢٩١ ؛ د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٩٥٥ .

(٥) عن هذا الملك ، راجع : Bianchi, LA IV, p. 454 – ٤٥٦

ويقص علينا – ديودور الصقلى – أن نفريتس وضع تحت تصرف ملك اسبرطة " اجيسيلاوس " مهمات حربية تشمل مائة سفينة ، ولكن ما لبث الحظ أن تخلى عنه فى تحالفه مع اسبرطة فقد حطم الآثينيون الأسطول الإسبرطى فى عرض – جزيرة رودس – ويذكر الكاتب اليونانى زينوفون[١] إن الفرس جمعوا جيشا كبيرا لمهاجمة مصر ولكن هذا المشروع باء بالفشل . ولا نعلم بالإضافة إلى ذلك إلا الشئ القليل عن حكمه الذى استمر فترة قصيرة ، وتمتعت مصر بنوع من الرخاء ، وعاد إليها جزء من استقرارها القديم طوال مدة حكمه .

عثر على اسمه منقوشا على بعض الآثار فى الكرنك وتمى الأمديد وتانيس .[٢]

---

(١) كاتب وفيلسوف وقائد آثينى ولد عام ٤٣٠ وتوفى حوالى عام ٣٥٥ ق. م. وكان تلميذا لسقراط واشتهر أثناء الحرب بين ارتاكسركسيس الثانى (٤٠٤ – ٣٥٩ ق. م) وأخيه قورش الصغير الذى كان يطمع فى العرش وكان يسانده مرتزقة من الإغريق وكان عددهم عشرة الاف جندى يونانى . وتقابل الجيشان فى كونا كسا على مقربة من بابل وانهزم جيش قورش الصغير . ولم يحاول المرتزقة الإغريق مساعدته وسمح لهم بالعودة إلى أثينا . واختاروا زينوفون ليكون قائدا لهم . وأعيد هؤلاء المرتزقة اليونانيين إلى اليونان بفضل قيادة زينوفون ، وسمى هذا بانسحاب العشرة الاف ، راجع : د. رمضان عبده : تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته ، الجزء الأول، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ٢٠٠٠، ص ٩٧ – ٩٨؛ وأيضا: Petit larousse, Paris (1967) no. 1789

(٢) Gauthier, LR IV, p. 162- 163.

خنم ماعنـ رعم – هكز أو هجر (آخوريس) (٣٩٢ – ٣٨٠ ق. م) [١] :

حكم – هكر أو هجر – إثنى عشر عاما فقد توج على العرش عـــام ٣٩٢ ، أطلق عليه الإغريق اسم آخوريس[٢] وعمل على اتباع سياسة أكثر نشاطا فى الخـارج وفى آسيا ، وادخل ضمن قواته حوالى عشرين الفا من المرتزقـــة اليونـــانيين لكـــى يدافعوا عن مصر فى حالة هجوم متوقع من جانب الفرس . وبفضل هؤلاء المرتزقـة نجح فى تفادى غزو جديد لمصر .

فقد رأى اخوريس أنه لا فائدة من التحالف مع اسبرطة ، وبحث عن حليـف آخر هو " ايفا جوراس " ملك قبرص .

ويلاحظ أن الحرب قد أنهكت كلا من فارس واســبرطة وفـــى عـــام ٣٨٦ ق. م. عقدت – معاهدة سلام بين الطرفين – وبقى كل من آخوريس وايفا جـــوراس وحدهما . وترك أحد القواد الأثينيين المشهورين ويدعى شابرياس خدمة آثينا ليعمـــل فى الجيش المصرى. وقام بتدريب البحارة المصريين وعمل عدة اســـتحكامات بيـــن الفرع البلوزى للنيل ومستنقعات سيربونيا . وظلت هذه التحصينات معروفـــة حتـــى العصر الرومانى باسم " استحاكامات شابرياس "[٣] وكانت مصر أول مـــن تعـــرض للهجوم الفارسى واستنجد أهالى إقليم سويد فى شرق الدلتا بآخوريس، واستمرت الحرب نحو ثلاث سنوات من عام ٣٨٥ إلى ٣٨٣ ق. م. وانتهت بانسحاب الغزاة .[٤] وفيمـــا

---

(١) عن هذا الملك ، راجع : De Meulenaere, LA 11, p. 931 - 932

(٢) عد بعض العلماء ان اسم هذا الملك من أصل أجنبى ، راجـع : Posener, RdE 21 (1969); p. 148; Bakry, ASAE 58 (1964), p. 1-2, pl.1.

(٣) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٩٥٦ ؛ د. عبد العزيز صـــالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر والعراق ، ص ٢٩١ .

(٤) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٩٠٥ .

يتعلق بايفا جوراس فقد تلقى معونة من أخوريس ، وكون أسطولا من مائتى سفينة واستولى على صور وبعض المدن الأخرى ولكن قضى عليه فى النهاية .

وأحرزت البلاد فى عصره تقدما فى الفنون وازدهرت الصناعة ، وامتلأت موائد القرابين فى المعابد ، وانصرف الناس إلى أعمالهم فى الإصلاحات فى أمن واستقرار ، وفى أثناء هذه الفترة انشغل الملك بترميم وتشييد الكثير من الآثار ونستطيع أن نشاهد آثار أعماله فى جميع أنحاء البلاد .[١] وعثر على نصوص تحمل اسمه فى معبد اشمون فى شمال صيدا .[٢]

ويبدو أن اخوريس قد أهمل بعض الشئ فى الاصلاحات القانونية للبلاد لذلك عزل عن العرش أو قامت ثورة ضده . ويقال أن أفلاطون قد زار مصر فى عهد هذا الملك ، ومكث فترة طويلة إلى حد ما فى الدلتا .[٣]

وسروعم – سنتب إن بتاح – باسامون (باشرى إن موت) (بسماتيس)[٤] (٣٨٠ – ٣٧٩ ق.م) :

لم يحكم هذا الملك سوى عام واحد فقط ، وترك بعض الآثار فى الكرنك [٥] ، ولا نعلم عنه أى شئ آخر سوى ان الثورات الداخلية قد انفجرت فى عهده ، ويضع بعض المؤرخين اسم بسماتيس كآخر ملوك الأسرة[٦] وأن نفريتس

---

(١) Leclant, Orientalia 41 fasc, 2 (1972), p. 254; Gauthier, LR IV, p. 166- 170.

(٢) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٩٥٦ .

(٣) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 111.

(٤) Beckerath, LA IV, p. 1176.

(٥) Gauthier, LR IV, p. 169 (3) .

(٦) فى الواقع أن اخر ملوك الأسرة هو : " هر نب خع – موتيس " الذى لم يذكره سوى أوسب وغالبا أنه لم يحكم ، راجع : د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٩٥٤ ؛ Gauthier , op . cit ., p. 170 .

الثانى قد سبقه على العرش .

نايف عاو رود (نفريتس الثانى) (٣٧٩ – ٣٧٨ ق. م) [١] :

لا نعرف شيئا ما سوى أنه خلف بسماتيس ، ولم يمارس السلطة سوى بضعة أشهر ، ويعتقد بعض المؤرخين أنه عزل عن العرش فى العام نفسه تقريبا أو أنه قتل بيد أمير من مندس أسس الأسرة الثلاثين .[٢]

---

(١) Bianchi, LA IV, p. 455- 456.

(٢) Id., op. cit., p. 170.

الفصل العاشر

الفترة من الأسرة الثلاثين حتى عام ٣٣٢ قبل الميلاد وملوك هذه الفترة وأهم أعمالهم

آخر مراحل الاستقلال الوطني واليقظة الأخيرة ثم الأفول الأسرة الثلاثون (٣٧٨ – ٣٤١ ق. م) [١]

آخر مراحل الاستقلال الوطني واليقظة الأخيرة :

خبر كارع – نخت نب إف (نختنبو الأول) (٣٨٠ – ٣٦٣ ق. م) [٢] :

أسس – نختنبو الأول – آخر الأسرات المصرية المستقلة ، ولم يسجل مانيتون في تاريخه لمصر سوى ثلاثين أسرة ، ولكن بعض المؤرخين أمثال – الأفريقي – يذكر أسرة أخرى كان ملوكها من الفرس .

تولى نختنبو العرش ، وكون أسرة جديدة بعد أن قضى على نفريتس الثاني . وحكم حوالي ثمانية عشر عاما طبقا لمانيتون .[٣] ووضع لقب " فرعون " أمام اسمه .[٤]

---

(١) يعطي فون بكرات كتاريخ لهذه الأسرة: ٣٨٠ – ٣٤٢ ق. م، راجع: LA I, p. 970 .

(٢) عن هذا الملك ، راجع : De Meulenaere, LA IV, p. 450 – 451

(٣) من المعترف به الآن بين العلماء أن نخت نب إف هو نختنبو الأول ونخت حر حبيت هو " نختنبو الثاني " ، راجع :
Clerc, RdE 8 (1951), p. 25 – 29; le Corsu, RdE 21 (1969), p. 178; Drioton – Vandier, L'Egypte (ed. 1952), p. 624 – 625 .
وليس كما يذكر جوتيه Gauthier, LR IV, p. 171

(٤) Gauthier, op. cit ., p. 441 .

ويبدو أنه كان ملكا نشيطا فى الحرب ، كما كان نشيطا فى العمران ، وكان ينتمى إلى عائلة يرجع أصلها إلى مدينة سبنيتوس فى وسط الدلتا[١] وربما كان أصلا أحد أبناء أمراء هذه المدينة ، ويبدو أنه ظفر بتأييد كهنة مدينة سايس أثناء تتويجه على العرش ، وتوج ملكا فى سايس فى معبد المعبودة نيت . ولارضاء كهنة سايس ، أصدر مرسوما على لوحة من الجرانيت الأسود معروفة باسم – لوحة نقراطيس[٢] – وصور الملك فى أعلى اللوحة فى منظرين ، فى الأول مرتديا التاج الأبيض ، ويقوم بتقديم القرابين إلى المعبودة نيت ، والآخر واضعا تاج الآتف ، ويقدم الحلى إلى المعبودة نفسها – من سايس – وينص مرسوم هذه اللوحة على فرض ضريبة العشور على كل المنتجات المحلية والصادرات والواردات والمواد الخام التى تصل إلى منطقة نقراطيس الجمركية لصالح معبد المعبودة نيت .

فى الوقت الذى غزا فيه الفرس قبرص كان نختنبو قد اعتلى العرش . وبدأوا يوجهون أنظارهم نحو مصر ، ولذلك سوف يضطر الملك إلى مواجهة هذه المحاولة من جانب الفرس لاستعادة سيطرتهم على مصر . واستدعت أثينا قائدها شابرياس فاستغل – ارتا كسركسيس الثانى – الفرصة لمهاجمة مصر وسوريا فأعد جيشا قوامه مائتا ألف رجل ، يضاف إليهم عشرون ألفا من المرتزقة اليونانيين تعضدهم خمسمائة قطعة من الأسطول الحربى .[٣]

---

(١) عن هذه المدينة ، راجع : Bianchi, LA V, p. 766 – 768

(٢) عثر عليها فى كوم جعيف وهى الآن بالمتحف المصرى ، راجع : Brunner, Hierogal.Chrestomathie, pl. 23 – 24; Gunn, JEA 29 (1943), p. 55 – 59; Posener, ASAE 34 (1934), p. 141 – 148; Gauthier, op. cit., p. 182 (1); PM IV, p. 50 .

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٩٢ .

ويبدو أن نختنبو قد اتبع سياسة جديدة فى بداية حكمه ، وهى التخلص من سياسة محاباة الإغريق على عكس سياسة الملوك السابقين ، ولكنه اضطر بعد ذلك إلى الاستعانة بهم لمواجهة العدو الذى بدأت قواته فى مهاجمة الدلتا .

فقام نختنبو بسد مصاب النيل السبعة وشيد أمام كل مصب حصنا منيعا ، وقام بتحصين بلوزيوم وحفر الخنادق حول المدينة ، ووضع الحاميات القوية التى كانت تتخذ أماكنها فى حصون الحدود .

وكان الغزاة تحت قيادة مشتركة من قائد يونانى يدعى " ايفكراتس " وفارسى يسمى فارنا بازوس . وكان هذا الأخير حاكما على سوريا وتولى قيادة القوات الفارسية ، وقد رأى أنه من الصعب الاستيلاء على بلوزيوم نظرا لتحصيناتها القوية ولذلك اتجه إلى مصب مندس وهناك اخترق صفوف الجيش المصرى وأنزل ثلاثة آلاف جندى لمهاجمة الحصون ، ودافع المصريون بشجاعة ، ولكن فارنا بازوس استطاع الانتصار عليهم وهدم المدينة وأسر الكثير من الجنود .

وعندما رأى القائد اليونانى ايفكراتس تطور الأمور ، أمر سفن الأسطول بالتقدم فى النيل للاستيلاء على منف ولكن فارنا بازوس الفارسى رفض التقدم واستفاد المصريون من هذا التأخير ، وقاموا بتحصين منف .[1] وعندما تقدم الجيش الفارسى لمحاصرتها لم يستطع الاستيلاء عليها . وعاد فارنا بازوس إلى آسيا وايفكراتس إلى آثينا ، وهكذا نجت مصر للمرة الثانية من سيطرة الفرس كما حدث أيام آخوريس ، ويبدو أن فيضان النيل[2] والتنافس بين القائدين على تولى القيادة العليا ، هو الذى عجل بانسحاب العدو ، وقد نسب نختنبو هذا الانتصار إلى – المعبود سوبد [3] – وشيد مقصورة هناك ونقش عليها أخبار هذا الانتصار .[4]

---

(١) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٩٥٩ .

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٤١ .

(٣) عن هذا المعبود ، راجع : Giveon, LA V p. 1107 – 1110

(٤) Naville, Goshen and the Shrine of Saft el Henneh, London (1885), p. 5 – 13, pl. 1 – 7 .

وبعد هذا الانتصار ، تمتع نختنبو بنوع من الاستقرار وقام بعدة إصلاحات في الداخل ، وكان مولعا بالفن المعماري فقام بترميم الكثير من المعابد التي تشهد لعصره بنوع من الذوق الرفيع ، وقد حدثت في عصره نهضة ذات طابع فني رفيع في مجال النحت والنقش – نراها ممثلة في جميع الآثار المعمارية التي تركها في كل مكان .

ومن أهم أعمال نختنبو الأول المعمارية ، تلك الترميمات التي قام بها في – ليتوبوليس – بمعبد المعبود حورس ، من الأسرة السادسة والعشرين ، وعثر على مقصورة له في صفط الحنة وأخرى مخصصة للمعبودة نيت في دمنهور وأخرى في سايس ، وعثر على كتل باسمه في بهبيت الحجر وتل المسخوطة وهليوبوليس وعثر على بعض الآثار الأخرى في السرابيوم وسقارة . وعثر له على معبد في أبيدوس جنوب غرب معبد اوزير وأيضا مقصورة في أبيدوس من الجرانيت وعثر على لوحة في قفط مؤرخة من العام السادس عشر من حكمه وتمثال في مدامود ومقصورة في طود ، وعثر على نقوش له من العام الثالث من حكمه في وادي الحمامات ، وشيد بوابة في معبد آمون بالخارجة ، وأقام لوحة في الأشمونين سجل عليها أعماله في معبد المعبود تحوتي ونهمت عاوي ، وشيد في دندرة معبدا للميلاد المقدس من أجل المعبود المحلي ، وحاول أحياء أمجاد مدينة طيبة ومعابدها فأقام بعض البوابات في معبد المعبودة ماعت وفي معبد المعبود مونتو بالكرنك ، ورمم معبد خونسو من الأسرة الثامنة عشرة وقام بترميم معبد تحوتمس الثالث . وأضاف مقصورة في المعبد نفسه وشيد معبدا صغيرا بالقرب من المعبودة موت ، وقد نسبت إليه بعض الأعمال في معبد آمون رع وحور آختي وفي معبد أوبت ، وقام بإضافة طريق الكباش على هيئة أبي الهول الرابض برأس آدمية أمام معبد الأقصر حتى معبد خونسو بالكرنك [١] ، وشيد بوابة في الفناء الأول لمعبد مدينة هابو ، ونسب إليه أيضا

---

(١) د. سيد توفيق : تاريخ العمارة في مصر القديمة : الأقصر ، ص ١٣٨ – ١٤٠ ، ١٦٠ .

ترميم قاعة صغيرة من عصر الأسرة السادسة والعشرين فى المعبد نفسه .[١]

ونلاحظ فى تلك الفترة أن العالم الأغريقى قد اعتنق فى معظمـه – عبـادة المعبود آمون – وبدأت تظهر المعابد المخصصة للمعبود " زيوس – آمون " الـذى كان يسمى هكذا فى اليونان نفسها .

ومن عصر هذا الملك يوجد فى تركيا حاليا ، مسلة من الجرانيت الأحمـر قام بنقلها " انطونيو بريولى " عام ١٥٥٠ [٢] ، ومن أشـهر آثـاره ، تلـك القاعـة العرضية التى شيدها جنوب جزيرة فيلة وخصصها للمعبودة إيزه (ايزيس) ، وهـى تعد من أقدم الآثار فى هذا الموقع .[٣]

---

(١) عن جميع آثاره ، راجع :

Gauthier, LR IV, p. 183 – 191; PM III, p. 179, 205, 221; Id. IV, p. 10, 40, 49 – 50, 55, 60, 68, 72; Id. V, p. 43, 71, 140, 148, 168; Id. VI, p. 15; Id. VII, p. 278, 336; Id., Theban Temples (1972), p. 11, 208, 217, 245, 255, 272, 302, 463, 474 .

(٢) يوجد فى اسطنبول خمس مسلات أشهرها المسلة المعروفة باسـم مسلة الهيبودروم التى أقامها الإمبراطور ثيودوسيوس الأول عـام ٣٩٠م . وهى تخص الملك تحوتمس الثالث . وقد ذكر الرحالـة أربع مسلات أخرى ، فقدت واحدة منها المعروفة باسـم مسـلة ستراتجبون . أما الثلاث الأخريات فهى بريولـى ، وجريفـس ، وبورفيرى ، راجع : د. محمد عبد القادر : آثار الأقصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢ ، ص ٨٢ .

(٣) PM VI, p. 206 – 207 .

يملك قوة الردع والصمود أمام جحافل الفرس .

إير ماعت نى رع – جدمو – ستب إن انحور (تيوس) (٣٦١ – ٣٥٩ ق. م)[١] :

اشترك تيوس (ويسمى أيضا ماخوس) مع والده نختنبو في الحكم ، ولكنه توفى فى عام ٣٦١ ق. م ، وتولى الحكم منفردا لمدة عامين ، ووضع لقب " فرعون " أما اسمه[٢] وكان يفيض حماسا وذكاء ويقظة ، فقد أقر ضرورة التحالف مع اليونانيين كما كانت هى العادة السائدة آنذاك ، والتى لا يمكن إغفالها بالنسبة للمصريين الذين لم يصبحوا بعد أقوياء بالقدر المناسب لكى يقاوموا الفرس بمفردهم ، فنجد أن تيوس ، قد سعى إلى عقد معاهدات مع آثينا واسبرطة ، وبدأ فى الحصول على المال بواسطة فرض ضرائب باهظة على المواطنين واستولى على جزء من خزائن المعابد ، واضطر إلى عزل بعض الكهنة لأن مصروفات الحرب أدت إلى إغلاق بعض المعابد ، ونتج عن ذلك تكوين معارضة قوية فى داخل البلاد . وبفضل المرتزقة من آثينا واسبرطة الذين اعتمد على مساعدتهم أصبح على رأس جيش قوى قوامه ثمانون ألف جندى مصرى وعشرة آلاف من المرتزقة اليونانيين ، وقوة مكونة من ألف جندىّ من اسبرطة وأسطول تبلغ قوته أكثر من مائتى سفينة .[٣]

ويذكر ديودور الصقلى ان اجيسيلاوس ، ملك اسبرطة ، جاء إلى مصر على رأس ألف من المحاربين ليعاون تيوس ، وجاء ومعه – شابرياس القائد اليونانى – الذى كان موجودا فى مصر من قبل[٤] ، وشكل تيوس قوة وطنية

---

(١) عن هذا الملك ، راجع : Quaegebeur, LA V1, p. 422 – 423

(٢) Gauthier, LR IV, p. 441 .

(٣) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 112; Budge, History of Egypt V11, p. 103.
وأيضا : د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٤٢ .

(٤) Budge, op. cit., p. 103; Diodore XV, 90, 92.

وأسطولا منظما وعزم على التقدم نحو سوريا ووضع على رأس المرتزقة اليونانيين اجيسيلاوس ، وقام شابرياس بقيادة الأسطول ووضع تيوس ابن أخيه - نخت حر حبيت - على رأس الجنود الوطنيين ، وتقدم تيوس عبر برزخ السويس ، وتقدم ارتاكسركسيس الثانى لمقابلة الجيش المصرى فى فينيقيا .

وفى الواقع كانت مصر فى حقيقة الأمر غير قادرة على مثل هذا الاستنزاف الحربى ولمثل هذه التضحية لتأمين حدودها ، وقد انتهز - شقيق الملك الذى كان يتولى إدارة البلاد- فرصة غضب المصريين على تيوس نتيجة لفرض الضرائب الباهظة على الشعب ، وأعلن الثورة وتولية ابنة نخت حر حبيت ملكا على العرش الذى أعلن بدوره العصيان فى سوريا حيث كان على رأس الجنود الوطنيين هناك . وفر - شابرياس - إلى آثينا ، وعندما شعر تيوس أن مصر فى أيدى الثوار فقد صوابه ، ولجأ إلى ملك الفرس بعد أن مكث فترة فى صيدا ، وطلب العفو من أرتاكسركسيس الثانى فعفا عنه فى عام ٣٥٩ ق. م.[١] وعينه قائدا للجيش .

وأراد أرتاكسركسيس أن يرسله إلى مصر كوال له ولكنه توفى فى الطريق ، أو فى فارس نفسها ، أما عن اجيسيلاوس الذى كان هرما وحاد الطباع ، فقد اختلف مع الملك المصرى وأيد الثورة التى اندلعت فى مصر ، وأحدثت تلك الثورة انشقاقا فى صفوف الجيش ، وهكذا تعرض تيوس للخيانة من جانب أخيه الذى تركه فى مصر . وعاد اجيسيلاوس إلى اسبرطة ولكنه توفى أثناء عودته فى عام ٣٥٨ ق. م.

وقام تيوس أثناء حكمه القصير بترميم معبد خونسو فى الكرنك بالأحجار الجيرية وعثر على اسمه فى محاجر طرة وفى الجيزة والمطرية وبحيرة المنزلة وبنها ، وظهرت فى عهده أول عملة مصرية .[٢]

---

(١) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 112.

(٢) Id., op. Cit., p. 563.

نعلم أنه بعد رحيل قمبيز عن مصر عين الوالى الفارسى اريانديس الذى ضرب عملة باسمه : اريانديكون . وكانت تصنع من أنقى أنواع الفضة . ومع ازدياد النفوذ التجارى الإغريقى فى مصر . عمد المصريون إلى نقش العملات الإغريقية بعلامات هيروغليفية (مثل علامة نفر ووجا) ، راجع : ر. انجلباخ : مدخل إلى علم الآثار المصرية ، سلسلة الثقافة الأثرية التاريخية ، العدد ٢٧ لعام ١٩٨٨ ، ص ٣١٠ - ٣١١ .

سنجم إيب رع – ستب إن انحور – نخت حر حبيت (احيانامر انحور) (نختنبو الثانى) (٣٥٩ – ٣٤١ ق. م) (١) :

---

٩ كان على نخت حر حبيت أن يترك الحملة فى سوريا ويعود إلى مصر ، وقد توج بالفعل ملكا فى عام ٣٥٩ ق. م . ووضع لقب " فرعون " أمام اسمه (٢) ، وهو يعد آخر الملوك المصريين الوطنيين وحكم لمدة ثمانية عشر عاما .

ولم يمض على تتويجه على العرش فترة قصيرة إلا وكان عليه أن يواجه الاضطرابات الداخلية وقامت ثورة شعبية (بدأت فيما يبدو) فى إقليم مندس ، ذلك الإقليم الذى دفع إلى الثورة بواسطة أحد أفراد سلالة ملوك الأسرة التاسعة والعشرين ، ونجح نختنبو الثانى فى القضاء على هذه الثورة بمساعدة المرتزقة من اسبرطة ، وإذا كان المرتزقة قد نجحوا فى القضاء على الثورة إلا أنهم لم ينجحوا فى القضاء على سيطرة الفرس .

وإذا كان تيوس قد اتبع سياسة أكثر انفصالا عن الكهنة ، فإن نختنبو الثانى استطاع أن يكسب ود الكهنة وقام بتشييد المعابد والمقاصير ، والطابع الذى تركه على هذه الآثار يدل على الثراء والرخاء اللذين عاشت البلاد فى ظلها .

ففى الدلتا عثر فى الإسكندرية على لوحة عليها نقوش سحرية هامة هى " لوحة مترنخ "(٣) ، وعثر على كتل باسمه فى معبد ايزيس فى بهبيت الحجر ، وفى

---

(١) عن هذا الملك ، راجع : De Meulenaere, LA 1V, p. 451 - 453

(٢) Gauthier, LR 1V, p. 441.

(٣) موجودة الآن بمتحف المتروبوليتان ، راجع :

Sander – Hansen, AAe 7 (1956), p. 34 – 44; Brunner, Hierogl. Chrestomathie, pl. 27; Golenischeff, Die Mitternichstele, pl. 1-4; Yoyotte, BIFAO 54 (1954), p. 86-87 (30); Gauthier, LR 1V, p. 178 (29A); PMIV, p. 5.

صفط الحنة ، كذلك أقام ردهة كبيرة فى بوباست ، وخصص مقصورة فـــى منـدس وسمنود وأيضا مقصورة للمعبود أنوريس فى سمنود ونقوشا أخرى فى تل المسخوطة وبنها ، وعدة مسلات صغيرة فى تل البقلية ولوحة فى المعصرة ، وشيد معبــدا فــى بلبيس وقام بعدة إضافات فى معبد المعبود بتاح فى منف وعثر على مائدة قربان لـــه فى الجيزة ، وشيد معبدا خصص للمعبود بتاح - سوكر - اوزير فى أبى صير الملـق وبعض المسلات الصغيرة فى الأشمونين وكذلك مقصورة ، وأقام لوحة فى جنـــوب ابيدوس ، وشيد معبدا فى منطقة ارمنت ، وعثر على بعض الكتل هناك ، وشيد بوابة فى معبد المعبود مين فى قفط ، وعثر على نقوش له فى وادى الحمامـــات ، وشـيد معبدا فى أم عبيدة فى واحة سيوة للمعبود آمون ، وأضاف أيضا بوابة فى معبد آمون بالواحات الخارجة .

واهتم الملك أيضا بمعبد الكرنك ، وشيد معبدا بالقرب من معبــد المعبـودة موت ، وقام بعمل مقياس للنيل بالقرب من البحيرة المقدسة فى معبــد مدينـــة هـــابو وخصص مقصورة للمعبود حورس فى معبد إدفو ، وقام ببعض الأعمال فـــى معبـد المعبود خنوم بفيلة .(١)

وسارت الأمور فى مجراها الطبيعى بالنسبة لمصر ، فقد كانت تدين بالولاء لماضيها العريق وتعدد مصادرها الأصلية التى تعطى بسخاء لتحقيق " المثالية " فـــى تاريخ حضارتها ، وشعرت من جديد بنوع من القوة والاستقلال ، لكن هذه اليقظة لـــم تستمر طويلا ، وأدت المشكلات التى اندلعت فى القصر الملكى فى فارس فى نهايـــة

---

(١) عن جميع آثار الملك وأعماله ، راجع :

PM III, p. 3, 205, 213, 221; Id. IV, p. 3, 5, 13, 40, 43 - 44, 55, 61, 72, 104, 168; Id. V, p. 106, 124, 128, 152, 157, 227; Id. IV, p. 146; Id. VII, p. 278-279, 311-313, 336; PM, Theban Temples (1972), p. 11, 12, 243, 275, 475; Leclant, Orientalia 41 fasc. 2 (1972), p. 254; t. 43 fasc. 2 (1974), p. 179.

حكم أرتاكسركسيس الثاني إلى تمتع نختنبو الثاني بنوع من الاستقرار ، لكن الفرس بدأوا يفكرون في غزو مصر مرة أخرى عندما تولى الحكم في فارس - أرتاكسركسيس الثالث - وذلك في بداية فترة حكم نختنبو الثاني . ونجح أرتاكسركسيس الثالث في إحياء سياسة الغزو مرة أخرى والقضاء على آخر ملك مصري مستقل .

أحداث الفترة من عام ٣٤١ حتى عام ٣٣٢ ق.م :

الأفول مع الغزو الفارسي للمرة الثانية ثم التحرر ودخول الإسكندر وبداية فترة حكم أجنبي طويل (٣٤١ - ٣٣٢ ق.م) [1] :

حاول أرتاكسركسيس الثالث - اوخوس غزو مصر عام ٣٥١ ق. م.[2] واستعان نخت حر حبيت (نختنبو الثاني) بالمرتزقة اليونانيين ولم يستطع أرتاكسركسيس الثالث أن يقضي على قوات نختنبو الثاني وذلك بفضل حسن تصرف القائدين " ديوفانتوس " من آثينا وليمياس من اسبرطة ، واستطاع نختنبو الثاني أن يصد هذا الهجوم . وبعد هذا الفشل للملك الفارسي قامت الثورات ضد الاحتلال الفارسي في كل مكان في فينيقيا وقبرص . وتقدم الملك الفارسي على رأس جيش يقدر عدده بحوالي ثلاثمائة ألف مقاتل وقضى على الثورة في صيدا ، قضاءا نهائيا .

وفي عام ٣٤١ ق. م . بدأ يعد العدة لغزو مصر من جديد ، وأخذ يهاجم عن طريق البر والبحر بمعدات هائلة بالنسبة للعصر (فقد وضع أرتاكسركسيس في الخطوط الأمامية أكثر من ثلاثمائة ألف رجل وثلاثمائة سفينة مكونة من عدة طوابق) .

---

(١) يعطي فون بكرات كتاريخ لهذه الأسرة ٣٤٢ - ٣٣٢ ق. م ، راجع :
LA I, p. 970.

(٢) د. أحمد فخري : مصر الفرعونية ، ص ٤٤٣ .

كان نختنبو الثانى لا يمتلك فى ذلك الوقت سوى مائة ألف رجل ، واستعان بالمرتزقة من اسبرطة وآثينا ، ولم تكف شجاعة المرتزقة الإغريق فى الحد من تقدم الجيش الفارسى ، وكان أرتاكسركسيس الثالث قد جمع كل هذه الأعداد من المرتزقة من بلاد اليونان ، ووصلوا إلى الدلتا عند بلوزيم (الفرما) وكان يقوم بالزود عنها فيلوفون ومعه خمسة عشر ألف جندى من اليونان ، ولم يستطع أرتاكسركسيس الثالث أن يخترق استحكامات بلوزيوم [1] ، حشد نختنبو الثانى حوالى عشرين ألفا ومثل هذا العدد من الليبيين وستين ألفا من المصريين لوقف تقدم الفرس فى محاولتهم غزو الدلتا ، لكن الأسطول الفارسى استطاع أن يدخل مصاب النيل ، واستسلمت المدن المصرية الواحدة بعد الأخرى ، وعندما رأى المرتزقة اليونانيون ذلك الموقف . غيروا المعسكر وساعدوا أرتاكسركسيس الثالث الذى استولى على بلوزيوم ، تلك المدينة التى كانت تحمى شرق الدلتا – بوباست وبعد ذلك استسلمت له خشية أن تتعرض لمصير صيدا ، وتراجع نختنبو الثانى إلى مصر العليا ، ونجح فى أن يقاوم هناك لمدة عامين أيضا وفى السنة الثامنة عشرة من حكمه أى عام ٣٤١ ق. م. توج كملك فى إدفو ، بعد أن بايعه الكهنة والأهالى .

ولكن الفرس بقواتهم الهائلة استطاعوا إخضاع مصر كلها ، ولا نعلم شيئا ما عن نهاية نختنبو الثانى ، فقد اختفى أثره ، وأصبح بطل أسطورة يرددها الشعب ، ولم يتوج أى أمير مصرى على عرش البلاد منذ هذا التاريخ .

اختلف المصريون مع اليونانيين على شروط التسليم للفرس ، وكان الغزو الفارسى الثانى اصعب بكثير من الغزو الأول ، فقد تعرضت البلاد فى هذه المرة للسلب والنهب ، وهدمت دور العبادة ، وانتهكت حرمتها ، ونهبت تماثيل معبوداتها ونقلت إلى فارس ، وطعن أرتاكسركسيس الثالث العجل أبيس المقدس وللسخرية من المصريين وضع مكانه حمارا[2] ، وقام بذبح كبش مندس المقدس . ونفى بعض

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٩٥ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٩٦٧ .

الأمراء المصريين إلى فارس . وعاد أرتاكسركسيس الثالث[١] إلى بلاده بعد أن أسس اسرة فارسية هو وخلفاؤه " أرسيس " (٣٣٨ – ٣٣٥ ق. م) ودارا الثالث – قودمان (٣٣٥ – ٣٢٥ ق. م)[٢] الذى يعد أخر الملوك الفرس . ويرى بعض العلماء أن هؤلاء الملوك يكونون – الأسرة الحادية والثلاثين .

ويبدو أن أهل البلاد قد عانوا كثيرا من الظلم تحت نير الاحتلال الفارسى من أرتاكسركسيس الثالث وخلفائه ، ولم يترك هؤلاء الملوك الفرس أثرا لنشاطهم فى مصر ، وكل ما نعرفه أنهم عاملوا المصريين بنوع من القسوة ولم يتوجوا كملوك على الإطلاق ، ولم يعلن أنهم من نسل المعبودات المصرية ، فهم فى واقع الأمر ليسوا غير ولاة أجانب ، ومصر لم تكن إلا مقاطعة بدون حاكم فى إمبراطوريتهم . ولهذا لم يكن غريبا ألا يتقبل المصريون هذا الوضع .

المقاومة ضد الفرس :

وبدأت الثورات تتفجر فى كل مكان ، وكانت أقواها وأهمها تلك التى تزعمها أمير وطنى من الدلتا ، الذى ظهر فى حوالى عام ٣٣٦ ق. م ، وأعلن نفسه ملكا وتلقب بالألقاب الملكية :

سنن تاتنن – ستب إن بتاح – خبا باشا (أو خباش أو خببش)[٣] " ووضع لقب " فرعون "[٤] أمام اسمه .[٥]

---

(١) عن هذا الملك ، راجع : De Meulenaere, LA I, p. 454

(٢) عن هذا الملك ، راجع : De Meulenaere, LA I, p. 993

(٣) عن هذا الملك ، راجع : De Meulenaere, LA I, p. 895 – 896

(٤) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٩٦ ؛ Gauthier, LR IV, p. 195 .

(٥) Id., op. cit., IV, p. 441 – 442 .

ولم ينجح فى أن يحكم البلاد حكما حقيقيا ، ولكنه نجح فى مقاومة الفـــرس لبضعة أعوام واضطر إلى الاحتماء فى أحـــراش الدلتــا .[١] وعــثر علـــى اسـمه بالديموطيقية فى بقايا قصر ابريس فى منف [٢] ، وعلى بردية ليبى Libby وعلـــى تابوت أحد العجول المقدسة فى السرابيوم المؤرخ بالعام الثانى مـــن حكمـــه وعلـــى جعران[٣] ، وأخيرا على لوحة من عصر بطلميوس الأول (لوحة الإسكندر الثـانى أو الرابع (؟) أو الستراب) .[٤] ونقش هذه اللوحة عبـــارة عـــن مرســـوم أصـــدره بطلميوس الأول – حاكم مصر فى عهد الإسكندر الثانى – ولم تطأ قدم لهذا الأخـــير أرض الكنانة ومع أنها عبارة عن مجموعة من نصوص الدعاية للأعمـــال العظيمة

---

(١) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 119.

(٢) د. عبد العزيز زايد : المرجع السابق ، ص ٩٦٨ ؛

Gauthier, op. cit., 1V, p. 195 – 196.

(٣) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٤٣ .

(٤) عثر على هذه اللوحة فى القاهرة عام ١٨٧٠ فى جامع شيخون ولكن يبـــدو أنها كانت مقامة أساسا فى مدينة سايس . وهى محفوظـــة الآن بـــالمتحف المصرى تحت رقم (G. 22182 (= JE 22263) ، راجع :

Kamal, Stèles Ptolémaiques, p. 168-171, pl. 61; Urk II, p. 11; Andersson, Sphinx 15 (1911), p. 100- 104; Bouche – leclerq, Histoire des lagides I, p. 104 – 109; Budge, History of Egypt, p. 169 – 174; Bevan, A History of the Ptolemaic Dynasty, p. 28 – 32; Gauthier, LR 1V, p. 196 (111), p. 208 (111), p. 214 (2); L A 1V, p. 492 – 93; PM 1V, p. 44, 73 .

وأيضا : د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٤٣ حاشية (١) ويذكـــر اللوحة على أنها تمثال الستراب . والنص الرئيسى للوحة مقســـم إلـــى ١١ مقطع ، المقطع الأول يؤرخ اللوحة بالعام السابع من عصر الإسكندر الثانى أو الرابع ، راجع : LA1V, p.492; Gauthier, LR1V, p.208 (111)

التى قام بها بطلميوس ، ولكن الغرض الحقيقى منها هو تسجيل أحقية – كهنة معبد مدينة بوتو – فى إعادة ضيعة كانت ملكا لمعبودات بوتو بعد أن اغتصبها الفرس منهم .

وتقص نقوش اللوحة أن خباباشا قام بزيارة لمواقع الدلتا ووصل إلى بوتو وشكا له كهنة بوتو من أن اكسركسيس قد اغتصب ضيعة تخص معبودات بوتو ، ووصف اكسركسيس على هذه اللوحة بأنه عدو شرير .(١) واستجاب خباباشا لمطالب الكهنة ، وفى عهد الملك بطلميوس الأول طلب كهنة – المعبودة واجيت – عودة ملكية هذه الأراضى إليهم مرة ثانية ، فأعادها بطلميوس إليهم وسجل ذلك على تلك اللوحة التى تعد بمثابة مرسوم دورى لما فعله من مآثر لمعبودات مصر وشعبها ، وأنه عامل المصريين معاملة أفضل من معاملة الفرس ، وذكر أنه أعاد تماثيل المعبودات التى كانت قد نزعت من أماكنها ، وحملت إلى آسيا فى عهد الفرس هذا بالإضافة إلى قيامه بتكملة المعابد المصرية وتزويدها بما يلزم لطقوس العبادة وتقديم القرابين .(٢)

ولم ينجح خباباشا فى تحرير مصر من قبضة المستعمر ، ويبدو أن دارا الثالث – قودمان حاول إعادة غزو مصر ، وعمل خباباشا على حماية الدلتا من الأسيويين ، ولكنه لم يتمكن من قهر أسطولهم وتوج دارا الثالث – قودمان ملكا على مصر عام ٣٣٤ ق. م .(٣)

---

(١) ربما المقصود به هنا هو – اكسركسيس الأول – الذى حكم هو وابنه أثناء الغزو الفارسى الأول ، لأن هذه اللوحة تذكر أن المعبود حورس معبود بوتو – قد طرد اكسركسيس وولده من مصر عقابا لهما .

(٢) وفى الأسطر من ١٣ إلى ١٦ يذكر لنا بطلميوس بن لاجوس أنه أسس العاصمة (الإسكندرية) فى موقع كان يسمى سابقا راقودة ، راجع :

LA IV, p. 491 n. 7.

(٣) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٩٦٨ .

ومن أبرز العائلات التي عاصرت هذه الفترة المضطربة عائلة " بيتوزيريس " التي أقامت في هرموبوليس عام ٣٣٦ ق. م. (١) ويذكر بيتوزيريس على جدران مقبرته في منطقة تونا الجبل أنه أمضى سبع سنوات مشرفا على أعمال المعبود تحوتي . وكان هناك ملك أجنبي يحكم مصر ويشير إلى حدوث معارك في مصر الوسطى وفي الجنوب وثورات في الشمال وكيف عانى الناس في حالة من القلق والاضطراب العام ، وأنه قام بكل الأعمال الجليلة في معبد تحوتي ، وكان المعبد قد أهمل منذ مجئ الأجانب وغزوهم لمصر .(٢)

ونعرف من مصدر آخر وهو ما ذكره ديودور الصقلي بأن المصريين كانوا دائمي الثورة أثناء الاحتلال الفارسي الثاني لمصر .(٣)

منذ عام ٣٣٨ ق. م . ظهرت مقدونيا ، كقوة تسيطر على العالم القديم فاندفع – فيليب الثاني ليكون حليفا مع اليونان ، وجاء من بعده ولده الإسكندر الأكبر – الذي ظهر في ذلك الوقت كمحرر لمصر ، فقد نشأ منذ حداثة سنه كابن روحي لزيوس – آمون لأن أمه " اوليمبياس " كانت من عبدة هذا المعبود وقام بغزو بلاد الشرق ، وسار في حملاته الموفقة على اسيا وكان من بين قواته طبيب ومقاتل مصري من مدينة اهناسيا يدعى " سماتاوي تف نخت "(٤) الذي استعان به لكي ينقذ

---

(١) عن هذه الشخصية ، راجع : S. Nakaten, LA IV, p. 995 - 998

(٢) Lefebvre, le Tombeau de Petosiris I, p. 3 – 15;
وأيضا : د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ص ٢٩٦ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٩٦٧ ؛ R. el Sayed, Quelques Personnages Célèbres في مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ص العدد ٢٥ ، ١٩٧٨ ، ص ٣٦ .

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٩٦ ؛ Diodore XVI, 51

(٤) Schaefer, Aegyptiaca, Festschrift fur Ebers, p. 92; Urk II, p. 1; Tresson, BIFAO 30 (1930), p. 369 – 391;
وأيضا : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٩٦ ؛ د. أحمد فخري : مصر الفرعونية ، ص ٣٨٤ .

مصر [١] ، وهزم الإسكندر دارا الثالث – قودمـــان فـــى معركـــة اســوس شــمال الإسكندرونة فى عام ٣٣٣ ق. م . وفر دارا الثالث ، فعمت البهجة البلاد ، وبعد هــذا الانتصار أصبحت أبواب مصر مفتوحة أمامه باعتباره منقذها المرتقب من جــبروت الفرس ، واتجهت النية إلى أن يعترف به كابن لآمون ، ويتوج كملك شرعى لمصـــر لكى يقوم بطرد الجنود والموظفين الفرس الذين قاموا بأعمال غير مشــروعة ضـد المصريين ومقدساتهم ، وكان يهدف أيضا إلى ربط مصر بمقدونيا ، واليونان ، وآسيا الصغرى ، وسوريا بإمبراطورية كبيرة تطل على البحر المتوسط ، وبغرض فــرض الحصار على الفرس فى الأراضى الواقعة غرب الفرات ودجلة ، كما كان يرمى إلــى استغلال الموارد الاقتصادية لهذه الإمبراطورية وموانيها البحرية فى صراعــه مــع الفرس ، فاستولى على صور وغزه ، وفى خريف عام ٣٣٢ ق. م . سار نحو مصر التى سارع آخر موظف الفرس بالرحيل عنها ، واستقبلته البلاد كمحرر لها واستسـلم الحاكم الفارسى " ساباسس " .[٢]

وكان اليونانيون منذ زمن بعيد حلفاء للمصريين ، ولكن هذه المــرة أغفــل المصريون أن هؤلاء الإغريق قد جاءوا مستعمرين وليسوا مأجورين وكسادة وليســوا مرتزقة .

وفى منف استقبل الإسكندر بحماس منقطع النظير من جموع المصرييـــن ، وقد بدأ بالذهاب لتقديم القرابين للعجل أبيس المقدس ، ونحر الأضحيات إلى معبـودات منف ، مما أدى إلى حب المصريين واليونانيين له . وهذا ما يضيف إلى مجده الشــئ الكثير فى نظر " أكثر الشعوب تدينا " على حد قول هيرودوت[٣] ، ثم توج بعد ذلــك ملكا فى معبد المعبود بتاح تحت اسم :

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٤٤ ؛ د. عبد العزيـــز صــالح : المرجع السابق ، ص ٢٩٦ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٩٧ .

(٣) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 113.

ستب ان رع – مري آمون – ارسكندرس[١] (الإسكندر)[٢] :

وفى بداية عام ٣٣١ ق. م. ذهب إلى معبد واحة سيوة فى الصحراء الغربية ، حيث كان لوحى المعبود آمون شهرة كبيرة منذ عدة قرون ، وكان هذا الوحى ذائع الصيت فى كل البلاد اليونانية . وذهب إلى هناك لرؤية آمون معبود سيوة ليستلهمه حول مصير العالم[٣] ورحب به كبير كهنة معبد آمون فى سيوة ، وقد تركت هذه الزيارة أثرا كبيرا فى نفسه إلى يوم وفاته[٤] وهناك قصة مغزاها أن الإسكندر قد أنجب من زواج مقدس بين اوليمبياس وأمون ، لذلك فإن حقوقه فى عرش مصر لم تكن محل ارتياب أو شك . وعلى الرغم من دمه اليونانى ، فقد كانت شخصيته تحظى باحترام عظيم كمصرى حقيقى ، وقبل أن يغادر مصر ، أسس على الشاطئ فى الطرف الشمالى غرب الدلتا ، مدينة يونانية أعطاها اسمه ، وكان يأمل فى العودة إليها ليستقر فيها من حين لآخر ، وانتقلت إلى هذه المدينة المكانة الرفيعة التى كانت تحظى بها نقراطيس – كمركز تجارى إغريقى مصرى – وأصبحت من أهم الموانى فى جنوب البحر المتوسط . وقد أقيمت هذه المدينة " الإسكندرية " فى

---

(١) وكان يتخذ ألقاب ملكية عديدة منها : برعا (الفرعون) ، نب كمت (أى ملك مصر) حقا قن (الحاكم الشجاع) ، وساآمون (ابن آمون) ، راجع :
Gauthier, LR 1V, p. 200 – 203

(٢) عن أعماله فى مصر ، راجع : Helck, LA I, p. 131 – 133

(٣) د. أحمد فخرى : واحات مصر ، المجلد الأول واحة سيوة (ترجمة د. جاب الله) سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية العدد رقم ٢٠، ١٩٩٣، ص ١٨١ – ١٨٦ ؛ Fakhry, Siwa Oasis, Cairo (1944), p. 34 – 44

(٤) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٤٤ .

مكان كانت تشغله مدينة صغيرة اسمها راقودة[١] وبعد رحيل الإسكندر حكمت مصر أسرة جديدة هى أسرة البطالمة التى استمر حكمها حوالى ثلاثة قرون من ٣٣٢ – ٣٠ ق. م[٢] ، وكان آخر من تولى الحكم فى هذه الأسرة هى الملكة الشهيرة كليوباترة ، وبعد ذلك دخل الرومان مصر كغزاة عام ٣٠ ق. م . واستمر حكمهم من عام ٣٠ ق. م. إلى ٣٩٥ ميلادية ، وبعد ذلك عاشت مصر العصر البيزنطى من ٣٩٥ إلى ٦٣٨ ميلادية حتى جاء الفتح العربى عام ٦٤٠ ميلادية لتكتسب البلاد ثوب حضارى جديد يزدان بالكثير من المظاهر والمعانى السامية .

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٤٤ .

(٢) أثار تحديد مكان وجود مقبرة الإسكندر عدة تساؤلات واختلاف فى بعض وجهات النظر بين الأساتذة المتخصصين وغير المتخصصين وذلك نتيجة لتخبط روايات المؤرخين من يونان وروما والتناقض فى سرد تفاصيل الأحداث التالية لوفاة الإسكندر عام ٣٢٣ ق. م . ولعدم دقة المعلومات من المؤرخين أمثال سترابون الذين زاروا مصر والإسكندرية ولم يتناولوا لا المكان ولا شكل مقبرة الإسكندر بالتفصيل . ويرى د. محمود السعدنى : قبر الإسكندر الأكبر ، احتمالات موقعه وشكله ، القاهرة ١٩٩١ ، ص ١ ، ٢٦ ، ٣٠ ، " ان قبر الإسكندر لابد أن يكون فى منطقة كوم الدكة ، ذلك المكان الذى كان يسمى قديما باسم البانيون " وأن هذه المقبرة شيدت على شاكلة مقبرة والده (فيليب الثانى) فى فرجينيا فى محافظة مقدونيا فى شمال اليونان .

خاتمة

كما رأينا فى الجزء الأول أن الإنسان المصرى القديم منذ عصور ما قبل التأريخ (أو فجر التاريخ) وفى خلال عصوره الحجرية توصل إلى عدة معارف واكتسب عدة خبرات فى أكثر من مجال ، وتعتبر هذه الفترة من أطول فترات تاريخ مصر القديم من حيث الامتداد الزمنى ، وبسبب قدمها وبعدها السحيق أيضا ، فهى تعتبر كذلك من الفترات الأكثر غموضا فى تاريخ مصر القديم ، وهذه الفترة معروفة عن طريق بعض المخلفات الأثرية من أدوات عديدة فى بعض المواقع أو المحلات أو المراكز السكانية . وابتداء من العصر الحجرى الحديث بدأت التجمعات السكانية الكبيرة نسبيا تستقر على ضفاف النيل وتتعاون فيما بينها وبدأ يربط بينهم عامل المصالح المشتركة . وبدأت هذه الجماعات تتجمع فى قرى صغيرة وبعد ذلك اندمجت تلك القرى مع بعضها البعض وأدى ذلك إلى نشأة الأقاليم ، ثم المدن . وقد مرت هذه الأقاليم والمدن الكبرى بأوضاع شتى من ناحية التكوين السياسى والصراعات بين أمراء وحكام الأقاليم القوية لضم الأقاليم الأخرى الضعيفة تحت لوائهم فى ممالك متفرقة من الدلتا وفى الصعيد ، أو فى مملكة واحدة . حتى انتهى الأمر بتوحيد البلاد كلها وقيام الأسرة الأولى وبدأ يسود حضارتها طابع واحد متجانس ، وبدأ ما يسمى بالعصور التاريخية لتاريخ مصر القديم .

ومع بداية عصر الأسرات المبكر أصبحت الملكية قوية بما فيه الكفاية وأخذت معالمها تتكون شيئا فشيئا حتى استقرت كل الأمور السياسية والأوضاع الإدارية . وكان لابد للملوك الذين حققوا وحدة البلاد أن يعمل بالقرب منهم موظفون يمثلون حلقة الوصل بينهم وبين رعاياهم ولهذا تمثل الأسرة الأولى والثانية فترة تبلور للحضارة المصرية القديمة وتحولت البلاد إلى مملكة قوية متحدة سياسيا ومزدهرة حضاريا .

وجاءت الدولة القديمة بكل ما تضمنته من عوامل رخاء فى الداخل ، وظهور قوة ونفوذ الملك فى هذه الفترة ، وأصبح لكل مدينة معبودها المحلى ،

وتطور الفكر الدينى والعقائدى ، وتطورت نظم الحكم والإدارة واستقرت أمور الدولة مع إرسال الحملات للمحافظة على حدود البلاد آمنة ضد أى اعتداء ، وإرسال البعثات إلى المناجم لاستغلال مصادرها وظهرت مظاهر التقدم الحضارى فى التوصل إلى عدة معارف مختلفة ، وتقدمت الفنون وخاصة فن النحت الذى وصل إلى مستوى متقدم لم يسبق أن وصل أهل العصور السابقة .

وأعظم ما حققه مهندسو الدولة القديمة هى تلك المجموعة المعمارية القديمة المتمثلة فى بناء الأهرام ، وبذلك ظهرت الأسس الحضارية القائمة على العديد من المعارف والتجارب التى اكتسبها الإنسان المصرى القديم فى العصور السابقة . يضاف إلى ذلك الصرح الهائل من الحكم والتعاليم الأدبية ، وقيام أول ثورة اجتماعية فى تاريخ مصر القديم ، وذلك من جراء سوء الحالة الاقتصادية والأوضاع الاجتماعية .

وكان للثورة الاجتماعية آثار هامة فى تغيير المعالم السياسية والحضارية لمصر القديمة خلال العصر الوسيط الأول فقد خلقت نوعا من الوعى الاجتماعى مما أدى إلى ظهور طبقة جديدة فى المجتمع تهتم بالفرد ، ونتج أيضا عن هذه الثورة اختيار الفرد والحاكم الصالح . وظهر ذلك مع قيام الأسرة الحادية عشرة ولما بدأ الوضع السياسى فى مصر تتضح معالمه ظهر ملوك أقوياء فى الجنوب فى طيبة فى ظل حكام الشمال فى أهناسيا ، وبعد سقوط الأسرة العاشرة فى الشمال أصبح ملوك الأسرة الحادية عشرة يحكمون فى الجنوب كملوك لمصر كلها وأسسوا الدولة الوسطى .

وبفضل جهود حكام طيبة اتحدت السلطة المركزية فى مصر واتجه ملوك أهناسيا إلى الدلتا وطردوا البدو الآسيويين ، كما دافع أهل طيبة فى الجنوب عن بلاد النوبة ، ولذلك تميز أهل طيبة بأنهم محاربون أشداء ، ولم يهتموا بالتعاليم والنصائح مثل أهل أهناسيا ، وبذلك ظهرت أهمية طيبة مع بداية الأسرة الحادية عشرة .

وتعتبر الأسرة الثانية عشرة من الأسرات الهامة فى تاريخ مصر القديم فقد تمتعت مصر فى ظلالها بالاستقرار الداخلى وبسلطانها فى الخارج فهى من أزهى

عصور الدولة الوسطى ولذلك تمتعت مصر بمكانة عالية فى ظل حكم هذه الأسرة التى كانت تنتمى إلى طيبة ، كما وضحت معالم الحضارة المصرية المتمثلة فى كثير من مظاهرها فى التشييد وما قام به أمنمحات الثانى من بنائه لهرمه فى صحراء الهرم المدرج بناحية دهشور ، وتدل عليها أيضا تلك الحلى الفاخرة التى عثر عليها فى دهشور التى تنم عن ذوق فنى رفيع ، والنشاط التجارى المتمثل فى الرحلات إلى بلاد بونت لإحضار المر والصمغ والبخور .

وظهرت قوة ملوك هذه الأسرة فى سنوسرت الثالث وتمثل ذلك فى سياسته فى بلاد النوبة وتحقيق المحافظة على النفوذ المصرى هناك حماية لمصر من خطر الأعداء فى الجنوب وما قام به هذا الملك من التحصينات القوية عند الجندل الأول ، وبذلك وضع نهاية لتهديد مصر وحماية لحدودها الجنوبية عند الجندل الثانى ، وما قام به من حملات ضد قبائل النوبة هناك ، كما حارب فى الشمال ووصل إلى رتنو فى سوريا وأرسل حملاته إلى فلسطين وأدى ذلك إلى السيطرة المصرية على فلسطين وسوريا .

أما ولده أمنمحات الثالث فاستغل الهدوء الذى ساد مصر بعد الحملات التى قام بها أبوه واهتم بالزراعة بوجه خاص وإصلاح الأوضاع الاقتصادية ، فحفر الترع عند الفيوم ، وشيد هرما بالقرب من دهشور ، وأهم ما يميز حكمه أوجه النشاط المختلفة ، ولذلك نعمت الأسرة الثانية عشرة التى كان أمنمحات الثالث آخرها بفترة رخاء طويلة لمصر كان نتيجة للعمل الجماعى الذى قام به ملوك هذه الأسرة . ولا ننس تقدم الأدب وزيادة الإنتاج الأدبى وخاصة فى مجال أدب القصة فى عصر الدولة الوسطى .

وبالنسبة للعصر الوسيط الثانى فهى من الفترات الغامضة فى تاريخ مصر القديم ولم تستمر أكثر ما مائتى عام ، وحكم ملوك صغار كثيرون خلال هذا العصر ، وشهدت البلاد شدة الصراع على السلطة بينهم مما أدى إلى تمزق وحدة البلاد وضعفها سياسيا ، وأدى ذلك الضعف إلى تعرض البلاد للغزو واحتلال الهكسوس لها لأول مرة فى تاريخها . وتوقف عجلة التطور الحضارى مرة أخرى

وفقدت المدارس الفنية أصالتها . وكان هذا الغزو جزء من غزو كبير تعرضت لــــه معظم بلاد الشرق الأدنى القديم ، فقد جاء الهندواوربيون فى موجات متتاليـــة علـــى اسيا الصغرى ، وبدأت تختفى فى بلاد الشرق القديم اثار مصر من الأســـرة الثالثــة عشرة .

لقى أمنمحات سبك حتب الأول مؤسس الأسرة الثالثة عشرة تـــأييد الشـــعب المصرى لانتمائه إلى طيبة أصل الملوك السابقين ، لكن تعرضت مصر للاهتزاز فى عصر خليفته . وقد حدث الانقسام إلى مملكتين فى عهده وبذلـــك غـــدت الفوضـــى ضاربة فى أعماق المملكة ، ومما يدل على اضطراب الأمور أن الأســـرة الرابعـــة عشرة بلغ عدد ملوكها سبعين ملكا وكانوا من إقليم سخا بمحافظة كفر الشيخ وحكمـــوا حوالى ١٨٤ سنة وكان ذلك مظهرا من مظـــاهر انقســـام وحـــدة البـــلاد وضعفـــها السياسى ، وترك هؤلاء فى اللاهون فى الفيوم وفى إقليم طيبة عدة وثائق عبارة عـــن عقود إدارية ولوحة بالمتحف المصرى رقم ٥١٩١١ التى عثر عليها بالكرنك وكذلـــك اللوحة ٥٢٤٥٣ ، وعثر على بعض مقابر كبار الشخصيات فى منطقة الكاب ولكـــن مما يؤسف له أن هذه المقابر قد تهدمت إلى حد كبير . ويبـــدو أن جدرانـــها كـــانت مغطاة بالمناظر والنقوش التقليدية التى تمثل نشاط صاحب المقبرة فى حياتـــه الدنيـــا وتمثيله أمام المعبودات . ولذا فمن الصعب أحيانا تكوين فكرة واضحة عن فن هـــذه الفترة . ويلاحظ فى بعض تحف هذا العصر افتقاد فنانيها للإبـــداع والأصالـــة لعـــدم استقرار الأوضاع السياسية وانعكاس ذلك على نفسية الفنان نفسه .

وبدأنا الجزء الثانى بالحديث عن كيفية تعرض البلاد فـــى نهايـــة الأســـرة الرابعة عشرة لغزو الهكسوس الذين دخلوها واستقروا فيها وكونوا الأسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة واختلفت مدد حكم ملوكهم . وقامت بعد ذلك الأسرة الســـابعة عشرة الطيبية التى أخذت على عاتقها مسئولية مقاومة المحتلين ونجحـــت فـــى هـــذا الهدف بفضل مجهودات ملوكها شقن إن رع ، كامس ، وأحمس ، وتم تحرير البـــلاد على أيديهم .

ومع قيام الأسرة الثامنة عشرة بدأت صفحة جديدة من المجد في تاريخ مصر القديم ، وهي فترة اختلفت في كثير من النواحي عما سبقتها من فترات وتحولت مصر فيها من أمة ضعيفة محتلة إلى أمة قوية منتصرة ، وأخذ ملوك هذه الأسرة في اتباع سياسة تأمين الحدود في الشرق والغرب والجنوب والشمال . ففي هذه الفترة فكر الملوك في سياسة الدفاع والهجوم باعتبارهما الوسيلتين الوحيدتين لمنع الغزوات المضادة التي تعرضت لها البلاد على غرار غزو الهكسوس وأيقنوا أنه لا أمان لهم من غزو أجنبي جديد إلا إذا سيطروا بأنفسهم على مداخل الهجرات والغزوات في شمال سوريا العليا وأطراف بلاد النهرين ، وكان من نتيجة هذه السياسة هو تكوين مناطق نفوذ في الخارج والعمل على كسب ولاء حكام وأمراء ممالك بلاد الشام وفلسطين . ولكن لم يكن من السهل دائما المحافظة على ذلك النفوذ العسكري في الخارج ، وبقي النفوذ الثقافي أكثر تأثيرا ، وحكم في هذا العصر ملوك كبار وملكات كانت لهن شهرة كبيرة وأدوار هامة في السياسة الداخلية والخارجية .

ومع الأسرة التاسعة عشرة ، أخذ الجيش يلعب دورا هاما في الحياة السياسية في مصر في الداخل والخارج ، وقام الملوك بعدة حملات لتأمين الحدود في الشرق والغرب والجنوب والشمال .

وقد رأينا كيف تعرضت البلاد في بداية الأسرة العشرين لهجوم من قبائل هندوأوربية التي وصلت في مجموعات كبيرة إلى ليبيا وحوض البحر المتوسط وإلى اسيا . ووقع على عاتق رمسيس الثالث حماية البلاد من ذلك الخطر ، والذي يمثل عهده أخر عهود المجد في السياسة الخارجية . ثم جاءت بعده مجموعة من الملوك الرعامسة ليسوا في قوة الملوك الأوائل من الأسرة ، وأدى ضعفهم إلى عدم استقرار الأوضاع الداخلية . وشهدت مصر بعد هذا التاريخ المعروف بصفحاته المشرقة فترة ضعف ثالثة هي العصر الوسيط الثالث . وهي من الفترات الطويلة في تاريخ مصر القديم ، وهي تبدأ من الأسرة الحادية والعشرين حتى الأسرة الخامسة والعشرين . وحكم البلاد أسرات وطنية صغيرة لم تستمر طويلا في الحكم . ولم يلعب ملوكها أدوار هامة على مسرح الأحداث السياسية ، وأسرات أخرى من أصول وعائلات

أجنبية استقرت فى مصر منذ فترة حتى أتيح لها أن تتولى حكم البلاد ولكن لم يحققوا ما حققه الملوك السابقين من إنجازات .

وتعرضت البلاد فى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين للغزو الآشورى . ولهذا عندما قامت الأسرة الحادية والعشرين كانت السلطة مقسمة بين ملك فى الشمال واخر فى الجنوب وأدى ذلك أيضا إلى قيام الأسرة الثانية والعشرين التى كانت تنتمى إلى اصل ليبى وتمثل – إلى حد ما – الدكتاتورية العسكرية . ويمكن القول بأن هذه الدكتاتورية قد أثارت غضب الشعب ضدهم . وأخذت أنظار ملوك هذه الأسرة تتطلع بصفة دائمة نحو الشمال الذى أصبح منذ ذلك القوت مركزا للثقل السياسى الحقيقى لمصر .

وازدادت مظاهر الفوضى والاضطراب إبان حكم ملوك الأسرة الثالثة والعشرين التى قامت قبل أن تنتهى الأسرة الثانية والعشرين . لذلك نجد أن الأسوتين كانتا متعاصرتين ، وكانت الأسرة الثالثة والعشرون من اصل ليبى أيضا وأصبحت بوباست عاصمة للأسرة الجديدة . وظهرت فى الشمال الغربى من الدلتا أسرات محلية صغيرة ، وعلى الرغم من أن هؤلاء الملوك الصغار لم يظهروا العداء لبعضهم البعض إلا أن هذه التجزئة للسلطة أدت إلى نتائج خطيرة بالنسبة للبلاد ، حيث وجدت نفسها فى حالة من التمزق والانهيار .

ورأينا كيف اصبح الوضع السياسى قد تطور فى نباتا وتكونت مملكة متحدة قوية هناك واعتنق ملوكها الديانة المصرية وبعض مظاهر الحضارة المصرية . وكان هناك ملك كوشى يدعى بعنخى هو الذى أسس الأسرة الكوشية وبدأ يتدخل فى شئون مصر لكى يوسع نفوذه ، ولكى يظهر بمظهر المنقذ لمدينة طيبة التى كانت بالنسبة له المدينة المقدسة للمعبود آمون رع . وقبول وصول جيش بعنخى إلى طيبة وغزوه البلاد كلها تكونت الأسرة الرابعة والعشرون فى غرب الدلتا فى إقليم سايس بزعامة تف نخت . أما عن الأسرة الخامسة والعشرين فهى من أصل كوشى ، وقد تعرضت مصر فى نهاية هذه الأسرة للغزو الآشورى ثلاث مرات نظرا لعدم وجود جيش وطنى قوى وافتقار البلاد إلى زعامة وطنية قوية .

ويأتى بعد ذلك العصر المتأخر ، ويبدأ من الأسرة السادسة والعشرين حتى الحادية والثلاثين ، فشاهد هذا العصر اليقظة والتحرر والأفول والضعف . نجد اليقظة والتحرر على أيدى أسرات وطنية حكمت البلاد بقوة واعتزت بماضيها وتراثها وبما هو قديم . ويتمثل الأفول والضعف فى الاحتلال الفارسى وتمزق وحدة البلاد السياسية وقيام بعض الأمراء الوطنيين المحليين بقيادة المقاومة ضد هذا الاحتلال ولكنهم لم يكونوا فى قوة أمراء طيبة السابقين الذين نجحوا فى طرد الهكسوس . وانتهى كل ذلك باحتلال أجنبى أكبر استمر مئات السنين . فمع قيام السرة السادسة والعشرين استطاعت مصر خلالها أن تحرر نفسها من سيطرة الآشوريين بالاستعانة بالمرتزقة اليونانيين ، وعرفت مصر فى هذا العصر فترة من الرخاء والاستقرار الداخلى بفضل مجهودات ملوك هذه السرة الأقوياء ولكن تعرضت البلاد فى نهاية هذه الأسرة للغزو الفارسى ، وحكم ملوك الفرس خلال الأسرة السابعة والعشرين ، وقامت الثورات ضدهم بقيادة اميرتى وهو أمير من سايس . وقام اناروس وهو من سلالة ملوك سايس فى غرب الدلتا بإعداد المرتزقة لحمل السلاح ضد الفرس ولكن هذه المقاومة لم تستمر طويلا ، وهزم اناروس وحكم عليه بالإعدام .

وبعد ذلك قامت الأسرة الثامنة والعشرين ولم يكن فيها سوى ملك واحد وطنى وهو اميرتى ، ومن الغريب أننا لا نعرف تماما كيف وصل إلى العرش ، ولماذا نحى عنه . وثارت الدلتا مرة أخرى فهى فى عهده ضد الفرس .

ونشأت الأسرة التاسعة والعشرون وكانت أسعد حظا من الأسرة التى سبقتها ، وكانت أصلا من مندس ، وتمتعت مصر فى ظلالها بنوع من الهدوء والاستقرار الداخلى .

وتعتبر الأسرة الثلاثين آخر الأسرات المصرية المستقلة ولكن فى نهايتها تعرضت البلاد للغزو الفارسى مرة أخرى ، وأصبحت من جديد ولاية فارسية ولم ينجح الأمير الوطنى من الدلتا خباباشا فى تحرير البلاد من الفرس ولكنه نجح فى مقاومتهم لبضعة أعوام . وبعد أن هزم الإسكندر الأكبر دارا الثالث – قودمان – فى

معركة إسوس قرب خليج الإسكندرونة فى عام ٣٣٣ ق. م ، سار نحو مصر فى نهاية عام ٣٣٢ ق. م ، واستقبلته البلاد كمحرر واستسلم آخر الولاة الفرس فى مصر .

وهكذا ينتهى تاريخ مصر القديم بمعناه الحقيقى عند الغزو المقدونى لمصر ، وسوف نرى ملوكا يونان ثم رومان يتحكمون فى مستقبلها ولن يصبح هنالك أى ذكر للملوك المصريين ، وغزو الإسكندر لم يكن حادثا عابرا لكنه كان أمرا لا يمكن تفاديه ، كما حدث عند الغزو الرومانى ، وأصبحت مصر ابتداء من ذلك التاريخ جزءا هاما من عالم البحر المتوسط - لا يمكنها الانفصال عنه ، وكانت أكثر قوة وأكثر حيوية عندما كان فى مقدورها المحافظة على استقلالها وذلك باعتمادها على مواردها وسواعد رجالها ، ولكن كما رأينا كانت الأسرات الوطنية الأخيرة غير قادرة على تحقيق ما عرفته مصر من عظيم الأعمال فى عصور أسرات ملوكها الأقوياء . ولم تستطع هذه الأسرات أن تستمر طويلا خلال فترات حكم ملوكها فى مجابهة الإمبراطوريات القوية فى آسيا ، كما لم تستطع الصمود إلا باعتمادها على القوات اليونانية المرتزقة .

فمصر التى قضت على غزوات الهكسوس، وشعوب البحر، والآشوريين ، وواجهت فى كل عصر من تاريخها الطويل تهديدات جيرانها ، نجحت بصعوبة فى طرد الفرس اعتمادا على المرتزقة الأجانب .(١)

وهذا يفسر إلى حد ما لماذا قبلت مصر عن طواعية غزو الإسكندر . ويبدو أن الإرهاق قد سيطر على المصريين فسادهم الضعف واليأس من كل شئ بالنسبة لمستقبلهم ولا نجد إلا فى طيبة - وبالذات حول معبد آمون ذلك المركز الدينى - إلا القليل من روح الاستقلال القديمة ، ومن هناك اندلعت الثورات العديدة ضد الملوك والحكام الأجانب ، التى كان لها تأثير كبير فى زعزعة وجوده . وفى العصر البطلمى الرومانى نرى الحضارة المصرية تكتسب ثوبا جديدا غريبا رغم أنه لم يخف

---

(١) Vercoutter, L'Egypte Ancienne, p. 123 .

أصالتها القديمة . وعلى العكس أثرت بحضارتها القديمة فى الغزاة الجدد .

لقد رأينا عبر تلك الدراسة السريعة أهم أحداث تاريخ مصر القديم ، وعلى الرغم من كثرة الآثار والوثائق المختلفة والوثائق الملكية التى نملكها أو الموجودة فى جميع متاحف العالم فإن تاريخ مصر القديم ، لا يزال يعانى من فراغات عديدة لذلك فهو عرضة دائما لعدة افتراضات مشكوك فيها ، ولا يجب أن ننسى أن ما بقى لنا من اثار لا يتعدى إلا القليل ، ولا نملك إلا أجزاء بسيطة من تراث " تاريخ عريق " تكون عبر آلاف السنين ولا يزال هذا التاريخ حتى الآن غامضا وغير كامل من عدة نواح بالنسبة لنا ، لقد رأينا عن قرب كيف ولدت تلك الحضارة الفريدة فى نوعها ثم ازدهرت ثم خبت ، فبعد فترات من الاكتمال ، رأينا الفوضى تحطم شيئا فشيئا ذلك الترابط الداخلى لنظم الحكم والإدارة ، وذلك الترابط الذى كان سر كل قوتها فى الواقع . ولا يزال البحث جاريا عن الأسباب التى أدت إلى الانهيار خلال بعض الحقبات التاريخية الطويلة . فبعض المؤرخين يرجع ذلك إلى العامل الجغرافى وامتداد البلاد طولا ، وبعضهم الآخر يرى أن ذلك ناتج عن التطور التاريخى للشعوب التى كانت تحيط بمصر والقوى التى كانت تناهضها وضعفها أمام هذه القوى ، وبعضهم الآخر يرى أن عوامل الانهيار ترجع إلى أسباب اقتصادية ، وبالطبع تضاف إلى هذه الأسباب - المادية فى حد ذاتها - أسباب أخرى أكثر عمقا ، يصعب على التفكير العادى حصرها .

إننا نأمل فى المزيد من الاكتشافات الأثرية الجديدة لنعيد كتابة التاريخ ، كما حدث مع اكتشافات مقبرة توت عنخ آمون ومقابر ملوك تانيس وسرابيوم مومياوات طائر الأيبس (أبو منجل) فى جبانة تونا الجبل ، وسرابيوم مومياوات الصقور والأيبس والبقر فى منف[1] ، وخبيئة الكرنك التى تكدست فيها تماثيل عديدة

---

(١) انظر ما يكتب سنويا عن هذه الحفائر بواسطة البروفسور لكلان فى :

Leclant, Orientalia 37 fasc. 1 (1968), p. 102; t. 38 fasc. 2 (1969), p. 253 – 254; t. 39 fasc 2 (1970), p. 331; t. 41 fasc 2 (1972), p. 254; t. 43 fasc 2 (1974), p. 179 .

للمعبودات والملوك والأفراد ، وأنقذ منها ٧٧٩ تمثالا من الحجر و ١٧٠٠٠ تمثالا من البرونز هذا بالإضافة إلى التماثيل العديدة من الخشب التي أتلفتها رطوبة الأرض[1] ، وخبيئة التماثيل التى كشف عنها فى أرضية معبد الأقصر في العام الماضى . وهى جميعا تبين لنا أن أراض مصر القديمة ما زالت تحتفظ بالعديد من الأسرار والمفاجآت ولذلك يمكن القول بأن كل يوم يظهر فيه أثر جديد عن طريق أعمال الحفر والتنقيب يزيد من معلوماتنا عن تراثنا وتاريخنا القومى القديم .

ومن ناحية أخرى فإن دراسة تاريخ مصر القديم لا تزال في حاجة إلى المزيد من النشر والبحث العلمى فى جميع فتراته وفى مختلف مظاهره الحضارية لكى نستطيع أن نكون أكثر معرفة بأعمال ودور الإنسان المصرى القديم ، ولحسن الحظ أن أغلب الآثار لا يزال قائما فى مناطق الآثار المتعددة والمنتشرة في أرض مصر ، وعلى الرغم من أن هذه الآثار قد نزل عليها ستار الصمت والسكون ، ألا إنها لا تزال تحمل كلمات الأجداد منقوشة على جدرانها ولا تزال تجذب الناظر إليها من جميع أنحاء العالم فتثير فى نفسه الإعجاب والتقدير لضخامتها ، ولما تظهر عليه من دقة الصنع ومقاومتها لعوامل الطبيعة والزمن ورغم مرور آلاف السنين عليها ألا أنها لا تزال باقية تعبر عن عمق دينى كان هو المحرك الأساسي لقيام هذه الحضارة ، كما أنها تعبر عما حواه الفكر المصرى القديم من نظم فى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفنية ، كما أنها تثبت لزوار العالم المعاصر أن المصريين القدماء كانوا بحق صانعوا أصول وأمجاد حضارة عريقة على ضفاف النيل . وقدموا بذلك لتاريخ الإنسانية أعظم التواريخ القديمة أصالة وأقدم الحضارات عراقة .

ولعلنا بعد هذا العرض نكون أكثر إدراكا بأهمية هذا التاريخ وتلك الحضارة .

---

(١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

ويمكن القول فى النهاية أن دراسة ذلك التاريخ فى خطوطه العريضة وتتبع مراحله المختلفة يزيدنا إيمانا بقيمة تلك الأرض التى نعيش عليها والتى عاصرت أحداث الماضى ، وحفظت لنا آثاره وتجرى على ثراها أحداث الحاضر ونبنى عليها خطوط المستقبل . وإذا كانت أرض مصر عاشت عصورها التاريخية الطويلة تحكمها أسرات مصرية بما فيها فترات قوة وضعف وعلى أرضها نشأت وتطورت حضارة عريقة ، ثم دخلها البطالمة ثم غزاها الرومان إلا أنها ظلت مصرية صحيحة فى تراثها وفى أهدافها ، وإذا كانت قد امنت بعد ذلك بالمسيحية ونبذت عنها ديانتها القديمة ، ثم فتحت ذراعيها بعد ذلك لدين الإسلام ، وعاشت أجيال وأجيال فى ظل هذه الديانات السماوية ، ولكن ذلك لا يعنى أنها تخلصت من تاريخها القديم ، لأن هذا التاريخ باق ومرتبط بما على هذه الأرض وما فى باطنها من آثار ، وسوف تتوارثه أجيال وأجيال إلى أن يرث الله عز وجل الأرض ومن عليها .

ولعل أفضل خاتمة لهذا الكتاب هو ما سطره الأستاذ الدكتور أحمد بدوى فى مقدمة كتاب عن التربية فقال :

" إن تاريخ وطننا الخالد ، وسيرة شعبنا التليد العتيد - على الرغم من وفرة التراث وغنائه ، وعلى الرغم مما اجتمع بين أيدينا من بحوث للمؤرخين .. لا يزال يتكون ويتشكل كالجنين ... ويتكون جيلا بعد جيل ، قبل أن يستكمل خلقه ، ويستقر فى المكان الذى ينبغى له ، بحيث تظهر ملامحه الواضحة ، وقسماته البينة ، وبحيث نصبح مطمئنين أو كالمطمئنين ، قادرين على أن نضع له المعايير والأوزان ما يجعلنا نقدره - بعقولنا قبل قلوبنا - حق قدره " .(١)

ستظل أرض مصر بما عليها وبما فى باطنها من آثار محمية بإذن الله بفضل ما يحويه ترابها الغالى من رفات أولياء الله الصالحين ، وما أحوج شباب اليوم إلى معرفة صفحات من سجل هذا التاريخ القديم المشرف وأن يتذكروا بالتقدير

---

(١) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر (الجزء الأول - العصر الفرعونى) ، ١٩٧٤ ، ص ١١- ١٢ .

والفخر حضارة بلادهم العريقة ، حتى يصبح تاريخ مصر القديم هـــو الـــدرس الأول لكل من يريد أن يتعلم من دروس التاريخ القديم إذ أن فيه دروس مفيدة نتعلم منـــها . فلا تزال هذه الآثار كالأهرام والمعابد والمقابر المنتشرة على طول البلاد تلقـــى فـــى نفس كل من يراها الإعجاب والدهشة ولو فرض أنه لم يبق مـــن مظـــاهر حضـــارة مصر القديمة سوى تلك الآثار لكفى ذلك كدليل مادى خالد على المكانة التى وصـــل إليها هؤلاء المصريون القدماء فى حضارتهم وما حققوه خلال تاريخهم الطويل مـــن عظيم الأعمال والمنجزات .

كشاف الأعلام

(أ)

(ب)

(خ)

(د)

(ر)

(ق)

(ك)

محتويات الكتاب

صفحة

العصر الوسيط الثالث

العصر المتأخر

صفحة

دار نهضة الشرق

للطبع والنشر والتوزع

الإدارة والتوزيع: ٣٢ شارع طلعت حرب (سليمان باشا سابقا) تقاطع طلعت حرب مع عبد الخالق ثروت – الدور الثانى شقة (٨)
المكتبـــــة : بحرم جامعة القاهرة ـ الجيزة بجوار كلية دار العلوم
العنوان البريدى : مكتب بريد جامعة القاهرة ـ بالجيزة
تليفـــون : ٠١٢٢٢٢٥٩٧٨٨/٠١٢٢٤٦٢٤١٩

NSP
دار نهضة الشرق
للطبع والنشر والتوزيع

نحن ننظر إلي الماضي باعتباره أحداثاً مضت واندثرت وانتهى أمرها و لكن اليس الحاضر هو امتداد للماضي وإن اختلفت ظروف بيئة الإنسان وطرق معيشتةوامكانياته المادية ومعارفه وتجاربه وثقافته وإن اختلف ماجققه من انجازات . ولهذا يمكن أن يعتبر تاريخ مصرالقديم هو«الماضي الحي»لأن آثاره التي خلفها الإنسان المصرى القديم نجدها منتشرةفي كل مكان على هذه الأرض الطيبة كأنها «متحف مفتوح» تمثل آثاره جميع العصور التاريخية، فالتراث الأثرى ليس مجرد أحجار خرساء أوأطلال صماء أو بقايا متناثرة ، ولكنه تجسيد مادى لتراث فكرى وفني وروحى عميق الجذور .فعلى الرغم من الصمت الذى رأن على هذا التراث إلا إن نقوشه تعكس أحداثاً تاريخية هامة مظاهرحضارية متعددة تدل على ثراء حياة الإنسان المصري القديم وتعدد معارفه و تجاربه و تنوع مجالات ثقافته و سمو أفكاره الدينية.

لذا يجب علينا أن نعرف جيداً و باسلوب علمى تاريخ مصر القديم لأنه جزء من تاريخنا القومى و جزء من الذات الوطنية و الشخصية المصرية . وفهم ما مر بهذا الوطن من أحداث يعطينا مزيداً من الاعتزاز بكرامتنا و يزيدنا تمسكاً بقيمة أرضنا و أصالة تراثنا الحضارى الذى تتضاءل إلى جواره آثارأى بلد آخر .

الناشر